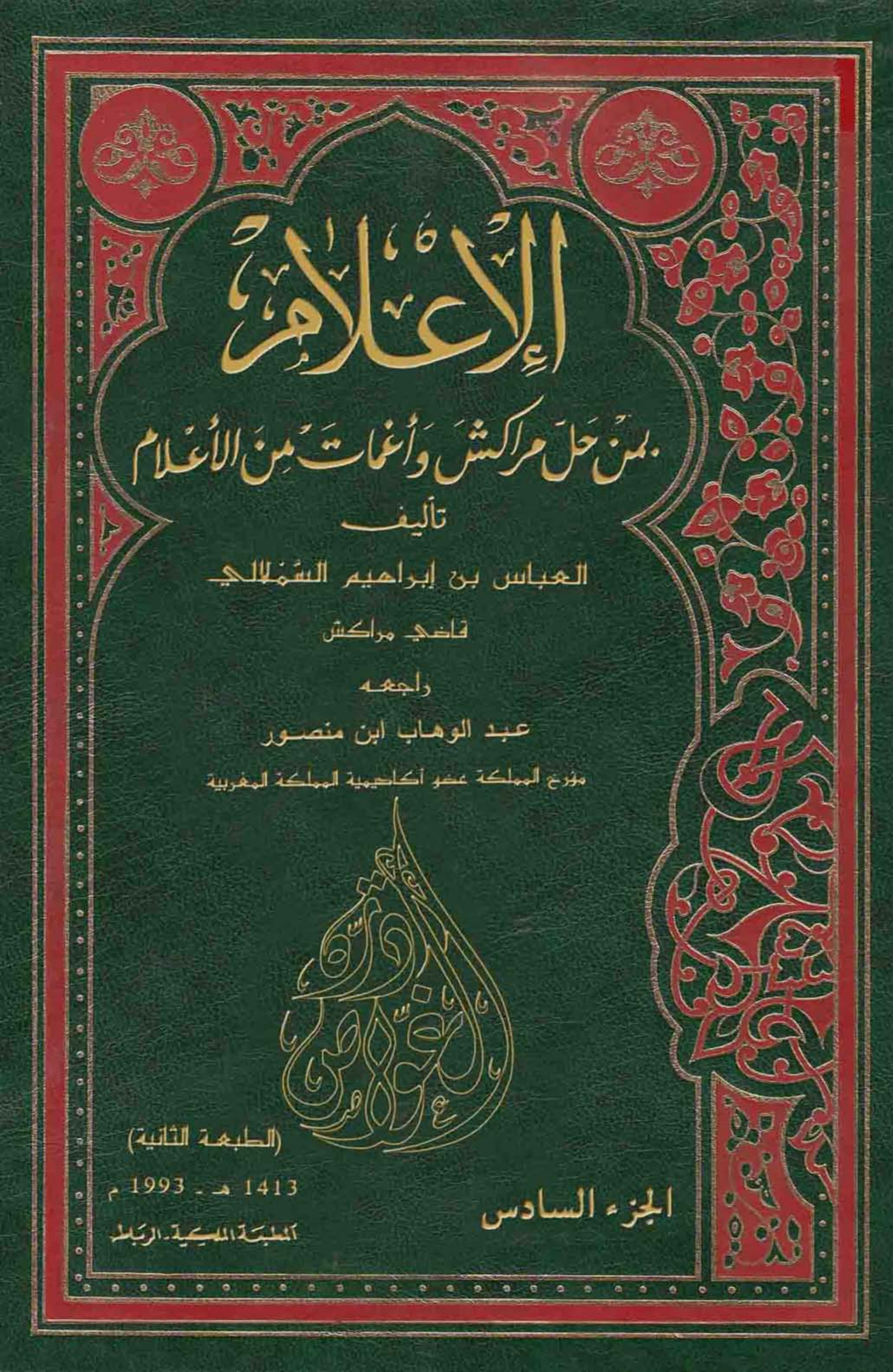

الإعلام
بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام
تأليف
العباس بن إبراهيم السملالي
قاضي مراكش
راجعه
عبد الوهاب ابن منصور
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية
(الطبعة الثانية)
1413 هـ - 1993 م
المطبعة الملكية - الرباط
الجزء السادس



الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

الجزء السادس

(الطبعة الثانية)



المطبعة الملكية . الرباط

1422هـ - 2001م



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

720) محمد بن الشيخ سيدي الحسن اليوسي (1) الفقيه من الفضلاء النبلاء ومن أكابر النبهاء ، وهو معدود في جملة الفقهاء ، موصوفاً بالصلاح والخير والفلاح ، ذكر هذا في (النشر) لدى العام السابع من العشرة الأولى بعد المئة والألف .

سافر السيد محمد مع والده سيدي الحسن للحج ، وقد ألف في ذلك رحلة صغيرة هي عندي (2) نبّه فيها على أنهم وصلوا مراكش أول ربيع الثاني سنة اثنتين وتسعين وألف ، وسلكوا طريقَ رباط سلا ، ثم رباط أزمور ، وبعد ثلاث سنين رحلوا منها يوم الاثنين لثلاث بقين من صفر لقرية الزاوية البكرية ، وفي أهلها قال والده : بنو اسحاق كلهم عراقى الخ ، وخرجوا منها يوم الاثنين أوائل رجب عام 1098 ، ونزلوا بشعاب حمود ، ورحلوا منها أول صفر الى قرية صنهاجة صفرو ، ونزلوها يوم الأحد التاسع من الشهر ، ولم يلقوا داراً ولا جاراً ، ولا منزلا ولا قرارا ، فبئست القرية !

فلو أبصر الشيطانُ صورة وجهها تعوّذ منها حين يُمسي ويُصبح

وأما ناسها فكانهم خشُبٌ مسندة ، ثم رحلوا منها يوم الاربعاء أواسط جمادى الثانية عام مئة وألف ، ونزلوا فاساً يوم الخميس من غده بدار علي ابن

---

1) ترجم المؤلف قبل هذه الترجمة لمحمد بن ابراهيم التاملي المراكشي ، وهو نفس أحمد بن ابراهيم التاملي المراكشي الذى سبق أن ترجم له فى 2 : 330 من هذا الكتاب ، مشيراً الى أنه وجد له اسمين : أحمد ومحمد ، فترجم له مع الأحمدين ومع المحمدين ، وهذا من هنات المؤلف التى يؤاخذ بها ، فقد كان من واجبه أن يتحرى ويتأكد ، حتى اذا ترجح له أحد الاسمين ترجم لصاحبه فى بابه ، ولم يترجم له مرتين كان الشخص الواحد شخصان ، وقد تصرفنا بحذف هذه الترجمة دفعاً للالتباس . ومن أراد الاطلاع عليها فهى مثبتة فى الصفحة الثانية من الجزء الخامس من طبعة فاس .

2) توجد نسخة من هذه الرحلة محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط تحت نمرة 2343

رحمون بدرب العلوج بالطالعة ، ولها باب ينفذ لدرب السراج ، فلم تستقم له أيضا سكنى ، وبقوا فيه سبعة أشهر ونصفا وخرجوا منه يوم الأحد لثمان بقين من المحرم لتمام المئة ، ونزلوا بقرية تمززيت أولاد عباد ، وهي بلدة قليلة خالية من شياطين الأنس ، وأهلها همج مسلمون لا ينفعون ولا يضرون ، وهناك خلّفوا العيال ، فخرج مع والده من الدار يوم الخميس الثاني عشر من جمادى الأولى عام واحد ومئة وألف ، وتوجه والده لفاس ، فأقام فيه شهرا ويومين، ثم خرج الركب ورحل منه يوم السبت الرابع عشر من جمادى الثانية ، وباتوا عند أولاد الحاج على حاشية وادي سبو ، ورجع المترجم لأخذ ما بقي ، وبات بمطيطة ، ثم اجتمعوا مع الوالد عند أهل الوادي، ويوم الاربعاء بات عند مكناسة بوادي قنصرة ، ورجع المترجم لمدينة تازة ، ثم سافروا ووصلوا لعين ماضي ، ثم نزلوا بقرية سيدي خالد ، ورحلوا لاقليم الزاب ، فدخلوا بسكرة ، وليس فيها مَن يضيف ولا مَن يقري ، ومروا بمقام سيدنا عقبة ، ثم حامة توزر ، ومنذ جاوزوا تازة ما رأوا أهل العقول والصلاح والكرامة ، وباتوا بحامة قابس ، ومن وادي الرأس الى النيل ما ترى ماء حلواً يجري على وجه الارض ، وبلغوا قبالة جزيرة جربــة ، ونزلوا بمليتة وأقامــوا بطرابلس تسعة أيام ، وباتــوا بتاجورة ، وزاروا ضريح الشيخ سيدي أحمد زروق بمسراتة ، وهناك ءاخر ما تراه من البنيان الى مصر ، وباتوا بخراب أجدابيــة ، وصعدوا عقبة الجبــل الأخضر ، وهو حد برقة البيضاء ، وبلغوا مورد التميمي ، ووصلوا سوق درنة ، وبلغوا جرجوب ، ووردوا منهل الشمامة ، وبلغوا وادي الرهبان ، ثم وصلوا قبالة بولاق يوم الجمعة الرابع عشر من شوال ، ووجدوا العلامة سيدي محمد الخرشي شارح (المختصر) ، وأجازه الوالد ، ثم بلغوا عجرود ووادي التيه ، وسطح العقبة ، ثم وصلوا مكة ، وأقاموا بها خمسة عشر يوما ، ثم زاروا المدينة المنورة ، ثم رجعوا الى مصر ، فوجدوا الشيخ الخرشي توفي رحمــه الله ، وأقاموا بمصر أربعة أشهر وتسعة أيام ، ثــم خرجوا من مصر يــوم الخميس الخامس عشر من جمادى الثانية ، ثم كتب له أخوه العلامة سيدي محمد مع الركب الشرقي الذي تلاقوا به بالصحراء قبالة طرابلس ، وبلغوا عين ماضي خامس شوال ، وقد خص الله نساء هذه البلدة بحسن وجمال لا يكاد يوجد في غيرها ، ثم بلغوا تازة ووجدوا هناك أخاه الشقيق والاخوة الصغار ، وبلغوا الدار بتمززيت يوم الأحد الخامس والعشرين من شوال .

انتهى ما اقتطفته من هذه الرحلة .

وهذا المترجم هو مدفون مع والده بتمزريت ، وقد زرتهم جميعاً في هذه السنة 1358 تقبل الله بمنه ، وبين ضريحه وبين فاس نحو خمسين كيلومتراً .

ثم اعلم أن الامام اليوسي كان عنده ولدان اثنان كل منهما يسمَّى محمداً ، وكانا معاً في مراكش حين كان والدهما هناك ، أما أحدهما فتقدمت وفاته ، وهو الذي مات عام 1107 ، وأما الثاني فتأخرت وفاته بعد ذلك ، فقد كان حياً سنة 1109 ، وهو المذكور في (الرحلة الناصرية) حيث كتب للشيخ أحمد بن ناصر ، كما في رحلته لدى ذكر حجته الثالثة الكائنة سنة 1109 ما نصه :

تنبيه

ويوم رحيلنا من هذه الدار بعد الرحيل من توزر في 8 رجب سنة 1110 ، رجعتنا عام عشرة ، التقينا بالركب المشرقي وأميرهم الحاج الحسيني الفاسي رحمه الله ، وأتونا بكتب من أهالينا ومن أهل محبتنا ، وبعث الأخ سيدي محمد بن الحسن اليوسي كتاباً فيه قصيدة نصها :

كتبت ودمعي واكف العبرات ... وقلبي حزين دائم الزفرات
وقد فتكت أيدي النوى بجوانحي ... وجسمي ، فهل من عودة لحياتي ؟
وهل يأنس المهجور بعد بعاده ... ويشهد جمع الشمل بعد شتات ؟
وقد سار قلبي تابعاً لمسيرهم ... وخلف جسم الصب بين عداتي
إلى الله أشكو ما أُلاقي وانه ... بحالي بصير عالم الخفيات
فواحزني ماذا أجد من الأسى ... ومن مضض الأحزان والحسرات
أعد الليالي ليلة بعد ليلة ... وقد عشت دهراً دائم الغفلات
فيأهل نجد هل أتاكم أحبتي ... يلبون في الأوهاد والهضبات ؟
يؤمون بيت الله والحجر والصفا ... مواطن من قد فاز بالدرجات
وسار بخيف والمحصب من منى ... وهل ظفروا بالغنم من عرفات
وقد شعروا في مشعر الله واهتدوا ... بهدي وهل مروا على الجمرات ؟

وحلوا وفاضوا فائزين بقصدهـــم … بفضل من الرحمان والبركـــات

وهل زار قبراً للنبي محمـــــد … وعفر حر الوجه في الحجـــرات ؟

عليه من الله الكريم تحيـــــة … مباركة أنفاسها عطراتــــي ؟

وصحبه مع أهل البقيع وكل مَن … بطيبة من صحب ذوي العظمـات

هنيئاً لكم أحباب قلبي بحجـــة … مطهرة الأركان والجنبـــات

لقد أسعدت تلك الرفاق وأينعـت … عراجينهم واخضر كل نبـــات

بمحيي رسوم الدين بعد دثـــوره … وحاميه فرداً دون كل حمـــاة

إمام علا فوق السماكين رتبـــة … وطهره المولى من الشبهـــات

فياأحمد قطب السلوك وغوث مـن … دعاه لدى الاعلال والكربـــات

دعاك غريب نازح متملـــق … أنِلْه بفضل صالح الدعـــوات

فليس له عن بابكم متحـــول … مدى الدهر في المحيا وبعد ممات

عليك سلام الله ما ذر شـــارق … وما ناحت الورقا على الشجـــرات

فنسأل رب العرش تعجيل أوبـــة … لكم دون ما سوء ولا جرحـــاتي

وربي أرجو أن يمن بفضلـــه … علينا بجمع الشمل قبل وفاتـــي

721) مَحمد بن اسماعيل العلوي

مَحمد فتحاً بن أمير المومنيـن ، مولانا اسماعيل الحسني العلـوي الشريف .

قال في الفصل الثاني من الباب الثاني من (المورد الهني ، بأخبار الامام المولى عبـد السلام الشـريف القادري الحسني) ، وكانت له ـ يعني سيدي عبد السلام القادري المؤلف فيه التأليف المذكور ـ الحظوة التامة عند ولاة وقته ، ولا سيما الخليفة العلامة الشريف الأسمى مولاي محمد بن مولانا أمير المومنين ، مولانا اسماعيل قدس الله روحه لقراءته على صاحب الترجمة ، فقد كان يجمع عليه ، يعني يجمع مولاي مَحمد المترجم على نفسه كبراء علماء فاس للاقراء عليهم ، ويجيبونه لذلك ، ويقاسون معه الشدائـد لذكائه وشدة فطنته ، مخافة الافتضاح معه في قصور فهم أو نقل .

انتهى المقصود .

ورأيت في طرة هذا المحل ، أن المصنف ضرب عليه في مبيضته ، وقال في (مطلع الاشراق) : وقد ورد علينا في حدود ست وتسعين وألف بتقديم الفوقية ، مع ركب الحج المنقلب للمغرب شريف من ناحية الينبوع ، من نسل محمد النفس الزكية ، الذين لهم هناك شهرة ، وبيده مع ذلك رسم فيه تقييد سلسلة نسبه ، وظهائر ملوكية من صنيع ملوك الترك العثمانيين المستولين على غالب الأقطار الشرقية لهذا العهد ، وسألني القدوم معه الى الفقيه الخليفة بفاس الجديد يومئذ مولانا مَحمد ابن ملك الوقت ، السلطان مولانا إسماعيل أيده الله وسدده ، فتصفحت بحضرته ما بيده ، وما اشتملت عليه رسومه من النسب ، وتضمنته ظهائره من وصف الشرف ، والعطاء المرتب فيها لأجله ، وعرفنا كل ذلك ، وإذا بطابع ظهير العثماني ملك الترك على شكل بديع ، كأنه صورة طاووس لا يستطيع أحد تصويره ولا تزويره لغرابة شكله ، ولما علم من ضبط أهل ديوانهم ، فتبين لنا أنه أتى بالخبر على وجهه ، واستفدنا من كل ذلك ومن قرائن أحواله ، ومن وروده من ذلك الموطن ، ومع الركب ، ومن صحة ما بيده ، وصدق لهجته وصحة المنسوب اليهم ، أنه شريف النسب ، وعرف مولانا مَحمد سدده الله في ذلك رتبته ، وأكرم مثواه ، وأجزل صلته ، وكان أراد المقام بالمغرب ، وسمعت أنه تزوج بمراكش ، وولد له ، ولا أدري الآن مقره ، انتهى .

ووقفت على قصيدة كتبها المترجم لشيخه العلامة الحافظ سيدي محمد بن أحمد القسنطيني المدعو الكماد ، المتوفي عام ستة عشر ومئة وألف، وهي هذه بعد حذف الصدر المتقدم في المقدمة (I) .

إلى العالم النحرير والحجة التي ... روى فضلها غرُّ السراة الجماهر

إلى شيخنا الأسمى السمي محمد ... أحملها هوج الرياح العواطر

أحملها مر النسيم تحية ... إلى الماجد الأرضى الكريم العناصر

وأقطعها الود الصميم وان نأت ... به الدار عن بحر من العلم زاخر

I) انظر I : 12 من هذا الكتاب ، وانظر القصيدة كلها في 4 : 78 من **اتحاف أعلام الناس**

فلله ما يشكو الفؤاد من النــــوى ... ولله ما تطوى بطون الدفاتـــــــر
إذا ما ذكرت العهد واشتقت للقــا ... جعلت فؤادي بين أضلع صابـــــر
فيادوحة العلم التي عمّ عرفهـــا ... جميع البرايا بين باد وحاضـــــر
وياسيدا حملته كـــــــل وارد ... سلامي وقد حملته كل صــــــادر
وياكوكباً قد لاح في أفق الهـدى ... فألقى سناه في عيون المآثـــــر
ألست الذي إن عز في العلم مشكل ... تلقاه فهم منك في زي باتـــــر ؟
ألست الذي ترتاح كلُّ عويصـة ... إلى ذهنه من بين ناه وآمـــــر ؟
حنانيك هاض القلب سهم ابن مقلة ... فأدمى فهل تروي حديث ابن جابر؟
عليك سلام الله ما شاق شيقـــا ... بريق وما لاح الصباح لناظــــــر

فأجابه شيخه الممدوح بقوله :

خليلي عج بالركب من أم عامـــر ... وعرج على كثبان نجد وحاجـــــر
وسل واكفات الدمع فوق محاجري ... أنار الغضا في القلب أم أم جابر ؟
وعرض بسقمي واعتلال ضمائري ... وأسند حديث الحب عن شلو ضامر
وصحح غرامي عن مسلسل ناظري ... وضعف سلوي عن هواها وناظري
فحيا الالاه حيها وربوعهـــــــا ... وعطر من أعطافها كل ناظـــــر
الى حيها تشتاق نفسي ومهجتـــي ... فهم منيتي والأكرمون عشائـــري
أ'هيلي وأحبابي اذا ما ذكرتهـــم ... يفيض غزير الدمع من طرف ساهر
وتحترق الأحشاء شوقاً لربعهـــم ... وتكلمها الأشجان عند التذاكـــر
رعى الله ذاك الربع مرتع فكرتـــي ... ومنية نفسي واحتلال معاشـــري
وحي الحيا تلك الديار عشيـــــة ... وعمر من أرجائها كل داثـــــر
ديار بها روحي وروحي وراحتـــي ... وقلبي وريحان الفؤاد وناظـــري
سليل أمير المؤمنين وعلقــــــه ... مَحمد محمود السجايا العواطـــر
وشمس المعالي كوكب المجد والعلا ... وسعد سعود للمنى والبشائـــر
وغيث الندا بحر السماحة والسنا ... وكهف بني الآمال كنز الذخائـر
وطود الحيا والحلم والصدق والوفا ... صفوح عن الزلات عند التشاجر

فلا هجره يخشى ولا سوء عشرة ... يوافي بحسن العهد عند التنافـــر
ويولي جزيلا من نداه وان نـــأت ... به الدار عنا فهو خير مـــؤازر
ولا عيبَ فيه غير أنه حــــــازم ... وحامي الذمار ملجأ للقســـــاور
وعالم أهل البيت فخر سراتهــم ... وتاج وسيف الدين عند التشاجــر
وقاعدة التحصيل أنك فاضـــــل ... إمام همام مركز للدوائــــــــر
وقد كانت الأيام تجمع شملنــــا ... فهل عودة للوصل ياخير شاكــر ؟
وهل تسمع الآذان عذب حديثكـم ... وتهتز أعطافي لتلك الجواهـــر
وتسحرني حسناء فهمك كلمــا ... أماطت نقاب الحسن عن طرف فاتر
فياخاتما للمجد دُمْ راقي العــلا ... مرجى لكشف الغيم زين المفاخـر
عليك من الرحمان صوب تحيــة ... مبشرة بالوصل من أم عامــــر

وممن أجاز المترجم مولاي مَحمد العالم : شيخه العلامة سيدي أحمد بن العربي بن الحاج ، ووقفت على إجازة سيدي محمد المسناوي له ، وسيدي محمد بن أحمد الولالي الذي أقرأه البديع والبيان والمعاني ، وأصول الفروع . وأصول الدين ، وقواعد التصوف ، وعلم المنطق . وقد ذكرها بنصها في (الدر المستحسن) ، ولم يقف على الأولى .

وفي سنة إحدى عشرة ومئة وألف ، عقد السلطان مولاي إسماعيل لابنه المولى مَحمد المدعو بالعالم على إقليم سوس ، ورتب معه ثلاثة آلاف من الخيل ، ولما دخلت سنة أربع عشرة ، بعث السلطان ولده المولى الشريف إلى درعة والياً عليها ، فثار المولى مَحمد العالم ببلاد السوس ، ودعا لنفسه ، وزحف إلى مراكش ، فحاصرها في رمضان من السنة المذكورة ، وفي العشرين من شوال اقتحمها عنوة بالسيف ، فقتل ونهب ، ولما اتصل خبره بالسلطان ، بعث ولده المولى محمد المدعو زيدان فارس أولاده في العساكر لقتاله ، فقدم مراكش ، فصادف المولى مَحمد قد خرج عنها ، وعاد إلى ردانة ، ولما احتل المولى زيدان مراكش عاثت عساكره فيها ، ثم تبع أخاه المولى مَحمد العالم إلى السوس ، فنزل على ردانة ، واتصلت الحرب بينهما .

وفي الحادي والعشرين من صفر سنة ثماني عشرة ، (1) ورد الخبر باستيلاء المولى زيدان على ردانة وقبضه على أخيه المولى محمد العالم بعد محاربته له ثلاث سنين ، هلك فيها أمم وقواد ورؤساء وأعيان يطول ذكرهم، ولما دخلها المولى زيدان عنوة ، قتل جميع من بها حتى النساء والصبيان ، هكذا في (البستان) .

وفي رابع ربيع الأول من السنة ، وصل المولى محمد العالم مقبوضاً عليه إلى وادي بهت ، فبعث السلطان من قطع يده ورجله من خلاف بعقبة بهت ، ومات بمكناسة في خامس عشر ربيع ، وكانت الغلبة عليه بعد أن هزم أخاه مولاي حفيد الفار لآسفي بعد الهزيمة .

وقال في (الجيش) : لما توفي المولى محمد العالم صلى عليه القاضي سيدي محمد العربي بردلة ، فنقم عليه ذلك بعض الحسدة ، وأوغروا قلب السلطان عليه ، وقالوا له : انه يبغضك ، ولولا شدة بغضه لك ما نازع إلى الصلاة على عدوك الذي ثار عليك ، ورام نزع الملك من يدك ، فكتب السلطان إلى القاضي بردلة يتهدده ويوبخه ، فأجابه القاضي بأن صلاته عليه نظيرة صلاة الحسن البصري على الحجاج بن يوسف ، فلما ليم على ذلك ، قال : استحييت من الله تعالى أن استعظم ذنب الحجاج في جنب كرم الله الغفور الرحيم ، على أنني ما صليت عليه بغير إذن ، بل خرج الاذن من الدار المولوية، وبلغ ذلك مبلغ الشهرة التي لم يبق معها شك ، وذلك على لسان مترجمه

---

1) الصحيح فى استيلاء مولاى زيدان بن اسماعيل على ردانة انه كان صبيحة يوم الجمعة 15 صفر عام 1118 هـ ، وننقل فيما يلي ما كتبه الشرقى كاتب زيدان عن هذا الفتح فى مذكراته المحفوظة بالمكتبة الملكية تحت نمرة 1428 :

« فى صبيحة الجمعة منتصف صفر عام 1118 فتحت ردانة ، ودخلها زيدان ، لأن الباشا عبد الكريم بن منصور التكنى أبرم اتفاقاً مع أعيان الباب الواعر الذى كانوا به على فتحه لقاء حقن دمائهم ، فلما فتحوه خرج مولاى محمد من باب الخميس وقصد جبل زكيتة ، فأدركه عبيد البخارى واتوا به الى أخيه زيدان ، فتغير مخافة عليه من والده ، وتصبب جبينه عرقاً حياء منه ، وبعدما مكث عنده أربعة أيام أرسله لوالده فتلقاه بوادى بهت وقطعه من خلاف ، فمكث يومه وليلة ، ومات عشية الأحد 16 ربيع النبوى 1118 وبلغ خبره زيدان يوم 26 منه »

ينسب الأمر الى الجانب المولوي ، فلا افتيات بعد ذلك ، بل الواجب هو القيام بذلك ، ولو بغير اذن اجلالا وتعظيما لجانب مولانا نصره الله ، ولما قال صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في قضية الحديبية : امح لفظ رسول الله ، قال علي رضي الله عنــه : والله لا أمحوه أبدا ، فتعارض وجــوب امتثال أمر الرسول بالمحو ، ووجوب الاجلال لمقامه الأرفع ، فرجح رضي الله عنه وجوب الاجلال، ثم الصحيح ان الحدود كفارات، ففي الصحيح عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه : ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا ، فهو كفارة له .

انتهى باختصار (1)

وكانت هذه القضية من الفتن العظيمة بالمغرب ، عمت أهل القطر السوسي ، وخصت أعيان غيرهم من العلماء الذين كانوا يخالطون المولى محمد العالم لولا لطف الله تعالى ، فان الشيخ محمد المسناوي الدلائي كان مــن أخص الناس بالمولى محمد ، فوشي بــه إلى السلطان ، وقيل انه مــن شدة اتصاله به لا يغيب عنه عزمه على القيام عليك ، فاذاً هو موافق له على ذلك ، فبادر بعض أصحاب السلطان ممن كان يجنح للمسناوي بالاعتذار عنه ، بأنه كان ينهاه عن القيام ، وأنشد للمسناوي في ذلك :

مهلا فان لكل شيء غايــــــــة	والدهر يعكس حيلة المحتــــــال
فالبدر ليس يلوح ساطع نــــوره	والشمس باهرة السنا في الحــال
فاذا توارت بالحجاب فعنـــــد ذا	يبدو بدوًّ تعزز وجمـــــــــال

فوقع ذلك من السلطان ، وتحقق براءة الشيخ ، رحم الله الجميع .

انتهى كلام (الجيش) .

1) انظر النص الكامل لجواب الفقيه العربى بردلة للسلطان مولاى اسماعيل فى 4 : 82 من اتحاف اعلام الناس

وفي هذا المعنى قلت في خامس ربيع الثاني عام ثلاثين وثلاثمئةوألف في (الديوان) ، بباب البوجات بفاس ، لما رأيت القمر طالعا في النهار ، وليس له نور :

ما الفرع مع أصله صاح بمعتبر — كالشمس ان طلعت غطت على القمر
فانظر إلى نوره يظهر منكسفا — وجرمه ظاهر ليس بمنكدر

قال كنسوس : وقولنا عمت أهل القطر السوسي ، لأن ظهوره التام انما كان هنالك ، ولأن جل من ينتسب الى العلم والصلاح منهم كانوا معه ، موافقين له ومؤيدين فعله ، انتهى .

قال في (النشر) : كان المولى محمد العالم ماهرا في العلوم ، كالنحو ، والبيان ، والمنطق ، والكلام ، والأصول ، وكان ينفعل للشعر ، ويتأثر بأريحية الادب .

ومما كتبه له أخوه مولانا الشريف صدر مراسلة ما خاطب به سيف الدولة ابن حمدان أخاه ناصر الدولة :

رضيتُ لك العليا وان كنت أهلها — وقلت لهم بيني وبين أخي فرق
أما كنت ترضى أن أكون مصليا — اذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

والمصلّي هو الثاني من الخيل في الحلبة ، وفي (القاموس) صلى الفرس تلا السابق ، والمجلّي هو الأول ، (القاموس) والمجلي السابق في الحلبة ، فاقترح المكتوب له على الشيخ أبي عبد الله المسناوي أن ينوب عنه في الجواب ، لأنه كان من الوافدين عليه حينئذ ، فأجابه رحمه الله بقوله :

بلى قد رضيت أن تكون مجليا — ويتلو نداكم في العلا مَن له السبق
وما لي لا أرضى لك المجد كلَّه — وأنت شقيقُ النفس إن عرف الحق
ولكن ذوو الضغن انتحوا ذات بيننا — فغادرها افسادهم وبها رنق

ورنق براء مهملة ونون (القاموس) : رنق الماء كفرح ونصر رنْقاً ورنَقاً ورنوقاً كدره .

وفي سنة سبع عشرة ومئة وألف ، انتزع الانجليز جبل طارق من يد الاصپنيول ، حاصره ثلاثة أيام براً وبحراً في جند يسير ، فملكه لاشتغال الاصپنيول يومئذ عنه بأمر الفتنة التي حدثت في مملكته ، ولما ملكه الانجليز عظم ذلك على أجناس الفرنج ، خصوصاً الاصپنيول والفرنسيس ، ورأوا أن الانجليز قد ملك عليهم باب أورپا ، ولذا حاصروه مرارا ، فلم يحصلوا منه على طائل ، واستمر في يده الى الآن (1) .

722) **محمد بن عبد الله الحمري المراكشي** ، مقدم الطائفة الناصرية في زمن الشيخ سيدي أحمد بن ناصر بمراكش ، وله رسالة طويلة أجاب بها سيدي أحمد بن عبد القادر عن رسالته المؤرخة عام 1121 واحد وعشرين ومئة وألف ، نص المقصود منها :

بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الموفّق مَن وفّقه بفضله ، الخاذل مَن خذله بعدله ، العالم بما تكنه الصدور ، وما تأتي به الدهور ، وما انطوت عليه طوية كل إنسان ، من مكر وخير وإحسان ، الذي أرسى الأرض بجبال شوامخ من عباده الأقطاب ، تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرَّ السحاب ، وجعل الليل لباساً ، وأزال عن قلوبنا شكاً والتباساً ، وأرانا من الهدى مناراً ، وخلقنا أطوارا ، وأطلع علينا شموساً وأقماراً تدل على حكمته ، ونستدل بها على قدر نعمته ، وأظهر السنة وأنارها ، وأدحض البدعة وأبارها ، وجعل الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم أنصار السنة وحماتها ، وجعل من بعدهم أعلام الطائفة الناصرية الشاذلية شعارها ودثارها ، وحرس بهم طائفة أهل الحق الموحدين عن جهل الجاهلين ، وانتحال المبدلين الزائغين ، وأثني عليه بأفضل الثناء على ما منح وأنعم ، وأشكره على ما منَّ به وتكرم ، وأشهد أن لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له ،

1) تنظر ترجمة الأمير محمد العالم بن السلطان مولاى اسماعيل العلوى فى **اتحاف اعلام الناس** 4 : 61

وأن محمداً عبده ورسوله ، الذي ختم به رسله، شهادةَ عبد لا يرتاب في توحيد خالقه ، ولا يحيد عن طريق شيخه وحقائقه .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الشريعة الاسلامية ، المقتدى به وبسنته السنية ، الذي أيقظنا من مرقد الضلالة ، وجلى عنا غياهب الجهالة ، وأظهر الرشاد بعد احتجابه ، فتوارى الغي في حجابه ، وعلى آله وأصحابه الكرام البررة الطيبين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فعليكم أيها القدوة الأفخم ، المُفرد العلم الأعظم ، والصدر الأوحد ، العلامة الأمجد ، والمنهل المورود الأسعد ، البركة ، السيد أبو العباس بن البركة ، السيد عبد القادر بن البركة ، السيد محمد بن مبارك المتبرك بهم في الحياة والممات ، أزكى وأسنى ما حيَّيتنا به من التحيات ، ما تتابعت الأخوة ، وتعطفت الأبوة على البنوة .

هذا وقد لاح لنا منك عنوان ، وشيم منك ما ليس لنا عنه سلوان ، تذوب النفوس عليه كمداً ، وتخشى العيون بعده رمداً ، وأشرقت لنا من أفقك أنوار ساطعة ، وبروق لامعة ، وكيف لا ؟ وأنت سيدنا أزخر علمائنا بحراً ، وأوسعهم فخراً ، وأحسنهم خواطر ، وأسكبهم مواطر ، وأسيرهم أمثالا ، وأعلاهم مثالا ، وأصدقهم لسانا ، وأعمهم احساناً .

ولقد ناهزت سيدنا الفرصة ، في سبيل القربة المحضة، ونبهت قلوباً غمرها الصدى ، وخامرها الردى ، بسهام موعظة بالغة ، من قلب مرتد من التقوى بأردية سابغة ، فجليتها جلاء ، ومنحتها ضياء ، فلا محا الله عن وجه الزمان غرتك ، ولا أسقط عن جبينه درتك ، ولا زلت بالحق صادعاً ، كما لم يزل هلال أفقك طالعاً ، وروضك الأنيق زاهرا ، وبحر علومك السنية زاخراً ، أدام الله النفع بك للاسلام ، وجعل سراجك يجلو كل ظلام ، ووسيلة الى الله في كشف الضر واستنزال الغمام ، وأبقاك للاخوان عدة ، كما جفوت من اللهو هزله وجده ، طالباً القرب من الله والارتقا ، وما عند الله خير وأبقى .

وليكن سيدنا على يقين في الطائفة الناصرية السنية المراكشية ، الراغبين في دعائكم الجدير ان شاء الله بالاجابة ، وأن يعدوا من السالكين أهل الانابة ، بأنهم عضوا بالأيدي والنواجذ ، ووقفوا وقوف ذي بصر نافذ ، على عهد شيخهم الناصح ، وواسطة عقد السالكين سبيل السنة المحمدية الواضح ، السامي في سماء الحق مناره ، العظيم الشامخ مقداره ، المؤسس على أساس السنة قراره ، العام النفع والتبركة الغزير مدراره ، سيدنا أحمد ابن ناصر، ذي العز الباذخ والنور الباهر ، الذي شهود الحق له قائمة ، وأمداد التوفيق عليه حائمة ، معدن التقوى ، والآخذ من أسبابها بالسبب الأقوى ، ولا يدعى بدعوى ، ولا تستميله الأهوا ، فما منهم من هو صارم حبله ، ولا تارك سبله ، ولا مستمد من أمداد غيره ، لا في سره ولا في جهره ، بل صمموا على عهده وطريقته أعظم تصميم ، وتنافسوا فيها وفي اصلاح ذات بينهم من قديم ، لا يبغون عنها حولا ، ولا يريدون بها بدلا ، وشمروا على طريقته أذيالهم متسابقين ، وأقبلوا عليها بكليتهم متفقين ، وفي رباطهم المبارك في المواسم والجمعات يجتمعون ، وفيه إلى ربهم بالدعاء يبتهلون ، لأنفسهم وأشيخهم وإخوانهم حيثما حلوا ، وهذا دأبهم وما بدلوا ، وحاشا ظن سيدنا الجميل ، وذهنه السليم النبيل ، أن يعتقد بهذه الطائفة الاغترار بكل ناعق ، أو أنهم يشيمون كل بارق ، أو يكونون ممن ينقل خطواته ، إلى كل ذي ريب في دعواته .

وأما ما طرق سمع سيدنا من التبديل ، الموجب لهذا التهويل ، فاعلم وفقك الله أنه انما وقع لرهط تسعة ، ولا يخفى عليك ما في التسعة ، منهم : رجل دباغ ، حاد عن الطريق وزاغ ، يقال له ابن زيد ، وما زال في عمايتـه يزيد ، والمتفقه الخراص ، وهو يزعم فيمن رجع إليه أنه من الخواص، والسبعة الباقون من الغوغاء الأخلاط ، الذين لا يعتد بهم في حل ولا رباط ، نقضوا على الشيخ عهده ، ونبذوا ورده ، واعتزلوا مذهبه وشردوا ، فانعزلت عنهم الطائفة وبعدوا ، ووعظهم أعيان الطائفة فلم تنفعهم موعظة ، وأبوا الا ما سولت لهم أنفسهم ، ونصحوهم فلم يبالوا ... الى آخر الرسالة ، وهي طويلة .

وختمها منشئها بقوله : وكتبه خديم الصالحين ، ومقبل الأرض بين بين أيديهم ، المقدم محمد بن عبد الله الخمري ثم المراكشي وفقه الله بمنه (1) .

723) محمد بن محمد ابن ناصر

محمد بن الشيخ سيدي محمد بن محمد ابن ناصر ، أكبر أولاد الشيخ رضي الله عنه ، الولي الصالح المخلص الناصح ، والد والد مؤلف (الروض الزاهر) مترجمه فيه ، قال : ولد سنة . . . وأمه السيدة مريم بنت السيد محمد حنيني ، وأقرأه والده القرآن ، وابتدأ لوحه على القطب السيد أحمد بن إبراهيم ، وحج مع والده سنة ست وسبعين وألف .

وهو نادرة الزمان وأعجوبة الأوان ، في علم الحساب والهندسة والتوقيت ، لا يباري فيه ، وبالجملة قد أخذ من كل علم طرفاً ، وزاد به عند جميع الخلق شرفاً ، وزوجه والده الشيخ رضي الله عنه ابنة القطب أحمد بن إبراهيم السنيدة ميمونة ، فولد له منها أولاد منهم : والدنا موسى بن محمد ، وأخوه الأستاذ السيد عبد الله بن محمد ، وتوفيت رضي الله عنها بالطاعون سنة إحدى وتسعين وألف ، وقد كانت ولدت منه . . . وهاجر رضي الله عنه للمغرب لطلب العلم ، كتلمسان ، وفاس ، ومراكش عدة سنين ، وكان جيد الخط ، كتب بيده عدة كتب ، ولا تجد كتابه الا مملوءاً بالفوائد المفيدة .

وحدثني الاستاذ السيد أحمد الكنسوسي ، أنه سمع الشيخ أحمد ابن ناصر يقول : أخي سيدي محمد سريع الرضى ، سريع الغضب ، مجاب الدعوة، فلا تتعرضوا له ، وما سأل الله شيئاً إلا ورزقه إياه في حينه ، وما دعا الله قط على ظالم الا أهلكه الله في حينه ، وكان كثير الانبساط والسرور .

---

1) ذكر المؤلف بعد هذه الترجمة محمد بن قاسم عليش المراكشى ، جامع الحراطين المتوفى عام 1123 وقال ان اسمه عمر لا محمد ، وأحال على ترجمته فى حرف العين ، فلذلك حذفنا ما كتبه اجتناباً للالتباس

ومن كراماته رضي الله عنه ما حدث به بعض الثقات من أصحابه ، قال : قدم بعض السنين على أمير المومنين مولانا اسماعيل لأمر أوجب القدوم عليه بمدينة مكناسة الزيتون ، فالتقاه وأظهر الملك الفرح والسرور به ، فانفصل المجلس بينهما ، وقام رضي الله عنه ليخرج ، فمشي قليلا ، فاذا بالأسود ونوع من الكلاب يقال لهم القناجر — ترمي الملوك اليهم من غضبوا عليه ، فيمزقوه طرفا طرفا — مقبلة اليه ، فاتحة أفواهها ، فلما قربوا أخمد الله نارهم ، ووقاه شرهم ببركة الإشياخ رضي الله عنهم ، وأخذ أصحابه رضي الله عنه الارتعاش وخفقان لما رأوه ، فقال لهم : لا بأس عليكم ، وجعل يضرب على رقاب تلك الأسود ! ويقول : ما أسمن هذا ؟ ليته ضحية عيد ! والملك ينظر من موضع اختفى فيه ، وجاء الموكل بهم بعد ذلك وهو يقول : خرجوا علي غفلة مني ، وذلك بأمر الملك على سبيل التجربة ، كما كانت الملوك قبله تعمله لامتحان الصالحين والأولياء رضي الله عنهم أجمعين .

وكان يرسم الجدول المخمس ، فيقتلع منه شيئاً ، مثاقيل الذهب كما هو معلوم عند أهل ذلك الفن ، فأمره والده الشيخ بترك ذلك ، فقال له : لا أتركه الا على شرط أن تضمن لي أن لا يخصني شيء من أمور الدنيا في مهماتي وملماتي ، فقال له : قد ضمنت لك ذلك ما تركته ! فلم يعد ، وما اشتكى بالفقر حتى لحق ربه رضي الله عن الجميع .

فصل في ذكر بعض الفوائد وجدتها بخطه رحمه الله ورضي عنه

فمن ذلك ما نقل من كلام ولي الله أبي يعزى : ولقد وعدني الحق سبحانه بقضاء حوائج المسلمين ، فمن يأتي الينا من البعد ، فله عندنا سبع مسائل ، ومكناسة الزيتون فله عندنا ثلاثة مسائل ، والقاطن عندنا له مسألة واحدة . قال بعضهم : هذا النقل صحيح ، ولكن يشترط المبيت عنده ثلاث ليال .

ونقل من خط العالم العلامة البحر الفهامة ، السيد عبد القادر بن علي رضي الله عنه ، ناقلا عن زروق : ابتلى الله أصحاب ثلاث مسائل، بثلاث مسائل: صاحب الحكمة بالفقر ، وصاحب الحرف بالذل ، وصاحب التنجيم بالموت على أقبح حالة .

وقال سفيان الثوري أربعة لا تطلبها في آخر الزمان ، فانك لا تجدها : لا تطلبْ عالماً يعمل بعلمه فانك لا تجده ، فتبقى جاهلا ، ولا تطلب طعاماً بغير شبهة ، فانك لا تجده فتبقى جائعاً ، ولا تطلب صديقاً بغير عيب فانك لا تجده فتبقى وحيداً، ولا تطلب لنفسك عملا بلا رياء فانك لا تجد ذلك، فتبقى بلا عمل.

وفي (صحيح البخاري) عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إياكم والجلوسَ على الطرقات ، فان أبيتم الا الجلوس فاعطوا الطريق حقها ، قالوا : وما حق الطريق ؟فذكر خصالا جمعها ابن حجر وهي :

جمعت آداب من رام الجلوس على	طريق من قول خير الخلق انسانا
أفش السلام وأحسن بالكلام وشم	ـت العاطسَ الحمَّاد إيمانـــــا
في الحمل عاون ومظلوما أعن وأغث	لهفان رد سلاما وأهد حيرانـــا
بالعرف مرْ وانهَ عن نكْر، وكفَّ أذى	وغض طرفاً ، واكثر ذكر مولانـــا

وجمع بعضهم السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظـل عرشه ، فقال :

محب عفيف ناشيء متصـــــدق	مصل وباك والامام بعدلـــــه

وزاد ابن حجر سبعة أخرى فقال :

وزد سبعة إظلال غاز وعونـــه	وإنظار ذي عسر ، وتخفيف حمله
وارفاد ذي عدم وعون مكاتـــب	وتاجر صدق في المقال وفعلـــه

وقيل : زيارة أبي يعزى لما طلب ، وماء زمزم لما شرب .

ونقلت أيضاً من خطه رضي الله عنه بعد البسملة .

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى ، المبعوث الى سائر الورى ، المنتقى من كنانة وعدنان ، المبعوث بأكمل الكمال ، المفضل على الملائكة والانس والجان .

وبعد ، فيقول أسير ذنبه ، المنتظر العفو من ربه ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر بن عمرو : حدثني أستاذي وشيخي ووالدي ، بدر العلماء ، وقطب دائرة الصلحاء، خاتمة العلماء العاملين ، وأحد المتقدمين المبرزين في الفضل بعصر الأولين ، وخاتمة الأصفياء والصديقين ، سيدي محمد بن ناصر أسعد الله حاله ، وختم بالصالحات أعماله ، عن شيخه أبي الهدى والتحقيق ، ومن له أوفر حظ من التحقيق ، أحد الأولياء الأكابر ، وعالم العلماء المشاهير سيدي علي بن يوسف . . . عن شيخه سيدي عبد الرحمان بن محمد بن بني مهرة ، عن سيدي محمد بن محمد بن ناصر ، من أهل الرقيبة ، عن سيدي عبد الكبير وهو جد سيدي عبد الرحمان المذكور ، عن القطب الكامل إمام الأولياء وفخر العلماء ، سيدي عبد الرحمان الثعالبي رضي الله عنه أنه قال : مَن رأى من رآني الى سبعة ضمنت له الجنة !

وفي سلسلة كل واحد ، يقول لصاحبه : أشهد أني رأيتك ، وقد أشهدت على ذلك شيخنا ووالدنا ، وفي أسفله بخط الشيخ رضي الله عنه ، ونفعنا بهم : نعم شهد بذلك كاتب هذا السطر محمد ابن ناصر كان الله له .

وجمع بعضهم أجداده ، صلى الله عليه وسلم في ستة أبيات ، وهو سيدي أحمد بن علي السوسي بقوله :

عدد أصلاب أبوي خير الورى	بها ولاح نوره واشتهرا
هي لدى الناس جميعاً تدرك	صلى عليه ربنا وبارك
عبد الالاه ، ثم عبد المطلب ،	وهاشم عبد مناف قد حسب
قصي ، كلاب ، مرة ، كعب ، لؤى	وغالب فهر ومالك وفي
نضر كنانة خزيم مدركة	اليأس نجل مضر فادركه
نزار معد ثم عدنان هنا	قد انتهى اجماعهم نلت المنى

ومن خطه : تاريخ موسى بن عمران بن يصهر بن ناهت بن كادى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمان عليهم الصلوات والسلام أجمعين .

وقال بعض الفضلاء : مَن ذكر هذه الاسماء الثمانية حشره الله يوم القيامة عند موته ، ومن ذكرهم وهو حي غفرت ذنوبه ، ومن ذكرهم على من به وجع برىء منه باذن الله ، وهم :الحسن البصري ، وهرم بن حيان ، والربيع بن خثيم ، والأسود بن يزيد ، وعامر بن عبد الرحمان بن عبد قيس ، ولاون بن الأجزع ، وأبو مسلم الخولاني ، وأويس القرني .

اللهم إنا نسألك ونتوسل إليك بجميعهم أن تفرج علينا ما أهمنـا من أمر الدين والدنيا وأمر الآخرة ، وأن تمنّ علينا بحسن الخاتمة بفضلك ياذا الفضل العظيم .

فـائـدة

إذا كنت في طريق وخفت أن يضرك المطر ، فخط على نفسك خطاً بعصا أو نحوها واتل : ان الله يمسك الي غفوراً ، وياأرض الى الماء أسكن أيها الغيث كما سكن عرش الرحمان ، وله ما سكن الى العليم ، وللمصروع اذا كتبت في أناء طاهر الفاتحة ،وقوله : ثم انزل الى الصدور ، محمد رسول الله الى آخر السورة ، ومحيت ودهن بها المصروع ، أفاق من صرعه .

فـائـدة

قال بعض الصالحين : إذا خرجت من منزلك إلى السفر أو غيره ، وخفت من العدو ، فصور صورة حائط مسجد ، واستقبل وأذن وأقم واقـرأ الفاتحة وآية الكرسي من غير صلاة ، ثم أخرج رجلك اليمنى من الحائط قائلا : بسم الله الرحمان الرحيم ، فانك لا ترى سوءاً أبدا .

وقد جاء في بعض الآثار ، ان من قرأ آية الكرسي قبل خروجه من منزله ، لم يصبه سوء في سفره حتى يرجع إلى منزله ، ومن قرأ ان الذي فرض عليك القرآن الى آخره ، لا بد أن يرجع الى منزله ولو قرب أجله أمهل حتى يـرجـع .

فـائـدة

أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعيد ، وسعد ، وعبد الرحمان ابن عوف ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، وسعيد بن ربيعة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبيدة بن عبد الصمد ، وخالد بن الوليد المخزومي ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وعمر بـن أمية الضمري ، وعمرو بـن أويس القرشي ، وأبو دجانة الانصاري ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن سلام ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وأبو الدرداء ، وأبـو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان ، ومحمد بن محجن ، وربيعة بنـت سعيد بن مقاتل ، ومعاذ ابن جبل ، وجابر بن عبد الله الانصاري ، وأبو طلحة الانصاري ، وعمرو بـن أبي العاص ، وسلمـة بنت الأكوع ، وأبـو موسى الأشعري ، وأبو سعيد الخذري ، وحسان بن ثابت ، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد ، وداوود بن مالك ، وأبو هريرة ، وبلال ابن حمامة ، 42 جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مَن كتبهم وجعلهم في خرقة لم يكشف ، ومَن علقهم أمِن من اللصوص وغيرهم ، ومَن قرأهم على مريض برىء باذن الله تعالى ، ومَن جعلهم في حرز وعلقهم في عنق الميت أو بين أكفانه لم ير وحشة القبر .

ومن رسائل والدي لبعض أهل الزاوية الدلائية بعد البسملة ما نصه :

من عبيد ربه تعالى محمد بن ناصر كان الله له ، الى عيبة الوداد سيدنا الشرقي بن سيدنا أبي بكر ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فاني أحمـد إليك الله .

وبعد ، فاني كالمأمور أن أتلو عليك قوله تعالى : « ألم يان للذيـن آمنوا ... إلى العظيم » فاعزب بنفسك عن شغل الدنيا ، فقد شغلنا عن الله بما لا نشك في بطلانه ، فاتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ، وقدموا لأنفسكم فقد ذهب صفو الزمان ، فالبدار البدار ، فما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ، أو لم ينظر إلى قوله : « قد اقترب أجلهم » ، فاجعل الموت نصب عينيك ، يهن عليك قطع هذا الزمان المريض مرضاً مزمنا ، وتخلف عليك نوائبه ، نسأل الله لنا ولك أحسن التوفيق ، واستغفر الله لي ولك .

لسبع بقين من رجب ، وكتبه محمد بن ناصر .

ومما أفادنيه بعض الاخوان عن والدي ، أن هذين البيتين يقومان مقام الاستخارة :

يالطيفا بخلقــــــه	أنت تعطي وتمنـــــع
قد تحيرت سيـــــدي	دلني كيف أصنــــع

ومما روى عن بعض الأيمة أن يقول على المقابر عند ما يوقف عليها : السلام عليكم ياأهل لا إلاه الا الله ، اغفر يامولانا لمن قال لا إلاه الا الله ، واحشرنا في زمرة من قال لا إلاه الا الله .

ومن خط والدنا رحمه الله على ترتيب المسبعات العشر ، الفاتحة ، وآية الكرسي ، والكافرون ، والاخلاص ، والمعوذتين ، والباقيات الصالحات، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

اللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، انك مجيبُ الدعوات ، اللهمَّ افعل بي وبهم عاجلا وآجلا ، في الدين والدنيا والآخرة ، ما أنت له أهل ، ولا تفعل بنا يامولانا ما نحن له أهل ، انك غفور رحيم ، جواد كريم ، ورؤوف رحيم .

انتهى ما اقتطفت من أزهار فوائده ، ولو تتبعناها لخرجنا عن المقصود وأمرنا المعهود .

توفي رحمه الله ورضي عنه بزاوية تامكروت يوم الاثنين 26 من صفر عام ست وعشرين ومئة وألف ، رضي الله عنه ورحمه ونفعنا به ، وألحقنا به وبأمثاله على حسن الخاتمة بمنه وكرمه ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

انتهى كلام (الروض الزاهر) ، وترجمه في (طلعة المشترى) أيضاً باختصـــار .

724) محمد بن أحمد بن يعقوب الشرقي

وقفت على اجازة شيخيه لـه : سيدي سعيد بن ابراهيم الهوزالـي المؤرخة أول شوال عام 1086 ، وسيدي أحمد بـن محمد الخطيب القيسي ، ر-لاه الأول بالأخ في الله المحب من أجله السيد النجيب النزيه الأريب الفقيه الفاضل ، وأنه صاحبه مدة طويلة اطلع فيها علـى صدق نيته ، وعرف فيهـا قوة دينه وصفو طويته ، وقرأ عليه عدة من الكتب ، وحضره في إقراء عدة منها أيضا ، كالصحيحين ، والشمائل النبوية للترمذي ، والشفا لأبي الفضـل ، والجامع الصغير ، ورسالة أبي محمد ، ومختصر خليل ، والكبرى والصغرى ، والمقدمة للسنوسي ، وألفية ابـن مالك ، ولامية الأفعال لـه ، والجرومية ، وتلخيص المفتاح ، والجمل ، والسُلَّم .

وحمله دينه وانصافه وجده في سيرة مَن تقدم من الأيمة السادة ، على أن استجازه في ذلك وغيره ، فأجازه في جميع ذلك إجازة تامة مطلقة ، عامـة بشروطها المعتبرة عندهم ، وحلاه الثاني بالفقيه النبيه الدراكـة النزيه ذي الفطنة الوقادة ، والسجية المنقادة ، وأجازه في جميع ما قرأه معه وسمعه منه من (صحيح البخاري) ، و (الجامع الصغير) للامام السيوطي ، و (الشمائل) للامام الترمذي ، و (مختصر خليل) ، وألفية ابن مالك ولا ميته ، وجميع ما يجوز له وعنه روايته مـن مقروء ومسموع ومنظوم ومنثور ، كل ذلك علـى شرطه المعتبر عند أربابه ، إجازة عامة شاملة ، وحلى المعرف بخط الاجازتين: الأول بالعالم العلامـة ، الحافظ المدرس الفهامة ، والثاني بالأجـل المدرس الأحفل ، الفقيه القاضي سيدي أحمد بن محمد الخطيب ، وتاريخ التعريـف أوائل رمضان عام 1107 ، والمعرفان محمد بن أحمد المريني ، وأحمد بن محمد أكزو ، وخاطب عليه محمد ابن بركة ، واعمله قاضي مراكش محمد بن أحمد السجتاني .

725) محمد بن أحمد السجتاني قاضي مراكش ، وقفت على رسـم مؤرخ بسادس جمادى الأولى عام ثلاثين ومئة وألف ، بخطابه وأعمله قاضيها محمد بن أحمد العبادي ، ثم أثبت التعريف في عاشر شعبان عام 1256 ستة

وخمسين ومئتين وألف ، قاضيها الفاضل ابن مريدة ، وأثبت النسخة منه قاضيها ابن المدني في 22 حجة عام 1276 ستة وسبعين ومئتين وألف .

وقد علمت أن المترجم امتد قضاؤه أكثر من عشرين عاماً ، حسبما دل عليه ما في الترجمة قبله (1) .

726) محمد (المسناوي) بن أحمد الدلائي

محمد الشهير بالمسناوي ، أبن الفقيه العلامة الأستاذ سيدي أحمد ، ابن الشيخ الامام المحدث ، سيدي محمد الملقب بالمسناوي ، ابن ولي الله سيدي محمد، ابن الشيخ العارف، سيدي أبي بكر الدلائي، شيخ الاسلام، وعالم الأعلام ، خاتمة المحققين ، ورئيس الهداة وقدوة الموفقين ، الامام الكبير ، العالم الحجة الشهير ، الدراكة الحافظ المتقن ، المشارك المتفنن ، تاج الكراسي والمنابر ، وعين أعيان المشايخ والأكابر ، أستاذ الأيمة، ونجم الامة، شيخ الجماعة وعمدة المفتين .

ولد رحمه الله بالزاوية البكرية سنة اثنتين وسبعين وألف ، وبها كان دخوله للمكتب . وقدم مع والده وأهله لفاس عام تسعة وسبعين ، بعد الاستيلاء على زاويتهم ، ونشأ في عفاف وصيانة ، وثقة وديانة ، وأكب على تعلم العلم وسماعه عن أشياخه، فأخذ عن جماعة من المشايخ، كسيدي عبد القادر الفاسي، وولده سيدي محمد وأجازه اجازة عامة ، وسيدي عبد السلام القادري ، وأخيه سيدي العربي ، ومحمد القسنطيني ، وهو من عمده ، وأحمد ابن الحاج وهو من عمده أيضا ، والحسن اليوسي ، وعبد الملك التاجموعتي ، وعم والده محمد المرابط ، وغيرهم .

---

1) ترجم المؤلف بعد هذا لمحمد بن الحسن اليحمدى ، وهو نفس أحمد بن الحسن اليحمدى المترجم فى 2 : 369 من هذا الكتاب ، اسمه الحقيقى محمد ، ولكن السلطان مولاى اسماعيل سماه أحمد فغلب عليه وعرف به ، وقد حذفنا الترجمة الثانية حتى لا نجعل من الشخص شخصين ، ومن أراد الاطلاع على الترجمة الثانية فهى منشورة فى ص 135 من الجزء الخامس من هذا الكتاب ، طبعة فاس

وكان رحمه الله آية في تحصيل العلوم ، وحجة في صحة الادراكات والفهوم ، آخذا بأوفر نصيب في غالب الفنون ، ولا ينقر المسائل الا في سواد العيون ، مقصودا لحل المشكلات ، معتمدا في النوازل والمعضلات ، وكان جميل المعاشرة ، جميل الثياب ، معتنياً بنظافتها ، عالي الهمة ، كبير الوقار ، وأحرى في مجلس العلم ، فكان لا يستطيع الكلام معه في مجلسه الاكابر لهيبته ، وإذا أخذ في تقرير مسألة يأتي على تمام وجوه احتمالاتها ، ولا يدع شيئاً مما يختلج في نفس أحد من الحاضرين ، مع التحرير بمقتضى العقل والنقل ، وكان دؤوباً على التدريس في أول عمره في أنواع العلوم ، ومارس قراءة مختصر السعد على التلخيص ومطوله ، ومختصر السنوسي في المنطق ، وغير ذلك ، وكانت قراءته في آخر عمره التفسير ، وحديث الصحيحين ، وكان مرجوعاً اليه في كل أمور العامة والخاصة ، وأذعن له عامة مشايخ عصره ، فأمْرُه عندهم هو المطاع ، ولا يسعهم فيما أفتى به الا الاتباع ، وكان يتحرى عن الأجوبة في نوازل الطلاق والنكاح وما أشبههما تورعاً من الدخول في ذلك ، مع كونه لم يتعين ذلك عليه ، لوجود من يقوم به .

وتولى الخطابة والامامة بالمدرسة العنانية زماناً ، ثم بعد ذلك تولى الامامة والخطابة والتدريس بمسجد مولانا ادريس رضي الله عنه بعد بنائه عام اثنين وثلاثين ومئة وألف ، ثم تخلى عن ذلك ، وتولى أيضا الفتوى ، ثم تخلى عنها لما آل الأمر لفساد الدين .

وتلمذ له من يعتبر من أهل عصره ، وانفرد برئاسة العلم في وقته وعصره ، وممن تلمذ له وأخذ عنه : محمد ميارة الحفيد ، ومحمد بن حمدون البناني ، وولد عمه ابن عبد السلام البناني ، وأحمد ابن مبارك ، ومحمد الكندوز ، ومحمد كسوس ، ومحمد ابن زكرى ، وغيرهم .

وكان رحمه الله زواراً للأولياء الأموات ، كالقطب مولانا عبد السلام ، والغوث أبي يعزى ، والشيخ أبي سلهام ، وأبي الحسن بن داوود ، وكان له في الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي محبة أكيدة ووداد ، وجميل ظن وحسن اعتقاد ، وكان يُثني عليه في مجلس درسه ، ويُعلي ذكره ، ويشيد

فخره ، ويعظمه ويجله ، ويذكر مزاياه ويبجله ، وكان يصحبه في زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنهما ، وكانت له بركة عظيمة ، ومناقب واضحة جسيمة ، نفعنا الله به .

وله رحمه الله تآليف عديدة ، كـ (جهد المقل القاصر ، في نصره الشيخ عبد القادر) ، و (نتيجة التحقيق ، في بعض أهل النسب الوثيق) ، و (القول الكاشف ، عن أحكام الاستنابة في الوظائف) ، و (رسالة نصرة القبض ، والرد على مَن أنكر مشروعيته في صلاة النفل والفرض) ، قال في (إفادة النبيه ، مَن ادعى الاجتهاد أو ادعي فيه) : ومنهم الامام عالم المغرب محمد المسناوي الدلائي ، له تفوقات تؤيد أنه كان ينتحل هذا المسلك ، ومن طالع (نصرة القبض) له علم هذا وتحققه ، انتهى ، و (صرف الهمة ، إلى تحقيق معنى النمة) ، وله أجوبة كثيرة ، وتقاييد جيدة في أنواع مختلفة ، يبدي فيها العجائب من حل المشكلات ، والتفطن لدقائق المعضلات ، لوجمعت لكانت مجلدا ضخما .

وترجمته واسعة جدا ، وقد ألف فيها بالخصوص الفقيه العلامة أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني ، وكان رحمه الله قد حفر قبره في حياته قبل موته ، بنحو ثلاث سنين ، داخل قبة ولي الله تعالى سيدي محمد العايدي ، ملاصقا بجدار القبة وراء ظهره ، بعد أن كتب لأولياء الشيخ يستأذنهم في الدفن ، فأذنوا له ، وبعد الفراغ من الحفر اضطجع فيه ، وقرأ ما تيسر ، وبقي يتعاهده بالقراءة الى أن توفي .

ولما مرض مرض موته نظم قصيدته التي مطلعها :

يارب عطفا على مسيء قد ساقه القوم للمقابر

إلى آخرها ، وهي أربعون بيتاً يتضرع فيها الى الله تعالى في الرحمة والرضوان ، والقبول والغفران ، وأوصى أن يشيع بها بعد وفاته ، فنفذت وصيته ، وشيع بها من داره بزقاق الرواح إلى قبره ، وقد جرى عمل الناس بعده بفاس بقراءتها عند تشييع الميت من داره وتنزيله في النعش اقتداء به ،

لكنه ترك ذلك في هذا الوقت ، واتفق له الوقف في التفسير على قوله تعالى : « رب قد آتيتني من الملك ، وعلمتني من تأويل الاحاديث » الى آخر السورة ، وقرر هذه الآية تقريراً حسناً ، وأكثر حين تقريره من البكاء والتضرع ، وكان آخر عهده بتفسير القرآن قوله تعالى : « توفني مسلما وألحقني بالصالحين » .

وكانت وفاته رحمه الله بعد زوال يوم السبت سادس عشر شوال سنة ست وثلاثين ومئة وألف. وخرج أهل فاس بجنازته رجالا ونساء وصبياناً، وكادت أكباد الناس أن تنفلق على فقده بكاء كبيراً وصغيراً ، أميراً ومأموراً ، وأخذ الناس نعشه قطعا تبركاً به ، ودفن بعد صلاة العصر من يومه ، داخل قبة سيدي العايدي بالقبر المذكور .

قال بعضهم : وهو آخر آل أبي بكر الدلائي علماً ، وآخر أهل عصره بقطره دينا وعفة رحمة الله عليه ونفعنا به .

ترجمه في (النشر) (1) و (التقاط الدرر) ، و (المورد الهنى) ، و (البدور الضاوية) ، وسيدي ادريس المنجرة وولده سيدي عبد الرحمان في فهرستيهما ، وغير واحد ، وأشار اليه صاحب (حدائق الأزهار الندية) في أبيات عديدة ، وممن ترجم له العميري في فهرسته .

ووقفت على إجازته للعالم سيدي محمد المنور التلمسانى إجازة عامة ، وأجاز أيضاً للفقيه العلامة سيدي مَحمد فتحا بن حمزة بن أبي سالم العياشي .

وقال في (درة المفاخر) :

والشيخ عمدة الشيوخ الــــراوي	محمد بن أحمد المسنـــــاوي
له مؤلف جليل الشـــــــــأن	في الشيخ عبد القادر الجيلانـــي
وفي الذي له مــــــــن الأولاد	وفي فروعه من الأحفـــــاد
وكلُّ منصف إليه يظمــــــــا	أما الحسودُ فبه لا يعبـــــــأ

وقال في (إغاثة اللهفان) عنـد تعديد تلامذة مولاي عبد السـلام القـادري :

---

1) نشر المثاني 2 : 124

والشيخ كوكب البهاء الضـــاوي　　خدن المعالي الفاضل المسناوي

ووجدت بخط بعضهم أن الفقيه الحريشي استدعى من الامام المسناوي مطالعة شرحه على الشفا ، فلما طالعه كتب له ما نصه :

إن صرصر البازي فلا ينبغــــي　　للديك يامعتوه أن يهتفـــا
لو يعلم القاضي أبو الفضل أن　　ستضع الشرح ما ألفـــا

وقال أيضاً متغزلا :

صاح ان الهوى سقاني خمــرا　　بعد ما قد صحا فؤادي دهــرا
وأطار الكرى رؤية ظبــــي　　حاز من اضرب المحاسن عشــرا
شعر فاحم كليلة صــــد　　أو فؤاد متيم ذاق هجــرا
وجبين يفوق غرة صبــح　　ولحاظ غدت من السقم سكــرى
زانها حور واسهم هـــدب　　من تصادف فؤاده مات صبــرا
والحواجب مثل قوس هــلال　　صنع من هو بالمحاســن أدرى
واذا ما بدت للحظك منـــه　　نار خد تشب بالقلب جمــرا
خر قلبك ساجدا لسناهـــا　　كمجوس ودان بالحب قهــرا
ويح خال ثوى بحر لظاهـــا　　كيف لم يحترق ولم يخش ضــرا
واذا افتر عن عقـــود لآل　　لمع النور من ثناياه فجــرا
فغدا يخطف العقول جهــارا　　مثل ما يدهش النواظر سحــرا
أي خمر حوته تلك الثنايـــا　　لو رآها ناسك لعربد سكــرا
ليت شعري هل لقلبي منهـــا　　رشفة ترقص الجوارح شكـرا ؟
وشفاه غدت لذاك صوانـــا　　من رقيق العقيق تنفح نشــرا
بالجيد يفوق دمية عـــاج　　صيغ من فضة واشرب نضــرا
يخجل الظبي منه عند التفــات　　ولهذا تراه يسكن قفـــرا
تتمنى النجوم أن لو تحلـت　　بسناه وخالطت منه نحــرا
وتود الغصون تشبه منـــه　　رمح قد يميس تيها وكبــرا
وإذا هزه تولت جيوش الصبـــ　　ـــر مهزومة تتابع سيــرا

هبه تحكيه عطفة واعتـــــــدالا ... أي قدٍّ حوى من الحسن طــــرا

وترى الجسم منه يحكي زجاجـــا ... في الصفاء وفيه ما ليس يــدرى

هذه جملة المحاسن فاغضـــض ... عن سواها ولا تجل فيه فكــــرا

فمن العاشقين ما قد ذكرنــــا ... ومتى رمت غيرها رمت خســـرا

هكذا يعشق المليـــــــح والا ... لم يجد مدعي المحبة عـــــذرا

من يكن حبه كذا يتهتـــــــك ... ويدر أكؤسَ الصبابة خمــــرا

سيما أن يكن ممنع وصــــل ... وشريف أصل يطاول بـــدرا

ذا شمائل مثل زهر ريـــــاض ... قد غداها الحيا فسلسل تمــرا

وبدا عاطر النسيم عليهـــــــا ... ساحبا ذيله ففتح نـــــــورا

وأقامت بها البلابل شوقــــــا ... من رقيق الغناء تنشد شعـــرا

فهناك يطيب للصب عيـــــش ... ويجر الثياب زهوا وفخـــــرا

ويرى منشدا لفرط هــــــواه ... صاح أن الهوى سقاني خمـــرا

وقال المسناوي أيضا :

بي غزال يشتكي سفك دمــــي ... قد رماني بلحاظ منه ســـــود

صار جسمي من هواه ناحــــلا ... اصفر اللون ضعيفا مثل عــــود

وغدا طرفي يهمى بـــــــــدم ... مسبلا في الخدِّ من نار الصـدود

عادني الاعداء من طول الضنـــا ... وحبيبي بوصالٍ لا يجــــــود

دائما أشكو له ما قد دهـــــــا ... قلبي المضني فيصغى للحســـود

واذا ما افتر عن ثغر صفـــــا ... خلته نظم لآل في عقـــــــود

واذا ابصرته من خجـــــــل ... نبت الورد سريعا في الخــدود

قد قسا قلبا ولان عطفـــــــه ... ورضى لي في عذاب بالخلــود

وقال في (رياض الورد) : انه وجد بخط المترجم زمن اقامته بمراكش ما نصه :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أدام الله سيادة شيخنا الامام ، نخبة الاكابر ، وبقية الاعلام العالم الفقيه المطهر ، من دنس العجب والتكبر ، المستمسك بعرى الدين ، والسالك سنن المهتدين ، المستضاء بنور علمه في ليل الجهل الداج ، سيدنا وسندنا أحمد بن الحاج ، أعلا الله قدره ، وخلد في الصالحات ذكره ، وأنار بتوفيقه سراجه ، وعدل بشراب حبه مزاجه .

نهدي لسيدنا من السلام ما يليق بقدره العظيم ، ونقبل بشفاه الروح أرضا أقلت بساطه الكريم ، وننهي لكريم علمه ، ان العبيد على ما يعتاد منه في جنابكم من صفاء المودة ، وخلوص الطوية والاعتقاد ، وأن شط المزار ، وعاقت عن القرب الاقدار :

لئن أصبحت مرتحلا بجسمي   فقلبي عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى   لذا سأل المعاينة الكليم

وكيف لا ؟ وما آنسنا نارَ الهدى إلا من طور سيناكم ، ولا اقتبسنا جذوة الاهتداء الا من سناكم ، فلكم علينا الحق الذي يجل عن تضييع عظيم قدره ، والاحسان الذي نقر بالعجز عن الوفاء بشكره ، والعجز عن الادراك ادراكه ، والله يجازيكم بأجر غير ممنون ، ويتولى حفظكم ورعايتكم في كل حركة وسكون .

ونحن والحمدُ لله في أحسن حال وأعزِّ مُقام ، وأجمل صحبة وأتمّ اكرام ، وحظوة تامة ، لدى الخاصة والعامة ، منذ فارقت الديار ، وركبت متون الأسفار ، مع نعمة البدن ، وفراغ البال من سوى الحنين الى الوطن ، ولقد صدق في الخبر من قال : ان فقد العجز في الحضر ، الى آخره ، وذاك نتيجة ما اغترفنا من فيض حياضكم ، وثمرة ما اقتطفنا من زهر رياضكم ، لما انتسبت الى حماك تشرفت ذاتي ، فصرت أنا والا من أنا .

انتهى المقصود منه .

وسيأتي الكلام على علمائهم ، وذكر تواريخ وفياتهم في ترجمة جده سيدي أبي بكر الدلائي ، وذكر المترجم في (الانيس المطرب) من أشياخه ، وأنشد قصائد له في مدحه ، ورسائل أجابه بها ، وذكره الامام ابن الطيب الشرقي في (حاشية القاموس)من أشياخه ، ونقل عنه فيها مرات محليا له بشيخنا الامام البارع محمد المسناوي أعزه الله (1) .

727) محمد بن عبد الرحمان بن أبي زيان المراكشي ، نزيل الصحراء قرب جبل بشار ، الشيخ الفقيه ، الامام أبو الاقبال الحاج الأبر ، صاحب الكرامات ، له أحوال وكرامات ، ويبوح بها ويفشيها ويشيعها ويحب ذكرها ، وله حال في التصرف .

قال المنجرة في (فهرسته) عند ذكر الاشياخ في الدين والانتفاع والتبرك : لقيته ببلده ، واستفدت منه ، ولقنني وواعدني ، وصرح لي بما أرجو الله في حصوله وأكثر ، وكاتبني ووقعت بيني وبينه أشياء لا تفشى ، وهو في قيد الحياة الى الآن عام 1136 .

وقال ابن عبد السلام الناصري في رحلته بعد أن ذكر وصولهم للقنادسة ضحى يوم الخميس فاتح رجب من سنة حجه ما نصه : بعد أن تلقانا سكانها من المرابطين بني الشيخ بن أبي زيان مظهرين الفرح ، والبلدة منقطعة في صحراء من الأرض ، بها عيون قلية الماء جدا مع كونها غير عذبة ، الا أن البلد يصلح عليها كالدواب يزعم ذلك أهلها ، وبها نخل قليل ، والبلد عامر تصلى فيه الجمعة الا أنه فارغ من العلم ، انتهى .

728) محمد بن أحمد الصغير الورزازي

محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين الورزازي ، منشأ التمجروتي ، الدرعي أصلا ومحتدا ، الحافظ المتفنن ، العلامة الماهر الشهير بالصغير وبالقاضي ، وكان يستخلفه نيابة عنه القاضي عبد الكبير بن أحمد لما علم من غزارة علمه ، واتقاد ذهنه وفهمه .

---

1) وتنظر ترجمة محمد المسناوى الدلائى أيضاً فى **سلوة الأنفاس** 3 : 44

أخذ بسجلماسة عن الفقيه الشهير عبد الواحد القندوسي صاحب الحاشية على مختصر خليل ، ولازمه مدة مديدة ، وارتحل لفاس ، فأخذ بها عن العلامة أحمد بن الحاج الفاسي، وأبي عبد الله القسنطيني، ورحل وحجّ صحبة أحمد بن ناصر ، ثم ارتحل ثانيا للمشرق فارا من غوائل أبناء الدنيا ، فرزق قبولا عظيما هناك في مصر والحجاز ، وحج ورجع الى مصر ، واشتغل بالتدريس ، وكانت له يد طولى في العلوم العقلية والفقهية ، أخذ عنه العلامة القاضي أحمد بن علي الحاحي بالزاوية الناصرية ، وسمع منه أن الزرقاني حصل له من الأجهوري ، وحصل للأجهوري من البرماوي ، وحضهم على الحطاب والمواق ، واجتمع في أول أمره بمحمد بن محمد بن سعيد المرغيثي بمراكش ، وسمع منه فوائد منها في ثقاف العقرب يكتب من أول يوم من أبريل الى الثالث من مايه ، وهو قوله :

منه تكتب رقاع العقرب ... الى ثلاثمئة فلتكتب
ولفظهن انضجت غير عقت ... قط قرستت بها أن تكتب
ثم اكتبوا آية نوح العلمين ... وعلقنها ثم كن بها أمين

وللمترجم شرح على (الحفيدة السنوسية) .

توفي بمصر سنة 1138 أو في التي بعدها ، ودفن بمشهد الامام ابن القاسم ، وأشهب ، وغيرهما من أيمة المالكية .

ترجمه تلميذه في (الدرر المرصعة) ، وسيأتي ذكره في ترجمة سيدي يوسف الناصري .

729) محمد بن محمد المرغيثي المراكشي

محمد بن محمد بن سعيد المرغيني المراكشي ، العلامة الأديب ، الناظم الناثر ، ولد صاحب (المقنع) ، له نظم مختصر والده من السيرة النبوية لليعمري مطلعها :

الحمد لله العلي الأعـــــــــلا   الواحد الفرد السميع المولـى

ذكره فـي (الدرر المرصعة) فـي ترجمة محمد المدعو الصغيـر الشهير بالقاضي حيث لقيه بمراكش .

قلت أظنه هو المدفون بالضريح الكائن بالدرب المنسوب إليـه بسويقة التبن من روض العروس من مراكش ، واما والده فهو مدفون في غير ذلك المحل ، كما في ترجمته ، وهو ممن أخذ عن سيدي محمد بن عبد الله السوسي كما تقدم .

قال في (مباحث الأنوار) عند ذكر والده ما نصه : وترك ولده الفقيه محمد وبقي بعده يسيرا من الزمن ، ثم توفي ولم يعقب ذكراً رحمة الله عليـه وعلى أبيه ، انتهى .

730) **محمد ابن العياشي** ، كان بيده دواوين الحراطين الاسماعيلية، ولما مات المولى اسماعيل قتله وصلبه العبيد ، كان رحمه الله فقيهاً علامـة قاضياً ، وزيرا .

قال في (الازهار الندية) : ومنهم الفقيه المفتي النوازلي القاضـي العلامة المدرس محمد بن العياشي ، قرأ بمراكش على شيوخها ، وحصـل الفقه وفروعه ، فكان لا يطار تحت جناحه فيه ، يدرس مختصر خليل ، وفروع الفقه التحفة واللامية ، ويبحث في الفتوى ، فيجيب بالعجب العجيب ، يحكم القياس ويحفظ النصوص ، وله عقل راجح ، سريع الحركة في الرأي والجسم .

ولحق بمشور مولانا اسماعيل بن مولاي الشريف الحسني ، فلـزم خدمته والوقوف ببابه ، فعلم السلطان بذكائـه وحسن اشارته ، فلما كثـر النهب بين قبائل المغرب ، واكثروا الفتن ، وعلم السلطان أن ما عنده مـن الجيش لا يكفيه للحركة اليهم لتمهيد البلاد استشار صاحب الترجمة ، من أي قبيلة يتخير جيشاً ؟ فقال له : ياسيدي أمير المومنين مولاي أحمد الشريف الحسني السعدي ، كان وجه جيشا لفتح بـلاد السودان ، فسبوا عبيـدا ،

فاتخذهم جيشاً ، ودفعهم الى ولده مولاي محمد المدعو ببابا الشيخ الثاني ، فأنزلهم في جنات أهل فاس بـوادي زواغة ، الى أن أراد القيام عـلى والده المذكور ، وقبض عليـه ، ونهب العبيد ، وفرق جمعهم . . . . فتفرقوا فـي القبائل ، والآن اجمعْهم ، فانهم مملوكون لبيت المال، واتخذهم جيشاً للخدمة، فقال له السلطان : أنت النائب عني في جمعهم ، فقال له : ياسيدي عين وكيلا يقوم في طلب حق بيت المال ، وأنا القاضي بينه وبينهم ، فقلده القضاء في الفصل في ذلك ، وسمي بقاضي القضاة ، وعين السلطان الوكيل وهو الباشة عليلش ، ثم شرع عليلش في جمـع العبيد ، فكان مبدأ أمره أن ينادي فـي الأسواق في الحاضرة والبادية ، من يريد خدمة السلطان من العبيد فليأت إلينا ؟ فيأتيه الرجل كان عبدا أو حرا ، فيعطيه الكسوة ، والفرس ، والسلاح ، والمرتب . فجمع من ذلك نحو الخمسة آلاف ، وكف عنهم الناس ، فدخلوا في جيش السلطان مع الأمراء ، وقاموا بالخدمة أحسن قيام ، وهذا الجمع الاول هم الذين سموا بعبيد الزنقة ، ثم أخذ عليلش بقبض العبيد والأحرار جبرا ، ويضمهم الى الجيش ، فساء في ذلك ، وقبض الاحرار تعديا ، ونهب الاموال كما هو معلوم ، نعوذ بالله مما فعل ، وعند ربكم تختصمون .

وهذا الجمع الثاني هم المعروفون بعبيد البخاري ، واستمر علـى فعله كذلك ، فاذا طلب أحد منهم الوصول الى الشرع ليتحاكما بينهما يقول له عليلش : نذهب الى قاضي القضاة يفصل بيننا ، فلا يقدر أحد من القضاة أن يفصل بينهما سوى صاحب الترجمة ، خوفا منه ، ومن تكلم في ذلك مـن القضاة عزله صاحب الترجمة ، ويولي غيره ، وجمع عليلش منهم نحو سبعين ألفاً ألحقها بمشرع الرملة ، وألحـق بباب السلطان نحو العشرة آلاف مـن الذكور ، ومن الاناث نحو عشرين ألفا ، وجمع منهم لخدمة السلاح مفترقين عدداً كثيرا ، فاكتفى السلطان بهم عن خدمة غيرهم ، واستعمل منهم الولاة واعتدوا على الناس كل الاعتداء ، الى أن كان من أمرهم ما كان من التعدى على أولاد السلطان ، من الخلع والولاية ، ونهب قبائل المغرب كما تقدم ذكره .

وتوفي صاحب الترجمة بمكناسة ، وكذلك عليلش ، ولما توفي السلطان مولانا إسماعيل وهضب العبيد مكناسة ، أراد العبيد حرق قبر صاحب الترجمة وعليلش ، فلم يعرفوا المقابر التي دفنا فيها .

وأما قول صاحب الترجمة : نطلب عقب عبيد مولاي أحمد الذهبي ، فمن الجاري من قضاء الله في المغرب ، أن نسل العبيد أهل السودان ينقطع ، ولا يستمر من الأب والأم لبرد المغرب عن حرارة السودان ، كما أنهم لا ينجحون في بلاد الأندلس أبناء جوارى السودان مع الأحرار ، لبرد البلاد حتى شهل سواد عيون أهلها ، ولا تتخذ على الله عادة ، ويخلق ما يشاء ، ويخلق ما لا تعملون ، انتهى . وستأتي ترجمة عمر بن قاسم عليلش .

731) محمد (الصالح) بن محمد (المعطى) الشرقي

محمد المدعو الصالح ابن الشيخ سيدي محمد المدعو المعطي بن المرابط سيدي عبد الخالق ، ابن القدوة البركة العالم سيدي عبد القادر ، ابن الولي الصالح الكبير ، والقطب الغوث الشهير ، صاحب زاوية أبي الجعد من تادلة ، سيدي محمد المدعو الشرقي النادلي القرشي العمري .

أخذ عن شيوخ عدة ، منهم الولي الصالح سيدي محمد الحاج بن عبد القادر المتوفي في محرم عام 1132 اثنين وثلاثين ومئة وألف ، والامام الحسن اليوسي ، وبحر المواهب سيدي محمد بن سعيد الهبري الطرابلسي ، والامام القدوة سيدي أحمد العطار ، والعالم الامام سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي ، وغيرهم .

وفي مناقبه رحمه الله ألف (الزهر الفائح ، في مناقب الشيخ الصالح) ، كما ألّف فيه أيضاً (الروض اليانع الفائح ، في مناقب الشيخ

محمد المدعو الصالح) لمؤلفه علي بن محمد المعداني (1) حسبما صرح به مؤلفه داخل التأليف المذكور قبيل الخاتمة ، وذكر فيه أن الفقيهين الجليلين الفاضلين سيدي ابراهيم بن يوسف ، والسيد أحمد الشاوي ، سمعا من المترجم أخذ المصافحة عن الشيخ عبد المومن الجني عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فصافحهما بهذه المصافحة .

ومن كراماته أنه تلاقى بالقاضي عياض وأخذ عنه ، ودخل المترجم مراكش مرات ، ومكث في بعضها أربعة أعوام ، ووقفت على إجازة المترجم للمنور التلمساني ، قال فيها : أجازه به الشيخ السني . . . الذي أرجو به أن تمزق أطمار بوسى ، وهو سيدنا الحسن بن مسعود اليوسي ، من رواياته ومسموعاته ومنظوماته ومنثوراته ، وكذا بما أجازني به سيدنا ولي الله الطبيب

---

1) قرات مقالة منشورة فى (المجلة المغربية للقوانين والمذاهب والأحكام الاهلية) العدد 4 السنة الاولى 1935 – 1936 ص 22 فى ترجمة العلامة ، صاعقة العلوم ، على بن رحال المعدانى ، عند تعداد محل قراءة المترجم ما نصه : وبرواية محمد المدعو الصالح الذى ترجم له فى مؤلف خاص ، واذا عثرنا على هذا المؤلف امكننا الجزم بذلك هـ فوجب على تبيين ان هذا الامام – شارح المختصر ، ومحشى شرح التحفة ، المتوفى عام 1140 ووقع فى (الفكر السامى) ص 110 ج 4 انه توفى سنة 1040 وهو سبق قلم فقط – ليس هو الذى ترجم لسيدى محمد المدعو الصالح فى مؤلف خاص ، بل الحسن المعدانى اثنان ، الأول المتقدم الشيخ الحسن بن رحال المترجم له فى المقالة المذكورة ، وهو من تلامذة سيدى محمد المعطى بن عبد الخالق الشرقى دفين باب الدباغ من مراكش ، ووالد السيد محمد المدعو الصالح الذى الف فيه السيد الحسن بن محمد المعدانى (الروض الفائح ، فى مناقب الشيخ محمد المدعو الصالح) ، وهو ولد سيدى المعطى صاحب (الذخيرة) ، قال سيدى الحسن بن محمد المعدانى فى كتابه (الروض) المذكور فى الفصل الثانى من خاتمة المؤلف المذكور ما نصه : قلت وهذا الولى العارف الناسك المكاشف سيدى محمد المعطى هو من أشياخ الولى الصالح العالم الناسك ، حافظ وقته ، ومن شهده بكمال علمه أبناء جنسه ، صاحب المطالعة والاتقان ، والنقل والتحرير الذى تحار فيه الأعيان ، من تقاصر عن علمه القاصى والدانى ، سيدى الحسن بن رحال المعدانى ، نفعنا الله وبعلومه ، وأفاض علينا من أسراره وفهومه ، حسبما وجدت ذلك بكتاب بخطه كتبه للعارف الناصح ، الكامل الصالح ، سيدى محمد المدعو الصالح ، ثم أورد كتابه المذكور ، والثانى هو السيد الحسن بن محمد المعدانى ، قال فى كتابه (الروض) المذكور قبل الخاتمة ما نصه : قال مؤلفه الحسن بن محمد المعدانى ، كان الله له ولياً فى حالة البعد والتدانى ، هـ .

واصل هذا الغلط فى نسبة (الروض) المذكور للعلامة لسيدى محمد بن جعفر الكتانى ص 311 ج 3 من كتابه (السلوة) عند تعداد التآليف التى نقل منها فى الكتاب المذكور ، وقد كنت نبهته على هذا الغلط قيد حياته رحمه الله عام 1326 (مؤلف) .

الماهر سيدي أحمد بن ناصر ، لأني اجتمعت معه بزاويته المحروسة ، فقرأت عليه من كل كتاب من كتب الأيمة ، صدرا من صحيح حجة الاسلام سيدي محمد بن إسماعيل البخاري ، وصدراً من كتاب الامام محمد بن زيد ابن ماجة ، وصدراً من الترمذي ، وصدراً من كتاب أحمد سن شعيب بن علي النسائي ، وصدراً من تأليف مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، وصدراً من شمائل الترمذي ، وصدراً من موطأ إمام دار الهجرة وعالم المدينة ، الامام مالك رضي الله عنه .

وكتب تحت الاجازة ما نصه : أجزت المذكور فيما قرأ علي إجازة تامة بشرطه ، وكتب تاسع ربيع الثاني عام اثني عشر ومئة وألف .

عبيد الله تعالى ، أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن ناصر بن عمرو ، كان الله له آمين .

وطلبت منه المصافحة والمشابكة أيضاً ، فصافحته وشابكني وهو صافحه سيدي عيسى الثعالبي ، عن سيدي سعيد بن ابراهيم الجزائري ، عن سيدي سعيد المقري ، عن سيدي أحمد حجي ، وهو عن سيدي محمد الوهراني ، وهو عن سيدي إبراهيم التازي ، وهو عن سيدي صالح الزواوي ، عن الشريف محمد الفاسي نزيل الاسكندرية ، عن والده عبد الرحمان الشريف ، وعاش من العمر مئة وأربعين سنة .

وأحمد بن عبد الغفار بن نوح القوصي ، عن أبي العباس الملثم ، وهو صافح المعمر ، وهو صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : مَن صافحني أو صافح من صافحني الى يوم القيامة دخل الجنة ، وصافح الشريف عبد الرحمان أيضاً ، عبد الرحمان الحطاب التونسي ، وهو صافح الصقلي ، وهو صافح المعمر ، وهو صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبالسند المتقدم الى سيدي ابراهيم التازي قال : صافحني سيدي عبد الله العبدوسي وشدّ يده على يدي ، وقال : المراد بهذا الشد ، الاشتداد في تأكيد الصحبة .

قال : صافحني محمد بن جابر الغساني ، عن محمد بن علي المراكشي وشهرته بابن عليوات ، عن أبي عبد الله الصدفي ، عن أحمد بن البناء عن أبي عبد الله الهزميري ، عن أبي العباس الخضر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم نقل سند المشابكة وحديثها المروي مناماً : شابكني ، فمَن شابكني دخل الجنة ، زاد بعضهم ، فمن شابك من شابكني الى يوم القيامة دخل الجنة .

ثم قال : وقد أجازنني والدي رضي رضي الله عنه ، وهو سيدي محمد الملقب بالمعطى وأنا صغير السن بفشتالة ، فكتب لي بخطه ما نصه : وقد أجزت ولدنا محمد الصالح في المصافحة ومصافحته ، فليروها عني بهذا السند المبارك ، وليحمد الله تعالى الذي منَّ علينا وعليه بذلك ، وليدع لنا بخير الى آخره .

ثم قال : أما سند سيدنا الوالد في المصافحة ، فهو ما كتب بخط يده ونصه : قال ، صافحني السني السنة ، الشيخ الصوفي سيدي محمد بن سعيد المرغيثي بحضرة مراكش ، قال : صافحني الأمام الحافظ عبد الله بن طاهر الحسني ، قال : صافحني الشيخ المنجور الفاسي الى آخره عن أنس بن مالك ، قال : صافحت بكفي هذه كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما مسست خزاً ولا حريرا ألين من كفه صلى الله عليه وسلم .

قال : ومن خط والدي رحمه الله ، كتبه عقب السند المذكور ، أما الكيفية فانه لما صافحني وضع كفي في كفه ، وبسط ابهامه على ظاهر كفي ، من بين أصلي السبابة والابهام تقابل الكوع ، وبسط سبابته على باطن المعصم، متوسطة من الكرسوع والكوع . . . . بأصابعه الثلاثة على ظاهر الكف من أصل الخنصر ، وأمرني أن أقبض أنا على كفه كذلك .

ثم قال : وقد أجزته أيضا بما أجازني به العالم العلم سيدي محمد بن منور القلب القاسي ، سيدي عبد القادر الفاسي ، وبما أجازني به العلامة سيدي مهدي الفاسي اجازة عامة الى آخره . وقد كتب لي بخط يده ولي الله سيدنا أحمد بن ناصر ، ونحن نحبك في الله تعالى ، وأنت بضعة منا ، يسرنا

ما يسرك ، ويسوءنا ما يسوءك ، وكذلك كتب لي شراب الحقائق . . . . سيدي أحمد بن عبد القادر بن القطب سيدي محمد محمد بن مبارك التستاوي بنحو ذلك الى آخره .

ثم قال : وكتب العبد الفقير الى الله الغني ، محمد صالح بن محمد الملقب بالمعطى بن عبد الخالق بن عبد القادر الشرقي ، عفا الله عنه ، انتهى .

وقال في (الروض) ما نصه : ومن كراماته أدام الله بركته ما حدثني به المرابط الأصيل سيدي محمد الشريف ، نجل الولي الكامل العارف ، العامل سيدي محمد الشرقي ، والشريف لقب له ، قال : رأيت في المنام في اليوم الذي توفي فيه الشيخ سيدنا الصالح نفعنا الله به ، أن الامام السهيلي صاحب باب الرب من مدينة مراكش ، قدم علي وأنا بباب دار الشيخ سيدنا الصالح ، وقال لي : أنا الامام السهيلي ، قلْ لسيدي الصالح يتكلم للسلطان ، فدخلت للشيخ في دويريته التي كان مريضا بها ، فذكرت له مقالة الامام السهيلي التي قال لي ، فقال لي نفعنا الله به : لا يزحمني بالعقل علي ، فخرجت للامام السهيلي وذكرت له مقالة الشيخ ، فخرج يريد ناحية القصبة التادلية ، ثم رجعت للشيخ وأخبرته بذهاب الامام المذكور ، فقال لي : أجر وراءه ورده نمشي معه ، فخرجت في طلبه ، فأدركته عند أولاد سيدي قاسم بن شقرون من ريف أولاد سيدي أحمد الحارثي ، فذكرت له مقالة الشيخ ، ورددته لباب الشيخ ، ثم أستيقظت وكنت نائما ببيت من مدرسة الشيخ سيدي محمد الشرقي ، واذا بأخي السيد محمد يضرب علي باب البيت ، وقال لي : أنت راقد والشيخ سيدنا الصالح مات ، فقدمت مسرعا لداره المباركة ، فوجدته في النزع ، ومات من حينه في تلك الساعة نفعنا الله به .

ووقفت على مجموع فيه (القول الوجيز ، في تهذيب الابريز) ، وهو مختصر من (الذهب الابريز) للشيخ أحمد بن مبارك ، اختصره بعض تلامذة الشيخ التاودي باشارة السلطان مولانا سليمان ، وهو محمد بن عامر التادلي ، وعلى (توشيح الديباج ، وحلية الابتهاج) للبدر القرافي ، بخط سيدي الصالح بن المعطى الشرقي ، وعليه خط ولده وحفيديه ، قال :

الحمد لله   وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله

من منة الله على كاتبه بخط يده الفانية ، أن تملكه نسخاً ، وكتب عبيد ربه محمد المدعو بالصالح بن محمد الملقب بالمعطى الشرقي وفقه الله بمنـه .

الحمد لله ، ثم انتقل من يد والده بالارث الصحيح لعبيد ربه وأسير ذنبه ، المعطى بن الصالح الشرقي التادلي صانه الله من الدنس ، ونفع به في الدنيا والآخرة ، انتهى .

الحمد لله .

ثم انتقل من يد والده بالارث الصحيح لعبيد ربه وأسير ذنبه ، عبد القادر بن المعطى بن الصالح الشرقي التادلي نفعه الله بما فيه ، انتهى .

ثم انتقل بالارث من الوالد لعبيد ربه علي بن عبد القادر .

انتهى تاريخ انتساخ الكتاب المذكور عام 1114 ، وفي 26 شعبان عام 1337 بأبي الجعد أوقفني الفقيه الأجل ، القاضي سيدي عبد الله بن الفقيـه سيدي الحاج العربي الشرقاوي على كناشين من كنانيش جده الولي الصالح سيدي محمد الصالح ، جلهما مكتوب بخطه ، وفيهما خط كثير من علماء عصره في بطائق يكتبونها له ، منهم الامام سيدي أحمد بن ناصر في تلقينه للورد ، ومنهم سيدي عبـد القادر بن العربي بـن شقرون ، ومنهم سيـدي الصغير اليفرني ، وسيدي محمد ابن زكرى ، وسيدي محمد بن قاسم ابـن زاكور ، والامام المسناوي ، وفيه حزب الشيخ الولي الصالح سيدي محمد بن ابراهيم التاملي ، بخط تلميذه سيدي صالح ، وفيه خط حفيده سيدي العربي بـن المعطى بن صالح ، وفيه اجازة سيدي محمد بـن عبد القادر الفاسي بخطـه لسيدي صالح مؤرخة في ربيع الثاني عام 1109 ، ومنه نسخة اجازة سيـدي محمد بدر الدين القرافي مؤلف (التوشيح) ، وغيره سيدي محمد بن سيدي محمد الشرقي رضي الله عنه مؤرخة في ربيع الثاني عام 1003 عامة ، ووقفت على

(اختصار يتيمة العقود الوسطى) لسيدي المكي بن المعطى مؤلف (الذخيرة) ، ولم يكمل . . . لبعضهم .

وصفنا طريق الصالحين وفعلهم — وما خصنا الا التزين بالوصف
وما ذاك الا رحمة أزلية — ويكفي بها التشبيه والعرف بالعرف

ومما ينسب لابن رشد :

تجنب بلاد الغرب ما دمت إنها — بلاد حروب دائما وكروب
وخيم بلاد الشرق تلق بها المنى — فللخير أنواع بها وضروب
فللشرق من أجل الشروق مسرة — وللغرب من أجل الغروب كروب

ثم أوقفني على مجموع آخر كله بخط المترجم ، فيه (دلائل الخيرات) والأحزاب وغيرهما ، وقد ذكرته في ترجمة سيدي أحمد بن إبراهيم التاملي .

توفي المترجم رحمه الله في عام تسعة وثلاثين ومئة وألف ، وقد ذكر في (الروض) من كرامات المترجم 208 ، ثم اعلم أنني زرت كافة أضرحة السادات الشرقيين ، منهم رجال الميعاد وهم أولاد الشيخ سيدي محمد الشرقي ، لأنهم دفنوا في محل واحد ، وهم : سيدي الغزواني ، وسيدي عبد السلام مولى المظل ، وسيدي الطنجي ، وسيدي الحارثي ، وسيدي الحاج المكناسي ، كل واحد منهم في قبته .

ثم زرت ضريح محمد الشرقي ومعه سيدي عبد الخالق ، وضريح سيدي المعطي بن صالح ، ومعه سيدي محمد بن قاسم السجلماسي ، وبجنبه ضريح سيدي محمد بن عبد الكريم العبدوني وبقربه ضريح ولده سيدي العربي ، وضريح سيدي محمد الصالح ، وضريح سيدي عبد القادر بن محمد ، وضريح سيدي المالقي ، وضريح سيدي أحمد المرسي ، وضريح سيدي الظاهر ومعه سيدي الضاوي ، وضريح للا ميرة بنت بوعبيد ، وضريح سيدي الحفيان ومعه ولده سيدي قدور بن الشرقي ، وقبالته ضريح ولده سيدي محمد الحفيان ، ومنها ضريح سيدي بنداود ، وضريح ولده سيدي العربي .

732) **محمد المريني الشيخ** ، نزيل مراكش ، لبسه عباءة ، طويل القامة ، أسمر ، يأوي في ضريح بعض صلاح المدينة ، دائماً له بين حاجبيه نتوء ، كاد أن يكون كهيأة الاجاصة وقدرها .

قال إدريس المنجرة في فهرسته لدى ذكر الاشياخ في الدين والانتفاع والتبرك : زرته هناك ، وكان قبل يراسلني بالمكاتبة ، وينوه بما لا أعرفه في نفسي ، بلغ الله المقصود ، انتهى ، وقد ألف هذه الفهرسة في حدود العشرة الرابعة من القرن الثاني عشر .

قلت ولعله هو سيدي محمد المريني من تلامذة سيدي علي بن عبد الرحمان التادلي المذكور في ترجمته من هذا الكتاب .

وقال في (دوحة البستان) ناقلا عن (تحفة الزمان) : ومنها أي من كرامات الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي ما حدثني به سيدي محمد الملقب بالمريني ، قال : خرجت من مكناسة قاصداً للزاوية البكرية ، فلما وصلت الى سيدي أبي يعزى نفعنا الله به ، استشرت مع بعض اصحابنا ، فنهاني عن السفر لأجل اللصوص والمشقة الكبيرة ، فخالفتهم وسافرت ، فبينما أنا سائر مع القافلة ، إذ وقفنا على وادى أجرو ، فوجدناه حاملا مانع القد ، فقلت لبعض القوم : مَن يجرب الوادي ؟ فقالوا : أنت ، فدخلت الوادي راكباً على بغلتي ، وتركت عندهم حماراً كان عندي ، فلما دخلت تبعني الحمار فاراً من الذين تركته عندهم ، فلما توسطنا الوادي وجدته حاملا ، فجعل يمشي بي حتى أشرفت على الهلاك ، وجعلت أنادي على الشيخ ، ونتوسل به إلى الله تعالى أن ينجيني منه وأنا في حسرة وضيق ، وإذا برجل أقبل عليَّ وأخرجني مع دوابي ، ولم يتعد علي شيء من بركة الشيخ ، وقال لي : أين تريد ؟ قلت : إلى أهلي ، فقال لي : انصرف معي أدلك على الطريق ، فانصرفت معه حتى بلغنا الطريق وهو يمشي أمامي حتى غاب عني ، ثم انصرفت حتى بلغت إلى أهلي ، فوجدت الفقراء خارجين لزيارة الشيخ ، فانصرفت معهم ، فلما بلغنا اليه وجلسنا بين يديه ، جعل يحدثنا كما كانت عادته ، ثم قبضني من أذني ، وقال لي قبل أن أقول له شيئاً : كيف كنت مع ما جرى لك في الوادي ؟

ولله در القائل :

وإذا الغريق دعاه في كرباتـــــه   يأتيه غوثا شبه برق عجـــــرد

733) **محمد بن عبد الله الوولاتي** ، المدعو مولاي الشريف ، المعمر الراويـة .

أخذ عن سعيد بن إبراهيم عرف بقدورة ، وعن محمد بن خليل عرف بابن أكرماش الحنفي ، تلميذ ابن حجر العسقلاني ، وعن علي الأجهوري، وعبد الرحمان بن محمد الفاسي ، ومحمد العربي الفاسي ، وعبد الواحد ابن عاشر ، وعن محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي ، وعن العجل ، وعن الشريف المعمر محمد بن عبد الكريم ، وعن السراج عمر بن الالجائي ، والشيخ بدر الديــن الكرخي ، والشمس العلقمى ، وعن النور علي الزيادي ، وعـن أبي عبد الله الطهطاوي ، وأحمد المقري ، والشهاب الخفاجي ، وأحمد الغنيمي .

أخذ عن المترجم علامتا المنطوق والمفهوم محمد بن سنة العمرى ، ومولاي سليمان الدرعي ، كما في (قطف الثمر) لتلميذهما الشيخ صالح الفلاني شيخ الحافظ محمــد الهندي الصفوي ، شيخ سيدي عثمان الدمياطي ، شيخ الشيخ أحمد دحلان ، شيخ سيدي الحاج علي الدمناتي المراكشي ، كما في الباب الرابع من ثبته .

دخل المترجم مراكش كما في (الثبت الكبير) للشيخ صالح الفلاني، وراجع ما كتبناه في ترجمته .

734) **محمد العطار المراكشي**

قال أبو القاسم العميري في (فهرسته) : مشايخ والدي رحمه الله ، العلامة سيدي محمد العطار ، وكان يقول لنا فيه إنـه انحا من ابـن مالك ، قال : قرأت عليه بحمراء مراكش ، وبها استوفيت قراءتي ، وجمعت على ما حصل لي بها من وجوه الطلب ملاءتي ، انتهى .

735) **محمد بن الشريف سيدي المهدي العلمي** الفقيه ، كـان يسكن بالمواسين من مراكش هو وعمه السيد عبد الله بن المهدي ، وابن عمهم السيد أحمد ، وابن عمهم السيد المبارك ، وهو بـدرب أصبان منها ، وهـم أولاد سيدي عثمان بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال بن القطب مولانا عبد السلام بن مشيش ، وسيدي سعيد المذكور هو الجامع بينهم وبـين شرفاء غيروزيم ، ذكره في (فتح العليم الخبير ، في تهذيب النسب العلمي بأمـر الأمير) ، العلامة سيدي محمد بن الصادق العلمي ابن ريسون ، أمره بتأليفه السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي .

736) **محمد بـن سعيد المهدي المراكشي** ، الشيـخ الامام نبيـه الدين مؤلف (موافقة العقول ، في التوسل بالرسول) ، وهو مختصر فـي فضائل النبي عليه الصلاة والسلام ، أوله : الحمد لله الذي أطلع شمس الهداية من سماء الفكرة ، الى آخره .

ذكره في (كشف الظنون) .

737) **محمد بن مسعود المراكشي** ، الفقيه الوجيه ، أخذ عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الله السوسي المراكشي وانتفع به ، سمعه يقول : بعثني الله لأسقي حياً وميتا ، نقله عنه في (البدور الضاوية) ، وذكره في (مباحث الأنوار) قال : وفي الزاوية البكرية أتاه الشيخ محمد بن مسعود المراكشي ، وتاب على يده ، وكان قبل ذلك مع اشتغاله بتعلم العلم بالزاوية البكرية ، حتى كان ممن يؤخذ عنه خليل والألفية وغيـرهما ، مخالطاً لبعض أولاد الـولاة ، يأكل ما يأكل ، ويفعل ما يفعل ، ولم يظهر له تحر في اكتساب ولا في أكـل ولا شراب ، حتى قدم الشيخ رضي الله عنه الزاوية فأتاه ، فطلب منه أن يقبل له الصحبة ، وأول ما لقيه ، فطلب منه قبولها في تلك الدار ، فقال له : ياسيدي إني أريد رضاك ، فقال له الشيخ : اطلب رضى الله تعالى ، فقال له ابن مسعود المذكور : رضى الله تعالى في رضاك ، فضربه الشيخ في يده ، وتبدل حالـه في الوقت ، وأقلع عن كل ما كان فيه منهمكاً ، فتجدد له حال التوبة ، وغلب

عليه وارد في الحين ، وقطع عنه ثياب شبهة أو حرام ، ثم انقطع لجوار القدوة سيدي علي بن عبد الرحمان التادلي بعد سفر الشيخ ، ولم يزل عنده محببا يدرس العلم مقدما للامامة بمسجده ، تظهر فيه أحوال المحبة ، وربما غلب عليه حال ، فينطق بأمور من الغيب ، ثم ارتحل الى تنغملت بقرب مراكش ، ولم يزل فيها على ديانته ، مشتغلا بما تيسر من الحديث والعلم ، الى أن توفي بها شهيدا بالطاعون رحمة الله عليه .

ذكره في (مباحث الأنوار) .

738) **محمد بن عبد الرحمان الصومعي التادلي** ، أحد أحفاد الولي الصالح سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي ، كان رضي الله عنه فريد عصره وأعجوبة دهره ، في تدريس العلوم الفقهية ، والنحوية ، واللغوية ، وكان يطعم الطعام ، ويقوم بالليل والناس نيام ، صحب الشيخ الكامل سيدي محمد بن ابراهيم التاملي المراكشي في صغر شبابه ، وجعله فاتحة كتابه ، على ما حدث به الثقات .

وفي وسط عمره ، ذهب الى فاس وصحب الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد الله مولى المخفية ، وانتسب اليه واشتهر حاله ، وبانت خصوصيته لديه وظهرت له كرامات ، منها أن الناس كانوا كلما صلوا العشاء سمعوا الصياح في قبر هناك مرات عديدة ، فردوا عليه خبر ذلك ، فصلى العشاء في تلك الليلة وذهب الى القبر ، فجلس عنده ودعا لصاحبه بالعفو والمغفرة ، فمن تلك الليلة انقطع عنهم ذلك الصياح ببركة سيدي محمد بن عبد الرحمان ، انتهى من (اليتيمة) .

وللمترجم شرح على الهمزية .

وقال في (مباحث الأنوار) عند ذكر المترجم : كان يأخذ العلم عن الشيخ سيدي الحسن اليوسي بالزاوية الدلائية ، فلما سمع بمناقب الشيخ سيدي محمد بن عبد الله السوسي بمراكش ، سافر للأخذ عنه اليها ، فبقي

في مراكش الى أن قدم معه للزاوية البكرية ، وتقدم ذكره في ترجمة شيخه المذكور ، وكان خاضعاً منيبا ، عالما أريبا ، وعده شيخه رضي الله عنه ، أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ، وكان مقبلا على ما يعنيه من العلم والعمل ، تخرج عليه في العلم أناس من أصحابه ، وكان منقطعا عن الولاة وعن الاشتغال بأسباب الدنيا ، مثابرا على الأذكار ، وحج بيت الله الحرام مع بعض العارفين ، وهو سيدي أحمد بن عبد الله صاحب زاوية المخفية ، وكان المترجم لايُرى غالبا الا ذاكرا أو مشتغلا بالعلم ، تعليما أو مطالعة أو مذاكرة ، وهو فيه ذو انصاف ، سليم الصدر ، انتهى .

ونقل في (السلوة) في ترجمة سيدي أحمد بن عبد الله ما نصه : وفي فهرسة سيدي ادريس المنجرة ، في ترجمة الشيخ الصوفي ، الفقيه الرباني المكاشف سيدي محمد بن سعيد الطرابلسي ، أنه قال لبعض أصحاب صاحب الترجمة ، وهو الفقيه الصوفي سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي الهروي حين لقيه ببلده ، بقصد زيارته أحمد بن عبد الله في مقام موسى ، وأحمد اليمني في مقام عيسى ، وأحمد بن ناصر كان من الابدال ، انتهى .

وقال في ترجمة سيدي الحاج محمد المدعو الكبير السرغيني العنبري: أنه تربى بالولي الصالح سيدي محمد بن عبد الرحمان الصومعي التادلي ، وأخيه سيدي العافية مَحمد بن عبد الله الشريف المراكشي ، كانت له أحوال عظيمة من بركة الشيخ سيدي محمد بن عبد الله السوسي تغلب عليه ، وربما نطق وأخبر بكوائن ، وتقع كما أخبر .

كانت له مجاهدات بلزوم مخالفة هوى نفسه ، وكان له تصرف ظاهر بالهمة ، ولم يزل رحمه الله ملازما لورده ، مثابرا على طاعة ربه ، الى أن توفي بالطاعون شهيدا رحمة الله عليه .

ذكره في (مباحث الأنوار) .

739) **محمد الساحلي** ، من ذرية الصالح المشهور الشيخ محمد الشرقي دفين تادلة بأبي الجعد ، الوجيه الأرضى ، المتواضع المرتضى ، من

شجعان العرب ومن فرسان تادلة ، فلما أراد الله به لطفا ذهب الى مراكش زمن ظهور الشيخ سيدي محمد بن عبد الله السوسي ، فلما دخل عليه ، اعترته هيبة عظيمة ، وقلب الله تعالى أحواله ، وبدل ما كان من عمل الاسراف حسنا ، وقال له شددنا عليك ان شاء الله حزام التقوى ، فجعل يقضي من الفوائت كل يوم خمسة عشر يوما ، وتزهد وكثر دمعه وندمه على ما فات ، مقبلا على شأنه ، إلى أن قربت وفاته ، فارتحل إلى المشرق بقصد الحج ، فلما فرغ من المناسك أدركته الوفاة في موطن الحج رحمة الله عليه .

ذكره في (مباحث الانوار) .

740) محمد بن ناصر ابن ناصر الدرعي

محمد بن ناصر بن محمد بن علي ابن ناصر ، المراكشي المنشأ الدرعي الأصل والمدفن ، العالم العلامة ، مولده بمراكش سنة نيف وثمانين وألف ، ووفد على الزاوية الناصرية وهو ابن أربع عشرة سنة ، وكفله الشيخ الامام أحمد بن محمد بن ناصر رحمه الله ، وزوجه ابنة أخته ، واشتغل بالقراءة والتعليم ، ورحل للمشرق صحبة الشيخ المذكور ، فحج ورجع وولاه الامامة والخطبة بالمسجد الجامع بها ، والنظر فيما له من الأوقاف ، فقام في ذلك أحسن القيام ، واشتغل بالتدريس والاقراء فيه ، الى أن توفي .

أخذ عن الامام أحمد المذكور ، وعن العلامة أحمد الجزولي ، وعن العلامة محمد الصغير الشهير بالقاضي الورزازي ، وعن الحسين بن محمد بن شرحبيل ، وعن الاستاذ المسن إبراهيم بن علي الدرعي ، ووصفه القاضي الورزازي المذكور في بعض رسائله ، بالعالم العلامة ، الدراك الراوية ، وكانت وفاته بالزاوية الناصرية في رابع وعشري جمادى الأخيرة سنة 1140 أربعين ومئة وألف ، عن نيف وخمسين سنة ، وحضر جنازته الشيخ محمد بن الشيخ سيدي محمد بن ناصر ، وأبو علي بن شرحبيل ، ودفن بالمقبرة التي بداخل الزاوية رحمه الله ورضي عنه .

ترجمه في (الدرر المرصعة) ، وجعله صاحب (تحفة الاسرار) محمد بن محمد بن علي الى آخره ، وحذف ناصر بين محمد الأول والثاني ، وزاد في تاريخ وفاته أن ذلك في ليلة الجمعة ، وزاد في حضور الجنازة الشيخ موسى بن مَحمد قائلا : وقبره مشهـور بها ، وخلف ولده الشيخ العلامـة ، الدراك الفهامة ، العالم العلم ، العامل الزاهد الورع الاكمل عليا .

كان متفننا في علوم شتى ، واماما بمسجد الخلوة بالزاوية الناصرية، وحج مع سيدي يوسف الناصري ، انتهى .

741) محمد الصغير بن محمد اليفرني

مجمد الصغير بـن محمد بن عبد الله اليفـرني المراكشي ، قـال سيدي سليمان الحوات في تقييد له ما نصه : الفقيه العلامـة ، النبيه الفهامة ، المحدث الحافظ النقادة ، النحوي البياني الأديب ، البليـغ الفصيح الخطيب ، محمد المدعو الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله اليفرني ، نسبة ليفرن بفتح الياء والراء ، بينهما فاء ساكنة ، كما ضبطه صاحب القاموس كجعفر ، وهي قبيلة مشهورة بالمغرب ، كانت لها دولة متداخلة مع مغراوة وهم اخوان ، وكانت دولتهم المذكورة بعد انقراض دولة الأدارسة الحسنيين ، ودعوتهم لبني أمية أمراء الاندلس كما هو معروف .

كان محمد الصغير المذكور رحمه الله ، عالما ثبتا ، مشاركا فـي فنون شتى ، مولده بمراكش قرب الثمانين بعد الألف ، وقرأ ببلده على جماعة من الأعيان ، كالشيخ أحمد بن علي المداسي المراكشي ، فقد لازمه كثيرا ، وانتفع به غاية ، وارتحل لطلب العلم بفاس ، فأخذ بها عن جماعة من الأيمة ، وأفراد الأمة ، كالعامل المشارك المحصل الصالح سيدي أحمد بن عبد الحي الحلبي رحمه الله ، ومحمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي ، وهمـا عمدته ، وقرأ على جماعة غير من ذكر .

وكان رحمه الله دمث الاخـلاق ، خفيف الروح ، مشتغلا بالتقييـد ، مستغرق الأوقات في ذلك ، وله تآليف عديدة ، جامعة لفرائد الفوائد المفيدة ، ومنها ، وهو أول ما ألف : (المسلك السهل ، في شرح توشيح ابن سهل) ، وهو وحده يدل على قوة عارضته ، وامتداد باعه ، ومنها : (طلعة المشتري ، في ثبوت توبة الزمخشري) في ورقات لطيفة ، ومنها : (الافادات والانشادات) وهو تأليف لا كفاء له في الحسن ، وكتاب (نزهة الحادي ، بأخبار ملوك القرن الحادي) ، وهو تاريخ حفيل في الدولة السعدية ، وطرف من هذه الدولـة السعيدة خلدها الله ، ومنها : كتاب (صفوة مـن انتشر ، من صلحاء القـرن الحادي عشر) ، وهو من آخر ما قد ألف ، وقد فرغ منه عام سبعة وثلاثين وألـف .

وتوفي بعد ذلك في حدود الأربعين ، وله تقاييد مفيدة ، ومحاورات ورسائل ومقطعات شعرية قلائـل ، متوسط النظم ، وغالب تأليفـه موجود بأيدي الناس ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه عليين في جنته ، آمين .

انتهى كلام سيدي سليمان .

ولنذيّله بما فاته ، فنقول قوله : توفي في حدود الأربعين الى آخره ، وليس الأمر كذلك ، فقد بقي حياً إلى سنة خمس وخمسين ، كما سيأتي في ترجمة محمد بن عبد المومن من بعد .

وقال في (الدرر المرصعة) في ترجمة العارف سيدي أحمد بن ناصر ما نصه : وممن امتدح صاحب الترجمة أيضاً الأديب النحوي اللغوي البياني المحدث ، حافظ العصر ، ذو التآليف الشهيرة ، محمد الشهير بالصغير بن محمد بن عبد الله اليفرني ، نزيل مراكش ، وهو صاحب (الصفوة) التـي اعتمدت في النقل عليها في هذا الديوان ، وقد تقدم ذكره في أول الكتاب ، لقيته بمحروسة مراكش ، بمسجد علي بن يوسف ، وهو الامام والخطيب به ، وذلك في صدر سنة إحدى وخمسين ومئة وألف ، وجرى ذكر صاحب الترجمة، فأثنى عليه وبجل وعظم ، وأنشدني بعض القصيدة التي امتدحه بها ، وناولني بقيتها مع كراسة من نظمه ، ثم ذكر قصيدته التي قالها بعد الرحلة وقد بلغه طعنُ بعض الطلبة عليه حين تصدر للتدريس ، ونصها :

إلى كم يهتك الحساد عرضي ... وجفني عنهم بالحلم مغضي ؟

وما ذنبي إليهم غير أني ... رفعت عنهم من غير خفض

يرون العلم في حبس وشيب ... وذاك عليهم بالجهل يقضي

وهل في خطة الأحباس شيء ... سوى غضب الالاه وهتك عرض

وكم من أشيب كالبغل يمشي ... ولحيته اللجام له بركض

ولو تركوا حظوظ النفس كانوا ... جميعاً ظامئين لورد حوض

وتاهوا في فجاج الحفظ مني ... ولم يصلوا إلى طول وعرض

وجاءوا مهطعين لبحر علم ... يفيض على المجالس أي فيض

جمعت من النفائس كل علق ... وحزت من اللطائف كل غض

وحلاني الالاه بدر علم ... وأعطاني القبول بكل أرض

وحصلت العلوم بجوع بطن ... وخوض في المباحث أي خوض

وكم من ليلة قد بتُّ فيها ... سمير دفاتر من غير غمض

أخذت العلم عن أشياخ صدق ... وأعملت المطي لكل مرضي

وبعض مشايخي الأبرار لاقى ... نبي الله عيسى دون رفض

فقل لشيوخ مراكش هلموا ... بانصاف لتصطبحوا بروض

ولا يحملكم كوني صغيراً ... على إنكار مرتبتي وبغضي

فان العلم نور الله يعطي ... إنارته لبعض دون بعض

ثم قال في (الدرر) وقال يفتخر ارتجالا :

أنا أشعر الشعراء غير مدافع ... من قال لست بشاعر ياتيني

فكري هو البحر الخضم شبيهه ... والبحر حاوي الجوهر المكنون

راجع تمام ترجمته فيها .

قال في (رحلة الوافد) عن شيخه العلامة سيدي محمد بن أحمد الجدميوي المراكشي انه أرآه سؤالا أورده على صاحبنا العلامة فقيه مراكش سيدي محمد الصغير اليفرني حين رجع من فاس لموضعه بمراكش وذلك عام ثلاثين بعد المئة والألف : وتصدر لقراءة التفسير وصحيح البخاري، واجتمعت

عليه طلبة الحمراء بكثرة البحث والجدال في مجلس اقرائه وتدريسه ، ورموه بالزندقة والجهل باحكامها وعدم توفر شروطها حينئذ ، ورفعوا أمره للقاضي ابن بوعبدلي سيدي محمد بن أحمد ، والخليفة بوحفرة المذكور — يعني باشا مراكش غازي — وقالوا : إن التفسير متى قرىء بمراكش يكون بـه الجوع لا محالة،وقال لهم الفقيه : لا قائل بهذا،فان ادعيتم بزعمكم عدم توفر شروط ذلك فلتحضر علماؤكم وحذاق طلبتكم بمجلسنا ، واقتسمت عليه طلبة المدينـة على قسمين : قسم يحبه ، وقسم يبغضه ، واتفق رأيهم على أن يحضر مجلسه كل يوم سبعة من نبلاء فقهائهم الحذاق يبحثونه ، فمـن عجز عند المناظرة فليخرج الآخر لعلهم يغلبونه ، واستمروا على ذلك فلم يقدروا له على شيء من حفظه وبلاغته .

كـان رضي الله عنه فقيـه عصره وقريع دهره ، كان ذا حفظ واتقان ، وفصيحا وخطيبا تضرب به الامثال ، قد بهر اقرانه من نباهته حتى وقعـت المضاربة بمجلسه بين الطلبة ، وبلغ خبر ذلك للحاكم ، وندبهم على تـرك قراءة التفسير والاقتصار على ما يتعاطاه الناس في الحديث وكتب الفقه وغير ذلك ، ليلا تزيد المشاحنة فيما بينهم ، وامتثل أمره ورجع لتدريس (صحيح البخاري) ، وبقوا معه فيه كذلك ولم يجدوا فيه ما يقولون .

كان من عادته في المجلس اذا افتتح القارىء القراءة أمامه ، يسكت حتى يملي عليه جميع النصاب ، وحينما يشرع في تفسيره حرفاً بحرف من أوله الى آخره من غير أن يكرر عليـه القارىء شيئاً مما قرأ ، ولا مـن كثرة حفظه ، وبقوا معه مدة من عام على تلك الحالة ولم يزد له ذلك منهم الا النشاط القوي ، وحسده طلبة المدينة على ما خوله الله ، وشاع حينئذ خبره في البلدان والسوس ، ويكتبون اليه الأسئلة من كل أرض ، منها ما أورده السيد محمد بن أحمد المذكور عليه من سوس الاقصى اليه بحاضرة حمراء مراكش ، وقد جمع فيه خمسة وعشرين مسألة ، كل واحدة منها تساوي رحلة ، وتطالب الجواب نثراً ونظماً ، وأجابه عن الجميع ، ثم قال : وقد كنت مع السيد الصغير اليفرني المذكور بمدرسة مولاي الرشيد بفاس زمن قراءتنا فيه إلى أن خرجت منها

وتركته بها ، ووجدته حينئذ لوحته في القرآن ، ولما ختمه بدأ فيها الفقيه ابن مالك وأدرك العلوم في مدة عشرة أعوام ، ثم قال : ولنرجع لِما نحن بصدده من تمام كلام شيخنا الفقيه العلامة سيدي محمد بن أحمد المراكشي المذكور ، ثم أورد جواب سيدي محمد بن أحمد المذكور لسيدي الصغير اليفرني يشكره ويمدحه على جوابه المشار له نثراً ونظماً ، منه قوله :

فهل تنسخ الأيام بالجمع بعد مـا ... تمزق قلبي بين ناب ومخلـب ؟

ومنه قوله :

أتاني جواب هيج الشوق نظمـه ... كما هيج الكريم صافية الخمـر
فمالت بأفكاري حلاوة نظمـه ... كما مال سكران على نشوة السكر

ومنها قوله :

فؤادي يشتكي داء حزينـا ... لبعدي عن مزار الظاعنينـا
وأكبادي من الأشواق ذابـت ... ووجدي فوق وجد العاشقينـا
يهيج زفرتي تذكار أرضـي ... ويفجعني ويستهم الجفونـا
سقى الرحمان مراكشا بـلادي ... عليها صرت مكتئباً حزينـا
وما بمراد نفسي كان عنهـا ... خروجي لا ورب العالمينـا

ومنه أيضاً :

وهل أردن يوماً مياه مواسـن ؟ ... وهل أسلون يوماً بخل معطـر ؟
أمتع نفسي في ديار أحبتـي ... وأقطف أزهاراً بروض ومزهـر

ثم قال :

فكنت بداري مولعاً بابن مالـك ... ولي همة في كل فن مسطـر
وقد كنت من بين القضاة مؤيـدا ... ؟

ثم قال :

فاخرجت منها مكرها دون بغيتـي   بأمر علي لا يرد مقـــــــــدر

ثم قال :

ففارقت أعلام النحاة وغيرهـــم   وودعت كلَّ مصدر ومصـــدر

راجع تمام ذلك فيها .

وذكـر الناصري مـؤلف (الـدرر المرصعة) في كتابـه (الرحلة المراكشية) أنـه لقيه بهـا سنـة تسـع وأربعـين ومـئـة وألف ، كما يأتي في ترجمة الناصري المذكور ، وقد ذكر في (التقاط الدرر) أن وفاة المترجم في حدود عام خمسين ومئة وألف ، وقد علمت ما فيه ، ومن تآليف المترجم التي لم يذكرها الحوات (فتـح المغيث ، بحكم اللحن فـي الحديث) ، قال في السمط الثالث منه ما نصه : وقال ابـن الصلاح : الدعاء الملحون ان كان لا يستطيع غيره ، لا يقدح في الدعاء ، ويعذر فيه ، ذكره في فتاويـه .

انتهى من كتاب (الأذكار) للشامي ، وانتهى كلام الأجهوري .

فتأمل قوله : الدعاء الملحون فان فيه رخصة عظيمة ، إذ ظاهره الدعاء مأثورا أم لا ، وحينئذ فيشمل نحو كتاب (دلائل الخيرات) ، فان الصلوات والأدعية التي فيه مرفوعة وموقوفة ، ما بين حديث عنه عليه الصلاة والسلام ، أو اثر عن أصحابه أو عن التابعين ، ومع ذلك فان العامة يقرؤونه ولا معرفة لهم بالعربية ، فيصحفون ذلك غاية التصحيف ، ويلحنون أقبح اللحن ، فلولا هذه الرخصة التي نبه عليها ابن الصلاح رحمه الله تعالى لمنعوا من ذلك ، وكان أجرهم وزراً ، واذا حصلت الرخصة في هذا النوع من الحديث ، قيل بها في غيره من باب لا فارق ، لأن الحديث يتعبد بتلاوته ، كما يتعبد بتلاوة القرآن ، والضرورة الشرعية تدعو لقراءته ، كما تدعو للأدعية المأثورة .

ثم قال : فقد حصل لنا من هذه الأدلة كلها أن اللحن في الحديث فيه رخصة واسعة لبعض أهل العلم، وأن من أراد الكتب الحديثية كـ (الصحيحين)

و (الشمائل) مثلا ، ولا معرفة له بالعربية ، وغرضه التبرك بها في خاصة نفسه ، أو يسمعها لقوم بقصد التبرك ، فليطلب نسخة من ذلك تكون صحيحة مقابلة مضبوطة ، وما اعتراه من اللحن فيها فلا يؤاخذ به إن شاء الله ، واما ان كان بقصد التصدر وطلب العلو فلا يحل ، ومـن هذا المعنى قراءة (دلائـل الخيرات) و(تنبيه الأنام) ، فانهما اشتملا على أحاديث كثيرة ، ولم تـزل العامة لاهجين بقراءتهما من غير نكير عليهم من العلماء في ذلك ، وما ذاك الا لأن العلماء رأوا في ذلك سعة .

وبما ذكرناه تعلم أن ما نسب للشيخ سيدي المهدي الفاسي شارح (دلائل الخيرات) من أن الأولى للعامة أن يبدأوا في قراءة (دلائل الخيرات) من الأسماء النبوية ، ولا يقرأ فصل فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، لاشتماله على أحاديث ، فربما لحنوها بمحمول على الأفضل ، وإلا ففيه ما سمعت، ثم قال : فقد تحصل لنا الترخيص في ترك تجويد القرآن والحديث، كما قاله الايمة رضي الله عنهم ، انتهى بلفظه .

ومن تآليف المترجم (درر الحجال ، في سبعة رجال) هذا التأليف لم يكمل ، وقفت عليه بخطه ، ومن فوائده فيه التصريح بأن الامام فقيه العصر الحسن المعداني شيخه ، وحلاه بهذه الحلى ، وبأن الفقيه الصالـح سيدي العربي بن أبي القاسم الأمراني بلديه وشيخه ، وبأن الامام محمد المسناوي شيخه ، وهذا الكتاب له مقدمة فيها ثلاثة وثلاثون فصلا ، والمقصد فيه أسماط سبعة ، تم منها السمط الأول في ترجمة سيدي يوسف بن علي ، ووصـل للسمط الثاني في ترجمة القاضي عياض ، ولم يتمه رحمه الله .

ومن تآليف المترجم (روضة التعريف ، بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف) (1) وسماه أيضاً بـ (الظل الوريف ، في مفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف) ، اشتمل على ثمانية أسماط : السمط الأول ، في (ذكر نسبه الحسني ، مع اضافة فوائد أبهى من الدر السني) ، والسمط الثاني ، في (ذكر

---

1) طبعت بالمطبعة الملكية بالرباط سنة 1962

ولادته ونشأته ، إلى أن ملكه الله أمر رعيته) ، والسمط الثالث ، (فيمن أخبر به من أهل الكشف والصلاح ، وما وسمه به أهل السيادة والفلاح) ، والسمط الرابع ، في (بيعته ، وكيفية اتصاله بالملك ، وركوبه ذلك الفلك) ، والسمط الخامس ، في (تمهيده البلاد ، ونصره على أهل البغي والفساد) ، والسمط السادس في (ما فتح من المدن التي كانت تحت احتلال النصارى ، التي بلغ بها في المجد القصارى) ، والسمط السابع في (ذكر حلمه وعدله ، وما كثر ببركته في مدته من الخير وأهله) ، والسمط الثامن في (المشاهير من أولاده النجبا ، وذكر مآثرهم التي هي ألطف من نسيم الصبا) ، أتم هذا التأليف سنة ثلاث وثلاثين ومئة وألف .

ومنها شرح (ياقوتة البيان) والأصل له توجد في الخزانة العامة بالرباط تحت عدد 74 وهي في الفهرس لها صحيفة 208 المطبوع سنة 1921 .

قال المترجم في الفرق بين المعنى والمفهوم والماهية والهوية :

فالصور الذهنية المقصودة	باللفظ أسماء لها معدودة
فباعتبار قصدها باللفظ	معنى تسمى فاتسم بالحفظ
وكونها تحصل ذهنا منه	توسم بالمفهوم فابحث عنه
وكونها تقال في جواب ما	ماهية تسمى فحقق وافهما
وكونها ثابتة في الخارج	حقيقة تدعى كصبح بالج
وميزها فيه عن الاغيار	هوية هذا اصطلاح جار

الأغيار جمع غير ، قاله في (لسان العرب)، وشاع في عبارتهم تعريفه بأل فيقال الغير ، وهو لحن لأن غير ملازمة للاضافة ، والهوية بضم الهاء وكسر الواو وفتح الياء المشددة نسبة الى هو ، كالكمية نسبة الى كم ، وقد شرحها ناظمها رحمه الله في نحو نصف كراسة ، وقال فيه : بقي علينا من الالفاظ الجارية مجرى هذا النمط ألفاظ منها الصيغة ، وقال الاجهوري في حاشية الرسالة الماهية والحقيقة والطبيعة ألفاظ مترادفة ، انتهى من الشرح ، وقال : ويعرف بالخارج وبنفس الأمر والعبارتان بمعنى واحد .

وقد جرى ذكر المترجم في فهرسة العميري ، ونقل بعض أجوبته ، وتكلم فيه معه بما يغلم بالوقوف عليه فيها .

ومن كتاب لسيدي محمد اليفرني المترجم يخاطب سيدي صالح الشرقي قوله .

الغياث الغياث ياأحـــرار نحن خلجانكم وأنتم بحـــار
انما تحسن المواساة في الشـــدة لا حين ترخص الأسعـــار

ومنه : وقد أكملنا كتابنا (صفوة من انتشر ، في أخبار صلحاء القرن الحادي عشر) في خمسة عشر كراسا ، وهو كتاب حفيل انقطع به بعده التشوف ، وفرح به أهل التصوف ، وذكرنا فيه والدك ، وكل ما فيه من الغرر والفوائد ، فهو منقول من نحو خمسة وعشرين كتاباً ، وهو عندي قربة الى الله ، فان أردت نسخة فابعث لمن ينسخه لك ، ولو رأيت تراجمه قبلت براجمه ، وكذلك كتابنا (نزهة الحادي ، بأخبار ملوك القرن الحادي) .

انتهى من خطه .

وبيت هذا الفقيه بيت علم وصلاح ، ويقال لبيتهم بيفرن زاوية السدرة ، وقال في (القاموس) : وأفرن كاحمد وكيمنع ، قبيلة من برابر المغرب ، أنتهى .

وأُقبر المترجم رحمه الله بالروضة التي قرب جامع ابن يوسف ، ولما حفرت وجد جسده طريا غضا في دولة مولانا سليمان رحم الله الجميع .

742) **محمد بن محمد السالك الجرني المراكشي** ، الفقيه العلامة ، أجازه العلامة اليفرني الصغير عامة بتاريخ 1135 بـ (المنح البادية) اثر نقله إجازات اليفرني من مشايخه ، كصاحب (المنح) ، والحريشي ، وابن مبارك ، وابن رحال .

راجع السالك بن السالك ، في حرف السين (1) .

---

1) لاشك ان السالك بن السالك هو المترجم أعلاه ، وها نحن ننقل هنا ما كتبه عنه في حرف السين ليلا نجعل من الشخص الواحد شخصين كما فعل المؤلف ، قال :

743) محمد بن عبد المومن المراكشي

محمد بن عبد المومن الاندلسي أصــلا ، المراكشي داراً ومنشئاً ، كان قاطناً برياض الزيتون بحومة الاندلس منها ، له رسالة سماها (تنقيــة النفس والجد في علاجها ، بوعظ ستة أحرف قبرك منك) ، خاطب بها المرابط السيد الشرقي حفيد القطب سيدي محمد الشرقي ، وقفت عليها مع تقريظها للعلامة سيدي الصغير اليفرني المؤرخ في II محرم عام خمسة وخمسين ومئة وألــف .

« **السالك بن السالك المراكشي** : وقفت على شرحه على (المرشد المعين) المسمى (قرة العين ، في شرح المرشد المعين) ، ذكر انه اعتنى بالاعراب حيث رأى الشراح اهملوه ، وعليه تقريظ سيدى (محمد) الصغير اليفرني نصه :

الحمد لله

حمداً لمن شرح للسالك مناهج السلوك ، وحلى جيد الشريعة بما هو ابهى من اسماط السلوك، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى ظهر دينه ظهور الشمس راد الدلوك، وحنت لملته المثلى أنوف الأقيال وجباه الملوك ، ورضي الله عن آله وصحبه الذين . . . على ايديهم للضلال هلوك .

أما بعد فان علماء هذه الأمة المحمدية ، كالكواكب الذرية ، كلما هوت كواكب بزغت كواكب أخرى سرية ، ألا ترى المرشد المعين شرحه ميارة ، ثم جاء السالك فزاد عليه روايــة كالكواكب السيارة ، وكل منهما فاز من المدد المحمدى بحظه ، وفى ذلك دوام كما تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه ، الا أن ابن السالك فى شرحه الذى هو بالفوائد صيب ، لا أجد له مثلا فى اختراع محاسنه الا قول أبى الطيب :

تمشي الكرام على آثار غيرهــــــــم   وأنت تخلق ما تاتي وتبتــــــــــــدع

وقد جمع هذا الشرح فأوعى ، واقتنى البدائع طوعاً وكرهاً ، فمن اقتصر عليه كفاه ، وكان الغنى حازته كفاه ، وقد سماه مؤلفه (قرة العين)، وهو اسم أين مثله في اللطافة أين ؟ الا أن فيه مع المعين اعتراضاً ، لاكن العين لا تستحلى الا ان كانت مراضاً ، ولذلك أشرت اليه ان يسميه (المورد المعين ، في شرح المرشد المعين) ، وليس ما نقله الشارح ، للفطر السليمة بجارح ، فقد ذكر الصفورى في تاريخه أن شرف الدين الامياطي ألف كتاباً سماه (الدر الثمين ، فيمن اسمه عبد المومن) ، وناهيك بالشرف اسوة ، ومنهم للشارح قدوة ، والله يجعل هذا الشرح كاسمه خيرة ، وينفع به من طالعه و ... فى ملكه واقره ، بجاه المصطفى الكريم ، عليه أفضل الصلاة والتسليم . انتهى .

ذكر كاتب أصل المبيضة المنتسخ منه انه كتبها من خط العلامة سيدى الصغير اليفرني امام جامع ابن يوسف وخطيبها بالحضرة المراكشية أمنها الله هـ .

وهذا الشرح في مجلد من القالب الرباعي بخط اليد نسخت منه هذه النسخة في 7 جمادى الأولى عام 1266 .

أما ابن عبد المومن الجزائري فترجم في (نشر أزهار البستان ، فيمن أجازني بالجزائر وتطوان) لمحمد بن قاسم ابن زاكور (1) ومن أشياخ ابن الكماد القسنطيني .

744) **محمد الدقاق الدغمي** الفقيه العلامة ، قال في ترتيب زيارات السبعة رجال بمراكش ·

توسل إلى الرحمان بالسبعة التي — تسامى علاهم وانفشى في البرية
وزرهم على الترتيب ياطالب النجا — وسلهم فهم والله خير وسيلة
فأولهم بيت القصيدة يوسف — سليل علي شيخ أهل الطريقة
وثن بتاج العارفين عياضهم — منور هذا الدين بحر الحقيقة
ومن قد أزاح الجهل عنا شفاؤه — فكان شفاء للقلوب المريضة
وسر قاصداً من عنده تحظ بالمُنى — ضريح أبي العباس صافي السريرة
وذلك بالسبتي يدعى ومن نزل — حماه يفز بنيل أي غنيمة
ومن بعد لا تنسى : الجزولي نسبة — إمام التقى والعلم حامي الشريعة
وتلميذه التباع زده ولا تخف — اذا سرت للغزواني شؤم القطيعة
وناد اذا زرت السهيلي تضرعا — أيارب عمر من تقاك عقيدتي
وصل وسلم دائما متواليا — على أحمد المختار بحر الحقيقة
وآله والأزواج طرا وصحبه — ومن يتبع المولى بأحسن سيرة

وقال الحافي في فهرسته : الفقيه العلامة ، الشيخ النحرير ، الدراكة الشهير ، محمد بن الفقيه العدل محمد الدقاق السلوي ، كان رضي الله عنه عالما مدرساً متفننا ، ليّن الجانب ، معظما لجانب أشياخه ، كثير الثناء عليهم ، وذكر أنه قرأ عليه الفقه والبلاغة ، واستفاد منه فوائد .

أخذ عن مشايخ فاس كسيدي محمد بن عبد القادر الفاسي ، وسيدي محمد المعروف بالكماد ، وآخر قضاة العدل ، قاضي الجماعة بفاس سيدي العربي بردلة ، وسيدي محمد بن أحمد المسناوي الدلائي ، وأخذ طريقة

---

1) طبع بالمطبعة الملكية بالرباط سنة 1967 وترجمة محمد بن عبد المومن الحسني في ص 13 منه .

التصوف عن سيدي محمد بن ناصر الدرعي ، ثم سافر لبيت الله الحرام والمجاورة هنالك ، وطالت مدة مجاورته أكثر من عشر سنين ، كان ملازما لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدرس الحديث ، وكانت له وجاهة وحرمة عند الناس ، معظما مبجلا عند ملوك تلك الآفاق ، وخصوصاً العثماني ، فانه كان يبعث له في كل سنة جائزة سنية ، وكان يحج كل عام ، ويرجع للمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

توفي رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة ثمان وخمسين ومئة وألف ، وبها دفن رحمه الله .

745) محمد (العربي) بن عبد القادر القادري

محمد العربي ابن الفقيه الصالح عبد القادر بن العلامة محمد العربي بن الطيب القادري الحسني .

قال في (السر الظاهر) : تفقه على الشيخ أحمد بن مبارك اللمطي وغيره ، وسمع منه ومن غيره ، وكان وجيها ذكيا نجيباً ، توجه لمراكش مع أعيان علماء فاس وأشرافهم لحضور بعض الأعياد مع سلطان الوقت ، فأصيب بطاعون كانت فيه منيته ، وذلك في حياة والده سنة ثلاث وستين ومئة وألف .

ولما توفي رأى قاضي مراكش الشيخ عبد القادر الجيلاني في منامه وهو يقول : كيف يموت هنا ببلدكم ولدي وأنت غافل عن شهود جنازته ؟ فلما استيقظ سأل عمن مات في ذلك اليوم ؟ فقيل له : شريف قادري من شرفاء فاس الواردين على حضرة السلطان ، فاحتفل حينئذ لتجهيزه وشهود دفنه احتفالا عظيما ، ودفنه بزاوية جده الشيخ عبد القادر الجيلاني ، التي هناك برياض الزيتون ، انتهى .

وقبره المذكور هو الذي يزار بها الآن كما في (نشر المثاني) ، والطيب المذكور هو والد مولاي عبد السلام الحسني مؤلف (الدر السني) ، وقد نظمت نسبه في أرجوزة .

746) محمد بن أحمد اليحمدي الفحصي

محمد بن أحمد بـن الحسن اليحمدي الفحصي ، تقدم ذكـر والده في الأحمدين (1) ، وولده هذا تقدم ذكره عند ذكر والده فـي المحمدين (2)

كان فقيهاً كاتباً أوحد ، شاعراً جماعة مطلعا ، وله من التآليف (تحفة الظرفاء ، في جميع ما للكلاعي من الرسائل النبوية ، والصحابة والخلفاء) ، فرغ منه يوم الجمعة عشية عرفة عام 1164 وأهدى أول نسخة منـه للسلطان سيدي محمد بن عبد الله ، و (قطر الندى ، في التعريف بالسيد أبي الدردا) ، و (كشف الأسا ، بمحاسن الصالحات من النسا) ألفه في المجاعة الكبـرى سنة 1150 ، ذكر في خطبته أنه ألفه من (مرآة الجنان) لليافعي ، وزاد فـي بيان المترجمات ، وذكر بعض أمهات الخلفاء من الحرائر والجواري ، ومتعففات القينات ومنجبات السراري ، منبها على ما نقله المؤلف عن الذهبي وابـن خلكان الى آخره ... غير أنه ذكر فيه جماعة من الصحابيات فقط ، ولم يوف بالغرض .

وله أيضاً (مدد التآليف ، في ترتيب المحفوظات والتقاييد ، محفوظة التكرار والاسانيد) ، ألفه عام 1153 من الخزانة الاسماعلية ، المحتوية على نفائس الكتب منها : كتاب (الهودج والأصليت) لابن أبي محلي ألفه عام 1015، وهو محبس على زاوية الشيخ سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي بسلا ، وخط المؤلف على طرره كثير ، وله ديوان قال فيه بعد الحمدلة : هذه الأوراق جمعنا فيها بعض المنظوم الذي سمح به الفكر الهائم المهمـوم ، أيام مقامنا بفاس الجديد ، وسطرناها مخافة الافتراق والتبديد ، وذلك في منتصف رجب عام 1166 في نحو كراس .

---

1) انظر 2 : 369 ع 258 من هذا الكتاب

2) أى فى طبعة فاس ج 5 ص 28 ع 425 وقد حذفنا الترجمة ليلا نجعـل من الشخص الواحد شخصين كما فعل المؤلف .

747) محمد بن محمد التكركسي

محمد بن محمد بن ابراهيم بن أحمد بن عثمان بن الولي الكبير سيدي محمد بن يعقوب الصنهاجي التكركسي ، النبيه العالم العلامة ، المحدث ، كان رضي الله عنه على سنن أبيه ، دؤوباً على سرد الصحيحيْن وغيرهما من كتب السيرة ، وكتب القوم الصوفية معتنيا به .

أخذ عن سيدي عبد الله الووكدمتي وأعلام مراكش ، وشارك والده في بعض شيوخه ، وحج مرارا ، وأخذ بمصر عن العماوي وغيره .

توفي رحمه الله بشعبان سنة سبع وستين ومئة وألف ، ودفن عند والده رحمها الله ونفع بهما آمين .

ذكره الحضيكي في (طبقاته) .

748) محمد بن عبد الله الدراوي ، نزيل مراكش ، شيخ محمد الحضيكي ، مترجمه في طبقاته ، قال فيه لدى ترجمته : شيخنا الفقيه العلامة المتفنن في العلوم الشريفة ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، المتصوف الزاهد النزيه ، كان رضي الله عنه أعلم علماء وقته ، وأزهدهم وأخشاهم لله ، وأتقاهم وأورعهم ، عكوفا على التدريس لمختصر خليل ، وألفية ابن مالك ، وصغرى السنوسي ، حريصا على ايصال الخير للطلبة ، سمعنا عليه تلك الكتب أو جلها ، ظاهر البركة ، هيناً ليناً ، متواضعاً خاشعاً ، دمثاً سهلا حلواً ، دؤوباً على الصالحات والطاعات ، ناصحا لعباد الله ، كثير الزيارة لصالحي المدينة ، لا سيما سيدي أبي العباس السبتي، كان يزوره كل يوم بعد العصر في كل زمان، لا يتخلف لبرد ولا لحر ، صيفاً وشتاء وغيرهما ، لا يفتر ولا يقطع لشدة الزمان ولا لخطوبه إذا نزلت ، فكان فقهاء المدينة يتخلفون لذلك ، ويقول رضي الله عنه : ومن علامة كون العمل لله تعالى ، الدوام والثبوت عند النوازل .

توفي رحمه الله شهيدا بالوباء في حدود الستين ومئة وألف (1) .

---

1) **طبقات الحضيكي** 2 : 118

749) **محمد بن محمد الحاج البوعبدلي** ، به عرف المراكشي وكان رضي الله عنه من فقهاء وقته ، ولي القضاء فحمد ، وكان دينا خيرا ، حسن السمت متين الدين ، ذاعزم وحزم ، قحط الناس فاجتمعوا على الاستسقاء ، ثم بدا لهم أن يدوروا على سبعة رجال المشهورين بالمدينة ، يجتمعون كل يوم عند واحد ، يستغيثون فداروا عليهم ولم يغاثوا ، ثم واعدوا يوما للاستسقاء ، فلما خرجوا خرج صاحب الترجمة ، وكانوا راودوا زهادهم وعبادهم واحدا بعد واحد أن يصلي صلاة الاستسقاء ، فامتنعوا ، فقال لهم : أنتم أولى بهذا الأمر ، واذا أبيتم لا ينبغي لنا ترك السنة واهمالها ، فتقدم رضي الله عنه ، وصلى والناس حضور بتمامهم وهممهم ونيتهم الصادقة ، ورجاء كامل ، وخضوع وتذلل ، واضطرار وافتقار ، والتجاء الى مولاهم الكريم ، فلما خطب وبالغ وأجاد ووعظ ، واستغفر وأمر ونهى ودعا ، وتضرع وابتهل ، ذرفت العيون وخشعت القلوب ، وضجت الدنيا بالبكاء والنشيج والتأمين على دعائه ، مغلوبون لم يتمالكوا ، وهو كذلك ، تتناثر الدموع على لحيته ، وتسيل على خده ، فما استتم دعاءه حتى أغيثوا ، وأمطرت السماء عليهم بفضل الله ، فتسارعوا للأبواب من شدة المطر ، ونحن معهم في تلك المشاهد كلها ، بتوفيق الله .

توفي رحمه الله بعد ذلك شهيداً بالوباء الذي استشهد به الذي قبله في شهر واحد ، والله أعلم .

انتهى من (طبقات الحضيكي) (1) .

قلت : ومما كتب به العلامة سيدي محمد الصغير اليفرني إلى المترجم القاضي سيدي الحاج محمد البوعبدلي :

ياحاذقا أجب عن اعتــــراض	فقد شربت العلم من عيـــاض
أعرب لنا قول أبيك القاضـــي	خليفة الشيخ الرضى عيـــاض
اعلم باستقلاله بالماضـــي	أين المفاعل على التقاضـــي

1) **طبقات الحضيكي** 2 : 119

فأجابـه :

يامَن بدا والعلم في اغتمـاض	واحبذا بعمله المضـاض
ان مفاعيل مقال القاضـي	فقدتها لا تك بالمعتـاض
حذفنا واحدا لعلم الماضـي	وجر ثاني بالانخفـاض
وجل ثالث عن انقبـاض	وفيت ما ترجوه من أغـراض

750) محمد (المكي) بن موسى ابن ناصر الدرعي

محمد المكي بن موسى بن محمد بن مَحمد بن محمد بن أحمد بـن محمد بن حسين بن ناصر بن عمرو بن عثمان الدرعي المولد والمنشأ ، مؤلف (الدرر المرصعة ، بأخبار أعيان درعة) ، أو (كشف الروعة ، في التعريـف بصلحاء درعة) ، ومواد هذا الكتاب كتاب (التشوف) لابن الزيات ، و (نيل الابتهاج) ، و (النفحة المسكية) للتمجروتي ، و (الفوائد الجمة) للتمنارتي، و (الدوحة) و (اقتفاء الاثر) للعياشي ، و (خلاصة الاثر) و (قرة أعيـن المومنين) للشناوي ، و (فهرسة عمه سيدي الحسين بن ناصر) ، و (تجديد المراسم البالية ، في السيرة الحسنية العالية) لأحمد بن صالح الدرعي ، و (الصفـوة) و (الدرر اللامعة ، فـي السيرة الحسنية الجامعة) لأحمـد الدرعي المذكور،و (فهرسة الامام المرغيثي)،و (المجامع والتقاييد والتلقيات من أفواه الثقات) وما أضاف الى ذلك من التلويحات والتمليحات المناسبات ، وسلك في ذلك مسلك صاحب (النفح) وغيره ، رتب هذا الكتاب على حروف المعجم ، يذكر اسم الرجل ونسبه ، وتاريخ ولادته ووفاته ، وشيوخه ونظمه إن كان له ، وكراماته ان وقف عليها ، وما مدح به ورثى به ، أولهم : أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد المعروف بأدفال ، الدرعي منشئاً ، الحسني على ما وجـد بخطه ، وأنهم مـن شرفاء فجيج ، توفي سنـة 1023 ، لقيـه مَحمد ابن الوقـاد التلمساني بجامـع الشرفاء من مدينـة مراكش ، فـي جمادى الأخيرة من سنة احدى وتسعيـن وتسعمئة ، ذكر ذلك فـي (الفوائد الجمة) ، وضريح هذا الولي مشهور معروف بالزيارة بلكتاوة من أسفل درعة ، أحمد بن أحمد بن محمد البوسعيدي الدرعي ، المعروف بآكحيل ،

دخل مراكش ، أحمد بن علي بن داوود الدرعي ، أحمد بن إبراهيم بن عبد الله الأنصاري الدرعي ، وترجم فيها لابن سعيد المرغيثي ، ومن مؤلفات صاحب (الدرر المرصعة) : (الروض الزاهر ، في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه الاكابر) ، كما ذكر فيها ، ومنهم : أحمد بن منصور الدرعي ، العلامة شيخ المرغيثي ، ثم ذكر سيدي أحمد بن الحسين الناصري ، أحمد بن محمد بن داوود بن يعزى بن يوسف الجزولي ، التملي نسبا ، أَحْزِي بفتح الهمزة وضم الحاء المهملة وكسر الزاي ، نزيل درعة ، أحمد الشهير بالهشتوكي مؤلف (انارة البصائر ، في ذكر مناقب القطب ابن ناصر ، وحزبه الأيمة الهداة الأكابر) أطال فيها ، وفي ترجمته ترجم لليوسي وأطال فيها ، أحمد بن مَحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمرو الدرعي ، ومن تآليف صاحب (الدرر المرصعة) : (البرق الماطر ، في شرح النسيم العاطر) ، كما ذكر فيها .

وأنشد فيها قصيدة في مدح أحمد بن ناصر شقيق المؤلف مطلعها :

هب النسيم معطــــــر الأردان والروح يرفل في حلا الألــــوان

وفي ترجمته قال : وممن امتدح صاحب الترجمة أيضاً ، الأديب النحوي اللغوي البياني المحدث ، حافظ العصر ، ذو التآليف الشهيرة محمد الشهير بالصغير بن محمد بن عبد الله اليفرني نزيل مراكش ، لقيته بمحروسة مراكش بمسجد علي بن يوسف بها ، وهو الامام والخطيب به ، وذلك في صدر سنة احدى وخمسين ومئة وألف .

وقال في قصيدة له :

أما طريقته المثلى فلست تــرى يحوكها غابر الأزمان انسانــا

وأهدى له المؤلف مجموعاً فيه بعض تآليفه (فتح الملك الناصر ، في إجازات مرويات بني ناصر) ، و (الرحلة المراكشية) ، و (البرق الماطر ، في شرح النسيم العاطر) فخاطبه بقوله :

دعوا عنا بفضلكم الكؤوسـا | فقد أنسى الطلا شعر ابن موسى

إلى أن قال :

حسبنا أن درعة ليس فيهـا | أديب يحسن النظم النفيسـا
فلما جاءنا منها علمنـا | بأن لها بنص السفر عيسـا
وأحيا فكره ميت المعانـي | فلولا عصره خلناه عيسـى
أرى أولاد ناصر حيث كانـوا | بدوراً في الهداية أو شموسـا
ولا يفنى فضائلهم مديـح | ولو أفنى القراطس والنفوسـا

فأجابه بقوله :

أحبر الغرب هيجت الرسيسـا | بنظم دونه الدر النفيسـا

الى أن قال :

فانت الشمس والاعلام طـرا | نجوم أين من نجم شموسـا ؟
وأنت البحر والغير السواقـي | وأنت الفرد حقا لا غموسـا

أحمد بن صالح بن ابراهيم الشاوي أصلا ، الدرعي صاحب (الهدية في الطب) وشرحها المسمى (الدرر المحمولة) في نحو عشرين كراسا ، الحاج ابراهيم الانصاري ، إبراهيم بن أحمد بـن ميمون قاضي لكتاوة ، ابراهيم بن عبـد الله والد ابراهيم بن عبد المومن بن عبد الله بن ابراهيم الدرعي ، ابراهيم بن علي بن محمد بن أحمد الدرعي السباعي شيخ المؤلف ، آمنة بنت عبد الله بن أحمد البكرية ، أبو القاسم بن عمرو السوسي الدرعي ، أبو القاسم بن عبـد الرزاق الدرعي ، الحسن بن محمد ، وقيل : ابن عبد الله بن مسعود الدرعي ، أصله من عرب هداج ، الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمرو الدرعي ، وفي ترجمته ذكر أن الناصريين مقداديون ، وفـي ترجمة والده أيضـا الشيخ محمد بـن ناصر نسبة الى المقـداد الصحابي المشهور ، واعترضه في (نشر المثاني) بأن المقداد بن الأسود لا عقب له ، كما لابن حزم في (الجمهرة) ، ثم الحسين بن محمد بن علي ابن شرحبيل

البوسعيدي النجار ، الدرعي الأصل والدار ، خالد بن عمر بن أبي القاسم الدرعي ، داوود بن محمد بن فتوح التلمساني الدرعي ، سليمان بن عبد الباري الدرعي ، الشريف بن السلطان إسماعيل بن الشريف بن علي العلوي ، صالح بن وحيل الجراري ، تادلي المنشأ ، نزيل وادي درعة ، صالح بن ابراهيم الدرعي والد عبد الله بن محمد بن يوسف ، عرف بالعشاب الغساني الأندلسي ، عبد الله بن علي الولي الصالح ، عبد الله بن حسين الولي الصالح ، عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمرو الأستاذ شقيق والد المؤلف ، عبد الرحيم الولي الصالح من أشياخ المؤلف العلامة الفهامة أحمد بن ابراهيم الاستاذ الشهير بالسباعي ، كما ذكر فيها : عبد الواحد الولي الصالح ، عبد الرحمان الدراوي ، عبد العزيز الزمراني المترجم في (الصفوة) ترك أولاده بمراكش الخ ، عبد الكريم بن علي بن محمد بن علي بن عمرو التدغي الأصل ، الدرعي الدار ، أخذ عن العلامة سيدي علي الشهير بالمراكشي ، واليوسي عبد الكبير بن أحمد بن عبد الكبير بن الحسين الدرعي ، أخذ عن العلامة أحمد الشهير بالعطار المراكشي ، وإبراهيم بن علي الدرعي الشهير بالسباعي ، وعلي بن أحمد ، وعلي بن يوسف اللكتاوي ، وعلي بن ابراهيم صنو أبي العباس ، وعلي بن محمد بن علي الانصاري ، وعلي بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر الدرعي ، وعمر بن أحمد الانصاري ، الغازي بن محمد بن عمر بن أحمد السنوسي الهرغي ، ومَحمد بن مهدي بن الغازي الجراري ، ومحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي الجزولي النجار الدرعي التمجروتي ، ومحمد الحساني الدرعي الدار ، ومحمد بن ابراهيم الجزولي النجار ، ومحمد بن أحمد بن ابراهيم الدادسي ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمرو بن عثمان ، وهو والد الشيخ مَحمد بن ناصر ، الشيخ سيدي مَحمد بن ناصر ، وعد المؤلف فيها أنه يؤلف تأليفا يسميه (بهجة المعاصر ، فيمن قرأ على الشيخ مَحمد بن ناصر) ، ومحمد بن الحسين الدرعي التمجروتي، و محمد بن أبي يحيى بن محمد بن فتوح التلمساني ، ومحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر ، ومحمد بن عبد المومن التزروتي الدرعي،

ومحمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين الورزازي التمجروتي ، تلاقى بالمرغيثي بمراكش وبولده ، ومحمد بن ناصر بن محمد بن علي ابن ناصر المراكشي المنشأ ، الدرعي الأصل ، وموسى بن عيسى الدرعي ، وأبو عمران الاسود من أهل الجانب الشرقي من مراكش ، مسعود بن محمد الفلالي الدرعي ، وموسى بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر والد المؤلف ، وميمونة بنت عمرو بن أحمد الانصارية ، ومريم بنت محمد الملقب حنيني بن محمد بن ناصر ، ويحيى بن أبي بكر الدرعي .

فرغ من تأليف هذا الكتاب في رابع عشر محرم سنة 1152 بالزاوية الناصرية ، وهذه النسخة نسخت في 22 شعبان عام 1155 ، وعليها خط ولد مؤلفها السيد موسى ، ووقفت على نسخة أخرى نسخت عام 1278 .

وذكر في كتابه (فتح الملك الناصر ، في اجازات مرويات بني ناصر) أن الشيخ ابراهيم بن علي بن محمد الدرعي السباعي المتوفي سنة 1138 ، أجاز والده الامام القدوة موسى بن محمد بن ناصر المتوفى سنة 1152 ، والشريف الفقيه السيد محمد بن عبد الله بن محمد الحوات ، والفقيه محمد بن عبد الكريم التدغي ، والفقيه الاريب الفاضل السيد جعفر بن موسى المذكور ، وصنوه السيد محمد الأصغر المدعو بالمكي، ولمن ولد ولمن سيولد لهم، إجازة عامة في يوم الخميس فاتح جمادى الأولى عام اثنين وثلاثين ومئة وألف، ويعني بقوله وصنوه إلى آخره ، جامع هذا التأليف المترجم ، وهي في أزيد من نحو كراسين اثنين ، ذكر فيها فهرسته وهو يروي عن أبي سالم العياشي ما في (اقتفاء الاثر) ، و (اتحاف رفيع الهمة ، بوصل أحاديث شفيع الأمة) ، لشيخه الامام ابراهيم الكوراني ، وثبت شيخه محي الدين عبد القادر بن مصطفى الصفوري ، وثبت شيخه المجيز له كتابة ابراهيم جعمان ، وروى صحيح البخاري من طريق أبي سالم ، ومن طريق الشيخة المسندة فاطمة بنت شكر الله الكورانية ، ومن طريق الشيخ عبد الباقي الزرقاني ، ومن طريق الشيخ محمد الخرشي ، والشيخ ابراهيم الشبراختي ، والشيخ عيسى الثعالبي ، والشيخ ابراهيم منصور الفتال ، والامام أبي عبد الله بن ناصر ، وشاركه في لقيا الامام ابن سعيد المرغيثي ، وناوله الشاطبية .

ومن شيوخه أيضا : الشيخ نـور الدين علي الشبراملسي ، ومـن شيوخه في القراءات : المقريء المشارك ، عبد الرحمان بن القاسم بن القاضي المكناسي ، وممن أجاز المترجم سيدي محمد المكي : العلامة سيدي محمد بن عبد الله الحوات المتقدم مع أخيه الفقيه سيدي أحمد ، كتبها لهمـا على أول ورقة من فهرسته الكبيرة الموسومة بـ (الشموس المشرقة ، في أسانيد المغاربة والمشارقة) بجميع ما اشتملت عليه ، وأجاز المترجم أيضا العلامة أحمد بن ابراهيم السباعي في 28 محرم سنة 1141 ، وحلاه بالشاب الارضى ، العالم العارف الموحد ، السيد محمد بن موسى بن محمد بن ناصر الناصري المقدادي الملقب بالمكي اجازة عامة ، وهو يروي عن الامام أحمد بن ناصر ما اشتملت عليه الفهارس ، وهذه الاجازة كلها مذكورة في (فتح الملك الناصر) المتقـدم .

قدم المترجم الى مدينة فاس سنة ثمان وخمسين ومئة وألف فأصابه بها مرض ، فتوسل الى الله تعالى في أبيات بمولانا ادريس رضي الله عنه ، فشفي ، ودخل مكناسة الزيتون واجتمع بقاضيها يوسف العميري ، وأوقفه على فهرسته ، فمدحها وطلب منه الاجازة ، فأجازه نظما كما ذكر ذلك فـي ذيل الفهرسة المذكورة ، وستأتي ترجمة والده سيدي موسى .

ونص ما حلاه به أبو القاسم في اجازته : الفقيه الأجل المرتضـى الناسك المبجل الناظم الناثر ، ذو المزايا الظاهرة المآثر ، المشارك المتفنن ، محمد المدعو المكي بن الصالح الناصح ، سيدي موسى الى آخره .

وقد ذكر المترجم أنه لقي بمراكش بمسجد علي بن يوسف صاحب (الصفوة) في صدر سنة احدى وخمسين ومئة وألف ، وقد وقفت على رحلته المسماة (الرياحين الوردية ، في الرحلة المراكشية) ، وكان ابتداؤها يوم الخميس 26 شعبان عام 1149 ، وذكر فيها من مؤلفاته : (الروض الزاهر ، في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه الاكابر) ، وقد وقفت عليه ، و (البرق الماطر ، في شرح النسيم العاطر) ، وهو شرح قصيدة اشتملت على 45 بيتاً، في مدح أحمد بن ناصر ، والتقى فيها بخطيب جامع الكتبيين الموقت العارف

الناسك المجاهد السيد الكامل ، ومولاي ابراهيم بن ادريس الحسني ، والرجل الصالح العلامة مَحمد المشهور بالدراوي الدرعي ، وأديب زمانه وفريد أوانه ، محمد المدعو بالصغير اليفرني ، وقاضي مراكش مَحمد المنبهي ، وأتم هذه الرحلة يوم الثلاثاء 8 من ذي الحجة عام 1149 ، وتوفي رحمه الله ...

751) محمد (الهاشمي) بن عبد الله اسكلانطو الأندلسي

محمد الهاشمي بن محمد بن عبد الله اسكلانطو ، الأندلسي الرباطي ، شاعر مصره .

كان رحمه الله فقيها علامة ، أديباً مدرساً، متصدرا للافتاء بالعدوتين ، أديباً حاذقاً مشاركاً متفنناً متقناً ، يقول الشعر ، ويكتب الرسائل البليغة ، فمن شعره ، قوله من الخفيف :

صاح عرج على ربوع المعالي ... ورياض ذوات ماء زلال
وتمتع بلثم ترب حماها ... وتذلل لحسن ذاك الدلال
ولتحيى جميع أهله فورا ... بسلام معنبر متوالى
ولتسل عن سراتهم فاذا ما ... شمته فلتحاك عني مقالي
شوقتني الاخبار عن حال خل ... قد غدا لابسا رداء جمال
ذا يد في القريض صاح ونثر ... لا يجارى ولا يبارى بحال
طاوعته القوافي طرا فأضحى ... مالكا لرقابها باتصال
شاع آدابه بشرق وغرب ... واستضاءت به جميع الليالي

وهي طويلة .

ومن كلامه أيضا من مخلع البسيط :

ظبى بحشو الفؤاد ... أعجز في الوصف كل قائل
وهو بأجفانه سباني ... وسحرها ينتمي لبابل
يرمي بسهم اللحاظ لما ... يرنو فيصمى الفؤاد عاجل
من فتن العقل قد تجنى ... علي حتى غدوت ذاهل

له قوام كخوط بـــــــان ... أو كالقنا السمهري عــــاذل
بدر بدا كامل المحاســـن ... في القلب والطرف عاد نــازل
قد أسر القلب في هـــواه ... بقيد حسن لجسمي شامـــل

وهي قصيدة بليغة ، مدح بها الولي الصالح أبا محمد صالحا لما حل بآسفي ، وله أخرى يمدحه بها ، وهو ممن قرظ على شرح محمد زنيبر السلوي على الهمزية ، وممن قرظ عليه أيضاً الولي الصالح سيدي المعطي بن الصالح ، وابن الطاهر الهواري ، وعمر الفاسي وغيرهم ، وقفت على بعضها بخطوطهم رحمهم الله .

وقال في (الاتحاف) :

ومنهم محمد الأندلســي ... يدعى لاسكلنط ذو تأنـــس
يسمى بهاشم بن عبـــد الله ... أخو جلالة وذو انتبــاه
علامة محاضر أديــــب ... مشارك رحالة عجيــــب
فكم له من نخب تستملـح ... وكم كمال لعلاه يشـــرح
وكم بيان فاق فيه الكبــرا ... وكم جمال زان فيه النظـــرا
ألف في الأسماء والاذكـــار ... وفي سواها غير ما اسطـــار
وكان مفتي العدوتين وقتـــه ... وقد أطال من أفاد نعتـــه
لكونه كان جليل الحـــال ... وأعمل الاسباب للترحـــال
لدا ربوع شيخه ابن ناصـــر ... ودام بالحوز جليل الخيـــر
قرّ هناك سبعة الأعـــوام ... يفيد في العلم وفي الاحكـــام
ثم غدا بعد الى مراكشــــا ... وفيها أكمل كتابا قد فشــــا
يعرف بالتوضيح وهو يشمـــل ... وصفا بتسبيح الصلاة يحمـــل
وبعد ذاك حل في ثغر ســـلا ... وكثرت أشعاره بين المـــلا
ثم قضى بعيد سبعين وألـــف ... ومئة وصار في أكمل وصـــف

انتهى .

وله شرح على (الغنيمة الناصرية) ، كما في ص 314 ج 1 من (طلعة المشتري) ، وبعض رسائله مذكورة في (الروض اليانع الفائح) ، وذكر الفقيه الجماع المعتني المقيد مَحمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد فتحاً الرباطي ، الملقب بالضعيف ، المتولد في زمن الصيف أواخر ذي حجة سنة 1165 خمس وستين ومئة وألف بمدينة الرباط ، أن المترجم كان بمراكش الحمراء عند مروره لزاوية أشياخه الناصريين أوائل ذي القعدة الحرام عام 1169 ، ومكث في حاحة مشارطاً سبع سنين .

752) **محمد (الحبيب) بن محمد الهلالي** ، أخو سيدي أحمد الحبيب بن محمد بن صالح بن أحمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عمر بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن يوسف بن صالح بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق الصديقي، السجلماسي، اللمطي، الفقيه العلامة ، دخل مراكش .

753) **محمد (الطاهر) بن علي بن عبد السلام** ، الفقيه الكاتب، العلامة الفاضل ، البليغ الأريب ، الشاعر الأديب ، كان من أماجد أهل عصره ، وأعيان علماء ثغره ومصره ، ولما ذيل صاحبه مَحمد بن عبد الله المغيلي السلَوي بيتي القاضي عياض وهما :

الله يعلم أني منذ لم أركم ... كطائر خانه ريش الجناحين
فلو قدرت ركبت الريح نحوكم ... لأن بعدكم عني جنا حيني

وأجابه بقوله :

سألته زورة قبل الرواح وكم ... له يواعدني بعد رواحين
ويحيي فان نواه اليوم أقلقني ... لذا ترى عاذلي فيه روا حيني

ووقف عليهما المترجم وأنشأ ما نصه :

زار الحبيب فخلت في زيارته ... جبينه ومحياه صباحين
لاحظته والحشا تذكو جوانحه ... عند الوداع وقد هبت صباحيني

وقال القاضي مَحمد زنيبر في شرحه للهمزية عند قول الناظم ، ونحى المصطفى المدينة الى آخره أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة ، خرجت ذوات الخدور للقائه صلى الله عليه وسلم ، وجعل النساء والصبيان والغلمان يقلن :

طلع البدر علينـــــــا من ثنيات الـــــــوداع
وجب الشكر علينـــــــا ما دعـــا لله داع

رواه الحاكم وزاد :

أيها المبعوث فينـــــــا جئت بالأمر المطـــــاع

الى أن قال : وذيل الابيات الثلاثة صاحبنا الفقيه الاجل سيدي مَحمد بن عبد الله المغيلي ، كان الله له وسدده ، فقال :

أفضل الأيام يـــــوم ذكره سول سماعـــــي
لما ان حل التهامـــــي طيبة ذات ارتفـــــاع

طلع البدر علينا الى آخره .

وقد ضمنهم أيضاً صاحبنا الفقيه الأديب سيدي الطاهر بن عبد السلام :

دائما عيني تراعـــــي أن ترى خيرَ البقـــــاع
وفؤادي ذو اشتيـــــاق وهيـــام وارتيـــــاع
ياربوعاً زادك اللــــــــــه ارتفاعاً في ارتفـــــاع
من قضى لي بافتـــــراق هو يقضي باجتمـــــاع
ان لي شوقاً عظيمـــــا مؤذنا لي بانصـــــداع
هل يوفي الله قصـــــدي وأرى خير البقـــــاع ؟
ويزيل الله بُعـــــدي وصدودي وانقطاعـــــي
جامعا شملي كعقـــــد زانه حسن ابتـــــداع

قاطعاً كل هضـــــــاب … ووهــاد وتــــــــلاع
ذاهباً مع خير ركـــــب … بمزاد ومتـــــــاع
في حفاظ وأمـــــان … واعتزاز وامتنـــــاع
سامعاً صوتا رخيمـــــا … مطربا أهل اليـــــراع
منشداً حين أرى مـــــن … طبعه خير الطبــــاع
طلع البدر علينـــــا … من ثنيات الــــوداع
وجب الشكر علينــــا … مــا دعـــــا لله داع
أيها المبعوث فينـــــا … جئت بالأمر المطـــاع
ياشفيع الخلق كن لـــــي … في نزوح ونــــزاع
وأرحني من خطــــوب … ضيقت مني اتساعــــي

انتهى .

وكان المترجم له اتصال بأمير المومنين سيدي محمد بن عبد الله ، ومن الفقهاء الذين يحضرون مجلسه ، وبعثه سفيرا الى الدولة العثمانية سنة 1175 خمس وسبعين ومئة وألف ، عنـد السلطان مصطفى العثماني بهـدية نفيسة ، ومعه السيد الطاهر بناني الرباطي ، فأحسنا السفارة ، وذكره ابن عاشر الحافي في ديوان شعر شيخه ابن عبد القادر التستاوتي ، ووصفه بقوله : أخونا الفقيه الاديب ، وذكر له أبياتا كما ذكر له في (تحفة الزائر) قصيدة في مدح الامام ابن عاشر ، من غرر القصائد .

قال الحافي في تحفته : ولصاحبنا الفقيه الأديب السيد الطاهر بـن عبد السلام كان الله لنا وله ، في ربيع الثاني عام خمسة وثلاثين ومئة وألف :

غزالا أفديه بسمعي وناظـــري … وكل الورى من كل راء وناظـــر
غزال مصيب كل صب اذا رنـــا … باسهم ألحاظ العيون الفواتـــر
تراقبه الأبصار حتى كأنـــه … هلال نشهر العيد من كل باصـــر
وقد لاح منه الشعر من فوق بانة … أرانا دجا ليل سبى في الغدائـــر
فأعلمته قد لاح أني متيــــم … وأني مشغوف بتلك الضفائـــر

يصبرني في كل وقت لقيتـــــه ... بوعد ولست اليوم عنه بصابـــر
ومن عجب أني سحرت بطرفـــه ... وأدعوه سحاراً وليس بساحـــر
وفي ثغره مهما تبسم ضاحكـــاً ... ثغور أقاح أو عقود الجواهـــر
نعم لي في بعدي له كل محـــزن ... نعم لي في قرباه خير البشائـــر
متى تسمح الأيام منه بـــزورة ... وأظفر في قصدي بخير التجائـر

أنتهى المقصود .

وله تقريظ على شرح زنيبر عام 1165 .

توفي رحمه الله بمراكش في حدود الثمانين ومئة وألف .

وقال في (الاتحاف) :

ومنهم المحاضر الأديـــــب ... الكاتب المبرز الأريـــــب
محمد الطاهر وهو بن علـــي ... ثم بن عبد السلام منجـــل
كان بعصر الملك المعظـــم ... منصور دولة العلاء الافخـــم
غدا جليسا كاتباً موجهـــا ... الى ملوك عصره منزهـــا
برع في العلم وفـــي الآداب ... وفي الدهاء بادي الاعجـــاب
سافر عنه لبلاد التـــرك ... في عصر مصطفى الجميل النسك
وحمل الهدية العظيمـــة ... ولم تزل معروفة فخيمـــة
ما بين أفراس وحلي وتحـــف ... ونخب جلت وفاقت الطـــرف
وكان من أهمّ ما له قصـــد ... جلب المدافع وأحكام العـــدد
بما به مصلحة الأسطـــول ... والعود بالخير وبالمأمـــول
وان يزال الحلي عن مصاحفـــا ... كانت لدى الحرام وقفاً شرفـــا
لما تعذر انتفاع الواقـــف ... بها وخيف من مآل التلـــف
وأن يعاد جلدها جديـــدا ... ويحصل النفع ولا مزيـــدا
وقيمة الحلى على الاشـــراف ... تفرق مع محاوج الاطـــراف
فاعمل النظر مصطفى وجـــل ... بتركها بحالها وقفا كمـــل
ثم اشترى مصاحفاً من بعدهـــا ... ووقفتْ يتلا بها لنفعهـــا

وجعل الثواب للذي وقـف ... أولها فأمنت من التلـف
وخاطب المولى بهذي المصلحـة ... وانها أعلا الآراء الناجحـة
تأدبا مع الرسول المصطفـى ... وحفظ آثار الجدود الشرفـا
ثمت عاد ثانيا سفيـرا ... في عهد نجل مصطفى ظهيـرا
لأجل ان يفتدي الاسـارى ... من كل أقطار لدى النصـارى
بمئتي ألف من الريـال ... مع ثلاثمئة من مالـي
وشاء من عبد الحميد أن يرا ... برأيه في فكها محـررا
فوجه التركي بسفن أربـع ... بمالطه لأجل فصل المنـزع
فتم الافتدا بذاك المـال ... وعظم الأجر بكل حـال
أنافت الأسرى على العشريـن ... من الألوف عددا مبينـا
ذكره مؤرخ تركـي ... جودة عثماني وذا حـري
وخاطب الصدر السفير هل يرى ... أميرك القرض لنفع غـزرا ؟
فقال يمكن له ما ترتضـي ... وليس يعتاض كهذا الغـرض
وكان من أمر غزير السلـف ... ما جل ذكره لعهد الخلـف
وكم لهذا الشيخ من سفـاره ... عادت بربح القطر والعمـاره
حج وزار ورأى المعالمـا ... وقيد الرحلة فيما ألهمـا
ونظم الشعر الجليل وكتـب ... من الرسائل جليلا ينتخـب
وكان ذا خط جليل يعـرف ... ومن صدور عصره مصـرف
له خزانة تبين عن طـرف ... وعيبة حوت كمالا وتحـف
ومات في مراكش يقينـا ... آخر عقد ثاني المئينـا
بعيد ألف وبها أبقى النخـب ... ولم يبين بعد الوفاة ما كتـب

754) **محمد بن عمران الرحماني المراكشي** ، كان وزيرا وخليفة عند السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، وحضر معه فتح البريجة عام اثنين وثمانين ومئة وألف كما فـي (الحلل البهيجة) ، كـان خليفته على مراكش ونواحيها ، وقفت على مكاتب تقتضي ذلك ، ودربه الى الآن يعرف بدرب ابن عمران في رياض الزيتون القديم ، وكان قائد مشور والده مولاي عبد الله كما

في (تاريخ الضعيف) . وسيأتي في ترجمة مولاي اليزيد أنه قبض على قاضي مراكش ، السيد عبد العزيز بن حمزة المطاعي المراكشي ، والهاشمي بن عمران وولده ، وأخيه التونسي بن عمران ، وأمين الدباغة الى آخره لما نقضوا بيعته .

755) محمد بن القاسم المراكشي

محمد بن القاسم بن محمد بن محمد بن سليمان المراكشي ، وقفت له على كتاب (الحلل البهيجة ، في فتح البريجة) ، وذكر فيه أنه حضر فتحها، قسم هذا الكتاب الذي هو في نحو ثلاثة كراريس من القالب الصغير الى مقدمة وخاتمة ، وجعل المقدمة ثلاثة أبواب : الأول في ذكر الملك وسيرته وأحواله في رعيتـه ، والثاني في خروجه مـن حضرة مراكش وقتال المسلمين مـع المشركين ، الثالث في دخول المهدومة وميناها وخدائعها ، والخاتمة في فضل الجهـاد .

وذكر في الكتاب الاول ، كتاب السلطان لنصارى البريجة ، يتضمن دعوتهم الى إعطاء الجزية ، وأن يجعل في وسطهم التجار وتكون البلد له ، والا فليخرجوا منه أو يقاتلهم لأنه مقبل اليهم ، فأجابه كبيرهم بالامتناع مما طلبه منهم السلطان ، وأنهم انما يبقون على ما وجدوا عليه آباءهم أو المقاتلة ، فأمر السلطان بالمرابطة عليها ، فأغلقوا بابها وجروا عليها السلاسل والاغلال .

وذكر في الباب الثاني أن السلطان خرج في جنده من مراكش ، في منتصف رمضان يوم الاثنين عند الزوال عام 1182 ، ووصل البريجة في اليوم السادس من خروجه من مراكش ، فشرع نصارى البريجة في أرسال المجانيق من أسوارها فتقع وراء المحلة ، فأمـر السلطان بضربهم بالكـور والبنب ، وهو شيء على قدر القدور ، مصنوع من سبعة معادن ، وزن كل واحدة يزيد على القنطار ، وبقي الرمي مسترسلا الى يوم عيد الفطر ، وأقبلت احدى عشرة سفينة من البحر لنصرتهم ، فاشتغل نصارى البريجة برمْي الكور والبنب ، فأمر السلطان بضربهم حتى فرت السفن في لجج البحر أياما ، ثم رجعوا ولم يقدروا على الدخول الى جهة المرسى مـن كثرة الصواعق التي تنزل فـوق

رؤوسهم من عند المسلمين ، وبقوا يمرون على وجه الماء أكثر من ثلاثين يوما، وغرق لهم أربعة زوارق ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ومات كبيرهم ، وتخربت القصور ، وسقطت الغرف .

وذكر في الثالث أنه لما تضايق الامر على النصارى من شدة الضرب ، والجوع ، والعطش ، والخوف ، وخراب حصنهم ، وهلاك أولادهم ، وهدم دورهم ، وموت كبيرهم ، وتشاوروا في أمرهم بتاريخ 27 شوال عامه ، طلبوا من السلطان الامان ، ووجه لهم وزيره الخليفة محمد بن عمران ووصيفه مسرور، فطلبوا الأمان حتى يخرجوا من الأرض والبلاد ، فرجع الوزير والوصيف الى السلطان وأخبراه بذلك، فأمنهم وأجلهم لاصلاح شأنهم ثلاثة أيام، فرجعا اليهم وأعلماهم بذلك فاخرجوا عيالهم وأنفسهم وما عز عليهم في عشية يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شوال المذكور .

فلما كان اليوم لثاني من ذي القعدة صباح يوم السبت ، لم يبق بالمهدية الا رجل واحد ، أخذه المسلمون وأتوا به للسلطان ، ويقال أنهم أبقوه ليوقد النار في المينات ، ومنعَهُم السلطان من الدخول اليها ، لأن الكفار أهل غدر ومكر ، وربما يجعلون فيها المينات ، وأرسل مناديا يقول : مَن مات منكم مات محارباً لنفسه ، فتأخر عن الدخول من أستجاب ، وأقدم على الدخول من لم يبال ، ووجدوا الباب مغلقا ، فجعلوا يطلعون فوق أسوار المدينة ، ففرقعت المينا تحت السور ، وقتل منهم ما يزيد على المئة ، ثم وقعت مينا أخرى من السور مثل الاولى ، وقتل من المسلمين ما لا يحصى ، وأضرَّ بهم الطمع ، فلما دخلوها لم يجدوا الا ما لا بال له ، فأمرهم السلطان أن يهدموها ويسموها بالمهدومة ، وبعد ذلك يبني فيها القباب ، ويشيد فيها القصور والمساجد ، ولما أراد الرجوع لمراكش ، جعل بالمهدومة قبيلتين من دكالة ، يقال لهم بنو ذويب ، واخوانهم أولاد حسين ، وملكهم إياها بحوزها ، وارتحل يوم الجمعة الثامن من ذي القعدة قاصدا زيارة الشيخ أبي شعيب السارية ، وزار في طريقه الشيخ الكامل ، والقطب الفاضل ، سيدي وعدود ، ثم نزل بقرب الولي الصالح سيدي عيسى بن مخلوف ، ثم دخل مراكل في ثالث عشر من الشهر المذكور ،

وزار الولي الصالح سيدي أبا العباس السبتي في دخوله، كما زاره وقت خروجه، ثم زار الشيخ الجزولي ، ثم زار بقية الصالحين ، وخرج الى باب دكالة ، ومنها الى قصره ، وأمر الطلبة أن يذكروا الله بهذا : الحمد لله ، والشكر لله ، ما خاب عبد قصد مولاه .

هذا ملخص مقاصد ذلك الكتاب من أوله الى آخره .

756) محمد بن عبد الله أكيك الكيكي

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان أكيك الكيكي ، العالم القدوة العلامة ، انتهت اليه رئاسة الفتاوي بالبلاد الدمناتية ، توفي في ليلة الثلاثاء من رجب عام خمسة وثمانين ومئة وألف .

ورثاه بعضهم بقوله :

خليلي تنبه فالمنايا سهامها	تطيش فتخطي تارة وتصيب
وللدهر فينا كل يوم عجائب	لها نفذ منها الشباب يشيب
مضى طاهر الأثواب أعنى محمدا	امام الفتاوي من عليه ينوب

قال في (الدرر المرصعة) : (عنوان الشرعة ، وبرهان الرفعة ، في تذييل أجوبة فقيه درعة)،أي أجوبة الفقيه الصالح المجتهد الناصح، محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الدرعي ، للفقيه العلامة سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان أكيك ، غفر الله لهما ورحمهما آمين .

أتمه في يوم الاثنين الرابع من شعبان عام 1167 سبعة وستين ومئة وألف ، بعد أن قال : بدأت هذه الطرر يوم الاثنين أوائل جمادى الاخيرة، قائلا: وقصدت بذلك التبرك باليوم الذي ولد فيه سيد الأولين والآخرين وسيد المؤمنين ، انتهى .

والتذييل المذكور في نحو أحد عشر كراسا من القالب الكبير ، وتوجد نسخة منه في الخزانة التناغملتية ، وله تآليف في حكم حوز القبائل

سماه (مواهب ذي الاجلال ، في نوازل البلاد السائبة والجبال) وحاشية على نوازل العباسي .

757) **محمد بن محمد ابن سنة العمري الفلاني** ، الشيخ المعمر ، المحقق المدقق ، العلامة المسند الفهامة ، والبركة المدخر .

أخذ عن محمد بن عبد الله الولاتي ، المدعو مولاي الشريف ، تلميذ سعيد بن ابراهيم قدورة ، وعن الشيخ محمد بن أحمد بن محمد بغيغ ، وعن الشيخين المعمرين الشيخ محمد سعيد سفر ، و الشيخ محمد بن عبد الله المدنيين ، وعن أحمد بن علي الشناوي ، وأخذ عن المترجم الشيخ صالح الفلاني ، ولا توجد الرواية عن ابن سنة من غير طريقه .

دخل مراكش كما في ثبت تلميذه المذكور الكبير ، وراجع ما كتبناه في ترجمة الشيخ صالح الفلاني القائل في ثبته الصغير المسمى (قطف الثمر ، في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر) في المترجم ، لم تر عينه مثله في جودة الفهم وقوة الحفظ ، والاجتهاد في العبادة ، وسرعة الحفظ ، والزهد في الدنيا ، انتهى .

وقال تلميذه المذكور في إجازة له : ان ابن سنة عمره مئة وخمسين سنة ، وانه توفي سنة 1186 ، انتهى .

والفلاني نسبة لفلانة كرمانة ، قبيلة من السودان يتصل نسبه بسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وسِنَّة بكسر السين كفضة ، وبلده وأرضه التي نشأ بها مسوف كتنور ، كما في (ثبت البجعوي) في الباب الرابع .

758) **محمد بن أحمد الحضيكي الجزولي**

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الجزولي قبيلا ، الحضيكي شهرة ، الشاذلي طريقة .

ولد رحمه الله عام ثمانية عشر ومئة وألف .

كان رحمه الله عديم النظير في زمانه ، ورعا ونزاهة وعلما ونباهة ، متبعاً للسنة ، أخذ في كل فن من فنون العلم بنصيب ، وضرب له فيها بسهم مصيب ، عارفاً بالسير والحديث ، وعلوم الحقائق والمعارف ، جمع بين شرفي العلم والولاية ، معرضا عن الدنيا ، وكان متجردا من الأسباب ، لا يعرف كيف يدخل فيها ومع ذلك كان يطعم الواردين في داره ، شديد الشكيمة على أهل البدع ، متبحراً محصلا ، بلغ الدرجة العليا في علم اللغة ، عارفاً بالتاريخ ، وكانت معه هيبة ، مآثره كثيرة وكراماته خطيرة .

أخذ عن عدة من الشيوخ ، كمحيي السنة أحمد الصوابي ، ومفتي البلاد السوسية أحمد العباسي ، وحكيم العلماء سيدي محمد بن يحيى الشبي، وعلى الأولين جل استفادته .

وارتحــل للمشرق فحــج وزار ، وله فهرسة ذكــر فيها شيوخــه وأسانيد هم وجهتهم ، وبه بدأ والد أحمد المذكور المتوفي سنة 1161 بالطاعون، ذهب بلوحه إلى الامام أحمد بن ناصر ،فبدأ له فيها ، وكان صحب والــده الشيخ ابن ناصر نيفا وعشرين سنة .

وثانيهم شيخه الــولي الصالح عبد الله بن أبــي إسحاق الكرسيفي المتوفي عام 1140 ، قرأ عليه كتاب الله من أوله إلى آخره مرارا ، وحفظه عليه ، و (أحكام العبادة) وغيرها ، وثالثهم الزاهد أحمد بن عبد الله الصوابي المتوفي سنة 1149 ، سمع منه المترجم صحيح البخاري خمس مرات فأكثر ، وتفسير ابن الجوزي مرة ، وتفسير الجلالين مرة ، وتنبيه ابن عباد على الحكم العطائية مرة ، وصغرى الامام السنوسي وشرحها له مرارا ، وكبراه مرة ، و (محصل المقاصد) نظم ابن زكري بشرح المنجور ، وشرح التمنارتي في النصف الأول، وكان يفضله على شرح المنجور ، وألفية ابن مالك بشرح المكودي ، والسلم مرتين ، وتصريف المكودي وغير ذلك . ورابعهم أحمد العباسي صحبه نحو خمس سنيــن ، وحضر عنده (مختصر خليــل) مرارا ، (والرسالــة) ، و (الألفية) ، و (التحفة) ، و (لامية الزقاق) ، و (الشمائل) ، وصحيح

البخاري خمس مرات ، وألفيتي العراقي في الاصطلاح ، و (السيرة) ، و (النفحات القدسية السنية) لابن باديس ، و (سكن الفوائد) للشيخ ابن وفا ، و (الأكمهية) للمراكشي ، و (عمدة الموثق) ، وغير ذلك من كتب الوثائق والفوائد ، وقيد عنه فوائد جمة . وخامسهم شيخ مشيخة الأزهر أحمد بن محمد العماوي المتوفي سنة 1155 ، حضر عليه بعض صحيح البخاري، وبعض شرح القسطلاني عليه . وسادسهم شيخ المالكية أحمد بن مصطفى الاسكندري المتوفي سنة 1163 ، حضر عنده (مختصر خليل) ، وسرد عليه شرح الخرشي كله ، و (مختصر الصحيح) لابن أبي جمرة ، و (الجامع الصغير) للسيوطي ، وغير ذلك ، وأجازه بيده . وسابعهم خاتمة علماء المغرب أحمد بن عبد الله الغربي المتوفي سنة 1178 . وثامنهم الشيخ سيدي محمد بن قاسم جسوس المتوفي سنة 1182 ، أجازه بيده . وتاسعهم العلامة أحمد بن عبد العزيز الهلالي المتوفي سنة 1175 . وعاشرهم المحدث مولاي ادريس العراقي المتوفي سنة 1185 ، وأجازه عامة بيده . والحادي عشر الفهامة سيدي محمد بن الحسن البناني ، وأجازه كذلك . والثاني عشر المحقق في المنقول والمعقول سيدي عمر بن عبد الله الفاسي المتوفي سنة 1188 ، وأجازه كذلك .

والثالث عشر علامة فاس وتطوان ، أحمد بن محمد الورزازي المتوفى سنة 1189 بتطوان ، وأجازه كذلك ، سمع منه كثيراً من (مختصر خليل) ، و (جمع الجوامع) ، و (ورقات امام الحرمين) كلها ، وغير ذلك ، وخدمه مدة اقامته بسوس الاقصى ، ونسخ له كتاب (المصباح) في علم البيان لابن مالك ، و (رحلة ابن بطوطة) ، وقال : انهما كتابان عز وجودهما .

والرابع عشر سيدي محمد بن الحسن الجنوي ، وأجازه كذلك .

والخامس عشر أبو الحسن الصعيدي، أجازه كذلك. والسادس عشر خاتمة قراء المغرب صالح شقيق سيدي أحمد الحبيب المتوفي سنة 1179 ، أجازه كذلك .

والسابع عشر ممن كتب له الاجازة ، الشيخ المعطى الشرقي ، صاحب (الذخيرة) المتوفي سنة 1180 .

والثامن عشر أبو مدين بن أحمد الفاسي ، المتوفي سنة ١١٨١ .

أخذ عن المترجم رحمه الله ، جماعة كثيرة من أجلهم : ابن عمر الأسغركيسي الآتية ترجمته ان شاء الله ، وسيأتي ما درسه فيها ، وله تآليف عدة ، منها (شرح الهمزية) للبوصيري ، و (شرح الرسالة) لابن أبي زيد في سفرين ، و (شرح بابت سعاد) ، و (شرح كتاب حلية الأنوار ، في أخبار دار القرار) ، وحاشية على كتاب (الغنيمة الناصرية) ، وتأليف صغير الحجم في الرد على ابن عزوز الرحماني ، وحاشية على شرح الشفا ، وشرح الطرفة ، واختصار الاصابة (١) لابن حجر ، واختصار القسطلاني على البخاري ، وحاشية على سيرة الكلاعي ، وتأليف في آداب المعلم والمتعلم ، وشرح نصيحة الامام زروق ، وشرح الشقراطيسية ، وكتاب في مناقب علماء وصلحاء سوس، المشهور بكتاب (الطبقات) ، وكتاب الرحلة الى الحرمين الشريفين ، وفهرسة في ذكر شيوخه وبعض أسانيدهم ، وتقاييد ومواعظ وأجوبة .

وقد وقفت على كناشة رحمه الله الذي تضمن اجازة سيدي عبد القادر الفاسي للعكاريين ، واجازة سيدي عمر الفاسي للحضيكي ، وفهرسة الحضيكي ، وهي كراس واحد ، ثم عدة نسخ منها أيضا احداها في أسانيد الكتب ، وأجاز تلامذته وسماهم ، والأخرى عرف فيها بأشياخه ، ثم أسماء الكتب التي كانت في خزانته ورقتين ، ثم اجازة أحمد الهلالي له ، وكناه بأبي الوفاء ، وأبي المودة ، ويعرف الحضيكي بالآيسي ، لأنه كان نازلا آيسي زاوية بسوس ، ثم فهرسة الهلالي ، ثم اجازة سيدي ادريس الحافظ له ، ثم اجازة جسوس ، والغزي ، وأبي مدين ، وأحمد الورزازي وفهرسته ، واجاز الحضيكي لأولاده أحمد والحسين ، إجازة عامة بخط يده من غير وضع اسمه ، وأجازهم أيضاً بمثله سيدي محمد بن الحسين ، وفهرسة العياشي ، ثم اجازة الجنوي له ، ثم فهرسة البناني واجازته له ، ثم تأليف في المد والقراءة ، ثم اجازة سيدي صالح له ، وثبت الصعيدي واجازته له ، ثم اجازة العماوي له ،

---

١) يوجد هو وشرحه على المختصر الخليلي بخزانة دار المخزن بفاس (مؤلف)

وأحمد الأسكندري ، وفهرسة ابن عبد السلام بناني ، وإجازة سيدي محمد المعطى الشرقي له في قراءة كتاب (الذخيرة) ، وإجازة أبي سالم للشريف المجيلدي ، وسلسلة سيدي أحمد بن عبد الصادق الرتبي ، وورقة بخط سيدي محمد المكي بن بلقاسم العميري يخبره بأشياخ والده ، وأن سيدي الحسن بن رحال قرأ على جده سيدي سعيد ، ثم تأليف الهلالي في المد الطبيعي ، و (قرى العجلان ، على اجازة الأحبة والأخوان) لأحمد أحزي ، واجازة سيدي عبد الله الووكدمتي أمام مراكش لأحمد الصوابي ، ثم تعريف عبد الله الهاروشي بشيخه سيدي أحمد بن محمد بن جابر المتوفى سنة 1237 ثم العارف سيدي محمد العياشي ، ثم سلسلة سيدي محمد بن عبد الله الرجراجي في صحيح البخاري ، عن المرغيثي ، عن ابن طاهر ، عن القصار ، عن خروف بسنده الى البخاري ، الذي قال فيه الرجراجي المذكور : هذا السند أعلا سند دخل أرض المغرب ، وجميع اجازات أشياخ الحضيكي له فيه بخطوطهم .

توفي المترجم رحمه الله في ليلة السبت ، عند العشاء التاسعة عشرة من رجب الفرد عام تسعة وثمانين ومئة وألف . كما قرأته بخط ولد المترجم أحمد على ظهر حاشية والده على البخاري التي صدرها بقوله : هذه (أنوار ارشاد الساري) ، و (معونة القاري) ، وكتاب (المناقب) ، للمؤلف المترجم فيها نحو أثني عشر كراسا من القالب الكبير ، لم يجعل لها خطبة ولا خاتمة ، وختم التراجم بسيدي يبورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي المتوفي سنة ثمانية وخمسين وألف .

ومن تلامذته : سيدي سليمان الناصري ، قال في كتابه (اتحاف الخل المعاصر) ما نصه : ومنهم شيخنا الفقيه ذو الأسرار والكرامات والمواهب والبركات ، سيدي محمد بن أحمد الحضيكي نزيل فم أيمي ، وهو من أعظم من أحدث عنهم ، انتهى .

وألف في المترجم عبد الرحمان الجشتيمي ، تلميذ تلامذة المترجم تاليفا في ذكر مناقبه وتلامذته ومـن عاصرهم ، وذكر فيه مـن تآليفه كتاب (المناقب) ، ذكر فيـه الاكابر المشاهير ، واستوعب فيه جميـع أشياخه وأشياخهم من أهل المشرق والمغرب .

759) **محمد بن أحمد بن العربي** الرجراجي أصلا ، المراكشي مولدا ووطنا ، كان خيراً دينا بركة ، ورعا زاهدا صوفيا ، متبركا به في حياته وبعد مماته ، رقيق القلب كثير البكاء ، وكـان خطيباً بمسجد هيلانة ، أخذ عنـه الامام السكياطي المتوفي سنة 1244 ، ومات رحمه الله بمراكش ، ودفن بصحن مسجده ، ومدرسته المعروفة له هناك بباب داره ، في حومة باب هيلانة أحد أبواب مراكش .

ترجمه في (اتحاف الخل المواطي ، ببعض مناقب الامام السكياطي)، والدرب الذي دفن به يقال له : درب بوطبول ، وتقدم ذكر والده المتوفـي عـام 1185 .

760) **محمد بن الطيب سكيرج الفاسي** ، كان من كتاب حضرة السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي المعتبرين فـي الانشاء والترسيل ، وذكـره سيدي سليمان فـي (الروضة المقصودة) ، وحـلاه بخاتمة أهـل الأدب ، الذي كانت قريحته ننسل في البلاغة من كل حدب ، يتيمة الدهـر ، فـي سلوك جواهر الفخر ، عند ترجمة سيدي محمد جسوس شيخه في الـبـاب الرابع ، ورأيت بخطه أنه زار سيدي بوعلي دفين قرب صفرو ، مع شيخـه سيدي محمد بن الحسن بناني ، ومدحه بقصيدة دالية بناها على بيت شيخه المذكور عام (1174) أربعة وسبعين ومئة وألف .

توفي رحمه الله عام 1194 أربعة وتسعين ومئة وألف .

واسم جده عبد القادر بن الحاج حمو ، له زجر في العروض ، شرحه أحمد بن الحاج العياشي بن الحاج عبد الرحمان بن الحاج البرنوصي بن الحاج

محمد بن الحاج أحمد بن حمو سكيرج ، وأرخ تمامه باسم منهل 125 ،الورود 247 ، الصافي 182 ، والهدى 47 من 90 ، فتح 388 ، الكافي 142 المجموع 1321 ، اشتمل جمل اسم التأليف على تاريخ اتمامه من غير تحريف ، يوم عرفة ليلة العيد السعيد .

761) محمد بن ابراهيم المهدي

محمد بن أبراهيم بن عامر الحميري المراكشي المقريء ، ويعرف بالمهـــدي .

قال فيه الشيخ مرتضى في معجمه ما نصه : فاضل مستعد ، ورد علينا حاجاً في سنة 1194 ، وسمع مني الأولية ، والمسلسل بالمصافحة والمشابكة، ويقول كل راو أني أحبك ، فقل : وكان ذلك في أواخر شوال منها ، وتأخر من الحج فلازمني كثيراً فيما يقرأ علي بمنزلي ، وكتبت له الاجازة ، وهو الآن في بلده يثني عليه بخير ، انتهى .

762) محمد (المجيدري) بن حبيب الله اليعقوبي

محمد ويعرف بالمجيدري بن حبيب الله اليعقوبي ، من قبيلة اد يقب ويقال لهم : اليعقوبيون ، ينتهي نسبه الى سيدنا جعفر بن أبي طالب .

قال في (الوسيط) : هو العالم الوحيد ، الذي ما له من نديد ، قيل إنه أحد أربعة لم يبلغ أحد في ذلك العصر مبلغهم ، وهم ابن رازگة المترجم أول الكتاب (1) ثم ابن الحاج ابراهيم الذي تقدمت ترجمته أيضا (2) ومحمد اليدالى (3) الآتي في موضعه هكذا قالوا .

وكان المختار بن بون أحق بكونه في موضعه ، لأنه أستاذه ، ولأن المحققين يقولون : ان الحق مع ابن بون في المسائل التي خالفه فيها ، ولا

1) انظر عنه **الوسيط** ص 1 .

2) انظر عنه **الوسيط** ص 37 .

3) انظر عنه **الوسيط** ص 223 .

شك أنه كان من العلماء الاجلاء ، وكان أعظم تلامذة ابن بون من اليعقوبيين ، ثم وقعت بينهما وحشة شديدة حتى تألبوا عليه كلهم ، وكان ابن بون يذكره في أشعاره بما كـان يعاني من نصيحته ، فمـا أقاد ذلك ، ومات فـي حياة المختار بن بون ، فقال قصيدة مطلعها :

أودى الضلال الا فليفرح الجـذلا من عاش بعد مضل شاقق الرسلا

فنقضها مولود المتقدم بقصيدة مطلعها :

أودى الكمال ألا فليفرح الجـذلا من لا يموت ومن لا ينقضي أجـلا

وقد ألف العلامة محنض بابا بن عبيد الديماني رسالة في تضليه ، وهذا لا يقدح فيه لما هو مشهور عند العلماء من قديم .

واتصل بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله ، ونال الحظـوة عنده ، ورحل الى المشرق ، وأكرمه أمير مصر ، وبالجملة فقد كان غاية في الفهم ، ويكفيه أن الصالح الصوفي سيدي أحمد بن ادريس الفاسي تلميذه ورجع الى أرضه ، ومات بموضع يقال له بير ايكْن بهمزة وياء ساكنة ، وكاف ساكنة معقودة ونون مكسورة .

ولم أحفظ من شعره شيئاً ، وانما رويت له أبياتاً فيما ورد من كلام العرب على فاعول ولامه سين وهي :

خذ ما أتى وزن عاعول وآخـره سين فمنه لداء الظفر داحـوس
وقيل للنار ماموس وموضعهـا أيضا كذاك وبعض الطير طاووس
وللنصارى بأوقات الصلاة يـرى ضرب لعود وذاك العود ناقـوس
ومظلم الليل داموس وصاحب سر ر الشر والخير جاسوس وحاسوس
وللأخير بناموس مرادفـة وللعواقل في الحيات فاعـوس
وذو النمامة فانوس وفي بقـر نوع يقال له بمصر جامـوس
والبحر معظمه القاموس عندهـم وللرضيع من الأطفال بابـوس
ووزن فاعلة من دب متسـم بها اسمها عندهم فاحفظه عاطوس

وله في الموشح يتذكر بلاده وأصحابه لما كان في المشرق ، وهذا النوع يسيمه أهل الصحراء الغناء بالعربية ، وقد تقدم تعريف الغناء العادي عنـدهـم :

يامن يرى ولا يُـــــــرى ... عني الكروب نفّـــــــس
لقد نفى عني الكـــــــرى ... شوقي لأهلي تيـــــرس
واجعل لأمر عسُــــــرا ... يسرا بلا تعكـــــس
لهفي عليهم نبـــــــلا ... مهذبيـن فضـــــــلا
ان قيس معبد علـــــــى ... غريدهم كالأخـــــرس
أو قيس سحبان علـــــى ... بليغهم لم ينبـــــس
حب المهيمن جـــــــرى ... في الدم منهم وســـــرى
وامتثلوا ما أمـــــــرا ... به أجل قبـــــــس
واجتنبوا ما حظـــــــر ... من خبث ورجـــــس
منزلهم رحبُ الــــذُّرى ... وكومهم شم الـــــذُرى
فاقوْا جميعَ مَن قـــــرى ... وحطٌ بالأبَاخِـــــس
هم كرام ذي الــــــورى ... هم ثمال البائـــــس

انتهى (1) .

وقال في ترجمة سيدي عبد الله العلوي ما نصه : وكان السلطان ، يعني سيدي محمد بن عبد الله العلوي عالماً ويجلُ العلماء فلما ذاكره أعجب به وصار لا يصبر عن مذاكرته ، فسأله بعد تسع سنين عن نسبه ، فأخبره بأنه علوي وبين له ، فقال : سبحان الله ، أنت معنا منذ تسع سنين لم تذكر لنا نسبك يوماً ! وفلان أتعبنا بنسبه ، يعني المجيدري اليعقوبي ، وكان جعفرياً ، انتهـى .

وقال عند الكلام على المكاتبة في أرض شنكيط ما نصه : المكاتبـة عندهم أكثر أحوالها أن لا تـكون متكلفة ، الا اذا كانت فيها تعمية كما وقـع

---

1) **الوسيط** ص 214

للمجيدري وكان بمراكش ، فبعث إلى أهله مع شخص سلهاماً ، أي برنساً وزربية ، وكان غير مطمئن عليهما من جهة حاملهما ، وعادة الكتب عندهم أن لا تكون في ظروف ، فكتب مع حاملها سلام بزيادة لام ماء الى لامه ، واحدى خبر كأن ، في قول الشاعر : ترديت الى آخر كلامه ، فلام سلام لامه الهجائي ، ولام ماء المراد لامه وزنا ، فماء أصله موه بدليل مياه ، واذا قرنت لام ماء الى لام سلام ، يصير اللفظ سلهاماً ، وأشار بقولـه : أحدى خبر كان الى قـول الشاعـر :

ترديت من ألوان نور كأنهـــا زرابي وانهلت عليك الرواعـــد

فزرابي في البيت خبر كأن ، واحدى زرابي زربية .

763) **محمد بن عبد الرحمان العمراني المراكشي**، دفين فحل الزفريتي بالقصور ، المعروف الآن بسيدي عبد الرحمان ، كان رحمه الله عالماً فاضلا ، مشاركاً مقرئاً ، وكانت له زاوية بأبي الجعد ، مدفن والده عبد الرحمان ، وكان يدرس العلم بها ، وله أتباع ، ولعائلته هناك درب يقال له درب الشرفاء بأبي الجعد ، وكانت له مؤاخاة مع الشرقيين .

ورد المترجم مراكش لاستخلاص أمة له أهديت لسيدي محمد بـن عبد الله ، فيحكى أنه أخذ عنه السلطان المذكور ، بعد اختباره في جميع العلوم، وكان يقرأ معه في مدرسة مسجد بريمة ، وكان يخطب به فيه ، وبعده خطب فيه ولده مولاي الحسن ، وبعده ابنه مولاي المكي القاضي ، ووقفت على كتاب فيه امضاء أحمد بن محمد بن بونافع ، يخاطب فيه السلطان مولاي سليمان ويقول له : ان بعض الطلبة الواردين معه لمراكش من فاس ، بعضهم أنزله سيدنا عند القاضي ، وعند الناظر وغيره ، وطلب منه انزاله كذلك لانه انمـا يبيت عند بعض الطلبة الذين شرع معهم في القراءة للألفية ، فكتب له علـى ظهرها أنه أنزله عند الشريف القاضي قائلا : ابن محبنا بن شيخنا ومحب والدنا ، الاستاذ العلامة البركة سيدي محمد بن عبد الرحمان .

كما وقفت على ظهير شريف مؤرخ في 2 ذي القعدة عام 1204 في صدره .

من عبد الله تعالى أمير المؤمنين محمد اليزيد المهدي الحسني أيده الله ونصره ، نص فيه على تجديد ما بأيدي السادات الشرفاء الأجلة أولاد الفقيه الأستاذ السيد محمد بن عبد الرحمان الشريف العمراني ، وعمهم الفقيه العالم السيد الطاهر ، وأخيه الفقيه السيد محمد ، وأخيهما الطالب السيد إدريس ، وأولاده من التوقير والاحترام .

كما وقفت على تجديد الظهائر المذكورة لمولانا الحسن بتاريخ 15 شعبان عام 1304 ، ذكر فيه ماسكه الشريف السيد محمد بن المكي الباعمراني، وبعده تجديد مولاي عبد العزيز لهذا الظهير الاخير ، مؤرخ في 26 حجة الحرام عام 1313 .

ووقفت على ظهير آخر سعدي يتضمن التوقير لحملته ، السيد موسى أبي عمران الى آخره ، وموسى أبو عمران ، هو بن علي بن يوسف بن ابراهيم بن يونس بن أحمد بن يحيى بن عبد العزيز بن عبد الله بن أحمد بن داوود بن يحيى بن سعيد بن أحمد بن يوسف بن حروش بن عبد الرحمان أبي القاسم بن يحيى بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمران بن أدريس بن ادريس ، وعمران قبره ببادس .

764) **محمد بن علي المنبهي** ، من أيمة مراكش في القرن الثاني عشر، أخذ عنه أحمد العباسي ، صاحب النوازل المشهورة ، وذكره الأسغركيسي في الفهرسة ، وسيأتي ذكر أخيه سيدي الحسن .

وقال الناصري في (الرحلة المراكشية) : خرجنا لصلاة العيد خارج باب الرب بمصلى مولانا المنصور، وجاء أمير المدينة بأبَّهة ملوكية، وصلى القاضي محمد المنبهي وخطب خطبة بليغة ، ثم قال : وجاءني رسول القاضي المذكور وأنا بدار مولانا إبراهيم يستدعيني لداره ، فسرت على بركة الله ، فلما وصلنا داره أدخلنا الى قبة وسطها ، وجماعة من الاخوان نحو الثلاثين ، ومرخى عليها بالستور ، وأطعمنا بأنواع الأطعمة جزاه الله خيراً ، وعظم له أجراً ، انتهى .

وقد وقفت على فتاوي المترجم ، التي جمعها تلميذه علي بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمان البوسعيدي العيسي ، وحلاه فيها بالامام ، علم الأعلام ، وفخر خطباء الاسلام ، الناقد النحرير والعمدة الكبير ، ذي الأنظار السديدة ، والكشف عن المسائل الدقيقة الغريبة ، ومن جملة ما فيها : قضية رد فيها على فتوى سيدي الحسن بن رحال ، في نقض حكم قاضي مراكش ، سماه (بلوغ المنى والمطلوب ، في تصحيح الحكم الواقع بين التجموعتي والفقيه ابن يعقوب) ، وكتب في الطرة : ثم راجعه أبو علي وسمى تلك المراجعة (نيل المرغوب ، بمسألة ابن يعقوب) أبدأ فيها وأعاد ، وأحسن وأجاد ، رحم الله الجميع بمنه .

قاله كاتبه محمد المطيع ، انتهى .

وكان ذلك سنة 1131 ، وكان والي المدينة اذذاك الباشا غازي بن أحمد ، فبعث الى أهل فاس ، وصوبوا فتوى المنبهي ، منهم الامام المسناوي ، وسيدي العربي بردلة .

765) **محمد بن عبد الله الهلالي الزغنغي** ، بفتح الزاي والغين وسكون النون ، الملقب بالمراكشي ، كان رحمه الله من فقهاء وقته ، المدرسين من تلامذة الشيخ الحضيكي ، حج مع والد عبد الرحمان الجشتيمي ، فمات في طريق الحج قافلا ، وهو الذي كتب تاريخ والد الجشتيمي في جمادى الأولى عام 1198 .

ذكره عبد الرحمان المذكور (1) .

766) **محمد ابن الشاهد** ، العالم المحدث المدرس النفاع ، قال في (الترجمانة الكبرى) : ولما ولي سيدي محمد بن عبد الله ، نقل المحدثين من فاس ومكناسة وفرقهم على مساجد مراكش ، وصاروا يدرسون بها

---

1) ذكر المؤلف بعد هذا محمد العربي قادوس وزير السلطان سيدى محمد بن عبد الله منبها على انه ذكره هنا لان العربي في الأصل لقب محمد ، واحال على اسم العربي في حرف العين ، وقد حذفنا ذلك ليلا يقع التباس ، ينظر اسمه في حرف العين

ويحضرون مجلسه السعيد ، منهم : العلامة الشريف مولاي عبد الله المنجرة ، والشيخ محمد بن عبد الرحمان ، والسيد أحمد بن عثمان ، والسيد محمد بن الشاهد ، والسيد الطاهر السلوي ، والسيد الطاهر بن عبد السلام .

767) **محمد بن الحسن الجنوي الحسني** ، العلامة المتفنن ، المشهود له باجماع أهل عصره بالتحقيق ، دفين مراكش .

قال الشيخ الرهوني في حاشيته على الزرقاني : وأما الجنوي فهو الامام العلامة المتفنن الورع ، الصالح العارف بالله تعالى ، سيدي مَحمد بن الحسن الجنوي الحسني ، ولد بمدشر أزجن قرب حجر الشرفاء من قبيلة سُماته ، في شهر الله رجب الفرد الحرام سنة خمس وثلاثين ومئة وألف ، ونشأ هناك حتى قرأ القرآن ، ثم رحل لطلب العلم ، فقرأ بالقصر الكبير على الامام العلامة المشارك سيدي التهامي أبي الخارف الحسني وغيره، وقرأ بتازروت العلمية زاوية السادات الشرفاء أولاد ابن ريسون ، أهل الفضل الواضح ، وبيت الصلاح الناصح ، على العلامة المفتي النوازلي ، قاضي الحرم العلمي سيدي المجذوب بن عبد الحميد الحسني ، وقرأ بتطوان على الشيخ الامام العلامة ، المشارك المحقق الورع سيدي أحمد الورزازي وغيره ، وأخذ بفاس عن شيخ الجماعة في وقته سيدي محمد جسوس ، وعن الامام العلامة المشارك الفهامة ، سيدي عمر الفاسي ، وعن التاودي ، وكان في طلبه العلم ، عظيم الاعتناء به ، حفظا وفهما ومطالعة وتقييداً ، حتى مهر فيه وصار أماماً في كل فن ، شهد له بذلك أشياخه وغيرهم ، ولقد رأيت التاودي يسأل عن المسائل بحضرته ، فيكل الجواب إليه ، فيجيب على البديهة أحسن جواب ، ولقد قدم التاودي مرة تطوان وأنا بها ، فحضرت معه ليلة في دار بعض شيوخنا ، ومعه شيخنا الجنوي وجماعة من الفقهاء، فقال التاودي : سألني بعض الناس وأنا راجع من المشرق عن آية كذا ، سماها اذذاك ونسيتها الآن ، فلم أدر ما أقول له، فهل على بالكم فيها شيء ؟ فأجابه شيخنا الجنوي على البديهة، قال له فيها ثلاثة أقوال للمفسرين ، المشهور منها كذا كما في ابن جزي ، فطلب التاودي ابن جزي فأحضر في الحين ، فنظروه فوجدوا الامر كما قال ،

وهكذا كان دأبه رضي الله عنـــه ، علمه معه أين ما كـــان ، وكان فـــي تدريسه لا يقتصر على شرح معين ، بل يطالع ما أمكنه من الشروح والحواشي، ويراجع المسائل فـــي أصولها ، ويعارض بيـــن النقول ويبين المردود منهـــا والمقبول ، هكذا كان دأبه في التفسير والحديث ، والكلام والفقه والاصول ، والنحو والبيان والمنطق والتصوف ، موصوفاً بالتحقيق والاتقان عند الخاص والعام ، مرجوعاً اليه في المعضلات العظام ، مقدما في كل فن ، وخصوصا في النوازل والاحكام ، لا يكاد يخالف فتواه أحد من القضاة والحكام ، مع مروءة تامة ودين متين ، وخوف من الله عظيم ، وورع جسيم لا يخالف فعله قوله في شدة ولا رخاء ، ولا يختلف في صلاحه ومعرفته اثنان من الصلحاء، ولقد سمعت العلامة قاضي الحضرة الادريسية في وقته سيدي عبد القادر بوخريص رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه ، يقول أو بلغني عنه ممن سمعه من الثقات : كان يمثل للمبرز في الصدر الأول بسيدنا عمر بن عبد العزيز ، وبعد ذلك بأبي محمد صالح، ويمثل له اليوم بسيدي محمد بن الحسن الجنوي ، وكلامه هذا موافق في المعنى لقول جسوس فيه : انه وحيد زمانه وفريد عصره وأوانه علما وعملا ، ويأتي كلامه بتمامه ، وكان يخفي صلاحه كثيرا .

ومما كاشفنا به مرة وهو ملازم بوزان ، وكـــانت الاسئلة والرسوم ترد عليه كثيراً ، وكنت أنا خديمه ومتولي أمره بأذنه ، أنه قال لي : اصحابنا الذين كانوا معنا اما أن تأخذ الاجرة من أرباب الرسوم ، واما أن تتركنا نتولى أمرها ، وكان رضي الله عنه لا يأخذ على ذلك أجرا ، فقلت لهم : أنا لا آخذ من أحد شيئاً ، وان أردتم أن تتولوا ذلك بأنفسكم فافعلوا ، ونحن في مكاننا ليس معنا أحد ، ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى ، فلما اجتمعنا معه رضي الله عنه على الطعام ، قال لنا من غير تقدم كلام : أني حين كنت ملازما هنا قبل هذا، كان رجل يدخل لي الرسوم من عند الناس ويخرجها لهم ، وكنت أحبه ظنـــاً مني أنه كان يفعل ذلك لوجه الله تعالى ، حتى علمت بعد ذلك أنه كان يفعل ذلك ليأخذ منهم الدراهم ، فسقط من عيني وتركته ، فخجل أصحابنا خجلا شديداً ، وعلمنا أن ذلك مكاشفة لا شك فيها ، وقد حدثني بعض رفقائنا في

الطلب ، وأحبائنا من خيار تلامذته الثقات وأعلمهم أنه كان يوماً بالمسجد ، فجاءه بعض الناس وجعل يتكلم معه على علم الكمياء ويظهر له أنه عارف بها ، وطلب منه أن يهيىء له من الدراهم ما يتوصل به الى فعله إياها ،.فاذا به رضي الله عنه قد دخل المسجد في وقت لم يكن يأتي اليه فيه ، فصلى ركعتين الى سارية قريبة منهما ، ثم قال لتلميذه المذكور : ان فلانا كان اشتغل بعلم الكيمياء ، فلم يحصل منها على طائل ، ثم أخذ نعليه وخرج من المسجد في حينه وتركه ، فلم يشك أنها مكاشفة .

وكان ذا سخاء عظيم، مضيافاً محبا للمساكين، محسناً اليهم، وكان في أول أمره منقبضاً عن السلطان جداً، لا يرسل اليه ولا يراسله، الى أن سأل مرة أمير المؤمنين وناصر الملة والدين، السلطان الجليل ذو الشرف الأثيل، مولانا محمداً بن أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن أمير المؤمنين مولانا اسماعيل التاودي عن فقهاء الوقت ، فذكره وأثنى عليه بين يديه ثناء كثيراً ، فأرسل وراءه وهو اذذاك ملازم بوزان ، فذهب مع بعض أعوانه من هناك ، فلقيه بمكناسة الزيتون ، فأمره بسكناها بقصد التدريس بها ، فلم يجد من امتثال أمره المطاع بدأ ، فسكنها مدة ثم نقله الى ثغر طنجة ، فأقام بها مدة ثم نقله الى تطوان ، وقد زعم بعض الناس ممن لم يطلع على أحواله بعد مخالطته للسلطان ، أو أطلع وغلب عليه الحسد ووسوسة الشيطان ، انه تغير حاله مما كان يقبله منه من المال ، وليس الأمر كما قيل ، فلم ينقص من ورعه وصلاحه شيء ، بل كان ذاك تجربة له وامتحاناً ، ودليلا واضحاً على كمال دينه وورعه وبرهاناً ، وعند الامتحان يعز المرء أو يهان ، ولقد صحبناه قبل المخالطة وبعدها مدة طويلة ، سفرا وحضرا ، وصحة ومرضاً ، ورخاء وشدة ، فلم نر منه ما يوجب في دينه ثلما ولا ما يلحق به وصما ، وقد وجدت بخطه وناولنيه ، فكتبته باذنه ما نصه :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

يتفضل سيدنا علامة الزمان ، ووحيد الأوان ، فريد عصره ، ووحيد مصره ، الهمام الأسنى المحترم ، ذو الشمائل المرضية ، والاحوال السنية ،

شيخ الجماعة بفاس ، شيخنا وسيدنا محمد بـن قاسم جسوس ، جعلنا الله واياه من أهل وده ، ومتعنا واياه بأنسه ، بالاجازة لهذا المذنب الفقير الى عفو ربه ، المترامي على أبوابه وان لم يكن لذلك أهلا ، محمد بن الحسن الجنوي في جميع مسموعاتكم ومروياتكم ومقروآتكم ، عسى الله أن ينشر نفحات الرحمة من تلك السلسلة ، وأن تهب علينا من جهتكم ريح طيبة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه .

ثم أختم استدعائي بأزكى السلام عليك وأكمله منشدا قول الشاعر :

بقيت بقاء الدهر ياكهف أهلـــه

والســلام .

ومقيدا أسفل هذا بخط العلامة المستدعى ما نصه :

الحمد لله الكبير المتعال ، الموصوف بجميع صفات الجمال والجلال ، والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيدنا ومولانا محمد ذروة الكمال ، وخاتم الأنبياء والأرسال ، وقدوة جميع الأولياء والعلماء وسائر أهل الفضل والافضـــال .

وبعد ، فان من المعلوم المقرر ، أن أجهل الناس من ترك يقين مـا عنده لظن ما عند الناس ، فلولا ما غطى الله سبحانه وستر ، ما يعلمه منا من العجز والبجر ، ما ظن الرائي لنا الجميل فأثنى وشكر ، فنسأله سبحانه أن لا يسلبنا ما عودنا من فضله ، وأن لا يقطع عنا مـا خولنا مـن جميل ستره وطوله ، وان يجعلنا فوق ما يظنون ، وأن لا يؤاخذنا بما يقولون ، وأن يغفر لنا ما لا يعلمون .

ولله در القائل :

ولست بأهل أن أجيز وإنمـــــا قضى الوقت يرقى الدون مرقى الاكابر

ومع هذا فالضرب بالطوب، خير" وأحسن من الهروب، فنقول: وعلى الله الاعتماد ، ومن فيض كرمه الاستمداد ، قد أجزت هذا الامام ، العلامة الهمام ،

وحيد زمانه ، وفريد عصره وأوانه ، علما وعملا ، الشريف المنيف ، مولانا محمد بن مولانا الحسن الجنوي الحسني المذكور أعلاه ، في جميع مسموعاتي ومروياتي ومقروآتي ، وجميع ما تجوز عني روايته ، وتصح لي وتنسب الى درايته ، من معقول ومنقول ، وفروع وأصول ، اجازة تامة مطلقة، عامة بشرطها المألف ، وعلى سننه المعروف ، بحق أخذي لذلك كله قراءة وإجازة ، عن أعلام الشيوخ وجهابذه الرسوخ ، كالشيخ الشهير العالم الكبير ، شيخ المشايخ سيدي محمد بن مولانا عبد القادر الفاسي ، وكالشيخ الجليل آخر قضاة العدل، العلامة سيدي العربي بردلة ، وكالامام الجليل ، الماجد الأثيل ، العلامة سيدي محمد نجل الامام الشهير سيدي محمد بن أحمد ميارة ، صاحب التآليف العديدة والتقاييد المفيدة ، وكابن عمنا الامام العلامة المحدث الصوفي ، الذي لم تأخذه في الله لومة لائم ، سيدي عبد السلام بن حمدون جسوس، وكامام الفصحاء، وذروة البلغاء ، حامل راية المدرسين ، وقدوة ذوي الهمم العالية في الدنيا والدين ، سيدي مَحمد بن الاستاذ سيدي أحمد بن المسناوي الدلائي ، وكالفقيه المدرس العلامة المتفنن ، صاحب التآليف المفيدة سيدي محمد بن عبد السلام بناني ، وكالشيخ الشهير المحقق المشارك الفقيه النحوي الصوفي ، صاحب التآليف المشهورة ، سيدي محمد بن عبد الرحمان بن زكري ، وغيرهم ممن أخذنا عنه ممن يطول بنا ذكره ، وذكر ما تفرع من أشياخهم وأسانيدهم ، نفعنا الله تعالى واياكم وسائر المسلمين ببركاتهم .

وليت شعري ياسيدي هـل يقبل على مولاي حتى أكون مـن جملة عبيدهم ؟ بل من تراب نعالهم ومواطئي أقدامهم ،فأفوز بذلك فـوزا عظيما ، وكيف لي بذلك ؟ ووالله ثم والله ما شممت لطيبهم العبير رائحة ، فأين أنـا وتقوى الله التي أمرنا بها في الورود والصدور ؟ وأنى لنا ومراعاة مقتضى العلم المنجية من كل سوء ومحذور ، لكنهم قوم كرام لا يشقى بهم جليسهم ، ونطلب منكم سيدنا أن تخلصوا لنا من صالح دعواتكم في مظان الاجابة أمكنة وأزمنة ، لما ثبت بيننا من حق الاخوة وليس رفض حقوقها مـن المروة ، والله تعالـى يصلح من جميعنا القول والعمل ، وينيلنا من جزيل فضله غاية الامل .

وكتب مسلما عليكم محمد بن قاسم جسوس ، كان الله له بمنه .

انتهى من خطه رضي الله عنه ، فكفاه فخرا وسؤددا ، تحلية هذا الامام له بما ذكر .

وكذا ما وصفه به العارف الكبير مستوطن مصر ، فقد وجدت بخطه أيضا ما نصه :

الحمد لله الذى أوضح معالم الدين ، وأنجح مقاصد المسترشدين ، ومنح هدايته أصفياءه المهتدين ، وفتح لاوليائه طرق معرفته ، وأزال عنهم الحجب فاصبحوا بين جلاله وجماله متمتعين ، نحمده تعالى ونشكره على نعم لا نحصيها ، ونستعينه ونستغفره من ذنوبنا العظام التي ارتكبناها ، والصلاة والسلام الأتمان الاكملان على سيد المرسلين وامام المتقين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فليتفضل سيدنا امام العرفان ، ووحيد الزمان، بحر الشريعة، ومعدن الحقيقة ، صديق مصر ، وامام العصر ، ركن الاسلام ، وكهف الأنام ، العالم الكبير ، والصوفي الشهير ، المتحلى بحلية أولياء الله الكرام ، والداعي الى الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ينبوع العلم والحلم ، المتخلق بمعنى قوله عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر ... » الى آخر الحديث، سيدنا المعتمد في أموره على مولانا الباقي ، الشيخ مولانا محمد الحنفي ، أكرم الله المسلمين ببقائه ، ومتع أهل العلم بدرسه واقرائه ، بالاجازة لهذا العبد الفقير ، الحقير القاصر ، المتمسك بأذيالكم ، والمتمنِّي صباحاً ومساء التردد على أبوابكم ، ومقبل ثرى نعلكم وأقدامكم ، ويكون ذلك من سيدنا مقرونا بذكر مروياته ، ونفائس مقروآته ، مع بيان أسانيده ومشيخته ، وإن لم يتيسر الكلُّ ، فلا محيصَ عن البعض أو الجل ، ليحصل لنا الدخول في هذا الحمى العظيم ، والاحتماء بهذا الجناب الكريم ، حتى ننتظم في

سلك هذه العصابة العلي قدرها ، الطالعة في سماء المعالي شمسها وبدرها ، وان لم نكن لذلك أهلا ، فنرجو من الله أن ينيلنا بالتمسك بكم منة وفضلا، حتى أصبح في ديوان أهل الفضل أمثالكم محسوبا ، والى جنابكم العلي منسوبا ، ومن جبل على الرحمة والشفقة للخلق مثلكم وراثة نبوية ، لا يخيب من تمسك به وانتمى اليه ، ولا يهمله من ترقيه بهمته وتوجهه حتى يلحقه بأهل الله ، أهل وده ومحبته ، باذن الله وتيسيره ، انه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ثم أختم الكتاب بما به ابتدائي :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خيرة الله من خلقه ومصطفاه ، وحبيبه ومجتباه ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وكتب المسرف على نفسه الذليل الحقير الراجي عفو الله وغفرانه محمد بن الحسن الجنوي الحسني نسبا ، المغربي اقليماً ، في أول يوم من رجب الفرد ، عام خمسة وسبعين ومئة وألف .

كتبت هذا والقلب منقطع الى رؤيتكم ولقائكم ، ولكن عند البعد تنوب الاقلام ، وان قدر الله الملاقاة ، فما ذلك على الله بعزيز ، والسلام .

انتهى من خطه طيب الله ثراه ، وأسكنه من الفردوس أعلاه .

وبعده بخط الامام المستدعى ما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم ، حمدا لمن شرف علم الحديث على سائر العلوم ، وصانه برجال حفظوا شأنه من غياهب الغيوم ، قاموا بشرع الله رغبة في رضاه،رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله،مَن اقتدى بهداهم اهتدى، ومن حاد عن نهج هدايتهم فقد اعتدى ، وصلاة وسلاما على أشرف المرسلين القائل : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ، وعلى آله الأنجاب وأتباعه والأصحاب .

أما بعد ، فيقول فقير ربه الغني محمد سبط الامام الحسني المشهور بالحنفي ، بينما أنا جالس على كوثر المعارف ، أروي وأروى من صفاء العوارف واللطائف ، إذ ورد علي من هو أهل لتلك الموارد وناولني قرطاسا كأنه كأس كلل بفرائد ، فانشرح صدري بصدره الرحيب ، إذ بشرني بفريد في الفضائل نجيب ، يلتمس اجازة بأسانيد السنة ، وانتظاما في سلك أيمة لهم علي أجل منة ، فبادرت بالاجابة حين لاحت لي لوائح النجابة ، وشاهدت من الجانب الغربي نوراً ، ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، وأجزت مولى نطقت آثاره بفضائله ودلت أخباره على صدق دلائله ، وعطرت صفاته واديه الاسعد ، المولى محمد بن الحسن المنور الاوحد ، بما أخذت من العلوم النقلية والعقلية عن أيمة فاقوا بكل فضيلة ومزية ، منهم : الشهاب أحمد الخليفي ، والشهاب أحمد الملوي ، والجمال يوسف الملوي ، والكمال الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي ، والشيخ عيد الديوي ، والعلامة الشيخ عيد النمرسي ، والشهاب أحمد بن الفقي ، نفع الله بعلومهم الانام ، وأكرمهم في دار النعيم بمزيد الاكرام .

قد أخذت عنهم العلوم وقرأت عليهم كل منطوق ومفهوم ، وأجازني كل بسائر المرويات أسكنهم الله رفيع الدرجات .

ولنقتصر هنا على سند شيخنا الشيخ عيد النمرسي ، فقد أجازني رحمه الله تعالى بعد قراءتي عليه كتبا كثيرة بالكتب الستة المشهورة عند أهل السنة ، وبالمواهب اللدنية ، وبالجامع الصغير ، وألفية المصطلح وشرحيها ، لمؤلفهما الزين العراقي ولشيخ الاسلام زكرياء الانصارى ، وغيرها مما يأتي من كتب الحديث والتفسير ، ومن أراد زيادة فعليه بثبتنا الذى ألفناه في ذكر مشايخنا ومروياتنا العقلية والنقلية ، طلبا للنجاة به يوم المعاد ، ورغبة في مرضاة الملك الجواد .

أما صحيح البخاري ، فقد أخذته عن شيخنا المذكور قال : وقد أخذته عن شيخنا الشيخ عبد الله بن سالم، وشيخنا العلامة الشيخ محمد الشرنبابلي، وشيخنا الاوحد في زمانه الشيخ محمد بن قاسم البقري ، ثلاثتهم أخذوا عن

علامة عصره الشهاب البابلي ، عن الشيخ سالم السنهوري عن النجم الغيطي ، عن شيخ الاسلام زكريا الانصارى ، عن الحافظ بن حجر العسقلاني ، وهو يرويه بطريق مذكورة في أول (فتح الباري) .

وأما صحيح مسلم فنرويه عن ثلاثتهم ، عن الشمس البابلي ، بالسند المذكور للحافظ ابن حجر العسقلاني قال : أخبرنا به محمد بن أبي اليمن بن عبد اللطيف بن أحمد بن أبي الفتح الربعي ، بقراءتي عليه في أربعة مجالس ، سوى مجلس الختم قال : أخبرنا به أبو محمد بن عبد الحميد الهادي المقدسي، ثم الصالحي ، حين قدم القاهرة قال : أخبرنا به أحمد بن عبد الدائم النابلسي ، سماعاً عليه قال : أخبرنا به أبو عبد الله بن صدقة الحراني سماعا عليه قال : أخبرنا به فقيه الحرم محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي قال : أخبرنا عبد الغافر الفارسي قال : أخبرنا محمد بن عيسى بن عبد الرحمان الجلودي الزاهد قال : أخبرنا الفقيه الزاهد ابراهيم بن محمد بن سفيان قال : أخبرنا الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري سماعا سوى ورقات ثلاثة مبينة فيه ، فبالاجازة ، فلذلك كان ابراهيم يقول عن مسلم : اذا لم يبينها ، ولا يقل : حدثنا .

وأما سنن أبي داوود فنرويه بالسند المتقدم الى الحافظ ابن حجر قال : أخبرنا به محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد العزيز بن الفاضل البزار الهروي ، المعروف بابن المطرز بقراءتي عليه لجميعه قال : أخبرنا يوسف بن عمر بن حسين الختني سماعاً عليه سنة أربع وعشرين وسبعمئة قال : أخبرنا الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري قال : أخبرنا به ابراهيم بن منصور الكرخي قال : أخبرنا الحافظ أحمد بن علي بن ثابت البغدادى قال : أخبرنا القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي قال: أخبرنا سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشر بن شداد بن عمر بن عامر السجستاني ، فذكره .

وأما كتاب السنن للحافظ أبي عيسى الترمذي ، فبالسند المتقدم الى الحافظ ابن حجر قال : أخبرني به العلامة ابراهيم بن أحمد الشامي فيما قرأت

عليه ، أخبرني بجميعه جماعة، منهم المسند المعمر علي بن محمد بن ممدود بن جامع البندنيجي ، لسماعه عن أبي منصور علي بن عبد الصمد المقري ، بسماعه له من الحافظ عبد العزيز بن محمد بن الاخضر ، بسماعه له من عبد الملك بن أبي سهل الكرخي ، بسماعه عن محمود بن القاسم الازدي قال : أخبرنا به عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن الجراح الجراحي المروزي قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن محبوب المروزي قال : قرأت على محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الحافظ ، فذكره وأنا أسمع .

واما كتاب (السنن الصغرى) للحافظ النسائي المعروفة بالمجتبى ، فنرويه بالسند المذكور السابق إلى الحافظ ابن حجر قال : قرأت جميع السنن المذكورة على شيخنا المفدى ابراهيم بن القاضي شهاب الدين الحريري البعلي ، بروايته عن أحمد بن أبي طالب الحجار ، بروايته عن عبد اللطيف بن محمد الغيطي ، بسماعه عن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر ، بسماعه عن عبد الرحمان بن أحمد الدوني ، قال أخبرني أحمد بن الحسين الكسائي ، قال أخبرنا أحمد بن محمد بن اسحاق بن السني قال اخبرنا الامام الحافظ أحمد بن الحسين ، فذكره .

وأما كتاب السنن للحافظ ابن ماجة فنرويه بالسند السابق إلى الحافظ ابن حجر قال · قرأت جميع السنن لابن ماجة على أحمد بن عمر بن علي البغدادي الجوهري ، بسماعه علي الحافظ جمال الدين يوسف المزي ، بسماعه للجزء الأول والاجازة للباقي من الشيخ عز الدين ، عن أبي محمد بن عبد الرحمان ، عن علوان ، بسماعه من الموفق عبد اللطيف بن محمد بن علي الطيب ، بسماعه عن طاهر بن محمد المقدسي قال : أخبرنا محمد بن الحسين المقدسي قال : أخبرنا القاسم ابن المنذر قال أخبرنا علي بن ابراهيم بن سلمة القطان قال أخبرنا الحافظ محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني ، فذكره .

وأما (المواهب اللدنية) فنرويها بالسماع لبعضها والاجازة للباقي على شيخنا وسيدنا عبد الله بن سالم البصري، عن شيخه الشيخ محمد البابلي،

قال سمعت وأجازني بسائرها شيخنا علي الزيادي بروايته لها ، عن قطب الوجود الأستاذ البكري الصديقي ، عن مؤلفها العلامة شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني الشافعي .

وأما (الجامع الصغير) ، فنرويه عن شيخنا عبد الله بن سالم ، عن الشيخ محمد البابلي ، عن الشيخ علي الزيادي ، وعن الشيخ سالم السنهوري، بسماع أولهما من السيد جمال الدين يوسف الأرميوني امام المدرسة الكاملية، وبسماع ثانيهما من الشمس محمد العلقمي صاحب الحاشية على الجامع الصغير ، كلاهما عن مؤلفه الحافظ المتقن جلال الدين السيوطي رحمه الله .

وأما (ألفية المصطلح) للزين العراقي ، وشرحها لشيخ الاسلام زكرياء الانصاري وشرحها لمؤلفها ، فنرويها عن شيخنا عبد الله بن سالم البصري ، عن الشمس محمد البابلي ، بالسند المتقدم الى شيخ الاسلام زكرياء بروايته لها ، ولشرح مؤلفها عن الحافظ ابن حجر ، وعن المحققين الشيخ شمس الدين بن محمد القاياتي ، والكمال بن الهمام الحنفي ، برواية الحافظ ابن حجر لهما عن مؤلفها ، وبرواية الشمس القاياتي والكمال بن الهمام ، عن ابن مؤلفها ، وبرواية الكمال أيضا عن السراج قارىء الهداية ، كلاهما عن المؤلف زين الدين عبد الرحيم العراقي رحمه الله .

وأما تفسير القاضي البيضاوي ، فنرويه عن شيخنا الشمس الشرنبابلي ، وعن شيخنا عبد الله بن سالم ، عن الشمس البابلي ، عن أبي بكر الشمنواني ، عن الشهاب أحمد بن قاسم العبادي قال : أخبرنا به الأستاذ جمال الدين يوسف ابن شيخ الاسلام زكرياء عن أبيه قال : أخبرني به الفضل المرجاني ، عن أبي هريرة بن الحافظ الذهبي ، عن عمر بن إياس المراغي قال : أخبرنا به شيخنا العلامة قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي .

واستقصاء أسانيدي يطول ، ومن أرادها فعليه بثبت شيخنا عبد الله بن سالم المسمى بـ (الامداد) ،وثبت شيخنا شهاب الدين أحمد النخلي، فان الفقير مجاز بجميع الكتب التي تضمنها وبما تضمنه صلة السلف لابن سليمان

المغربي ، وهو في ضمن الثبتين المذكورين ، أقول قولي هذا وأنا أستغفر الله العظيم ، وأسأله من فضله العميم أن ينفعه وأن ينفع به ، ويجعله بركة للمسلمين .

حمدا لفاتح الأبواب ، وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد وأتباعه والأصحاب .

أما بعد ، فقد اتفق لي أخذ صحيح البخاري مسلسلا بالمحمدين ، وهذا سنده قد قرأت من أول صحيح البخاري الى قوله بوادره ، على شيخنا العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز الحنفي ، وأجازني بسائره وسائر مروياته ، عن العلامة الشيخ محمد البابلي ، عن الشيخ محمد المدعو حجازي الواعظ ، عن النجم محمد بن محمد الغيطي ، عن محمد بن محمد الدلجي ، عن القطب محمد بن محمد بن عبد الله الخضيري ، عن محمد بن أبي بكر المراغي ، عن محمد بن اسماعيل القرقشندي ، عن البدر محمد بن فليح بن كيكلدي ، عن محمد بن مسلم بن محمد بن مالك الحنبلي ، وهو والصوفي ، عن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي الصالحي الحنبلي ، عن عمه الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، عن الحافظ محمد بن عبد الواحد البزار، عن محمد بن أحمد بن عثمان ، عن محمد بن مكي الكشميهني ، عن محمد بن يوسف الفربري ، عن مؤلفه محمد بن اسماعيل بن أبراهيم البخاري .

كتبه محمد الحفناوي خديم الفقراء

انتهى من خطه رضي الله عنه .

ونسبته رضي الله عنه (المواهب اللدنية) للحافظ ابن حجر ، سبق قلم منه اذ معلوم مشهو أنها للامام القسطلاني شارح البخاري ، وكثيرا ما ينقل فيها عن الحافظ ابن حجر والله أعلم .

أخذ عنه الجم الغفير ، وتخرج منهم على يديه خلق كثير ، ولقد منّ الله علي بمعرفته وصحبته ، وخدمته سفرا وحضرا زمانا طويلا ، وقرأت عليه

التفسير الى سورة الرعد ، وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم بقراءتي عليه ، والأربعين للنووي ، ومختصر الشيخ خليل غير ما مرة قراءة تحقيق وتدقيق ، ورسالة الشيخ ابن عاصم لكن لم نختمها عليــه ، ووثائق ابن سلمون ولــم نختمهــا أيضاً ، وألفية ابن مالك غير ما مــرة ، ومقدمة الشيخ ابــن آجروم و (تلخيص المفتاح) ، و (جمع الجوامع) لابن السبكي الا شيئاً يسيرا من آخره ، و (الحكم) لتاج الدين سيدي ابن عطاء الله ، كل ذلك قراءة حسنة ذات أبحاث رائقة وتحريرات فائقة ، وكانت مجالسه كلها لا تخلو من مواعظ ، فلا يقوم الانسان من بين يديه في أي فن كان غالبا الا وقد أخذت مواعظه منه أخذا، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيرا .

ومن عظيم منن الله عــلي ، أن غطى عنه مساوئي الكثيــرة وذنوبي العظيمة الغزيرة التي لا يعلمها الا الله تعالى ، فكان يحبني حباً شديدا ، ويظهر ذلك ، وكتب لي مرة بعد أن فارقته وتزوجت بما نصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

إلى من هو عندي أكثر من ولدي محبة ، الفقيه سيدي محمد بن أحمد الحاج الرهوني .

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد ، فقد وصلني كتابك وما أرسلت به ، فكثر الله خيرك ولا ترسل لي شيئاً أصلا ، ونحن نحب أن نزيدك والله يجعــل لك الخير فيما فعلتــه ، ويجعل لذلك عاقبة محمودة ونحن قد اشتقنا لك غاية ، ولتعلم أن محبتك لله لا لأجل احسانك ، وطبعك الذي جبلك الله عليه ودينك قد امتزجت في قلبي حتى صارت ذاتنا كذات واحدة ، نطلب الله تعالى أن يجعلنا من المتحابين في الله ... الى أن قال : والسلام . وكتب محبكم بن الحسن الجنوي الحسني .

انتهى من خطه رضي الله عنه .

وكان اشتغاله بالعلم تقييدا ومطالعة ودرسا أهم عنده من سائر النوافل ، وكأن لسان حاله ينشد قول الامام ابن جزي :

لكل بني الدنيا مراد ومقصد ... وان مرادي صحة وفراغ
لأبلغ في علم الشريعة مبلغا ... يكون به لي للجنان بلاغ
ففي مثل هذا فلينافس ذوو النهى ... وحسبي من دار الغرور بلاغ

وقول ابنه أبي عبد الله رحمه الله تعالى ورضي عنه :

لولا ثلاث قد شغفت بحبها ... ما عفت في حوض المنية موردي
وهي الرواية للحديث وكتبه ... والفقه فيه وذاك حب المهتدي

وليس قوله بلاغ آخر البيت الثاني والثالث إيطاء ، بل فيه من محسنات البديع الجناس التام المماثل ، لان الاول مصدر بلغ ، والثانى اسم بمعنى الكفاية ، ففي بلغ الكتاب بلاغا وبلوغا وصل ، ثم قال : وفي هذا بلاغ وبلغة وتبلغ ، أي كفاية ، انتهى منه بلفظه ، وإن كان صاحبا (الصحاح) و (القاموس) لم يذكرا لبلغ مصدرا الا البلوغ ، والله أعلم .

وكان شرع في تقييد حاشية على تأليف الامام ابن سلمون ، ثم لما نقل الى مكناسة شغل عن اتمامها ولم يكن كتب منها الا يسيرا ، وكان يحض عليها ويقول : ان الناس أعتمدوا على تأليف ابن سلمون واشتغلوا بالفتوى منه والحكم بِه كثيراً مع أن فيه أموراً وفروعاً مخالفة للمشهور ، فيتأكد التنبيه على ذلك ، وله تقاييد على حواشي كتبه من كتب الفقه وغيره ، فلو أخرجت طرره التي على زوح ، وق ، وصفى ، ومب ، لكانت حاشية عظيمة الجرم ، وله طرر حسنة على شرح الشيخ ميارة للتحفة قد أخرجها جماعة من حذاق تلامذته ، وطرر على المرادي والتصريح ، وحاشيتي الشيخ ياسين عليه وعلى النظم، لو أخرجت لكان تأليفاً حسناً مفيداً، وكذا حواشيه على البيضاوي وعلى الجلالين ، وكذلك ما كتبه بحواشي المحلي على جمع الجوامع ، وابن أبي شريف عليه ، وبالجملة فمن وقف على كتبه في كل فن ، وعاين ما كان

يقيده بهوامشها علم أنه كان له اليد الطولى في كل فن ، وستقف على كثيـر من ذلك في هذا التقييد ان شاء الله .

توفي رضي الله عنه بمراكش ، كان دعاه اليها أمير المؤمنين المتقدم الذكر ، وذلك يوم الاثنين الثالث عشر من رمضان عند الزوال سنة مئتيـن وألف ، ودفن عند الغروب بروضة مولاي ابراهيم الشريف العلمي ، بالموضع المسمى بالقصر بمجاورة الغوث الكبيـر والقطب الشهير ، مـولانا عبد الله الغزواني أفاض الله علينا من بركاتهم .

ولقد حدثني بعض تلامذته الثقات النجباء ، أنه أخبره بعض الفقهـاء الحسنيين العلميين ، وكانا معا حضرا موته ودفنه ، أنه رأى ليلة اليوم الذي مات فيه جمعا كبيراً ، فيهم الولي الأكبر ، والعارف الأشهر ، مولاي عـبـد السلام ابن مشيش ، وكثير من أولياء الله الذين بجبل العلم . فسأل عن مجيئهم لمراكش ، فقيل له : إنهم جاءوا وراء الفقيه سيدي محمد بن الحسن الجنوي ، وذلك فيما يرى النائم ، وفي ذلك من البشارة ما لا يخفى والحمد لله رب العالمين . انتهى .

وقال الاسغركيسي في فهرسته عند ذكر أشياخ شيخه الحضيكي ما نصه : والرابع عشر العلامة شيخ الاسلام محمد بن الحسن الجنوي العمراني الفاسي ، كان الله له ولياً ونصيرا ، وكتب له اجازة بيده أجزل الله ثوابه ، وهو من أروع أمثاله من مدرسي الوقت وفقهائه ، وقد شاركناه في جل أشياخه رحمه الله ورضي عن الجميع ، انتهى .

ووقفت في كناش الحضيكي على اجازة المترجم له ، وقد ذكره أيضا في (ثمرة أنسي)،و (فهرسة ابن عجيبة)،و (فهرسة ابن ريسون)،وذكر ابن عجيبة في الفهرسة : أنه قرأ علـى المترجم مختصر خليـل ، والتلخيص ، ومختصر السبكي ، وورقات الحطاب في الاصول ، والبخاري مرتين ، وجزءاً من مسلم ، والرسالة ، وحكم ابن عطاء الله ، وجزءا من (النصيحة الكافية) ، وجزءين من تفسير القرءان العظيم .

ثم ذكر مناظرة الجنوي للكوهن في الطريق .

وقال في (ثمرة أنسي) مع اختصار يسير ما نصه :

والفقيه العلامة الحافظ المتبحر الصالح سيدي محمد بن الحسن الجنوي الشريف السماتي ، أخذت عنه زمن اقامته بفاس عام 1181 جملة من صدر الألفية ، واستفدت من بحثه ، وتعجبت من حفظه وحسن إملائه بلسان جبلي ، ثم انتقل بأمر من السلطان مولانا محمد بن عبد الله الى مكناسة الزيتون، ومنها الى ثغر طنجة ، ومنها الى تطوان وكانت تجري عليه مرتبات سنية ، وكان استدعاه السلطان المذكور لحضرته بمراكش الحمراء للمباحثة معه ، والتمذهب بمذهب السلطان المذكور في أمور كان مصممة عليها في حق بعض الايمة الصالحين ، ممن كان في سعة عن البحث في شأنه بالاشتغال بما يعنيه من أمور رعيته ، فلما وصل لحضرته وكلمه في جملة من ذلك ، لم يتم له ما أراده منه اذ كان شديد الشكيمة ، صلبا في دينه ، ولما قدم بين يديه توسل الى الله في أن يقبض روحه قبل أن يلقاه ثانيا ، فكان الامر كذلك بموته ثلاثة أيام هناك بمراكش سنة 1200 رحمه الله ورضي عنه ، انتهى .

وقال ابن الصادق في فهرسته : ورمز لوفاته الفقيه القاضي صاحبنا سيدي عبد الكريم الورديغي في قوله :

قضى نحبه الجنوي في عام خــرت ... برمضان في يج على حين غفلـــة

وممن ذكره أيضا تلميذه العالم المحدث المسند الضابط محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان بصري ، المكناسي في فهرسة (اتحاف أهل الدراية والتوفيق والسداد ، بما يهمهم من فضل العلم وآدابه والتلقين وطرق الاسناد) وترجم لسبعة عشر شيخا من أشياخه منهم : سيدي عمر الفاسي ، والشيخ التاودي ابن سودة ، والجنوي ، والشيخ بناني، وعبد الكريم اليازغي، وعبد القادر ابن شقرون ، وغيرهم ، أرخ تمامها في تاسع وعشري شعبان عام ستة ومئتين وألف .

768) محمد بن منصور العيسي المراكشي الأديب، توفي بمكناسة عام ثلاثة ومئتين وألف .

ذكره الضعيف في تاريخه .

769) محمد بن عبد الله العلوي (السلطان)

محمد بن عبد الله بن إسماعيل ، المالكي مذهباً ، الحنبلي اعتقاداً حسبما وصف بذلك نفسه في مؤلفاته ، لانه لا يرى الخوض في علم الكلام على طريقة المتأخرين ، أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ملوك المغرب الاقصى .

مولده وشيوخه وحجته

كانت ولادته بعاصمة جده مولاي إسماعيل بمكناسة الزيتون سنة أربع وثلاثين ومئة وألف ، وأمه كما قال الضعيف حرة ، ومن شيوخه عبد الله بن ادريس المنجرة ، والشرادي ، وحج قبل البلوغ مع جدته السيدة خناثة المغفرية سنة ثلاث وأربعين ومئة وألف ، كما في ص 4 من ملزمة 28 من ج 2 من (نشر المثاني) .

صفته وحاله

قال عصريه الضعيف : أسمر اللون ، تام القد ، أقنى الانف للتمام ، شعر لحيته عريض ، واسع المنكبين ، شثن الكفين ، سميح الوجه ، كريم اللقاء ، شديد الصفح ، حسن العفو ، فصيحاً بليغا ، أديبا حليماً ، متواضعا شفيقاً ، كريما جواداً ، عالما بالفقه والسنة والحلال والحرام ، وفصل الاحكام. انتهى لفظه .

وقال نجله عبد السلام في كتابه (اقتطاف الازهار ، من حدائق الافكار) ، وهو يعني والده المترجم : في العلم لا يقعقع له بسنان، ولا يجاري في ذلك بعنان .

وقال صاحب (نشر المثاني) في حقه ص 7 من ملزمة 34 ج 2 : وهو نصره الله وأيده في العلم بحر لا يجارى ، وفي التحقيق والمعارف لا يمارى ، وقد جمع من دراية العلم ما تقف العلماء دونه ، وتود زواهر الافق أن تكونه ، فكملت بذلك منة الله على العباد ، وأحيى به الله الدين في كل الارض والبلاد ، مع فرط الكرم والجود ، الذي ورثه من أصله الطاهر عن آبائه والجدود ، وقال فهو أدام الله نصره سلطان العلماء وعالم السلاطين ، انتهى .

وقال الزياني، وذكره في (الاستقصا) ص 114، ثم ص 120 ج 4 : عالي الهمة ، يحب الفخر ويركب سنامه ، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، يضع المسائل في محلها ويعرف مناصب الرجال ويؤدي حقوقهم ، ويتجاوز عن هفواتهم، ويراعي لأهل السوابق سوابقهم ويتفقد أحوال خدامه في الصحة والمرض ، ولا يغفل عمن عرفه قبل الملك ، متواضع شاكر لنعم الله عليه ، كلما ورد عليه فتح أو خبر يسر المسلمين سجد شكرا لله في وسط مشوره أمام الخاصة والعامة ، ينتخب الرجال ويعدهم ليوم ما ، وينادي كل واحد باسمه وقت اللقاء ، ويوجه كل بطل منهم مع قبيلة وكتيبة من كتائب العسكر ، ويعمل بعمل أهل السياسة في الحروب ، وكان ينشد كثيراً اذا وجه أحدا ممن يعرف نجدته وشجاعته :

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف ان أمر عنى

وقال في حقه عبد السلام ابن الخياط القادري ما نصه: الامام الموهوب لهذه الأمة على رأس المئة مجددا دينها كما ورد ذلك مرفوعا ، وقال : كان اماماً من علماء الاسلام ، له تصانيف تقرأ بالمشرق والمغرب ، وقال : وبالجملة فقد نظر في المصالح وقام بها قياما لم يقم به أحد من أهل عصره من ملوك الاسلام ، ولم يسبقْ إليه غيره غير الخلفاء الراشدين ، وفي (الجيش) وغيره ، انه كان يتخلق كثيرا بأخلاق المنصور الذهبي السعدي ، ويعجبه حاله وأخباره ويتحلى بسيرته ويستحسنها ، ويتبعها أكلا وشربةً ولباساً ، وترتيبَ دولة

وضبط أوقات ، فكانت أوقاته لا تتخلف ولا تتداخل أشغالها ، وعوائده مقررة لا تختلف ، تأسى به في مشوره وسائـر حركاته وسكناته ، ويصرح بأنـه أستاذه وقدوته في شأنه كله ، انتهى .

وقال الزياني في (الترجمان المعرب) وفي (الروضة السليمانية) لما ذكـر خروجه لزيارة صلحاء أغمات في فصل الربيع ، وذكره فـي (الاستقصا) ص II4 ج 4 ثم ص I20 منه : وكانت حركة نزهة وراحة وصيد أقام بها نحو الشهرين ، يتقلب في تلك البسائط ، وينزل في منازل المنصور رحمه الله ويقول : هذه منازل المنصور فهو أستاذنا ومقتدانا ، ثم ذكر أنه لما نزل تحت أغمات ، أتاه قاضيه بكبش وعسل ، فوجهه لقاضي العسكر عبد الرحمان بن الكامل وأمره أن ينزل عند القاضي بكبشه وعسله ، ولما ارتحل على وادي نفيس وجه على قاضي العسكر والكتاب ، وكان معه جملة وافرة من أهل الأدب والبلاغة والانشاء ، فلما أتوه قال للقاضي عبد الرحمان يداعبه : بما جزيت القاضي على كبشه وعسله ؟ فتلعثم وخجل ، فلما رأى منه ذلك قال له : لو جزيته بأبيات شعرية لخرجت من العهدة، ولهذا وجهت لكم، فقد سهرت ليلتي في أمرى وأمركم ، وهجوت نفسي وهجوتكم ، لانه لم يبق في وقتنا هذا أمير ولا وزير ولا كاتب ولا حاجب ، فقد وقع مثل هذا في دولة السلطان أحمد المنصور في زيارة أغمات على كبش وعسل ، وأمر الكاتب محمد بن المبارك بسرد ما وقع للمنصور من (مناهل الصفا) للفشتالي ، وما تنافس فيه الكتاب من النظم والنثر .

وفي (الاستقصا) وبالجملة ، فقد كان رحمه الله من عظماء الملوك .

وفي (سلوة الانفاس) ص 330 ج 3 أنه كان علامة دراكة ، فاضـلا محدثا ، تاريخيا كاملا ، محبا للعلماء ، مجالسا للفقهاء الى أن قال : وكان من أعظم الملوك مهابة وفخرا ، وأشدهم نكاية للعدو الكافر برا وبحرا ، تطيعـه ملوك بني الاصفر وتمتثل وتخضع له رقاب الاكاسرة وتجل ذكره ، انتهى .

وهو الذي أعاد للدولة شبابها ، وهيأة للحياة أسبابها ، ونهج لها نهجا جديدا ، وأسس لها بعد جده الأعظم اسماعيل ركناً شديداً ، ونشر بين الخافقين مجدها ، بعد ما كسر من شوكة العبيد حدها .

خلافته بمراكش

واستخلفه أبوه بمراكش سنة 1159 ، وهو ابن خمس وعشرين سنة، فكان ذلك أول انغراس شجرة الملك العلوي بمراكش ، واتخاذها كرسيا لهم ، فنزل قصبتها وليس بها يومئذ الا آثار السعديين والموحدين الخراب ، فضرب خيامه بها وشرع في حفر أساس داره بها ، وكان سفهاء الرحامنة وشرارهم قد ألفوا العيث والفساد في أطراف المدينة ، وكانوا يجتمعون بتلك القصبة ، فلما رأوا منه ذلك منعوه من البناء وأخرجوه عنها ، فتوجه لآسفي فاعترضته قبائل عبدة وأحمر ، فأكرموه واحتفلوا بأمره وصحبوه الى أن نزل قصبة آسفي ، ففرح به أهلها ورفعوا اليه هداياهم ، وأهدى له كذلك تجار النصارى وأهل الذمة من اليهود ، وتنافسوا في ذلك ، وسرح للتجار وسق السلع من المرسى ، فوفدت اليه المراكب بأنواع سلعها من أوربا ، وقصدها التجار من كل جهة ، وطار صيت الخليفة في بلاد الحوز ، ودخل في طاعته الشياظمة وحاحة وتسابقوا الى خدمته ، فلم تمض عليه ستة أشهر حتى كان يركب في نحو الالف ، وقدم عليه أخوه الاكبر المولى أحمد خليفة الرباط لما أخرجه أهلها منها ، فنزل على أخيه المترجم ، ولما سمع الرحامنة بما صار اليه أمر الخليفة ، ندموا على ما فرط منهم وتوجه أعيانهم بالهدايا اليه بآسفي ، فاعتذروا اليه وتنصلوا ، ونسبوا ما صدر منهم في حقه الى السفهاء ، وأقسموا ألا يبرحوا أبوابه الا معه ولو أقاموا سنة ، فلم تسعه الا اجابتهم فتوجه معهم لمراكش في فرسان عبدة وأحمر ، زيادة على أصحابه وحاشيته ، فلما وصلها نزل قصبتها وقدم له أهل مراكش هداياهم ، وكذا قبائل الحوز ووفود الدير وسوس ، ونافست الرحامنة عبدة في خدمته ، وقصده عبيد دكالة الذين كانوا بسلا ، وتسلل اليه عبيد مكناسة فرادى وأزواجا ، فاستعملهم في بناء داره

الكبرى بالقصبة الى أن أكملها وسكنها ، ثم غرس بستانا عظيما متصلا بداره الكبرى على جهة الغرب ، سماه النيل ، وأسس قصر آخر متصلا بغربي هذا البستان سماه القصر الاخضر ، ويسمى أيضاً المنصور ، وجعل لهذا البستان أربعة أبواب في زواياه الاربع ، كذا قيل والموجود الآن ثلاثة أبواب فقط ، وجعل له بابين آخرين أحدهما للدار الكبرى شرقا ، والآخر للقصر الاخضر غربا ، وجعل في وسط هذا البستان قبة منتخبة ، يتصل بها من جهاتها الاربع مماش تمضي الى قباب أخرى منتخبة أيضا ، وطول هذا البستان ينيف على مئتي خطوة تقريباً ، وعرضه قريب من ذلك . وهذا القدر هو مساحة ما بين القصرين ، أعني الدار الكبرى والقصر الاخضر .

وفي سنة 1162 بايعه عبيد مكناسة ، وخطبوا به بمكناسة وزرهون ، وبعثوا اليه بيعتهم الى مراكش مع جماعة من أعيانهم ، فرد بيعتهم ، وعاتبهم على ما ارتكبوه في حق والده اذكان بارا به ، ساعيا في مرضاته ، وبعث اليه بهدية تقدر بثلاثين ألف مثقال ، ورجع وفد العبيد خائباً ، ومع ذلك استمروا على الخطبة به .

وفي أواخر جمادى الاولى من سنة 1163 ، توجه المترجم الخليفة من مراكش الى مكناس ، فوجد العبيد لا يزالون يخطبون به ، فعاتبهم ، وأنكر صنيعهم وتبرأ منهم فتركوا الخطبة وجددوا البيعة لوالده ، ولما تم له ما أراد من مراجعتهم طاعة أبيه ، ارتحل من مكناسة في جيشه الذي قدم به من مراكش ، واستصحب جماعة من أعيان العبيد وقدم على والده بدار الدبيغ ، فسلم وأهدى وتشفع للعبيد عنده ، فقبل شفاعته وأمره الا يبيت هناك ، فامتثل أمره وتوجه لمراكش من حينه ، وقد رتق ما انفتق .

ثم ان العبيد عادوا لما كانوا عليه مع المولى عبد الله ، وقدموا على ابنه المترجم في ذي القعدة سنة 1164 لمراكش ، وراودوه على قبول بيعتهم فلم يقبل ، وطيب نفوسهم بمنحة وكتب لهم كتابا لابيه يستعطفه لهم ، وانقلبوا

من عنده مسرورين ، فلما قدموا على أبيه سامحهم وأعطاهم ، وتمّ الصلحُ بينه وبينهم ، وفي نفس السنة وجه المترجم لأبيه بهدية فأثنى عليه ودعا له بخير ، وفي سنة 1169 توجه لتمهيد سوس ، فدوخها وجبى أموالها وولى عليها وقرر الحامية بردانة

وفي سنة 1170 توجه للقبض على الطالب صالح المستولي على أكَدير المستبد بمال مرساه ، فقبض عليه وسجنه ، ورتب الحامية بأكَدير ، ورجع لمراكش منصورا فمكث فيه قليلا ، ثم خرج لاصلاح ما فسد من أمر قبائل الشاوية ، فقتل منهم ووجه المقبوضين بالسلاسل لمراكش ، ثم توجه للرباط فأضافه أهلها وأهدوا له ، وأغلق عبد الحق فنيش صاحب سلا أبواب المدينة في وجهه ، فقطع الوادي وتنكب سلا وسار الى القصر فتطوان ، وأشرف على سبتة ثم ذهب لطنجة فالعرائش فسلا حيث لقي من قائدها ثانيا ما لقي أولا ، ثم رجع لمراكش .

بيعته

وبعد وفاة والده رحمه الله بُويع له البيعة العامة بفاس، إثر الفراغ من دفن والده يوم الاثنين خامس وعشري صفر عام واحد وسبعين ومئة وألف ، باتفاق أهل الحل والعقد ، وكان يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة ، والى سنة ولايته وبيعته ، أشار القاضي أبو عبد الله الهواري بقوله :

وبايع أهل الغرب في عام واحد ... وسبعين مولانا الامام محمدا

قال نجله المولى عبد السلام في كتابه (درة السلوك ، وريحانة العلماء والملوك) : وحضر بيعته جماعة من أعيان العلماء ، مثل قاضي الجماعة بمكناس السيد أبو القاسم (1) العميري، وقاضي الجماعة بفاس السيد عبد القادر

---

1) في الأصل : سعيد العميرى ، والصواب أبو القاسم ابنه ، اذ كان الأول توفي قبل ذلك (مؤلف) .

بوخريص ، وشيخ الجماعة السية محمد جسوس ، والامام المحقق صاحب المعقول والمنقول شيخنا سيدي عمر الفاسي ، وابن عمه السيد أبي مدين الفاسي ، وهو الذي تولى كتابة البيعة بيده ، وأمام مسجد الشرفاء الاستاذ مولاي عبد الرحمان المنجرة ، وشيخنا العلامة السيد التاودي ابن سودة ، وإمام المسجد الجامع الكبير بفاس الجديد السيد عبد الله السوسي ، والامام المحدث سيدي ادريس العراقي ، وغيرهم ممن لا يحصون كثرة . صح منه مباشرة .

ومن الغد الذى هو يوم الثلاثاء خرج الوفد الفاسي متأبطاً للبيعة المحمدية ، ووجهته عاصمة الجنوب حيث المترجم ، ينتظم ذلك الوفد من أعيان الأشراف والعلماء ، ووجهاء أهل البلد ورؤوس القبائل والأجناد ، وصار إلى أن لحق بالمترجم بنواحي مراكش يؤم الناحية الغربية ، فأكرم مثواه ونزله وغمره في بحار انعاماته الضافية .

وبعد انتهاء أيام الضيافة انقلب الى وطنه مبتهجاً،وبطيب الثناء لاهجا،وبويع له بمراكش بجامع الكتبين،قال الضعيف:تحت شجرة أرنج بصحن المسجد،بمحضر الاشراف والعلماء والاعيان،وقواد الجند وأبطال القبائل،وبعد انتهاء البيعة تهافت الجميع على تقبيل راحتيه ، وتقديم مراسم التعزية في والده والتهنئة بالسلطة فقابل الجميع بصدر رحب ، وواسى الضعفاء والمساكين ، ووصل الاشراف والعلماء وبذل في ذلك أموالا طائلة ، ثم صارت وفود القبائل الحوزية والديرية والسوسية تفد ببيعاتها على جلالته ، وتقدم الهدايا اللائقة بسدته ، واقتفى اثرهم على ذلك أهل الثغور والجبال ، والقرى والامصار ، ولم يتخلف أحد من أهل المغرب الاقصى عن تقديم الطاعة لجلالته ، ولا نازع فيها وهو يستقبل كلا بما يليق بمقامه ، ويهش ويبش ويحسن ويتبرع .

محبته للعلم واعتناؤه بأهله

لقد كان له رحمه الله اعتناء زائد زمن خلافته بمطالعة كتب الادب والتاريخ ، والسياسة وأحوال العرب وأيامها ، ووقائعها وأنسابها حتى فاق في ذلك معاصريه ، وصار المرجوع اليه فيه .

قال الزياني وغيره ممن عاصره وخالطه : كان يستحضر كل مـا يطالعه ، حتى كاد أن يحفظ كتاب الاغاني برمته ، لا يعزب عنه منه الا النادر .

ولما نال الخلافة العظمى عن جدارة واستحقاق ، أكب على مطالعة كتب السنة وولع بسرد كتب السيرة والحديث ، وصار لا شغل له بغيرها فـي أوقات فراغه من الاحكام وتدبير أمور الرعية ، فحصلت له بذلك ملكة في السنة وأحكامها لم يلحقه فيها غيره ، وجلب من المشرق ما لم يكن بالمغرب مـن مصنفاتها ذات البال ، كمسند الامام أحمد ومسندي أبي حنيفة والشافعي ، وغير ذلك من مهم المتون والشروح ، وأمر علماء وقته بشرح مؤلف الصغاني الحديثي ، فكان ممن شرحه الشيخ التاودي ابن سودة .

وكان يجلس بعد صلاة الجمعة بمقصورة الجامع بمراكش مع فقهاء مراكش ، ومن يحضر عنده من علماء المغرب الوافدين عليه يجالسهم اكراما لهم وتنويها بقدرهم ، ويذاكرهم في الحديث وفقهه ، والآداب وأيام العرب ، وكانت له اليد الطولى في جميع ذلك ، وكان يحصل له النشاط التام بالمذاكرة معهم في العلوم ، وكثيرا ما يقول لهم على سبيل التأسف : والله لقد ضيعنا أعمارنا في البطالة واللهو في حالة الشبيبة، ورتب أوقاتاً لسرد الأحاديث النبوية والتفهم في معانيها مع قادة علماء وقته ، وضبطها ضبطا محكما لا يكاد يتخلف وقت منها ، وانتقى جماعة من أعيان فحول علماء دولته لسمره ومجالسته ، فكان يملي عليهم الحديث النبوي ، ويؤلفونه على مقتضى ما يشير عليهم به ، منهـم : العلامة الحجة محمد بـن أحمد الغربي الرباطي ، ومحمد بـن المير السلوي ، ومحمد الكامل الراشدي ، وعبد الرحمان بن عبد القادر بوخريص ، والتهامي بن عمرو الرباطي ، وعبد الرحمان المنجرة ، ومحمد بن عبد الصادق، وعلي بن أويس الفيلالي ، وعبد السلام بن بوعزة حركات السلوي ، هؤلاء هم المخصوصون من أهل مجلسه بالتأليف والدراسة والخوض في جمع ما يملي عليهم ، ويأمر بتدوينه طبق ما يريد .

وجلب المحدثين من فاس ومكناس لمراكش ، كالعلامة الشريف مولاي عبد الله المنجرة أخ مولاي عبد الرحمان ، والفقيه الاديب محمد بن الشاهد ، نقلهما اليها من فاس ، وأحمد بن عثمان مار الترجمة ، نقله اليها من مكناس ، والسيد محمد بن عبد الرحمان الشريف نقله اليها من تادلة ، والطاهر السلوي ، والشيخ الطاهر بن عبد السلام ، فرقهم على مساجد مراكش لتدريس العلم ونشره بين العباد ، ثم يحضرون مجالسه بعد صلاة الجمعة للمذاكرة في الحديث والتفهم في معناه ، وكان له اعتناء خاص بمولاي عبد الله المنجرة ، وأخيه مولاي عبد الرحمان .

قال عبد السلام نجل صاحب الترجمة في مؤلفه (اقتطاف الازهار ، من حدائق الافكار) : وكان والدي نصره الله وأدام لنا للمسلمين علاه ، حريصا على تعليم أولاده ، تابعا في ذلك سنة آبائه وأجداده ، يجلب العلماء لحضرته السعيدة المباركة الحميدة ، ويحث على تعليم العلم في سائر القرى والمدن ، ويكرم الاعلام وهو نصره الله مشارك في جميع الفنون العظام ، قد وسع أهل العلم انعاما واحسانا وعطاء وامتنانا ، يعلي مجالسهم ويستخرج نفائسهم ، ويكثر جوائزهم ويقضي حوائجهم ، وله مع الفقهاء مذاكرات ومحادثات في سائر الايام وممر الدهور والاعوام ، فيلقي عليهم من المسائل المشكلات في الحديث والسير والاخبار ، وضروب من الفنون العربية ، ونكت من المقطعات الادبية ، فلا يهتدون اليها الا بعد الاطلاع ، وسواء في ذلك ذو العارضة أو قصير الباع ، انتهى .

وحبَّس خزانة كتب جده السلطان الاعظم اسماعيل التي كانت بدويرة الكتب الشهيرة بمكناس ، وفرقها على جميع مساجد المغرب ، وكانت تزيد على الاثني عشر ألف مجلد ، رجاء نفع عموم الناس ، وسعياً وراء نشر العلم وتحصيله .

ومن ذيول هذا الباب ما أصدره لأبي مدين الفاسي في إسناد أمر زاويتهم الفاسية اليه ، مع الخطبة والامامة بالقرويين ، ونص ذلك بعد البسملة والصلاة :

عن أمر عبد الله ، الغالب بالله ، المعتمد على الله ، الناصر لدين الله ، المفوض جميع أموره الى مولاه في سره ونجواه ، أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين .

ثم الطابع بداخله محمد بن عبد الله بن اسماعيل ، الله وليه ومولاه ، وبدائرته ومن تكن الى آخره .

أيد الله أمره وسلطانه ، وقوى على حزب الشرك أنصاره وأعوانه ، وأسس على قواعد التقوى زواياه وأركانه ، وحرس بعينه التي لا تنام إيالته وأوطانه ، وأسعد عصره وأوانه .

يستقر هذا الظهير الكريم ، المبارك الجسيم ، والخطاب الحتم الصميم ، المتلقّى بالاجلال والتعظيم ، المحفوف باليُمن والاقبال ، ذلك قولا من رب رحيم ، الحافظ نظام العز الشامخ البناء ، واللاحظ المعتمد عليه بعين القبول والاعتناء ، والمجدد مراسم الاعتلاء ، لفضلاء الأبناء ، المتوارث عن أجلة الآباء .

أصدره أيده الله تكميلا للمقاصد ، وإجزالا لعارفة النعم الحميدة المصادر والموارد ، وتنويهاً بما ثبت واستمرَّ من الصنع الذي انتشر نشره وفاح عطره في المحافل والمشاهد ، بيد حامله الفقيه العلامة ، الشهير بالديانة والاستقامة ، وارث سر أسلافه ، ومَن يكاد العلم والعمل ينبعان من أغصانه وأعطافه ، حتى صار الهدى والرشاد من ذاتياته وأوصافه ، محبنا في الله وخلاصتنا من أجله، سيدي أبي مدين ، بن العالم الأكبر، والعلم الأشهر، سيدي أحمد ، ابن العالم الناسك، الواعظ المشارك، النور الشارق، الذائع سر فضله في المغارب والمشارق ، سيدي محمد ، بن امام العلماء والزهاد ، ورئيس النقباء والأصفياء والأوتاد ، وجودي الاقتداء ومنار الاهتداء في الحياة والمعاد ، مَن تأرجت بعلمه وتتوجت بدقيق فهمه بطون الدفاتر ، وذري المنابر ، ومتن الكراسي ، صاحب البركات ، وذو الكرامات ، سيدي عبد القادر الفاسي ، رحم الله أشباحهم ، وأبّد في الفردوس والنعيم نفوسهم الكريمةَ وأرواحهم ، آمين .

يتعرف منه بحول الله وقوته ، وشامل يمنه وبركته ، وجميل مواهبه اللدنية ونصرته، أنا جددنا له ولبنيه، وأهله وذويه، حكمَ ما بأيديهم من الظهائر السلطانية ، والأوامر الأمامية ، الصادرة عن أسلافنا الكرام ، الموالى العظام ، الذين اختارهم الله لرعاية الانام ، سقى الله ثراهم بوابل المغفرة والانعام ، المعربة عما ثبت لهم من الأثرة والمبرة ، والرتبة السامية المستمرة ، التي تقيهم ضروب الضيْم والمضرة ، وتعرفهم في أحوالهم كلها عوارف المسرة ، وترقيهم من ساحة التبجيل والتعظيم مكانا عالياً ، وتدني لهم في حدائق التنويه والتكريم من جنا الرعْي والتنزيه زهرا جنياً ، وتقف دون حوزتهم وقوف الذائد ، وتُعلم بما خلعنا عليهم بزته، وأقعدناهم منصته، كما يعلم بالخصب الرائد، وتستدل عليهم من أردية الاجلال والافتخار جلبابا ، وتضرب عليهم من مهابة العلم والنسك سرداقاً وقباباً ، وتفتح لهم من الاقبال والتأييد والامداد حجباً وأبواباً ، مبرة يثبت دوامهـا ، ويؤمن انقراضهـا وانصرامها ، وتمضي بعـون الله عزائمها واهتمامها ، وتستقر أوامرها وأحكامها ، حسبما استمرت بذلك عوائدهـم الجميلة ، وسيرتهم المحمودة الجليلة .

وزاويتهم الجديرة بالتعظيم والايثار ، والمشهورة بالاعتصام لمـن آوى إليها والانتصار محفوظة الأنحاء ، ملحوظة الأرجاء ، مؤمن نزيلها ، مكلوء رعيلها ، لا تطرق أيدي الطارقين جنابها ، ولا ينال عدوانهم أبوابها ولا أعتابها، لأن المدينة الادريسية حاطها الله ، وان فاخرت المدن بالايمة والعلماء والصلحاء سكانها ، حين قيل فيها : يكاد العلم ينبع من حيطانها ، فان نسبة تلك الزاوية المباركة منها وعندها ، كنسبة الانسان من العين ، دون خلاف في ذلك بين اثنين، ولا ريب ولا ميْن، مع ما لها في جانبنا الكريم من الود الصميم والاخلاص، اللذيْن أديا إلى غاية مراتب الحظوة والاختصاص ، وصيرها دارنا وعرارنا ، أجزل الله لديها مورد النعمة ، وأبقى عليها لَبوس الايثار والحرمـة ، وأدام عمارتها بالاسرار المودعة في خلفها الصالح والمكارم الجمة ، وإن كانت دعوة الشيخ سيدي عبد الرحمان المجذوب نفع الله به كفيلة بذلك ما دامت الامة .

والمسند إليه أمرها والنظر فيها وفي مصالحها ومنافعها ، والراصد لسموت ارتفاعها وأوقافها ورباعها وأحزابها ،والمولى الامامة والتدريس بها ، والمتكلم في المؤذنين بمنارها ، والمحترمين بروض معطارها ، هو سيدي أبو مدين المذكور ، وإليه المرجع في الأمور ، لأن رجاها بقطب أسراره تدور ، ومنهلها العذب السلسبيل من عنصره يفور .

بيد أن كل من استجار بزاويتهم ، واستظل بظل عنايتهم ، ينهي إلينا خبره ، فيحمد إن شاء الله ورده وصدره ، ولا يكون واسطة بيننا وبينه ، ولا كلام لأحد من وال أو عامل أو قريب أو بعيد فيها دونه ، لأن مكانته الفضلى ، ما زالت صحف آيها توحَى وتُتلا ، وتجدد معالمها ولا تَبلَى ، مثل ما كانت حظوته الشهيرة عند سيدنا الوالد ، ومولانا الجد ، المقدسين المنعمين ، وأرفع وأعلا .

كما جددنا له أيضاً على الخطابة بمنبر القرويين والامامة بها عمرها الله بدوام ذكره ، وعلى جميع ما بيده ويد إخوانه من الأوقاف الماضية ، والصدقات الجارية ، إعانة لهم عما هم بصدده من تدريس العلم وبثه ونشره ، وتحصيل ثوابه وأجره ، بحيث إن مَن حام حول ساحتهم ، أو رام جانب مساحتهم ، تلزمه العقوبة ، ولا يقبل منه عذر ولا متوبة .

وحسب الواقف عليه من الولاة والخدام ، أن يبادر بالامتثال لما أنفذته الأوامر والأحكام ، ويقف عند ما تضمنه الطرس وسطرته الاقلام ، والسلام .

وفي العشرين من جمادى الثانية عام واحد وسبعين ومئة وألف .

اختياراته المذهبية

وما رأى من المصلحة حمل القضاة والمدرسين عليه

ونظَّم العدلية الشريفة بايالته وأصدر في ذلك أولا منشورا إليك نصه بعد الحمدلة والصلاة على رسول الله :

هذا ظهير كريم ، يجب أن يتلقى بالتبجيل والتعظيم ، صدر به أمرنا المطاع ، يعلم منه أننا نأمر سائر القضاة بسائر ايالتنا أن يكتبوا الأحكام التي يوقعونها بين الناس في كل قضية ، ولا يهملوا كتابة الحكم في شيء من القضايا ، وليكن المكتوبُ رسميْن ، يأخذ المحكوم له رسماً يبقى بيده حجة على خصمه إذا قام عليه يوماً ، ويأخذ المحكومُ عليه رسماً ليعلم أن القاضي حكم عليه بالمشهور .

وعلى كل قاض من القضاة أن يعمل بموجب ما ذكرناه ، ويقف عند ما رسمناه ، لكونه حكماً شرعياً ، ومنهاجاً بين قضاة العدل مرعياً ، ومَن خرج عما ذكرناه بأن حكم ولم يكتب حكمه ولم يشهد عليه العدول ، فهو عندنا معزول ، وتنالُهُ منا العقوبةُ التامة .

ونأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يقفوا في هذا الأمر حتى يجري عليه عملُ القضاة ، ولا يهملوه إلا في المحقرات التافهة المقالات .

ثم أتبعه بما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

مسائل المذهب باعتبار الحكم فيها وفاقا وخلافةً على خمسة أقسام :
الأول ما هو متفق على اثبات الحكم فيه ، الثاني ما أثبت الحكم فيه الأكثر كالثلثيْن ، ونفاه الأقلُ كالثلث ، وهو المعروف عند الفقهاء بالمشهور والراجح ، الثالث ما اختُلِف فيه على قوليْن متساوييْن إثباتا ونفياً ، الرابع ما أثبت الحكم فيه الاقلُ كالثلث ونفاه الأكثرُ وهو المسمى عند الفقهاء بالمرجوح وبمقابل الراجح والمشهور ، الخامس هو ما أثبت الحكمَ فيه رجلٌ أو رجلان ونفاه الباقي وهو المسمى بالشاذ .

فالأقسام الأربعة ما عدا الأخيرة نعمل بها كلها في عبادتنا ، والقسم الخامس وهو الشاذ لا نعمل به فيها ، وأما غير العبادات مما يتعلق به حقوق

العباد كالنكاح والطلاق والعتق والمعاملات الجارية بين الناس ، فالعمل عندي فيها بالأقسام الثلاثة ، وهي المتفق عليه والمشهور ، وما تساوى فيه الطرفان ، وأما القسمان الباقيان وهما مقابل المشهور والشاذ فلا أعمل بهما في حقوق العباد خوفاً من المحذور ، بخلاف العبادة ، فأعمل فيها بمقابل المشهور دون الشاذ ، لأن العبادة بيني وبين ربي ، ودين الله يسر ، كما قال تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من غصب شبراً من الأرض طوقه من سبعين أرضين يوم القيامة » .

والرجال الذين ذكرت يعتبر اتفاقهم واختلافهم،فانما أعني بهم أصحاب الامام مالك الذين حملوا عنه مذهبه كابن القاسم ، وأشهب ، وابن نافع ، وابن وهب ، ومطرف ، وابن الماجشون وغيرهم ممن أدرك الامام مالكاً ، وكذلك الذين جاءوا بعده ولم يدركوه فأخذوا عن أصحابه كسحنون ، وابنه محمد ، وأصبغ ، وابن المواز ، وابن حبيب ، وابن عبدوس ، والقاضي اسماعيل ، وغيرهم ، وكذلك الذين جاءوا بعد هؤلاء كالأبهري ، وابن أبي زيد ، والقابسي، وابن القصار ، والقاضي عبد الوهاب ، وأضرابهم ، ثم تلامذتهم كأبي بكر بن عبد الرحمان ، وأبي عمران الفاسي ، وابن يونس ، وابن شعبان ، ثم اللخمي ، والمازري ، وابن رشد ، وابن العربي ، وسند ، وعياض ، وأمثالهم ، ولست أعني الأجهوري وأصحابه ، ، وكل فتوى أفتي بها الأجهوريون فان وافقت قولَ العلماء الأقدمين الذين تقدم ذكرهم فنعمل بها ، وإن لم توافقهم فلا نعمل بها ، وننبذها وراء ظهورنا ، فيجب على القاضي أن يحكم في حقوق الناس بالمتفق عليه ، ثم بقول الأكثر وهو المشهور ، ثم بأحد القوليْن المتساوييْن بعد أن يجتهد في القول الذى يحكم به منهما خشية أن يضيعَ حقُ المساكين ويميل إلى قوي ، فكلُ مَن ثبت له حق من المساكين بأحد القولين المتساويين فليثبتْه له بذلك القول ، وليلغ القول الذي يبطل به حق المسكين ، فاذا حكم القاضي بما ذكرنا كان قد استبرأ لدينه وعرضه ، وأين القضاة الذين كانوا يحكمون بما ذكرنا ولا يهملون حق المساكين ؟ وانما نظر القضاة اليوم إلى صاحب المال لماله ، وصاحب الجاه لجاهه ، فيحكمون لهم ويغلبونهم على المساكين بالقول الشاذ والعياذ بالله .

وأما أنا فكل قضية وصلت إلينا فاننا ننظر في الحكم الذي حكم به لقاضي ، فان وجدناه حكم بالمتفق عليه فعلى بركة الله ، وإن وجدناه حكم بأحد القوليْن المتساويين وأثبت حقّ المسكين وألغى الطرف الآخر فكذلك ، وإن وجدناه حكم بالقول الآخر الذي يلغي فيه حقّ المسكين فلا يلومنّ إلا نفسه ، وكذلك إذا حكم بالقول الشاذ ، فانه يجب على السلطان نزعه وعقوبته.

ثم أتبع ذلك أيضاً بما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

اِعلمْ أن هاهنا فوائد لابد منها ، ومسائل لا يستغنى عنها ، تشتمل على سبعة فصول :

الفصل الأول : أن المرأة لا توكل زوجها لاستخراج حقوقها ، وانما تُوكل قريباً من أقاربها أو أجنبياً ، وما يقبضه لها من حقوقها يدفع بيدها وتبرئه منه ولا يدفعه لزوجها ، فان دفعه له فلا براءةَ له منه إلا أن يكون زوجها ابن عمها وأحبت أن توكله فلا بأس .

الفصل الثاني : ينادى في أسواق البلد بالبراح أن لا يعامل أحد معدماً بفلس أو غيره ، وإنما يعامل مَن له دار أو جنان أو غيرهما من الأملاك فيعامل بقدر ما تساويه أملاكه ، فان عامل أحد معدماً لا دار له ولا جنان ، فقد أتلف ماله ولا يسجن ولا يحكم عليه ، ومن عنده الأملاك فانما يعامل بعد البحث عنه خشية أن يكون عليه دين آخر .

الفصل الثالث : أن من انقرض فيه دين خفيف كمئة مثقال فما دونها، وكانت له صنعة مثل تنجارت وتخرازت (1) أو غيرهما فليجعلْ له القاضي مسألة ، وهو أن يعطي من أجرته لرب الدين نصفها ويعيش بنصفها ، فان قبل فذاك ، وإن لم يقبلْ يُنفَى من البلد ، فان عاد إليها خُلد في السجن .

1) مصدران بربريا الصيغة ، معناهما النجارة والخرازة

الفصل الرابع : إن المال المنقرض إذا كان كثيراً نحو ثلاثة آلاف مثقال فأكثر ، وكان الشخص المقروض فيه المال مفلساً ليس عنده ما يدفع في الدين فانه يُنفى من البلد ، فان عاد اليها خلد في السجن ، وهذه المسألة وان كانت بدعة فقد رأيناها مستحسنة ، ولذلك امرنا بها ، إذ ربما يكون الرجل عنده أموال الناس ويظهر العدم ويأكلها في داره ، والجلاء أمرُّ عليه من السجن، فان كان أخفى مالا فانه يخرجه ، وان لم يكن عنده صبر على الجلاء .

الفصل الخامس : إذا تخاصم رجل مع زوجته فلا يسجنه القاضي لها إن لم يكن ضربها ، فان ضربها بحث القاضي عن سبب ضربه لها ، فان كان على ترك الصلاة أو على اتلاف ماله فيصلح القاضي بينهما ، وإن كان على غير ذلك بأن كان ضربها ضرباً فاحشا أو بالحديد فليعزلها القاضي عن زوجها ويردها الى أهلها ، ولا ترجع إليه حتى يتوب ويأخذ بخاطرها ، وهذا الأمر الذي أمرت به من أن الزوج لا يسجنه القاضي فيه مصلحة عظيمة عامة نافعة للزوج وللزوجة ، وذلك ان الزوجة اذا رفعته الى القاضي وسجنه لها ، فان مال الزوج يضيع بذلك ، لأن القاضي يأكل منه طرفاً، وأعوان القاضي يأكلون منه طرفا ، والسجّان يأكلون طرفاً ، فهذا مال الزوج قد ضاع بين هؤلاء ، ومع ذلك الزوجة لا تتوصل بحقها .

الفصل السادس : إن مَن قبض رهناً من حلي أو جوهر أو غيرهما ، فليرفعه إلى القاضي ، ويقومه القاضي بحضور أرباب المعرفة حتى تعرف قيمته، وتكتب بالعدول ، بحيث إذا تلف ذلك الرهن فلا تقع بين المتراهنين خصومة ولا إنكار ، وأما اذا لم تعرف قيمة ذلك الرهن وبقي أمره مجهولا وتلف فانه يقع بينهما من النزاع والخصومات ما لا يكيف ، ويوجب القاضي اليمينَ على أحدهما ، وربما يحلف على شيء مجهول لم تعرف قيمته فيهلك .

الفصل السابع : اذا أراد الرجل شراء ملك أو دار أو جنان أو أرض حرث أو غيرها فلابد أن يأتي الى قاضي البلد ويعلمه أنه أراد شراء دار في

الحومة الفلانية أو جنان بالموضع الفلاني أو فدان بالموضع الفلاني ، ويقول الذي أراد الشراء : اني أشاورك في هذه الدار مثلا أو غيرها ، فان أنت وافقتني اشتريت ذلك، وان لم توافقني تركت ذلك، فيتعيَّن على القاضي حينئذ أن يبحث أشد البحث في ذلك ، ويأمر باحضار ربّ الدار أو غيرها بين يديه ، ويسأله بأي وجه دخل بيده هذا الملك الذي أراد بيعه ؟ هل بارث ؟ أم بشراء ؟ أم بهبة ؟ أم بغير ذلك ؟ ويأمره باحضار الرسوم ويتأملها حتى تأملها ، فان وجدها موافقة للشرع ولا نزاع لأحد في الملك المذكور لا من جهة شفعة ولا استحقاق ولا ملك غير ، فحينئذ يوافق مشتريَه على الشراء ، وإن وجد غير ذلك أخره عن الشراء ، ويقول له : هذا فيه شبهة لا يحلُّ لي أن أوافقك على شرائه ، وهذا الأمر المذكور لا يباشره الا القاضي بنفسه ، ولا مدخلَ للعدول في ذلك لا بكتابة ولا بغيرها ، وان أشكل على القاضي الأمرُ في صحة ملكية ذلك البائع وتوقف، فليناد أهل الحومة (العارفين) بذلك الملك ويسألهم عن سبب ملكية البائع لذلك الملك الذي أراد بيعه ، فان كان جنانا فليناد على جيرانه في الجنان ، وان كانتداراً فليناد على جيرانه من الدار ، وما شهد به الجيران المذكورون يثبته القاضي ولا يبقى في ذلك كلام ، فعند ذلك ينادي القاضي على الرجل المذكور الذي أراد الشراء ، فليحضر المال بين يدي القاضي ويدفعه للبائع ، ويشهد عليه بالبيع العدولُ ويثبت له القاضي رسمه ، فحينئذ يكون القاضي هو الذي تولى البيع بنفسه ، فيبقى ذلك الرسم صحيحاً مخلدا لذريته ولعقبه ، ولا يجد مَن ينازعه فيه أبداً ، وإن وقع بعد ذلك قيام غائب أو وارث فدرك ذلك على القاضي لأنه هو الذي تولى البيعَ بنفسه ، وعلى هذا يكون عمل القضاة في سائر بلدان المغرب .

نطلب الله الهداية لنا ولكم ولسائر المسلمين .

وقيدناه عن أمير المؤمنين مولانا محمد ابن أمير المؤمنين مولانا عبد الله الشريف الحسني ،الله وليه ومولاه .

واعلم أن هذا الوقتَ وقتٌ صعب ، كثُر فيه الظلَمة المتمردون ، ومن جملتهم الذين يريدون أن يأكلوا أموال اليتامى ، يأتون الى رب الملك الذي

عنده فيه بعض الورثة أو بعض الحق للغير من شفعة مثلا أو غيرها ، فيأتي ذلك الظالم المتمرد ويشتري ذلك الملك الذي فيه النزاع ، ويتقوى على المسكين صاحب الحق بالمال والرشوة حتى ينزعه منه ويشهد له العدول ، والقاضي يعمل له خاطره ويضيع حقُ ذلك المسكين ، وبعض القضاة يحكمون لذلك الظالم بالفتاوي الواهية التي لا عملَ عليها حتى يضيع حق ذلك المسكين .

مسألة أخرى : اذا حكم القاضي بحكم وكان ذلك الحكم مشهورا ، وذهب المستفتي ليأتي بحكم آخر مشهور فانه لا يعمل به ولا يحكم إلا بالحكم الأول إذا كان ، وإذا أتى المستفتي لصاحب الفتوى وقد كان حكم عليه القاضي بحكم مشهور فليطرده ولا يفتي له ، ويقول له إن القاضي قد حكم عليك بحكم مشهور فلا نفتي لك بفتوى ، وإن أفتى له بقول آخر مشهور فتلزمه منا العقوبةُ التي تأتي على نفسه ، لان المفتي يريد أن يعينه بفتواه على الخصام وأكل أموال الناس ، وإذا كان القاضي قد حكم عليه بقول ضعيف وكان في المسألة قول آخر مشهور أصح مما حكم به القاضي فليفت له ، ويتعين حينئذ على القاضي أن يحكم بذلك القول المشهور الذي أفتى به صاحب الفتيا ، واذا تمادى القاضي على حكمه الواهي ولم يعمل بالقول المشهور الذي كتب به المفتي فواجب على السلطان نزعه ، وينقض ذلك الحكم الأول ، لأن الحقَّ أحقُ أن يُتَّبَع .

انظر قضية السيد سلمان الفارسي مع سيدي أبي الدرداء رضي الله عنهما في المسانيد إن كنت من أهل الحديث وطالعْها .

ثم أتبعه بما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم   وصلى الله على سيدنا محمد وآله

اعلم أنه مما ينبغي الاسراع إليه ، وتنبيه قضاة الوقت عليه ، أن كل من أراد أن يشتري دابة أو أمة أو عبدا فانه لا يعقد الشراء مع المالك الذي أراد البيع الا بعد التقليب الشافي والاختبار الكافي ، فان لم يكفِهِ التقليبُ في

اليوم الاول زاد اليوم الثاني ، والا زاده اليوم الثالث ، فان خلصه في اليوم الثالث وحاز المشتري مشتراه والبائعُ ثمنَه ، فلا رجوعَ للمشتري على البائع بشيء يجده في مشتراه وان كان سبب موته وهلك في يده ، لأنه كان قلب ورضِيَ وحاز وتصرف .

وقد أمرنا بهذا الأمر لما ظهر لنا فيه من المصلحة ورفع النزاع ، ولا سيما وبياطرة الوقت قد قلَّتْ أمانةُ الغالب منهم ، فيستخرجون عيوباً ليست موجودة في الدابة ، فنأمر جميع القضاة وغيرهم من الولاة في سائر إيالتنا السعيدة أن يعملوا بأمرنا هذا ويقفوا عنده ، وأن لا يتجاوزوا حده ، والقاضي لا يثبت رسماً يتضمن ما أقام به المشتري من العيوب المذكورة ، وإنما يثبت رسم الاستحقاق ، يعني إن سرقت دابة أو ذهبت، ولا يقبل القاضي شهادة أجنبي إلا اذا كان من جيرانه ان كان من أهل الحضر ، ومن جيرانه ان كان من أهل البادية ، لأن الأجنبي لا علم له بالدابة ، وان شهد شهد زوراً وجيرانه تكون عندهم معرفة الدابة متحققة ، لأن مرورهم عليها في الصباح والمساء .

ومسألة فصال القضاء على الدواب مسألة صعبة كثيراً ، وأنا أبينها وأبدأ بالفرس لأنه أشرف الدواب ، فان كان الفرس من عتاق الخيل ، فان أهل ربعه (1) النازلين معه كلهم يعرفون الفرس معرفة شافية لحسنه وجودته ، فاذا سرق الفرس المذكور وأتى أهل الربع المذكور يشهدون على الفرس ، فأول شهادتهم السب والشتم لمن وجد في يده لمعرفتهم به ، فلا يبلغون الى القاضي حتى يملؤوا أذنيه سباً وشتما ، فعند ذلك يقولون للقاضي : هذا الفرس نعرفه كما يعرف بعضنا بعضا ، وأن كان جملا في غاية الجودة وحسن الصورة فهو ملحق بالفرس في شهادته ، وان كان ثورا في غاية الحسن والجودة ، فانه يلحق بهما ، وبقي فصلان يكون الفرس والجمل والثور المذكورات ليس بالرديء ولا بالجيد ، فاذا جاء الشهود يجيؤون إليه ويدورون به ويتأملونه ، فاذا استوفيت البينة منهم أخذه صاحبه .

---

1) **الربع** : في الاصطلاح الاداري المغربي القديم بطن من قبيلة .

والقسم الثالث : ان يكون الفرس أو الجمل أو الثور أو الحمار رديئاً جداً فهذا تصعب البينة عليه ، ولا يعرفه الا ربه أو جيرانه ، فلا يجد صاحبه من يكمل له البينة ، فيجب على القاضي أن يصلح بين من وجدت في يده ، وبين من ادعى انها ملكه ، ولا يلتفت القاضي إلى البياطرة وأقوالهم ، فكل مَن اشترى دابة وحازها فلا يرجع على بائعها الا في مسألة واحدة ترجع بها الدابة ، وهي أنه اذا كان فيها الداء الذي يسمى بالنغلة ، فانها ترجع لصاحبها ولو أقامت عند المشتري سنة ، وأما الداء الذي يسمى بالذباب ، فان ظاهر الدابة التي يكون فيها تكون عجفاء شحباء ، ويكون ظاهراً فيها وفي عينيها ، فاذا اشتراها أحد وقال : انها تسمن عنده ويقلب فيها البيع ، فاذا ماتت في يده فلا قيام له على البائع الذي اشتراها منه ، وضاع في ماله ، انتهى .

وله من هذا شيء كثير .

كتبه كاتب الجناب الشريف عبد القادر بن محمد الهزروم التطواني ، ونقل في تقييده شعراً للمترجم ، وكان يقيد من سنة 1199 الى سنة 1203 .

وبنى المترجم ثغر الصويرة عام 1178 ، وبنى مدينة طيط سنة 1182 ، وفيها فتح ثغر الجديدة ، وتقدم الكلام عليه في هذا الجزء ، وقد تكلم عليه في (نشر المثاني) ص 7 من ملزمة 34 ج 2 ، أما في (الاستقصا) فلم يتكلم عليها الا بنقل كلام لويز وغيره ص 102 ج 4 .

أمـا آثـاره فهي كثـيـرة جـداً ، قـال في ص 121 من ج 4 من (الاستقصا) : وخلـد ءاثاراً كثيـرة بالمغرب ، فمـن ذلك بمـراكش تجديد ضريح الشيخ أبـي العباس السبتي ومسجده ، ومدرستـه ، وضريح الشيخ التباع ومسجده ، وضريح الشيخ الجزولي ومسجده ، وضريح الشيخ الغزواني ومسجده ، وضريح الشيخ ابن صالح ومسجده ، وضريح المولى علي الشريف ومسجده الاعظم ، وضريح الشيخ ميمون الصحراوي ، ومسجد الملوك ببريمة ومدرستاه ، وتجديد جامع المنصور ، والمسجد الاعظم بباب دكالة ، والمسجد الاعظم بباب هيلانـة ، والمسجد الاعظـم بالرحبة ،

ومساجد القصبة ومدارسها الست ، ومسجد زاوية الشرادي ، ومسجد رباط شاكر ، ومدينة الصويرة بمساجدها ومدارسها وصقائلها (1) وأبراجها وكل ما فيها ، ومسجد آسفي ومدرسته ، ومسجد مدينة تيط ، ومدينة ءانفا ومسجدها ومدرستها وحمامها وصقائلها وأبراجها ، ومدينة فضالة ومسجدها ومدرستها ، والمنصورية ومسجدها ، وجامع السنة برباط الفتح ، ومساجد أجدال الستة وأبراجه ، والصقالتين الكبيرتين بسلا ورباط الفتح ، ومسجد العرائش ومدرسته وصقائلها وأبراجها وسوقها ، وصقائل طنجة وأبراجها ، والمسجد الأزهر ومدرسته باصطبل مكناسة ، ومسجد البردعيين بها ، وضريح ابن عيسى ، وضريح الشيخ سيدي سعيد ومسجده ، ومدرسة الصهريج ، ومدرسة الدار البيضاء ، ومسجد بريمة ومدرسته ، ومسجد هدراش ، ومسجد باب مراح ، وثلاثة أقواس بقنطرة وادي سبو خارج فاس ، وضريح الشيخ علي بن حرزهم ، وضريح الشيخ دراس بن اسماعيل ، وضريح أبي عبد الله التاودي ، ومدرسة باب الجيسة ، ومسجد تازة ومدرسته ، وضريح المولى علي الشريف بسجلماسة ، وقصبة الدار البيضاء بها ومسجدها ومدرستها ، ومسجد الريصاني ومدرسته ، وأوقافه على المارستان بفاس ومراكش ، فهذه الآثار كلها مما سمتْ إلى تخليده همتُه الشريفة ، بعضها أنشأه ، وبعضها أصلحه وجدده .

ورتب للأشراف بتافيلالت في كل سنة مئة ألف مثقال سوى ما ينعم به عليهم في أيام السنة متفرقا ، ورتب لأهل الحرمين الشريفين وشرفاء المغرب مئة ألف مثقال كذلك .

وأما الطلبة والمؤذنون والقراء وأيمة المساجد فكانت تأتيهم صلاتهم في كل عيد ، وأما ما كان ينفقه في الجهاد على رؤساء البحر وطبجيته وما يصيره على المراكب الجهادية والآلات الحربية التي ملأ بها بلاد المغرب فشيء لا يحصيه الحصر . وأما ما أنفقه من الأموال في فكاك أسرى المسلمين فأكثر من ذلك كله ، حتى لم يبق ببلاد الكفر أسير من المغرب ولا من المشرق ، ولقد بلغ عددهم في سنة مئتين وألف ، ثمانية وأربعين ألف أسير وزيادة .

---

1) الصقالة دكة توضع فوقها المدافع

وأوقافه بالحرمين الشريفين وكتبه العلمية المحبسة بهما ما زالت قائمة العين والاثر الى الآن .

وأما اعتناؤه بالمركب القرصانية فقد بلغ عددها في دولته عشرين كبارا من المربع ، وثلاثين من الفراكط والغلائط ، وبلغ رؤساء البحر عنده ستين رئيسا كلها بمراكبها وبحريتها ، وبلغ عسكر البحرية ألفا من المشارقة ، وثلاثة آلاف من المغاربة ، ومن الطبجية ألفين ، وبلغ عسكره من العبيد خمسة عشر ألفا ، ومن الاحرار سبعة آلاف ، وأما عسكر القبائل الذى كان يغزو مع الجند فمن الحوز ثمانية آلاف ، ومن الغرب سبعة آلاف ، وكانت له هيبة عظيمة في مشوره وموكبه يتحدث الناس بها ، وهابته ملوك الفرنج وطـواغيتهم ، ووفدت عليه رسلهم بالهدايا والتحف ، يطلبون مسالمته في البحر ، بلغ ذلك رحمه الله بسياسته وعلو همته حتى عمت مسالمته أجناس النصارى كلهم ، الا المسكوب (1) فانه لم يسالمه لمحاربته للسلطان العثماني ، ولقد وجه رسله وهديته الى طنجة فردها السلطان رحمه الله وأبى من مسالمته .

ووظف على الاجناس الوظائف فالتزموها وكانوا يؤدونها كل سنة ، واستمر ذلك مـن بعده الى أن انقطع في هـذه السنين المتأخرة ، وكـانوا يستجلبون مرضاته بالهدايا والألطاف ، وكل ما يقدرون عليه ، ومهما كتب الى طاغية في أمر سارع إليه ولو كان محرماً في دينه ، ويحتال في قضاء الأغراض منهم بكل وجه أحبوا أم كرهوا ، وكان أعظم طواغيتهم طاغية الانجليز ، وطاغية الفرنسيس ، فكانوا يأنفون من أداء الضريبة علانية مثل غيرهم من الأجناس، فكان رحمه الله يستخرجها منهم وأكثر منها بوجه لطيف .

وكان له عدة أولاد أكبرهم علي ، والمامون ، وهشام ، وعبد السلام ، هؤلاء لربة الدار المولاة فاطمة بنت عمه سليمان بن اسماعيل ، ثم عبد الرحمان أمه حرة هوارية من هوارة السوس ، ثم يزيد ومسلمة أمهما علجة من سبي الاصپنيول (2) ثم الحسن وعمر أمهما حرة من الأحلاف ، ثم عبد الواحد أمه حرة

---

1) أي الروس ، وكان المغاربة يسمون أهل روسيا جنس الموسكو أو الموسكوب .

2) ويقال انها من جزيرة كورسيكا . وتسمى السلطانة الضاوية

من أهل رباط الفتح ، ثم سليمان والطيب وموسى لحرة من الاحلاف أيضا ، ثم الحسن وعبد القادر لحرة من الاحلاف أيضا ، ثم عبد الله لحرة من عرب بني حسن ، ثم ابراهيم لعلجة رومية .

ومما مدح به السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله من الشعر أرجوزة الأديب البليغ ، أحمد الونان ، المعروفة بالشمقمقية التي يقول في مطلعها :

مهلا على رسلك حادى الأينُق ولا تكلفْها بما لم تطق

وهذه الارجوزة مشهورة بين الناس ، وهي من الشعر الفائق والنظم البديع الرائق ، ابان منشئها عن باع كبير واطلاع غزير على أخبار العرب وأيامها ، وحكمها وأمثالها ، بحيث أن من حفظها وعرف مقاصدها أغنته عن غيرها من كتب الادب ، وقد كنت في أيام التعاطى اعتنيت بتصحيح ألفاظها ، والتتبع لأخبارها وأمثالها ، والتنقيب عن تلميحاتها وتلويحاتها ، حتى فضضت ختامها واستوعبت مبداها وتمامها ، ثم شرعت في كتابة شرح عليها يحيط بمعانيها ، ويستوعب دقائق مبانيها ، فكتبت منه نحو أربعة كراريس ، ثم عاقت ألاقدار عن اتمامه ، نسأله سبحانه وتعالى أن يصرف عنا العوائق فيما ينفعنا في ديننا ودنيانا ، ويحفنا بالسعادة الدنيوية والأخروية في متقلبنا ومثوانا ، انه ولي ذلك والقادر عليه .

وفي (الطرة) قال مؤلف هذا الكتاب : وقد منّ الله تعالى باتمامه ، فجاء والحمد لله غاية في بابه ، انتهى .

كان أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله لما خرج من مراكش وبه مرض خفيف ، فتحمل المشقة وجدّ السير ، فتزايد به مرضه في الطريق ، فوصل الى أعمال رباط الفتح في ستة أيام ، فادركته منيته رحمه الله وهو في محفته على نحو نصف يوم من رباط الفتح ، فأسرعوا به الى داره من يومه ذلك ، وهو يوم الاحد الرابع والعشرون من رجب سنة أربع ومئتين وألف .

ومن الغد أجتمع الناس بجنازته وانحشروا من كل وجه ، فجهز ودفن بقبة من قبب داره ، وتأسف الناس لفقده خاصة وعامة رحمه الله ورضي عنه .

وذكر في (السر الظاهر) : أن وفاته كانت في الخامس والعشرين من رجب .

ولنجعل مسك ختام هذه الترجمة ما ذكره ولده في (درة السلوك) :

إن والدي لما وجه الهدية للسلطان عبد المجيد العثماني من مصحف كريم محلى بالذهب ، مرصع بالألماس يساوي مئة ألف دينار الى آخره ، وجه السلطان عبد المجيد له هدية جليلة مع كاتب الديوان السيد أحمد أفندي سنة 1202 ، وفي الهدية سفر واحد مشتمل على (صحيح البخاري ومسلم) ، و (الموطأ) ، و (المسانيد الست) ، و (الشمائل) ، و (عمل اليوم والليلة) وهذه الكتب كلها مشتمل عليها سفر واحد غير كبير الجرم .

وأنفق في غلاء 1189 إلى خمسة أعوام خمسمئة ألف دينار ، وفك من الأسارى ما يزيد على الأربعة آلاف .

ثم ذكر تآليفه (الفتوحات الالاهية) ، و (مختصر الحطاب) ، و (اختصار المسانيد الاربعة) .

ومن مآثره بناؤه المسجد الاعظم برباط الفتح ، واعاد بناء مسجد شاكر بن عبد الله الازدي أحد مشاهير التابعين ، دخل المغرب مع عقبة بن نافع الفهري ، فخلّفه عقبة يعلم المصامدة وغيرهم ، وكانت لشاكر أخبار مع رجراجة في جهاد الكافرين ، وما زال رباطه يقصد للزيارة من الآفاق ، وقد اندثر رسم مسجده من حدود المئة الثالثة الى أن أحياه أيده الله .

انتهى منها بلفظها .

وذكر شاكر" المذكور في (التشوف)، وانه من أصحاب عقبة المذكور، وذكر في (السلوة) صحيفة 239 من الجزء 3 أن سيدي شاكر ولد سيدي يعلى بن واطل أحد رجال رجراجة ، انتهى .

وبيــن رباط شاكر ومــراكش 85 كيلومتــر ، منها 56 فــي الطريق الصويرية ، ثم ترجع الى اليمين ، فتصل تانسيفت بعد قطع 21 كيلومتر ، ثم تصل رباط شاكر بعد قطع ثمان كليومتر ، فاذا أردت الرجوع الى مراكش على طريق الشماعية ، فمن رباط شاكر اليها 42 كيلومتر ، ومــن الشماعية الــى مراكش 71 ، الجميع = 113 بين الطريقين 28 كيلومتر .

ذكر المترجم في (السر الظاهر) ، وولده في (الدرة) و (اقتطاف الازهار) ، والزياني في (الروضة السليمانية) وفي (الفهرسة السليمانية) وغيرهما من تآليفه ، وصاحب (الروضة المقصودة) ، والضعيف في تاريخه ، وصاحب (الجيش) و (الاستقصا) ، وصاحب (السلوة) وغيرهم (1) .

770) **محمد العوني** العالم العلامة ، كــان يسكن بالرباط الناصــري بمراكش ويتولى أمر الرباط فقط ، كان رحمه الله إماماً عالماً متفنناً في علوم شتى في العشرة الثالثة من القــرن الثاني عشر من الدرة الجليلة عــن والد مؤلفها عبد الله بن محمد بن عبد الله البوشعيبي نسباً مؤلف (تحفة الأسرار ، في ذكر الصالحين الأبرار) ، و (الدرر اللوامع) ، في ذكر من لقيه من أفاضل الأعلام ، ذكر فيه من أخذ عنه الورد الناصري ومن التقى معه وحشر فيه كثيراً من أهل العلم والتصوف والصلاح وما تلقاه عنهم .

771) **محمد بن علي بن محمد المرتبي المراكشي** ، قال يستدعي إجازة من علماء فاس :

أيها الشفر أمهلوني قليــــــــلا ... انظروني سقيتم السلسبيــــــلا

امهلوا سيركم أكون رفيقــــــا ... ودليلا إذا فقدتم دليــــــلا

أمهلوا سيركم أجيء بنــــــور ... منه يحكي الظلام ألفين ميــــلا

أقبس الضوء من شموس تبــدوا ... في سماء العلا جليلا جليــــلا

أشيوخ لكم فضائل جلــــــت ... أمَّكُم خادمٌ ضعيفاً عليــــــلا

أمَّكم مفرداً غريباً فقيــــــراً ... زودوه فقد أراد الرحيــــــلا

1) تنظر الترجمة الوافية للسلطان سيدي محمد بن عبد الله في **اتحاف اعلام الناس** 3 : 148 و **الاستقصا** 8 : 3 طبع الدار البيضاء ، و **سلوة الأنفاس** 3 : 230

زودوه من الدعاء بخيـــــــر ... أمنوه لكم يجوز السبيـــلا
روجوا درهما نحاساً أتاكـــم ... واطبعوه ليستحيل فضيـــلا
ناولوه إجازة وارحمـــوه ... فلقد كان ينتحيكم طويـــلا
لا عدمتم جلالة ثم جاهـــا ... وحللتم في الحشر ظلا ظليـــلا
أنتم قادة لكل جهـــول ... أنتم حقاً تخلفون الرســولا
وعليه من الرحيم صـــلاة ... وسلام مكرر مستطيـــلا

فأجابه سيدي حمدون بن عبد الرحمان ابن الحاج رحمه الله بفضله :

أيها المستجيز من ليس أهـــلا ... أن يجاز وظن ظناً جميـــلا
وله الأدب الذي لم يجـــزه ... قبله البحتري معنى صقيـــلا
وبعلم البيان قد لاح سعـــدا ... وبنحو والفقه ضاهى خليـــلا
قد أجزناك دمت تزداد ريـــا ... من علوم وردتها سلسبيـــلا
لك مراكش تنادي اشتياقـــاً ... أيها المغتدى لنا سلسبيـــلا
بك تعلو الحمراء يابن علـــي ... فتقدم لها نبيها نبيـــلا
نسأل الله أن يبينك فيهـــا ... قمراً طالعاً زماناً طويـــلا

وأجازه الشيخ الطيب ابن عبد المجيد بن كيران قائلا في إجازته : انه ممن كان يتردد إلينا في الغدو والرواح ، ويبدي مباحث علا بها على مَن غدا معه أو راح ، فعلمت أنه ثاقب الذهن ، وله اليد العليا في كل فن ، لا سيما وقد وجدته أيامَ مروري على مراكش الحمراء تصدى بها للاقراء ، ولم يدفن علمه في أرض النسيان ، ولم يهمل ما تقلده من فحول الزمان ، ثم قال : وقد أجزته في جميع ما سمع مني وغيره من كل ما حصلته من المحصلين ودريته أو رويته عن الراسخين .

772) **محمد بن أحمد العبادي** الفقيه الأجل ، النبيه الأكل ، العلامة الافضل ، قاضي الجماعة بمراكش ، وقفت على رسم مسجل عليه سنة 1206 ست ومئتين وألف ، ووقفت على بعض فتاويه المدرجة مع فتاوى بعض علماء مراكش في نوازل العلامة ابن أبي القاسم السجلماسي، ففيها: وسئل أيضاً بعد تقديم غيره للجواب عن مسألة نصها : رجل ادعى عليه آخر أنه قتل له أخاه

وأنكره في ذلك ومشى به للمخزن ، وحين جلس بين يدي الحاكم ، اشتغل يتهدد عليه ويخوفه ، وادعى الحاكم مع دائرته أنه أقر عندهم ، فصرفه الحاكم المذكور لامير المؤمنين نصره الله ، وحين وقف بين يدي الامير سأله عن ذلك ، ففاضتْ عيناه بالدموع ولم يجبْه بشي ، وأمر به أيده الله إلى السجن ، وأمر المدعيَ أن يثبت دعواه ، فمكث في السجن مدة من نحو عامين ونصف من غير بينة عادة ولا موجب شرعي سوى شهادة الحاكم المذكور ودائرته ، **هل سيدي أعزكم الله تجوز شهادة الحاكم ودائرته عليه إن ثبت أم لا مع أنه** ناكر إلى الآن ؟ وهل سيدي يسرح من السجن الذي هو به أم لا ؟ وان طلب تسريحه ليعملَ الشرعَ مع المدعي هل يسرحُ أم لا ؟ جواباً شافياً مأجوراً ، والسلام .

الحمد لله ، الجواب لا يلزمه ذلك ، لأن ذلك اكراه ، وفي (المختصر) ولو عين السرقة أو أخرج القتيل الى آخره ، وعليه يسرح بعد المدة ، قاله محمد العبادي .

الحمد لله المسطر أعلاه صحيح ، وفي السبكي المُكره غير مكلف على الصحيح ، وبه كتب أحمد التستني .

الحمد لله ، صحيح كون المكره بالفتح لا يؤاخذ باقراره ، وسجنه المدة المذكورة لا تساعده نصوص أهل المذهب ، وبه كتب ابراهيم بن الصغير .

الحمد لله ما سطر أعلاه صحيح ، حيث كان الاقرار على الوجه المذكور في السؤال ، وبه يقول عبد العزيز بن حمزة .

الحمد لله ما سطر أعلاه من عدم مؤاخذة المكره باقراره صحيح ، وكتب عبد العزيز بن محمد السجتاني .

فأجاب عقب ما ذكر بما نصه :

الحمد لله اذا كان الامر كما ذكر السائل بالملتصق أعلاه ، فأمر سيدنا نصره الله بسجن الرجل ليستبرىء أمره صواب ، فان لم يثبت عليه شيء في المدة الطويلة وجب اطلاقه ، وان كان متهما بعد تحليفه كما يأتي ، والاقرار المشهود به عليه إن كان مع التهديد والتخويف لا يلزمه ، ولو شهد به العدول ، قاله ابن ناجي في (شرح المدونة) ، وقال غير واحد يسجن المتهم ،

يعني بالقتل شهراً وغير المتهم ثلاثة أيام ، انتهى ، زاد المتيطي بعد نحـو ما تقدم ، فان ظهر عليه ، يعني المتهم ما يوجب أن يزاد في حبسه زيد ، وان لم يظهر عليه شيء غير الدعوى ، استحلف خمسين يمينا على أنه لم يقتل ، وخلي سبيله .

ثم قال بعد نقل كلام ابن سهل في احكامه وكلام (المدونة) ، وابن رشد في (البيان) على نقل صاحب (الدر النثير) ما نصه : ففي هذه النقول المسرودة ما تعلم به أجوبة الفقهاء وفرهم الله ، وبالله التوفيق ، انتهى .

وتقدمت ترجمة ابراهيم بن الصغير (1) وستأتي ترجمة عبد العزيز بن حمزة ، وعبد العزيز السجتاني ان شاء الله تعالى في مواضعها من هذا الكتاب .

773) محمد التاودي بن الطالب ابن سودة المُري

محمد التاودي بن محمد الطالب بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن أبي القاسم بن محمد ، بن أبي القاسم القادم من غرناطة إلى فاس ، المعروف بابن سودة المتقدم سابقاً ، وسودة بضم السين وفتحها ، المري ، والتاودي في الأصل نسبة الى بني تاودة بضم الواو ، قرية من أعمال فاس (2) ، ثـم صار أهل المغرب وخوصا أهل فاس يلقبون به أبناءهم تيمناً ببعض من ينسب اليها وهـو محمد التاودي دفيـن خارج باب الجيسـة ، والمري بضـم الميم وكسر الراء المشددة نسبة الى مـرة ، والظاهر وهو الذى جزم به العلامـة الرهوني أن المراد به مرة قريش ، لأنه المتبادر عند الاطلاق ، وإن أريد غيره قيد ، الأندلسي أصلا ، الفاسي منشئاً وداراً ، الشيخ الامام الفقيه العلامة ، المحقق المدقق الدراكة الفهامة ، الولي الصالح ، البار الناصح ، المتهجـد الخاشع ، الخاضع المتواضـع ، المنور السريرة والفكرة ، السريع البكـاء والعبـرة .

كان رحمه الله ممن جمع بين جلالة العلم والدين، وسلك منهاج السلف الصالح المهتدين ، شيخ الجماعة في وقته ودهره ، وممن ألقت اليـه العلوم بالزمام في عصره ، قد تضلع من جميعهما ،واعتكف على تفهمها وتفهيمها .

---

1) انظر 1 : 187 ع 35 من هذا الكتاب

2) هي المعروفة اليوم بفاس البالي شمالي فاس

أخذ عن جماعة من أشياخ وقته ، ممن هو مذكور في فهرسته، كالشيخ محمد بن أحمد ابن جلون ، والشيخ أحمد بن علي الوجّاري ، والشيخ أحمد بن أحمد الشدادي ، والشيخ أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي ، وهو عمدته ، والشيخ محمد بن الحسين الجندوز ، والشيخ يعيش بن الرغاي الشاوي الفاسي ، والشيخ محمد بن أحمد التماق ، والشيخ سيدي مَحمد بن قاسم جسوس ، وغيرهم .

وأخذ أيضاً عن غير واحد من علماء المشرق ، وتبرك بكثير من الأولياء والصلحاء مغرباً وشرقاً ، وأخذ عنهم واغترف من بحارهم ، واقتبس من أنوارهم، من جملتهم الولي الكبير ، القطب الشهير، مولانا أحمد بن محمد الصقلي الحسيني ، وأخذ عنه خلق كثير وجم غفير ، من أجلهم ولده أحمد ، والشيخ محمد بن الحسن الجنوي الحسني ، والشيخ محمد بن علي الورزازي ، والشيخ أحمد الملوي ، والشيخ الطيب بن عبد المجيد ابن كيران ، والشيخ ادريس بن زين العابدين العراقي ، والشيخ يحيى بن المهدي الشفشاوني ، والشيخ محمد بن عمرو الزروالي ، والشيخ حمدون ابن الحاج ، والشيخ سليمان بن محمد الحوات ، والشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الحاج الرهوني ، وغيرهم ممن يطول ذكره .

وحج سنة إحدى وتسعين ومئة وألف ، فلقي بالمشرق جماعة من أهل الخير وتبرك بهم ، كالشيخ السمان ، والشيخ مرتضى الحسيني شارح (الاحياء) و (القاموس) ، وأخذ عنه هو أيضا وتبرك به ، وقد قال في شرحه على (القاموس) في مادة سود : ومحمد بن الطالب ابن سودة بالفتح شيخنا المحدث ، الفقيه المغربي ، ورد علينا حاجاً وسمعنا منه ، انتهى .

وسمع منه أيضا بالمدينة المنورة ومصر خلق كثير ، وكان له بفاس وغيرها من أقطار المغرب صيت عظيم وظهور تام عند الملوك فمن دونهم من الخاص والعام ، واليه المرجع في كل أمرهم ، وكان مجتهدا في العبادة ، حسن الخلق ، محبا لآل البيت ، شديد الاعتناء بأمور الناس ، رقيق القلب ، كثير البكاء ، غزير العبرة ، وله مآثر شهيرة ، ومناقب كثيرة ، وبركات حميدة ، ومكاشفات عديدة ، وطال عمره الى نحو من أربعة وثمانين عاما ، وهو ممتع بحاستي السمع والبصر ، مع نحافة الجسم .

ألف تآليف عديدة منها : حاشيته على شرح الزرقاني لمختصر خليل المسماة بـ (طالع الأماني) ، وشرحه على التحفة لابن عاصم ، وقد أقبل الناس عليه واعتمدوه واستحسنوه لاختصاره ، وشرحه على لامية الزقاق ، وحاشيته على صحيح البخاري ، وشرح الجامع للشيخ خليل ، ومناسك الحج، وفهرسته جمع فيها أشياخه المغاربة والمشارقة ، وتأليف فيمن لقيه وانتفع به ، من الأولياء ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره .

وأولع بالشيخ مولانا عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه ، فكان ممن أنفق عمره في زيارته ، وبذل جهده في التماس اليمن من عنايته ، حتى لقد وقف على قبره ما يزيد على السبعين مرة ، وحمل في وجهته إليه من الأعمال والآداب كل مبرة ، ملتزماً للوقوف كلَّ عام ، وقلما تخلف لعذر فلحقه في ذلك الملام .

وأنشد مرة عند قبره وهو آخر ما أنشده عنده :

أتيتكمْ شيخاً وكهلا وناشئاً ... وفي كلها أرجو نوالكم الجمَّا

فها أنا قد خيمتها بفنائكم ... على وهن والضعف في بدني عمَّا

فلا ترجعوني دون فيض بحاركم ... ولا تحرموني من مواهبك العظمى

ولما رجع من هذه الزيارة ، لاحت عليه من الخصوصية العظمى الامارة بتوارد الاحوال ، وتعاظم الواردات في الافعال ، وصرف المنازلات ، إلى أوج المعاملات ، حتى ربما غاب في النبي المختار ، وباح بخفي الأسرار ، وكشف عن وجه الجمال الاستار ، ثم لما رشحت بما فيها الاواني ، تظاهرت على بواطنه ظواهر مرض روحاني ، فلزم معه المضجع ما أربى على سنة ، وهو في حال من الغيبة كانها سنة ، ثم برىء من ذلك ، وقوي لحمل ما حمله من الاسرار والانوار هنالك، ولم يزل على حالة مرضية ، وشارة حسنة مزهية ، إلى أن توفي عند عصر يوم الخميس تاسع وعشري ذي الحجة الحرام متم عام تسعة ومئتين وألف ، ودفن من الغد بعد صلاة الجمعة في مسجد القرويين . وبعدما صلى عليه ولده الفقيه القاضي سيدي أحمد في زاويته الكائنة قبالة داره بحومة زقاق البغل ، وهي الآن مسجد تقام فيه الصلوات الخمس وقبره بها يمين محرابها ملتصق بجداره عليه دربوز ، وهو مشهور مزار متبرك به .

ترجمه تلميذه سليمان الحوات في تأليفه المسمى بـ (ثمرة أنسي ، في التعريف بنفسي) وأفرد ترجمته في مؤلف حافل جمع فيه شيوخه وتلامذته ، ومن لقي من الصلحاء ، ومن درج من آبائه من العلماء ، ومن خلف من الابناء والاحفاد الى غير ذلك ، وسماه بـ (الروضة المقصودة ، والحلل الممدودة ، في مآثر بني سودة) .

وترجمه أيضاً صاحب (سلوك الطريق الوارية) والعلامة الرهوني في أول حاشيته على الزرقاني ، وابن عجيبة في طبقاته وغيرهم ، والله أعلم (1) .

وحاصل ما ذكر المترجم في فهرسته أنه لما حج ودخل مصر ، قرأ (الموطأ) وطلبوا منه سنده فيه مع سند الصحيحين ، وذكر جملة مشايخه ، فأجاب طلبتهم ، وذكر أنه يروي (الموطأ) عن محمد بن عبد السلام بناني ، وذكر من شيوخه ثلاثة ، سيدي محمد بـن عبد القادر الفاسي ، واليوسي ، وسيدي أحمد ابن الحاج عن والد الأول إلى آخره ، وبالاجازة مع السماع لأوله عن سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي ، عن شيخه أحمد الحبيب ، وعن شيوخ المشرق أربعة : سيدي محمد بـن حسين العجيمي ، وسيدي عبـد الوهاب الطنشي ، وعن محشي (القاموس) الفاسي ، والحنفي .

وأخذ عنه كالأول الحديث المسلسل بالأولية ، وأجازه في مروياته وتآليفه ، ومـن أشياخ الحنفي سيدي مصطفـى البكري ، وسيدي العـربي التلمساني ، وثالثهم سيدي أحمد بـن مبارك ، قرأ عليه المنطق والكـلام ، والبيان والاصـول ، والتفسير والحديث ، وأجـازه وهو عن سيدي عـلي الحريشي ، عن سيدي عبد القادر الفاسي الى آخر سند البخاري .

راجع أول فتح البارى .

ورابعهم سيدي محمد بن قاسم جسوس ، قرأ عليه (الرسالة) ، و (مختصر خليل) ، و (الحكم) ، و (الشمائل) ، و (صحيح البخاري) ، وساق سند ابن سعادة .

---

1) كل ما تقدم منقول بالحرف من **سلوة الأنفاس** 1 : 112

وخامسهم سيدي يعيش الرغاي قرأ عليه (التحفة) وطرفاً من البخاري وغير ذلك .

وسادسهم أحمد بن أحمد الشرادي قرأ عليه من بيوع (المختصر) إلى الوديعة أو العارية ، وسمع عليه بعض التفسير من أوله .

وسابعهم سيدي محمد بن أحمد التماق ، قرأ عليه (الرسالة) ، و (الحكم) ، والتفسير من الأول الى سورة النساء .

وثامنهم سيدي محمد ابن جلون قرأ عليه (الجرومية) و (الألفية) ، و (المختصر) من الأول إلى اليمين .

وتاسعهم سيدي محمد بن الحسين الجندوز ، قرأ عليه (الألفية) و (السلم) و (التلخيص) .

وعاشرهم سيدي أحمد بن علال الوجّاري ، قرأ عليه (الألفية) ، وسمع منه شيئاً من (التسهيل) و (المغنى) ، ثم تكلم على سند مسلم ثم ذكر سند (المختصر) ، والمسلسل بالأولية ثم أرخ ذلك بـ 21 جمادى عام 1182 .

ثم بعده ترجم لمن لقي من المشارقة فمنهم سيدي عبد الرحمان الحسيني ، أجازه اجازة عامة ، وسيدي حسين بن عبد الشكور الطائفي ، وأجازه كذلك ، ومنهم سيدي محمد بن خالد الجعفري مفتي المالكية ، ومنهم سيدي أبو بكر بن خالد ، ومنهم سيدي محمد بن عبد الكريم السمان ، ومنهم سيدي ابراهيم أسعد ، ومنهم أبو الحسن السندي الى آخر ما في (الروضة المقصودة) ، وذكر بعض اجازات أشياخه مغرباً أيضاً الى آخره .

وممن أخذ عنه وأجازه اجازة عامة العلامة السيد محمد بن الحسين السوسي اليبوركي حسبما في فهرسة تلميذه ابن عمه محمد بن عمر الاسغركيسي ، الا أنه غلط فى ذكر وفاة المترجم عام 1210 ، فانه توفي قبل ذلك بسنة .

وذكر في (السر الظاهر) المترجم من المصححين لشهرة نسب الشرفاء القادريين ، أما (الروضة المقصودة) ، فقد اشتملت على أبواب الاول في نسبهم ، والثاني في نشأته ، والثالث فى علومه ، والرابع فى الشيوخ ، والخامس في أسانيده العلمية ، والسادس في ذكر شيوخه من أهل التبرك والتلقين ، والسابع في تدريسه وتأليفه ، والثامن في تلامذته وأراد أن يذكر منهم مئة .

وقال في (ثمرة أنسي) ما نصه : والفقيه العلامة ، الحجة المدقق ، الشيخ الامام المتهجد ، الخاشع السريع العبرة ، سيدي محمد التاودى بن الطالب ابن سودة المري ، كنت أتيت مجلسه للأخذ عنه بعد مجيئه من الحج سنة 1182 اثنين وثمانين ومئة وألف ، وبقيت أتردد اليه زمانا ، ثم قطعت لاغراض فاسدة أفضت الى طول المقاطعة بيني وبينه زمنا طويلا ، كان منه الصفح بعده ، وعدت اليه فأخذت عنه علوماً ، واجتلبت من بحره فهوماً من نحو وبيان وفقه ، وحديث وتفسير وغير ذلك ، وهو شيخ ظاهر النفع كثير التلميذ ، طال عمره الى أن جاوز التسعين بتقديم المثناة ، وهو ممتع بحاستي السمع والبصر مع نحافة الجسم ، وبلغ من الرئاسة مع السلطان مولانا محمد بن أمير المؤمنين عبد الله ما لم يبلغه غيره ، حتى اكتسب من ذلك هو وأولاده أموالا كثيرة ، وأكسبوا غيرهم ممن تعلق بهم ما به الغنى ، واجتمع له ولأولاده أيضا من المناصب والولايات والأخذ من وفر الاوقاف ما لم يتفق لغيره قط .

ولما مات السلطان المذكور ، أقره ولده سلطان وقتنا هذا مولانا اليزيد على ما كان عليه ، وما زال إلى الآن في قيد الحياة قائماً بأمر التدريس في أوقات ، والخطابة بجامع الاندلس ، حريصا على مزيد العناية به في صدور مهمات المملكة على يده .

انتهى بتاريخ 16 حجة عام 1206 ، انتهى محل الحاجة منه .

وقال في (الحسام المشرفي) ومنهم الشيخ التاودي ابن سودة ، ذو المآثر المعدودة والمكارم الممدودة ، التي فاق بها أسلافه وجدوده ، أعرض عن

الدنيا وأطال عنها صدوده ، ثم لما ذكر شرحه على (التحفة) قال : وقد وقفت على نسخة منه بخط الأديب البارع ، الصوفي الفاضل ، علي ابن سودة، وفي آخرها هذه الأبيات : إلى هنا انتهى حلى المعاصم، إلى آخر الأبيات الأربعة .

ثم قال : ومن حِلمه وإنصافه رضي الله عنه أن مولانا سليمان الحوات لما أنشده أبياتاً منها :

قولوا لشيخكم ابن سودة إنــــه	قرب الرحيل فهل له مــــن زاد ؟
عاش القرون وفاز من أيامــــه	بالمال والأولاد والأحفــــاد
حتى إذا أوفى الرئاسة حقهــــا	أمسى الحمام لديه بالمرصــــاد

أتى اليه وجعل يمسه بيده على ظهره ، ويقول له : جزاك الله خيرا ! ذكرتنا ياابن الرسول ، وأشار بذلك الى قوله في كتابه الذى ألفه في التعريف بنفسه ، وذكر فيه جماعة من أشياخه منهم الشيخ المذكور ، الى آخره .

وقال الشيخ كنون في (الاختصار) عند قول خليل : وعدم بنوة لهاشم الى آخره ، وقول محمد بناني بنت مرة الى آخره ، اعلم أن مرة فى قبائل من العرب في قريش وفي تميم من بني دارم ، وفي غطفان من بنى ذبيان ، وفي هوازن ومر بغير هاء ، في همدان ابن الحارث بن سعد ، كما هو مفصل في (جمهرة ابن حزم) ، وفي (اقتباس الأنوار) للرشاطي ، افي اختصار الامام عبد الحق الاشبيلي المالكي ، وبه يعلم أن المري أعم من القرشي ، والأعم لا اشعار له بأخص معين على أن المتبادر من الوصف بالمري غير القرشي ، اذ لا يعدل عن القرشي الى المري الا جاهل ، وبه يعلم ما وقع للرهوني رحمه الله في ديباجة حاشيته ، فانه جعل بين المري والقرشي تساوياً ، وانه يلزم من كونه مريا كونه قرشياً ظنا منه أن مرة ليست الا في قريش وليس كذلك ، فتأمله منصفا والله أعلم ، انتهى .

وقال في (الدرر البهية) ما نصه : رجوع لنسبهم الى مرة قريش ، لأن مرة تعدد في عدة قبائل من العرب ، ففي تميم مرة بن عبيد ، وفيهم أيضا مرة بن دارم ومرة ابن عامر ، وفي غطفان مرة بن عوف ، وفي همدان مر بغير هاء ، وفي كندة مرة بن حجر ، لكن عند الاطلاق لا يصرف الا لمرة قريش ، واليه ينتسب هؤلاء بنو سودة .

انتهى المقصود من (الدرر المذكورة) .

والذي رأيته في جمهرة ابن حزم هو ما نصه : ودار مرة بالاندلس البيرة ، ولهم باشبيلية بيت واحد ، وهم بنو عوف بن مرة بن ديسم بن يزيد بن المختار بن مخشي بن عزى بن الحرام بن معاوية بن خصيلة بن عدي بن سعد بن مرة بن عوف بن سعد بن ذيبان ، عقد له الأمير محمد على إشبيلية ، وعقد أيضا لامر أتاه عليهم تعصبا للمضرية .

انتهى المقصود والله تعالى أعلم .

وتقدم في ترجمة أحمد بن علال الشرابلي المراكشي (1) أنه دخل عليه المترجم بداره بالقصور من مدينة مراكش .

774) محمد بن عمر الهشتوكي

محمد بن عمر بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن ابراهيم بن ولي الله القطب الاعظم ، السيد يبروك بن الحسين الهشتوكي ، الفقيه العلامة المتفنن ، الناظم الناثر .

أخذ عن شيوخ عدة وتلاقى بصلحاء أبرار ذكرهم في فهرسته وذيلها ، وأخذ عنهم ما قدر له من الفنون ، فمنهم معتمده الشيخ محمد بن أحمد الحضيكي ، قرأ عليه (مختصر خليل) قراءة بحث وتحقيق ، ونظر وتدقيق ، إلى الربع الاخير منه ، وقرأ عليه (صحيح الامام مسلم) تماما ، و (صحيح البخاري) مرتين ، و (سيرة اليعمري) ، و (الخصائص الكبرى) للسيوطي ، و (الموطأ) بشرح الزرقاني ، و (الشفا) والكلاعى الى الثلث الاخير ،

---

1) انظر 2 : 398 ع 275 من هذا الكتاب

وصغرى السنوسي ، والكبرى بشرح مؤلفها ، وشرح ابن عباد على الحكم ، وشرح زروق عليها ، وكتاب (آداب الكتاب) لابن قتيبة ، وبانت سعاد بشرحه عليها ، و (السلم) بشرح المؤلف عيله ، ومنظومة الرسموكي في المواريث بشرحي المؤلف الصغير والكبير ، ورسالة ابن أبي زيد مرة أو مرتين ، والطرفة ، وورقات امام الحرمين ، و (العزية) لأبي الحسن شارح الرسالة ، و (الشمائل) وغير ذلك ، لازمه مدة من ثلاثة أعوام بزاويته بوادي إيسي ، وأجازه في مرض موته مرة مع شيخه وابن عمه السيد محمد بن الحسين، ومرة مع سائر طلبته .

وثاني أشياخه الفقيه العلامة الصوفي سيدي محمد بن الحسين المتوفي سنة 1196 ، قرأ عليه سائر التآليف .

والثالث محمد بن أحمد التسكاتي الهلالي الولي الصالح خليفة الحضيكي .

ورابعهم العالم العامل محمد بن محمد الولتي ، وأجازه اجازة عامة ، والعالم عبد الله بن الحاج أحمد الترختي ، والعلامة أحمد بن عبد الله الهوزيدي ، قرأ عليه ربع المختصر قراءة تحقيق ، وحضر مجالسه في التفسير والسلم بشرح قدورة ، وبعض الرسالة القيروانية ، وأجازه كذلك، وأحمد بن محمد التكدشتي ، والعالم محمد بن محمد بن يحيى الشبي ، ووالد المترجم أبو حفص المتوفي عام 1195 ، والصالح عبد الملك بن إبراهيم الهلالي ، والعابدة فاطمة بنت محمد الهلالية المتوفاة عام 1207 .

وممن لقيه وذكره في ذيل الفهرسة الولي الصالح سيدي عبد الله بن محمد اليبوركي ، والولي المشهور أحمد بن يحيى الوليني ، والعلامة سيدي محمد الجيلالي بن المختار السباعي لقيه بمراكش ، والقطب الاعظم سيدي يوسف الناصري ، والولي الفقير محمد بن أحمد الافتيضي الحامدي ، وممن تآخى معه السيد محمد بن أحمد الولتي ، وأجازه المترجم مع كونه دونه في العلم والصلاح ، وممن لقيه العابد السيد أحمد بن سعيد الوغزاني المعمر ، ومن العلماء عمر بن عبد العزيز الجرسيفي نجارا ، الهرغي دارا .

أتم هذا الذيل في عاشر ذي الحجة عند الزوال عام اثني عشر ومئتين وألف ، وهو في كراس واحد ، والفهرسة في خمسة كراريس من القالب الرباعي .

775) **محمد بن عثمان المكناسي** ، كاتب السلطان المولى سليمان ، بعثه الى القائد عبد الرحمان بن ناصر العبدي لما استولى السلطان رحمه الله على مراكش سنة احدى عشرة ومئتين وألف ليأتيه به أو يأذن بحربه ، ولما وصل الكاتب المذكور اليه بآسفي ألفاه مريضاً ، فاعتذر عن القدوم على السلطان بالمرض ، وكتب بيعته وأدى طاعته .

وفي سنة 1212 اثني عشرة ومئتين وألف ، قدم على حضرة السلطان باشدور الاسپنيول ، فعقد معه شروط المهادنة ، وكان الذى تولى عقدها معه المترجم قبل وفاته ، وهي ثمانية وثلاثون شرطا ، مرجعها الى الصلح والأمان من الجانبين الا أنها أشد بيسير من الشروط التي انعقدت مع السلطان المرحوم سيدي محمد رحمه الله ، من ذلك أن شروط سيدي محمد كانت تتضمن أنه اذا تشاجر مسلم ونصراني فالذى يفصل بينهما هو الحاكم ، الا أن القنصل يحضر وقت الفصل عسى أن يدافع عن ابن جنسه بحجة ان كانت ، وصارت شروط السلطان المولى سليمان تتضمن أن كلّ واحد منهما يتولى أخذ الحق منه حاكمه ويدفعه لخصمه ، واذا مر نصراني من سبتة أو مليلية أو نكور أو بادس وأراد السلامة فلابد من حضور القنصل ان كان ، والا فالعدول يسمعون منه ثم شأنه وما يريد .

وفي هذه السنة حدث الوباء ببلاد المغرب وعم حواضره وبواديه ، ولما فشا بمراكش وأعمالها رجع السلطان الى مكناسة ، وترك أخاه المولى الطيب نائباً عنه بها ، فبلغه اثناء الطريق وفاة كاتبه المترجم (1)، تركه بمراكش مصاباً بالوباء ، فتوجه صاحب البستان للاتيان بمتخلفه ومتخلف أخوته الاربعة ، خليفته المولى الطيب ، والمولى هشام ، والمولى حسين ، والمولى عبد الرحمان رحم الله الجميع .

---

1) عام 1213 هـ

وقال الزياني في الفهرسة :

ثم محمد بن عثمان الوزيـــــــر   أخذ من وفر ومن در كثيـــــر

قلده خطة القضاء بتطوان مدة ثم استوزره ، وكان من أهل الفضـــل والديـــن ، قائما بدولته الى ان توفي بمراكش في الوباء الذي عم المغرب .

وقال الضعيف في تاريخه : دخل سفير تركيا مع الكاتب ابن عثمان إلى مراكش يوم عاشوراء عام اثنين ومئتين وألف ، انتهى .

وله رحلة حجازية (1) .

776) **محمد بن أحمـد الشرادي** ، صاحب الزاوية بحـوز مراكش ، الفقيه العلامة الصالح الورع .

قال في (النشر) لدى العام العاشر من العشرة السادسة بعد المئة والألف في ترجمة والده أحمد : ورد على فاس ولده السيد الأثير ، الفاضـــل الشهير ، ذو القدر الكبير والعز الخطير ، الاجل الامجد سيدي محمد ، لما قفل من حجه عام سبعة وسبعين بموحدة فيهما ومئة وألف ، لقيه أناس من أهلها وأخذوا عنه واستأذنوه في اتباعه في الطريقه فأذن لهم ، فبنيت زاوية لذلك بعدوة فاس الاندلس بدرب الدرج منها ، ورتب لهم فيها أوراد الوظيفة الزروقية وغيرها ، وأقيمت فيها الصلاة الليلية بامام راتب ، ونصب فيها كرسي لتدريس العلم يدرس فيه رسالة ابن أبي زيد ، و (النصيحة الكافية) للشيخ زروق ، وقراءة أحزاب القرآن العظيم صباحاً ومساء الى الآن، وعمارتها والحمد لله متصلة ، انتهى .

ثم ذكر أن والده أخذ عن سادات من أشهرهم الامام سيدي أحمد بن ناصر الدرعي نفعنا الله به ، انتهى .

أجاز المترجم مولانا سليمان السلطان العلوى ، وحلاه في اجازتـه بسيدنا الامام العارف الهمام أمير المؤمنين المظفر بأمر رب العالمين كهـف

---

1) قصر المؤلف تقصيرا مخلا في ترجمة الأديب الفقيه الديبلوماسي السياسي النبيه محمد بن عبد الوهاب ابن عثمان . تنظر ترجمته في **اتحاف اعلام الناس** 4 : 159

الامان سيدنا ومولانا سليمان ، وهي اجازة عامة حسبما أجازه شيخه الوالد ، عن أبي سالم العياشي بما احتوت عليه فهرسته ، قائلا في آخرها : وعلى سيدنا ايثار العدل ، وقصد الحق ، والنصح لجميع الخلق ، مع الفحص عن الاحوال ، وتاريخها 23 جمادى الاولى عام اثني عشر ومئتين وألف .

ذكره الزياني في الفهرسة ، وقال فيه :

ومقصد العلـــــوم والأوراد   محمد ابن الصالح الشـــرادي

وجرى ذكره في (الروضة المقصودة) وتقدمت ترجمة والده ، وقال ابن الصادق في فهرسته : وممن أخذت عنه بمراكش حرسها الله الشيخ المشارك الأديب المؤرخ سيدي محمد بن أحمد الشرادي .

777) **محمد بن عبد الرحمان التادلي** ، الشيخ المقرىء ، المحدث النحوي ، حاج الحرمين .

أخذ عن مولاي عبد الرحمان بن ادريس المنجرة ، وأخذ عنه بمراكش سيدي محمد بن الصادق ابن ريسون ، وذكره في فهرسته .

778) **محمد بن أحمد الجيلالي السباعي**

محمد بن أحمد بن السيد المختار السباعي المعروف بالجيلالي ، كان رحمه الله فقيهاً صادقا في جميع أحواله ، مخلصا لله تعالى في أقواله وأفعاله ، يستنزل به قطر الغمام ، ويستشفي بعلومه من أدواء الجهل والظلام، شريفا حسيبا كريما نسيبا ، ذا قدر منيف ، جامعاً لاشتات الاعمال والعلوم ، مداويا بمرهم نظمه ونثره ما أعيا الاطباء من أدواء الشكوك والكلوم ، وكان له في كل فن من فنون العلم حظ وافر ، وفهم ثاقب عن وجوه المخدرات كاشف سافر ، صوفياً زاهداً ، مرابطاً مجاهداً .

قال الاسغركيسي في ذيل فهرسته : لقيته بمراكش عام طلوعه للحجاز ، أوفى ما يكون من الانحفاز ، وجدته يصلي المغرب في مسجد صغير

قرب ولي الله الذي هو الترياق المجرب لقضاء المآرب ، وتسهيل المطالب ، أبي العباس أحمد بن جعفر السبتي نفعنا الله ببركاته، فأدركت معه الركعتين أو الركعة الاخيرة منها ، الشك مني في ادراك الاثنتين ، وأما الواحدة فلا أشك في أدراكها معه والحمد لله والشكر له على الصلاة خلفه ، اذ الصلاة خلف أمثاله مما يرغب فيه ويسر به ، فلما صلى وفرغ من المعقبات قام فدخل عريشاً كان هنالك يصلى فيه الرواتب ، فسألت بعض أصحابه ممن صلى خلفه وأنا اذذاك غير عارف به لكوني لم ألقه قبل ذلك ولكن عندي من خبره ما عنده من خبري، فقلت له: هل هذا هو السيد الجلالى بن أحمد السباعي الشريف الحسني؟ فقال : لا منكرا متنكراً ، فقلت مستعطفا له ومذكرا : لا شيء يضره مني ، انما جئته لصلة رحم الاخوة في الله تعالى وفي الشيخ ، لأني أخوه في الشيخ الحضيكي رحمه الله ، فلما سمع مني تلك المقالة خرج الينا وهو يقول : ما له ؟ ما له ؟ فسألني مَن أنا ؟ فأخبرته، وأخذ بيدي، وصافحني، وأكبرني فأكبرته ، ثم دخل بي العريش ، ولسهام الاكرام والمبرة يريش ، فتعاطينا فيه من الكلام ، ما يستشفى به المكلوم من الكلام ، في سويعة كأنها احلام طيف ، أو سحابة صيف ، وجرى مني سؤال عن مسائل فقهية ، فأجاب عنها بديهة بأجوبة مرضية ، فتعجبت من سرعة جوابه ، وكثرة حفظه وصوابه ، زاده الله في العلم بسطة ، وجعل ببركة جده صلى الله عليه وسلم فيما يرضي بسطي وبسطه ، آمين .

ونص ما سألته عنه ليعرف ويؤخذ من زلال جوابه عنه ويقرر: ما يقول سيدنا أعزه الله فيمن وهب له أبوه هبة ، ثم أراد اعتصارها منه ، فلما علم الابن الموهوب له أن أباه عزم على اعتصار الهبة منه بادر باخراجها من ملكه ، وتصدق بها على ولده قصدا منه تفويت الاعتصار على أبيه الواهب المذكور ، فهل سيدي يكون فيها لأبيه الاعتصار ؟ وان فوتها الابن بما ذكر ، فترد كما يرد البيع الفاسد ، ولا يفوت بالهبة والصدقة وصحيح البيع إذا قصد بها التفويت أم ليس له فيها اعتصار لفواته بصدقة الابن ، ولو كان قصد بها التفويت ، على الثاني فما الفرق بينه وبين البيع الفاسد ؟ أجب تؤجر والسلام .

فأجاب بأن الهبة المذكورة ماضيه لا أعتصار فيها للأب بوجه لفواته بالصدقة الصادرة من الابن قبل حصوله وصدوره من الاب ، وقصد الابن بها التفويت لا يضره ، والفـرق بينهما وبين البيع الفاسد أن العقد فـي الهبة صحيح ، بل مندوب اليه وتصرف الابن فيها بما يقتضي التفويت قبل صدور الاعتصار صحيح أيضا سائغ شرعا ، لأنه انما تصرف في ملكه بوجه جائز ، والأب هو الذي فرط في الاعتصار حتى فات بخلاف البيع الفاسد في ذلك ، فان العقد فيه فاسد غير صحيح ، يؤمران بفسخه ورده ، وتصرف المشتري فيه حرام غير سائغ شرعاً ، وأذا قصد تفويته بالهبة أو الصدقة أو صحيـح البيع فلا يفوت به ، لأن قصده أيضا فاسد لمخالفته ما أمر به من رده وفسخه فعومل بنقيض مقصوده ، لأن الظالم أحقُ أن يُحمَلَ عليه لتعديه ، والله أعلم .

انتهى جوابه فتأمله .

وانما أوردته هنـا بتمامه ، لأن بعض المعاصرين ممن يدعي العلـم وتحقيقه قاس المسألة على البيع الفاسد ، وقياسه كما علمت قياس فاسد ، لأنه قاس الذبيحة على الميتة ، والصحيحة على السكتة والعياذ بالله .

كان صاحب الترجمة آية من آيات الله في الاتقان ، والعلم والعرفان والايقان ، لا يكاد يوجد مثله في زماننا هذا ، ولا يبعد أن يكون هو المجدد على رأس هذه المئة لكثرة ما جمع من العلوم ، مع اتساع الحفظ والباع في الانظار والمفهوم ، بحيث لا يجارى في الحفظ ولا يبارى ، ولا يغالب في صحة الفهم ولا يمارى ، حتى قيل : إنه استجمع واستظهر كتاب (القاموس) حفظاً واتقاناً، وهذا أغرب ما يكون في هذا الزمان ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، لله الأمر من قبل ومن بعد .

وكان صاحب الترجمة رضي الله عنه صنع جدولا عجيبا ، وصنعا غريباً في مدح سيد الشهداء سيدنا حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله في أرضه والصابر لدينه وعرضه ، عم الرسول ومنتهى السول ، رضي الله عنه وعنا به آمين ، يتضمن سبعة عشر بيتاً ، كل بيت مبتدأ بميم ومختتم بها ، وأشطار

الأبيات كلها مختتمة بميمات ومبتدأة بها ، كتب تلك الميمات بألوان مختلفة ، فجعل الاخضر منها للقافية ، والاصفر للعروض ، والاحمر للضرب على شكل مدور وهيكل منور ، ورتبه على حروف أبجد بترتيب عجيب ، وأسلوب غريب تحار العقول في فهمه ، وتصاب الاذهان عن اشكاله بنبله وسهمه ، لا يفك ختامه ولا يحط لثامه لولا أن ناظمه أشار الى كيفية قراءته ، والسير فيه بقوله في بيت من أبياته :

من حسنه عن مجال القول معتصم   ما لم يشر ساكن المبدإ للكلـــم

فليراجعه من أراده في محله .

ونظم أيضا قصيدة طويلة جميلة في مدح معدن الوفا والصفا ، سيدنا محمد المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، افتتح أوائل أبياتها بحروف حمر تكون لها كالوشاح ، وكتب بالاخضر حروفا فـي اثناء اشطارها الاولى ، وحروفـا بالاحمر أيضا في الاشطار الاخيرة تكون مثـل أزهار البطاح ، تتضمن تلـك القصيدة فى مدح النبي المصطفى ، المنعوت من نسل لؤى ، مع مدح علي وفاطمة والحسن والحسين وأهل البيت باعتبار النشر والطي ، فهي تختلف بالوجه والاعتبار عند أولي الفهم والاستبصار ، فباعتبار الطي هـي قصيدة واحدة ، معترفة بفضل من احتوت عليهم غير جاحدة ، وباعتبار النشر هـي خمس تدرك بالحواس الخمس ، أشار الناظم لاستخراجها وكيفية انتاجهـا بقوله في بيت من أبيات الختم ، وفيه شيء من افشاء السر وابداء الكتم :

مفاتيح قصرها عقيق توشحـــت   بسائره الابواب تدعوك للبكـــل

أي للمزج والخلط ، ويعني أن مفاتيح قصر معاني هذه القصيدة هي العقيق الاحمر الذي توشحت بسائره أبواب بيوتها ، حال كونها ، أي تلـك الأبواب تدعوك لبكل بعضها ببعض ، أي مزجها وخلطها من أول القصيدة الى آخرها ، فاذا فعلت ذلك خرج لك من مزج حروف أوائل الابيات الحمر توشيح كبير ، يعرف منه كيفية استخراج القصائد الباقية لمن عقل وفهم ، كما أشار

اليه ناظم درها وحالب درها ، لله دره من قائـل ما أحسنه وأتقنه أو أحذقـه وأفطنه ، رضي الله عنه وعنا به آمين .

وقد كنت قلت فيه وفي نظمه والثناء عليه أبياتا استعطفه فيهـا ، وأتحنن اليه ، لابأس بايرادها هنا لئلا تضيع ، لأن آفة العلم ترك التقييد ، وما قيد منه يستفاد ويفيد ، وهي :

علت همة من ناضح البر بالبحـــر ومخجل در بالحلال من السحـــر
وراكب أهوال ليظفر بالمنـــــى فنال المنى والمجد بالقهر والقسر
وذلت له الأوعار والعلم والعـــلا وصارت رقاب الدهر ترجم بالصخر
همام به أسطو على الدهر ان دها فيرجع بعد العسر خسرا الى اليسر
شريف حسيب مرتضى القوم من بنى علي أبي السبطين سادتنا الغـــر
رئيس فحول الجود منه اشتقاقـه ومصدره منهم إلي كلهم يســـرى
جلالي عليه من جليل جلالـــة بها يغتني من الجلال مع الستـــر
متى رمته بالمدح جاءت محاســن تقول فحدث ما استطعت عن البحر
هو الغوث عند البأس والغيب للورى لدى القحط ان تستسق يأتك بالقطر
محاسنه جمت مكامه عمـــت وقائعة صكت وجوه ذوي الشـــر
وياسيدا من عزه خضعت لـــه رقاب المعالي في السهول وفي الوعر
أتيتك صفر الكف بالباب واقفـــا ذليلا عسى من جودكم نفحة الخير
حنانيك إن الذنب أثقل كاهلـــي وزال به عقلي وضاق به صـــدري
فما لي سوى اتيان بابك حيلـــة تخلص من سجن الخطايا ومن أسرى
وترفعني من بعد خفضي الى الغنـــا وتحرس من شيطان همي سما فكري
وتسعدني في سفرتي وتعيننـــي على كاشح يبدي العدواة بالنصـــر
وياءال بيت المصطفى صفوة الورى ظمئت فهل من عندكم شربة تبري؟
ظمئت وأنت العذب في مورد العطا ولا كدر يعروه بالمن والهجـــر
فحاشاكم ياءال بيت نبـــــوة من البخل والاحجام عن نصرة الغير
اليك نزيح الدار يشكو نوائبـــا وخطبا به مرمى الى اللجج الخضر
ظننت وحسن الظن خير سجيـــة بأنك تشفي الضر بالنضر والنصر

فما الفخر الا الجود وهو محـــــرم — على غيركم بالبخل والجبن والفقـر
وكا عدها(1)فاعرف إذا كنت منشداً — واياك أن تنسى العفاص من الشكر
على المصطفى المختار أزكى تحيـــة — وأزكى سلام طيب الطعم والنشـر
وأصحابه والاهل والتابعين مـــا — بدا البدر في الابراج منفلك يسري
وما قال في صدر القصيدة منشـد — علت همة من ناضح البر بالبحـر

انتهى .

ومن تلامذة المترجم أبو سالم السكياطي ، وأبو عبد الله الحمـري مؤلف (اتحاف الخل المواطي ، في مناقب الامام السكياطي) قال فيه عند ذكر شيوخه :

ومنهم شيخنا الذي عم صيته الأقطار، وامتلأت بمآثره الأنجاد والأغوار، غرة العصر ونادرة الدهر المديد الباع الفريد الطباع ، قد شد فما يشرك ، وفذ فما يدرك ، العالم العامل ، الحافظ الحجة الكامل ، الذي حكت شمائلـه روض الزهر واشتهر ورعه بالمشرق والمغرب اشتهار الشمس والقمر ، أزرت محاسنه بالبدر اللياح ، وسرت فضائله سري الرياح ، فتشوف لعلاه الاقطار ، وابتهجت بحلاه الاعصار والامصار ، سلك في ورعه مسلك حمزة الزيات ، وفي زهده ابن أدهم امام الهداة ، ذو النسب الذى ما وراءه منتسب ، والحسب الذي ليس مثله حسب ، الذي لو أدركه لاقتدى به الامام القضاعي سيدي الجيلاني بن أحمد بن المختار السباعي ، وكـان حدثني بعض الاشياخ بأن جـده سيدي المختار ، قال في حقه الشيخ سيدي أحمد بن ناصر : المختار هو ياقوتة المغرب ، ومن يشابه أباه فما ظلم .

رحل رحمه الله الى الشرق لأداء الفـرض ، فجاور هناك بالحرميـن الشريفين ، وتضوع عبير ورعه بالاقطار بركة البلدين ، وهو حافظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكوكب سمائه وشيخ العلم وحامل لوائه ، قـد

---

1) أي عدد هذه القصيدة 26 بيتاً حيث ان الواو بستة ، والكاف بعشرين ، والالف غير معدودة (مؤلف)

برز في الادب وتناسلت اليه الفضائل من كل حدب ، وله ما يبهر العقول اذا توجهت همته لمعقول أو منقول ، وله في قصائده من الافتنان ، ما يزري بقلائد العقيان ، وقد مدح سيدي أبا العباس السبتي، ومدح مولاي إدريس دفين فاس، ومدح شيخه سيدي أحمد أوزو الذي كـان يقرأ عليه بردانة إلى غير ذلـك من القصائد ، وله من الحفظ ما تحار فيه الافكار ويلتبس بشبهة الانكار ، فيحكى عنه رحمه الله أنه قال : ما القته ولو مرة اذنى أو عيني لمخيلتي ارتسم في نحو الستة الاشهر لحفيظتي .

وقد حدثنا القيم على سيدنا عبد الله بن عباس بالطائف ، قال : خرج معنا ذات يوم عشية ، فسردنا عليه نحوا من ثلاثة كراريس في الحديث جمعها بعض العلماء في تحريم الحرير ، ثم خرجنا عشية غد ذلك اليوم ، فسردهـا علينا كلها من حفظه لمجرد سماعه ، وكان رحمه الله يقرأ التفسير بين العشاءين بالمسجد النبوي ، وجلسنا في حلقته فقضينا العجب من حفظه ، كان تفسير القرطبي قرأه في صغره حفظاً ، وقرأنا عليـه الفاتحة ، وأول البقرة بروايـة السبعة ، وكان يجلس بالمسجد النبوي بعد صلاة الصبح يكرر حزبه بالسبعة دائمـاً .

ومات رحمه الله في توجهه للغزو ببلد الصعيد ، فالتقى مع النصارى وتقاتل معهم أشد القتال ، ثم اعتل ومرض فمات بقرب مرضه ، ودفن هناك بقرية يقال لها أحكاز ، وكنا جلسنا معه ذات يوم بالمسجد النبوي بعد صلاة الظهر فمازحنا ، وقال : ما هذه العمائم الكبار ؟ فذهبنا من عنده ونزع محبي عمامته حياء منه ، ثم لما التقينا معه ثانيا ، قال لمحبي : رد عمامتك فاني بعد ما قلت لكما ما قلت ، تذكرت أن صلاة المعتم تفضل صلاة غيره بكذا وكذا درجة (1) وعين لنا العدد لكن لم يحضرني الآن ، وكان رحمه الله لا يقبل من أحد

---

1) أخرج الديلمي في (مسند الفردوس) عن جابر رفعه : ركعتان بعمامة خير من سبعين ركعة بلا عمامة . المناوي في (التيسير) : لأن ذلك حضرة الملك ، والدخول الى حضرة الملك بغير تجمل خلاف الأدب . قال وهو غريب ، واخرج ابن عساكر في تاريخه والديلمي عن ابن عمر رفعه صلاة تطوع أو فريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلاة بلا عمامة ، وجمعة بعمامة تعـدل سبعين جمعة بلا عمامة ، لكن قال الحافظ ابن حجر انه موضوع ، ونقله السخاوي وارتضاه ، واقتصر

شيئاً ، ويقول : عاهدت الله الا أقبل من أحد شيئاً الا اذا كنت محتاجا اليه ، وتحدث أيضا معنا ذات يوم ، فقال لنا : أن السلطان مولانا سليمان رحمه الله لأنه هو المنصور في ذلك الوقت ، أرسل لي مئتي دينار ، وقال للرسول وهو الفقيه سيدي محمد الزروالي ، قل له اذا وصلتها اليه إن هذه لم تدخل بيدى ، بل أتتك من دار الاعشار للنصارى برباط الفتح فاقبلها ، قال الشيخ لنا فقلت له : أقرئْه السلام وقل له : إن كان كما قلت فاقضِ بها الدينَ الذي عليك أو على أبيك ، فان الدين لا يقضى الا من الحلال ، وأما أنا فقد أغناني الله عنها ، وردها اليه ، ثم قال لنا : إنه صرف لي وقال : ادع الله لي أن يعينني ، فاني أتكلف العدل ما أمكنني ، قال فقلت له : كيف تعدل وأنت تولي على المسلمين العمال الظالمين مثل فلان وفلان ؟ وسمى لنا بعض من كان من ولاته في ذلك الوقت لو كنت تريد العدل لوليت العلماء الاتقياء وأولياء الله ، مثل الفقيه ابن عبد السلام الفاسي ، ومثل سيدي علي بن أحمد الوزاني ، فقلت له أنا وحبى المرحوم بكر الله : مَن ذكرت لا يتولون ، فقال : يجبرهم ، أهم خير من أبي بكر وعمـر ؟

ثم قال : وشيخنا هذا رحمه الله ، هو الذى طبق صيته المشرق والمغرب، وكان أعز في وقته من عنقاء مغرب ، فهو ذو المآثر الكبيرة والكرامات الشهيرة وكان رحمه الله اذا برز للناس لا يقدر على الوصول اليه مـن كثرة الازدحام عليه الا بعد جهد جهيد ، وكان ذات يوم قال لي : قد منعني ما ترى من صلاة الجماعة في المسجد فاذا خرج يوم الجمعة للصلاة غلقت الابواب حتى يسلك به لداره خوفا عليه من كثرة الازدحام لضعف بنيته رحمه الله ، وهو المولـى المشار إليه بالبنان ، وهو واحد عصره في رفعة الشأن ، وهو المؤثر مـا عند الله على الزخرف الفتان ، وهو المتقلل من المتاع الفان ، أخرج لي ذات يوم

في (التيسير) على قوله قال ابـن حجر موضوع ، انتهى ، ونقل الشيخ بناني في (حاشيـة الزرقاني) عند قول خليل : والرداء ص 214 ما نص المقصود منه : ويدل له ما خرجه السيوطي من انه (ص) لبس العمامة بالعذبة وبغير عذبة وبالتحنيك وغيره وبالقلنسوة وغيرها، ولبس القلنسوة وحدها هـ ومثله ذكره الشعراني في آخر كتابه المسمى (كشف الغمة) ، انتهى كلامه ، وقد أقره الشيخ سيدي محمد الرهوني بسكوته (مؤلف)

رحمه الله من داره المباركة اناء فيه قليل مرقة ، من سواد بطن الشاة ، ونصف خبزة ، وعنقود عنب ، وقال لي : كل هذا مطعمى ، قد سكن رحمه الله وسط بحبوحة مقام العرفان من دوح الايمان والاسلام والاحسان ، وكان صاحب مكاشفة ، كنت ذات يوم وهو بثغر آسفي واقفاً وراءه والناس يزورون ، فجاء طالب يزوره ، فبنفس ما وقعت عليه عين الشيخ قال : اترك عنك ما اشتغلت به ؟ فقال الطالب : أنا أتوب الى الله ، ثم بعد خروجنا سأل ذلك الطالب مولانا ادريس لكونه حضر مقالة الشيخ ، فقال : انى كنت مشتغلا بتلاوة بعض الاسماء .

وقال الكوهن في فهرسته في تعداد شيوخ شيخه الزروالي ما نصه : والزاهد الورع سيدي الجيلالي السباعي المتوفي عام اثني عشر ومئتين وألف ، ومن تلامذته العلامة الفرضي الحيسوبي العربي بن أحمد بنيس شقيق شارح الهمزية ، توفي رحمه الله بعد زوال يوم الثلاثاء متم ذى حجة الحرام متم عام 1213 ، ودفن مع أخيه المتوفى بالعام المذكور ، وقيل عام 1214 المدفون بالضريح الادريسي بروضة مجاورة لميضأة جامع الخطبة ، وهذا الداخل وسط سقيف ، وقيل دفن خارج باب الجيسة ، وقيل داخلها .

779) محمد بن أبي القاسم الفيلالي الرباطي

محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل السجلماسي الزيزي البوجعدي الدار والقرار والمدفن المزار الرباطي . أخذ رحمه الله عن العلامة الحسن بن رحال ، وسيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي ، وسيدي أحمد بن عبد الله الغربي ، وغيرهم .

كان علامة متفننا متقنا مشاركا ، نظارا في الفقه ، اماما حافظا كشافا للمعضلات ، جماعة للدواوين ، متبحرا جامعاً لأفراد المكارم .

وأخذ عنه رضي الله عنه جماعة من أهل العلم ، منهم : الولي الصالح سيدي محمد العربي بن سيدي المعطى صاحب (الذخيرة) ، قرأ عليه وأجازه اجازة عامة ، وأسند له (دلائل الخيرات) ، و (المسبعات) عن سيدي أحمد بن

عبد العزيز الهلالي ، وقد أجاز بهذه الاجازة العامة عن المترجم تلميذه سيدي العربي المذكور، سميَّه العلامة سيدي العربي بن القاضي أحمد بن التاودي ابن سودة المري في خامس وعشري محرم عام 1213 ثلاثة عشر ومئتين وألف .

ومنهم جامع نوازله الفقهية الحافلة . . . قال في أولها :

أما بعد ، فان من منن الله علي ، واحسانه المتولى لدي ، أن ألهمني إلى معرفة من لا يشق لـه غبار ، ولا يخفى ما له من السكينـة والوقار ، والحياء والصيانة والعفة ، من علي قطب رحاه مدار النوازل ، وديدنه التطلع والكشف عما عمِيَ عن غيره من نصوص الأواخر والأوائل ، الشيخ الامام ، قدوة الانام ، وحجة على التمام ، العارف بالفروع والاصول ، والجامع للمعقول والمنقول ، خاتمة صدر العلماء وواسطة سطر الفضلاء ، سيدي محمد بن أبي القاسـم الفلالي النجار ، والاجعداني الدار ، فلم تزل فوائده تتوالى علي ونوازلـه تساق إلي .

ثم قال : ولم يزل حاله معي على ما ذكرت ، وسيرته الحسنى كمـا وصفت الى أن مد الزمان الينا يد النوى ، وذبل بعد طول النضارة بسبب جريه للحضرة المراكشية ، وظننا له عدم الاوبة باشارة مَن أمرُ طاعته حتم ، أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله الى آخره .

ومنهم العلامـة سيدي محمـد بن عامـر التادلي المعداني المتوفـى سنـة 1234 .

وللمترجم مصنفات سارت بها الركبان ، وعمل بها القاضي والدان ، منها شرحه للعمل الفاسي شرحاً أزال عن محياه النقاب ، وقرب به ما كان بعيداً الادراك من الألباب ، قيد شوارده بأوثق قيد ، وأتاه طوعاً ما جمع منه فأوعى وفي جوف الفرا كل الصيد ، وأتى بمـا أربت به على الاوائل الاواخـر ، وقذفت بأصداف الدر المكنون بحوره الزواخر ، لا جرم انجد في البلاد واتهم ، وفتح بأوضح عبارة وألطف اشارة الباب المبهم ، شكر الله سعي اجتهاده ، ومد له من نعيم الجنان على بساط الامتنان طويل مهاده ، وأبقى الثناء عليه مخلداً ، وجيد

علاه لمحاسن حلاه مقلدا ، ولما كمل طبعه عام 1291 قال مصححه وأجاد هذه القصيدة من بحر الكامل نص المقصود منها :

فكأنها وهو المرادُ حديقـــــة — بل شرح حبر من ذوي العرفـــان
نزه جفونك في بديع جمالــــه — واملأ وطابك من جنى أفنـــان
هذا مؤلف عالم علامـــــة — ينبيك عن تحقيقه بلســـــان
طارت به الركبان في آفاقهـــا — قد طال حامله على خاقـــان
متع عيونك في جمال سطـوره — فطروسُه كالروح والريحـــان
فكأنه وسواده ببياضــــــه — مقل المها من أحسن الغـــزلان
أو قينة أيقنت أن جمالهـــــا — حنت اليه عرائس الأذهـــان
عرفت به أعراف فاس فارتـــوى — مما روى من علمه الثقـــلان
وغدا به العرف المقيد واضحـــا — حلو الجنى وممتعا للجانـــي
شرح عجيب ، بل عظيم نفعـــه — يغنى عن الخرشي والزرقانـــي
فمسائل المعيار فيه معـــارة — بعبارة في في حسنها بمكـــان
ووفوائد الحطاب حطت رحلهـــا — بفنائه بدلائل البرهـــــان
أضحى به الفقه الأنيق مرونقـــاً — ففروعه كحدائق البستــــان
جلت معاني لفظه فكانــــه — يــم رمى بالدر والمرجـــان
وغدا بتنبيهاته وفروعِــــــه — روض الشريعة يانع الاغصـــان
شرح تسلسل سائلا بمسائـــل — يسلي عن الاكدار والأحـــزان
لاحتْ ملاحةُ طبعه في صنعـــه — ما أبصرت بنظيره العينـــان
حق على من ضل عنه سبيلــــه — تحصيله بنفائس الأثمـــان
لو يبذل الانسان فيه طريفـــه — وتلاده ما كان ذا خســــران
فاصغ بما يلقى اليك فلن تـــرى — الا صميم الحق في تبيـــان
لو انصف القاضون والمفتون مـــا — حملوه الا محمل التيحبـــان
كم مهمل في النظم لا معنى لـــه — أبداه بحرا لافظا بمعـــان
فلله على الفاسي أقصى منـــة — بالنظم صار به عظيم الشـــأن
شرح يريح الروح في أحشائهـــا — حاشاهُ من خطأ ومن ألحـــان

أكرم به من شارح بل مانح ... متكفل بازالة الاشجان

لله در أبيه يسمى قاسما ... قد جاءنا بكرائم الولدان

لم لا وأصله من بني الصحرا ؟ فما ... أحراه بالتحقيق والاتقان

واستوطن الثغر الرباطي مكرما ... أكرم به من موطن وأوان

ان رمت مذهب مالك متحررا ... فالزم حماه تفق على الاقران

فكأنه الحبر ابن رشد مرشدا ... يهديك من تحصيله وبيان

أبدى الأوابدَ موضحاً أسرارها ... أهدى هبات مغنيات العان

فأعر له عين الرضا اياك أن ... ترضي بعين السخط والاضغان

واعمل بما حصلته وعلمته ... وتعوذن بالله من خذلان

ان الفضائل والفواضل بالتقي ... والعلم لا بعمائم الكتان

واخش المراقب أن يراك مخالفا ... وعظ الحشا بمواعظ القرآن

وتواضعن وضع التكبر زاهدا ... ان التواضع رافع الانسان

واذا بليت فكنت يوما قاضيا ... فاعدل كعدل شريح أو كأبان

ولقد أتى أن القضاة ثلاثة ... للنار منهم في الحديث اثنان

واعلم بأنك ثالث لثلاثة ... قد قيد منهم للجحيم اثنان

إياك والجورَ الذي يُردي وكُنْ ... متبصرا بتبدل الازمان

أين الذي قد كان قبلك غافلا ... قد غر بالأموال والاخدان ؟

فكأنني بك والمنية انشبت ... أظفارها ورأيتها بعيان

وحللت رمسا لا يصد عن الذي ... تلقاه الا رحمة الرحمان

ما ذا تقول اذا حملت الى الثرى ... وأتى لأجل سؤالك الملكان ؟

ما ذا تقول اذا وقفت بموقف ... وحشرت فارغ سفرة وخوان ؟

ما ذا تقول اذا وقفت مخاطبا ... وسئلت عن زيد وعن نقصان ؟

فاعمل لنفسك ما يفيدك في غد ... واعلم بأنك مدرج الاكفان

إياك والدنيا فانك راحل ... عنها وأن الدهر ذو ألوان

أين الذين تمسكوا بسرابها ؟ ... صاروا رميما في محل رهان

والدهر مثل المنجنون تقلبا ... لا يستقرُّ لحالة بعنان

لا تتبع أبدا هواك فان من ... تبع الهوى قد باء بالخسران

كم من فتى قد قام في غفلاتـــه ... أبلى جديد شبابه الملـــوان

واستغن بالله الذي يغنـــي ولا ... تصبح بسوء الظن في حسبـــان

لا تأمنن المكــــر ان الله ذو ... غضب على مـن كان ذا عـدوان

إياك والظلم الذى يردي فكـــم ... من ظالم غلت لديه · يـــدان

أين الذي قد كان فظا جائـــرا ؟ ... قد هام في خطأ كما هامـــان

أزرت به أعماله فلبيس مـــا ... قد كان يعمل ساء فعل مهـــان

وخذ القناعة في حياتك راضيـــاً ... بالله في سر وفي اعــــلان

فالله يعلم ما تكن مع الـــذي ... أبديته وهما لديه سيـــان

واصبر اذا نابتك نائبة وجـــد ... بالمال في حضر وفي اظعـــان

انفق ولا تخش الخصاصة واستزد ... ربا يجد بمثالث ومثـــان

واذا سألت فسل الاهك مخلصـــا ... لا تستعن بفلانة وفـــلان

لا تغترر بنعيم عيش زائـــل ... لابد من بعد عن الاوطـــان

هذي النصيحة أن قبلت وان تكن ... ممن أبى تبا لحجب الـــران

يارب كن للمسلمين جميعهـــم ... عند الممات وكل حي فـــان

كثرت لديك ذنوبنا وشفيعنـــا ... سبطا شفيع المحشر الحسنـان

وانصر أميرا قد بدا كالبدر فـــي ... ارجائنا أو هاطل هتـــان

حبر ذكي الفهم الا أنـــه ... فرع الملوك وضئضئي الاحسـان

سحت وما شحت علينا كعبـــه ... فندا يديه ووابل صنـــوان

جمع السماحة والشجاعة وارتدى ... بردا الحياء وبهجة الايمـــان

وافتح له ما كان صعبا مغلقـــا ... وأنله ملك الشام مع غطفـــان

واجعله موصوفا بمدلول اسمـه ... حسن يهان به ذوو الكفـــران

واجعله رب على الرعية مشفقـــا ... متباعدا عن ساحـــة الادران

وأدمْ به نورَ الشريعة ناميـــا ... حتى ترى بالرفع فوق عنـــان

اصلح به وعلى يديه أمورنـــا ... واخفض مكانة عابد الاوثـــان

واجر له جمع النصارى مغنمـــا ... أسرى له من جملة الغلمـــان

وبه تصير كنائس الكفار قـــد ... نسخت بنصب صوامـــع الآذان

وأنله ملكَ جزائر بعساكـــر ... منصورة الاعلام في الميـــدان

فبعفوه وحيائه وبحلْمِه   قد باء أهل جناية بجنان

عجبا لقوم خالفوه فاصبحوا   سكرى ندامى في مكان هوان

جاروا ، وقد ساءوا الى أبوابه   مستشفعين له ذوي اذعان

سلك السبيل المستقيم ففعله   فعل الكرام بعفوه عن جان

واسلك به نهج السلامة آمنا   واحفظه في الاولاد والاخوان

وأطل له العمر النفيس بطاعة   بحياة حاجبه أبي عمران (1)

واغفر لناظم عرفنا ولشارح   ومصحح ولكاتب بأمان

وسرينا الدباغ وارزق أزرقا   ذا الطبع ما يرضيه من إحسان

وصل الصلاة على نبي جاءنا   نورا مبينا من بني عدنان

من فاق في خلق وفي اخلاقه   ما في الورى أبدا له من ثان

وعلى الصحابة أجمعين وآله   ما سار زائره مع الركبان

واقبل دعاء المذنب العاصي ومن   يعزي لسودة طالب الغفران

وختامه مسك ذكي عرفه   عمل يثقل كفة الميزان

قد تم طبع فاخر تاريخه   شرح جميل جاه في الاكوان

ومنها شرحه لنظمه المشتهر بالعمل المطلق والمسمى بـ (فتح الجليل الصمد ، في شرح التكميل والمعتمد) أتمه عام 1196 ستة وتسعين ومئة وألف ، ومنها شرحه للمنظومة المسماة (اليواقيت الثمينة ، فيما انتمى لعالم المدينة) :

من القواعد ومن فرائد   من النظائر مع الفوائد

لبحر العلم والأدب الجاري ، علي بن عبد الواحد الأنصاري ، في مجلد وهو ليس بمطبوع ، أوله : الحمد لله الذي لا ينبغي الحمد الا له ، الى آخره .

كان المترجم يسكن بأبي الجعد بتادلة ، ثم أمره السلطان بسكنى رباط الفتح بقصد قراءة البخاري به وتدريس العلوم ، فامتثل أمر السلطان

1) موسى بن أحمد البخاري حاجب السلطان مولاي الحسن وأبيه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان

فبقي هنالك ، الى أن أذن له فـي الرجوع لابي الجعد ، فبقي مرافقا لتلميـذه الشيخ سيدي محمد العربي الشرقي ، ومدة سكناه في أبي الجعد فـي حياة سيدي المعطى بن صالح ، وولده سيدي العربي نحو خمسة عشر عاما ، وبقي فيه الى أن توفاه الله تعالى في رمضان عام أربعة عشر ومئتين وألف ، ودفن بجنب سيدي المعطى المذكور ، وقد وقفت على قبره رحمه الله لما زرت رجال أبي الجعد نفعنا الله بهم .

وقد جرى ذكر المترجم في (الروضة المقصودة) وفي أول حاشية الشيخ الرهوني ، وفهرسة الكوهن ، (الفتح الوهبي) ، وغيرها . وقد قرظ للمترجم على جوابه فـي مغيب الشفق المنقول فـي (المعيار الجديد) فـي الأذان سيدي أحمد بـن عبد الله الغربي ، وأبو القاسم بـن سعيد العميري ، وعلي بن عبود ، وأحمد بن الحسن البوكيلي تلميذ أبي العباس الهلالي .

780) محمد بن الطاهر المير السلَوي

محمد المير بن الطاهر السلوي ، كان رحمه الله فقيها علامة ، محققا عارفا بالحديث والتفسير ، دينا مجتهدا فـي الطب ، وهو مـن علماء حضرة السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذين كانوا يؤلفون الحديث على مقتضـى إشارته ، وكانوا أهل مجلسه ، ويسردون ويخوضون فيما يجمعه ويستخرجه من كتب الحديث التي جلبها من المشرق كمسند الامام أحمد ، ومسند أبي حنيفة وغيرهما ، وكان مفتيا ذا خط رائق ، وقفت على بعض فتاويه .

ولما حج بيت الله الحرام وزار قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، لقي مشايخ تلك الآفاق وشهدوا بفضله وعلو مقامه على الاطلاق ، وأجازه الشيخ الفاضل عمر بن عبد الصادق المالكي الششتري الاسكندري ، وقيد له الاجازة بخط يده مؤرخة في سادس جمادى الاولى من عام سبعين ومئة وألف ، ولما رجع من رحلته جلس للتدريس والافتاء ، وكان يدرس التفسير ، ولما وصل الى قوله تعالى : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ،

والحمد لله رب العالمين » قبضه الله اليه في اليوم الثامن من ربيع الثاني سنة 1214 أربع عشرة ومئتين وألف ، أو في تاسع عشر من شوال عام 1220 عشرين ومئتين وألف .

ورثاه تلميذه سيدي زين الدين بن رضوان المباركي التستاوتي بقصيدة مطلعها :

لله في خلقه حكم وتدبير والمرء فيما قضى الالاه مجبور
فكل خطب وان طالت نوائبه لابدَّ يعقُبه لطف" وتيسير

ثم قال :

ان الجهابذة الاعلام من سلمت منهم صدور وبيت الرب معمور

ثم قال :

مات الفقه الوجيه الصدر قدوتنا عين النها والدها محمد المير

وهي طويلة .

781) **محمد الكامل الرشيدي** الفقيه الدراكة ، من علماء حضرة السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذين كانوا يؤلفون الحديث على مقتضى إشارته ، وكانوا أهل مجلسه ، ويسردون ويخوضون فيما يجمعه ويستخرجه من كتب الحديث التي جلبها من المشرق ، كمسند الامام أحمد ومسند أبي حنيفة وغيرهما .

782) **محمد الطاهر بن أحمد الفيلالي**

محمد المدعو الطاهر بن أحمد الفيلالي النجار ، المراكشي الدار ، الفقيه النبيه ، الأتقى النزيه ، ذو الخير الظاهر ، والحسن البهي الباهر ، العلامة مفتي الحضرة المراكشية في وقته .

هكذا هو محلى في مواضع من نوازل العلامة السجلماسي شارح العمل الفاسي .

783) **محمد الزرهوني** كاتب السلطان مولاي سليمان ، وجهه مخدومه في سنة 1213 ثلاثة عشر ومئتين وألف لجمع أحوال المنقطعين ، فجمع منها ما قدر عليه ، وعاد سالماً معافَى ، ولما دخلت سنة تسع عشرة ومئتين وألف توجه السلطان في العسكر الى مراكش ، ولما احتل بها بعث جيشا الى السوس لنظر المترجم .

قال الزياني في الفهرسة :

والكاتب الزرهونيُّ النفيس قلده ردانة والسوس

784) محمد بن الحاج العباس بن يس الجزولي

محمد بن الحاج العباس بن الحسن بن محمد بن يس الجزولي السوسي محتدا ، الفاسي دارا ومولدا ، تلقى الطريقة القادرية وأجازه فيها شيخه التاودي بن الطالب ابن سودة ، وشيخه الشريف المنيف ، الخير العفيف، الولي الصادق العارف الناصح ، مولاي عثمان بن الشيخ العارف بالله ، سيدي محمد بن سيدي محمد بن سيدي فرج الله الهزاري الحسني البغدادي القادري ، وشيخه أيضاً العارف بالله العالم الشريف الواصل سيدي عبد الرحمان مصطفى العيدروس اليمني المصري، وتلقن الطريقة الخلوتية وأجازه فيها وأذنه في تلقينها واعطاء العهود شيخه الامام العلامة الهمام مربي المريدين، وامام السالكين سيدي عبد الله بن حجازي الشرقاوي ، مؤلف (ربيع الفؤاد ، في ترتيب صلوات الطريق والأوراد) ، وشيخه سيدي عثمان القادري المتقدم ، وأذنا له في قراءة ورد السحر ، وورد الستار ، وورد الاشراق ، وورد الضحى ، وورد العصر ، وورد الظهر ، وورد المغرب ، وورد العشاء ، وتلقن الطريقة النقشبندية وأجازه فيها شيخه عالم الشرفاء ، وشريف العلماء ، سيدي محمد الأمين بن مولانا جعفر بن حميد بن زين العابدين العلوي الحسني السجلماسي الصوصي ، قاطن أولاد عميرة بالرتب ، وشيخه مولاي عثمان القادري ، وتلقى الطريقة الوازانية ، وأجازه فيها سيدي عثمان القادري ، وشيخه سيدي علي بن أحمد الحسني العلمي اليملاحي ، وأبو عبد الله التاودي ، تلقن الطريقة

الناصرية ، وأجازه فيها سيدي عثمان المذكور ، وأخذها أيضاً بمراكش عن شيخه سيدي يوسف بن محمد الناصري الدرعي ، شيخ سيدي عثمان المذكور فيها أيضاً ، وتلميذه القطب سيدي أحمد بن ناصر الدرعي ، وعن عمه الشيخ سيدي الحاج عبد الله بن عبد السلام بن يس المراكشي الدار والقرار ، الجزولي السوسي ، تلميذ القطب المذكور ، وعن الشيخ التاودي ، وبهذا السند يروي الطريقة الغازية المليانية والزروقية والشاذلية ، وتلقن الطريقة البقالية ، وأجازه فيها سيدي عثمان القادري ، وتلقن طريقة القطب سيدي أحمد الحبيب بن محمد بن صالح بن أحمد يحيى الصديقي الفيلالي اللمطي ، وأجازه بها الشريف مولاي الأمين المذكور ، وتلقن الطريقة الصادقية ، وأجازه بها مولاي الأمين المذكور ، عن سيدي محمد بن عبد الهادي الرتبي الصادقي ، عن سيدي العباس الدرعي ، عن القطب امام الطريقة سيدي أحمد بن عبد الصادق الرتبي رضي الله عنه ، عن سيدي علي الجثومي ، عن عبد العزيز بن عبد الحليم ، عن سيدي بوطيب بن يحيى الميسوري ، عن سيدي عبد الله بن ابراهيم الخياط الزرهوني ، عن سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني ، عن سيدي أحمد زروق ، وتلقى طريقة الشيخ سيدي محمد بن منصور الجلولي المصباحي ، صاحب جزيرة البسابس (1) ، تلميذ الشيخ التباع ، وأجازه بها سيدي عثمان المذكور ، وتلقن طريقة سيدي ابراهيم التازي عن الشريف المذكور ، عن يوسف بن محمد الناصري ، عن محمد بن عبد السلام بناني ، عن أبي سالم العياشي ، وتلقى أوراد الايام السبعة التي جمعها أبو حامد الغزالي ، وأجازه بها سيدي عثمان المذكور ، عن سيدي محمد بن محمد بوراس المعسكري ، عن سيدي محمود بن أبي يزيد الكوراني الكردي ، عن سيدي محمد بن سالم الحفناوي ، وتلقن أوراد الايام السبعة للقطب الكامل سيدي محمد بن عبد الكريم السمان المدني الحسني ، وأخذ (دلائل الخيرات) إذناً واجازة عن عمه الحاج عبد الله بن يس المذكور ، عن سيدي أحمد بن محمود بناصر ، عن والده سيدي محمد ، عن سيدي محمد بن سعيد السوسي المرغيثي ،

---

1) تقع بقبيلة المناصرة الواقعة شمالي مدينة القنيطرة

عن مولانا عبد الله بن علي بن طاهر ، عن القصار ، عن الجنوي ، عن الغزواني ، عن التباع، عن الجزولي، وأخذه أيضاً عن سيدي عثمان المذكور، عن الحفناوي،عن البديري عن المكناسي المسطاري ، عن أبي القاسم السفياني ، عن الشرقي، عن عبد الله بن ساسي ، عن الغزواني بسنده ، وأخذه سيدي عثمان المذكور أيضا عن الشيخ مرتضى الزبيدي بسنده ، وأخذه المترجم أيضا عن الشيخ التاودي ، عن الهلالي عن سيدي العربي التلمساني وهو تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما ، وأمره بقراءته والاذن فيه لمن طلبه منه ، كما أخذه التلمساني المذكور عن قاضي الجان الصحابي السيد شمهروش عن مؤلفه رضي الله عنه ، وتلقـن المسبعات العشر وأجازه بهـا الشيخ التاودي والقادري ، عن سيدي محمود بن أبي يزيد الكردي الكوراني الخلوتي ، عـن سيدنا الخضر عليه السلام ، وأخذ أحزاب الشاذلي والصلاتين المشيشيتين عن التاودي والقادري اجازة واذناً ، كما أخذ عـن القادري حزب الدور الاعـلا ، وحزب النووي ، وأخذ كتب الشيخ زروق واذكاره اجازة عن سيدي علي محمود الرباطي عن الحفناوي وعن القادري ، وكتب ابن عطاء الله كذلك ، وقراءة فاتحة الكتاب مئة ما بين الليل والنهار،ونظم (1) خواص ذلك شيخه سيدي سليمان بن أحمد الفشتالي رحمه الله في شرحه (سلك اللآلي ، في شرح مثلث أبي حامد الغزالي) ونصه :

اذا ما كنت ملتمسا لـــــرزق	ونجح القصد من عبد وحــــر
وتظفر بالذي ترجو سريعـــا	وتأمن من مخالفة وغـــدر
ففاتحة الكتاب فان فيهـــا	لما أملت سراً أي ســـر
فلازم ذكرها في كل وقـــت	وفي صبح وظهر ثم عصــر

---

1) هذه المنظومة في خواص قراءة الفاتحة هي لأبي حامد الغزالي نفسه ، وقد تقدم ذكرها فى ترجمته (4 : 30 ع 480) ، وقد نسبها له الامام المحدث شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الشرجي اليمني المتوفى سنة 898 في الفائدة الخامسة والثمانين من كتاب (الفوائد ، في الصلات والعوائد) ص 102 ، أما الامام الشيخ احمد بن علي البوني المتوفى سنة 622 في كتابه (شمس المعارف الكبرى) فقال انها منقولة من كتاب (كنز المقربين) للعلامة ابن سبعين نقلها عن الامـام علي كرم الله وجهه وذلك في 1 : 75 منها عند ذكره دعوة الفاتحة الشريفة ، وابن سبعين المتوفى سنة 669 هو من تلامذة البوني كما تقدم ، فتأمل هذا (مؤلف)

وبعد غروب شمس كل يوم	إلى تسعين تتبعها بعشر
تنل ما شئت من عز وجاه	وعظم مهابة وعلو قدر
ويسر لا تغيره الليالي	بحادثة من النقصان تجري
وتوفيق وأفراح دواماً	وأمن من قلائد كل شر
ومن عسر وفقر وانقطاع	ومن بطش لذي نهي وأمر
فانك إن فعلت أتاك ءات	بما يغنيك عن زيد وعمْرو

وقد أخذها اجازة عن القادري ، عن بناني ، عن النخلي ، عن العقيلي ، عن حجازي ، وروى حديث الرحمة المسلسل بالأولية عن القادري والأمين العلوي ، وصافح كلا منهما ، وروى عنهما حديثها وشابكهما وروى عنهما حديثها ، وروى حديث الضيافة المسلسل بها عن الثاني ، والمسلسل بالسؤال عن الاسم وتوابعه ، والمسلسل بمناولة السبحة .

وممن أجاز المترجم بالأسماء السبعة الخلوتية الشيخ عبد الله بن حجازي الشرقاوي ، لقه بمصر ولقنه الذكر ، ونص إجازته :

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أيها الفاضل الرشيد، الموفق السعيد، ذو الأخلاق المرضية، والطريقة السنية ، الفقيه محمد بن العباس بن يس الفاسي ، لازال محمود الافعال ، لابسا حلل الرضا من درجات الافضال ، غارفا بكؤوس العرفان ، متمسكا بحديث الاحسان ، آمين .

بعد السلام، والدعاء ببلوغ المرام، فقد وصل كتابكم، وفُهِم خطابكم، وأجزناكم بالاشتغال بالأسماء السبعة من أولها على الترتيب : الاسم الاول : لا الاه الا الله ، الثاني : الله ، الثالث : هو ، الرابع : حق ، الخامس : حي ، السادس : قيوم ، السابع : قهار ، وتستعملون كل اسم منها مئة ألف مرة من غير كسل ولا تقصير ، فيحصل بفضل الله لكم الخير الكثير والفتح الشهير ، فان الله لا يضيع أجر العاملين ولا يخيب عباده الصادقين ، مع ملازمة شروط الطريق المستقيمة ، والتمسك بالشريعة القويمة .

اوالله تعالى يوفقكم لذلك ، ويتمم نظامكم في رياض تلك المسالك ، ولا تقطعوا أخباركم عنا وأسراركم ، والسلام ختام ، ثامن الحجة سنة احدى عشرة ومئتين وألف .

عبد الله ابن حجازي الشرقاوي المصري الخلوتي ، خادم العلماء والفقراء .

وبعده الختم بداخله اسمه .

وممن أجازه بالاجازة العامة سيدي عثمان القادري المتقدم ، لقيه بزاوية جده بفاس مرارا ولقنه الذكر ، ونص ما كتبه له :

الحمد لله ذاكر الذاكرين ، ومقيل المستغفرين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين ، وإمام المتقين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه السادات الاكرمين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد ، فيقول عبد ربه المعبود الباري ، عثمان بن محمد الهزاري ، زاده القادري الحسني الموساوي البغدادي ، قد ألتمس مني من يجب اسعافه ولا ينبغي خلافه ، وهو الفقيه الأمجد ، الخير الناسك الأرشد ، المرابط الأوحد الأسعد ، سيدي الحاج محمد بن الحاج العباس بن الحسن بن محمد الجزولي السوسي محتدا ، الفاسي دارا ومولدا ، وطلب مني الاجازة في جميع ما لديّ من الطريق والاوراد والاذكار والاسماء ، والمسميات والأسرار ، والمسبعات والصلاة على النبي المختار ، فأجبته الى ما طلب ، واسعفته فيما دعا اليه وكرر الطلب، وأجزته بجميع أورادنا وبسائر الطرق المتصلة السند بأشياخنا، على طريق كل ولي وقطب وشيخ وأستاذ ، على طريق كل مذهب والمذاهب الاربعة الامجاد ، وبكل ذكرَ وورد ، وحزب ووظيفة ، وحفيظة ودعوة ، وتصلية صغرى وكبرى ، وكل واحدة تماثل الاخرى ، بكل مطنب أو وجيز منصوص ، أو مدخر أو مكنون أو مخصوص ، وبكتاب (دلائل الخيرات ، الجامع لأنواع المسرات) والأسماء والمسميات ، وما في ضمنها من الدعوات ، واسم الجلالة

والذات العلية والمسبعات ، وما ثبت للتميمي من المعشرات ، وبالدائرة الشاذلية والاسماء الخلوتية ، واسماء البركة والاربعين الادريسية ، ودعوة الواقعة ، وأوراد الأيام السبعة للسمان ، وكذا أوراد الغزالي وغيره من الأعيان ، إجازة تامة ، مطلقة عامة ، بشرطها المعتبر ، وقيدها المحرر ، أذنته فيها أن يجيز خصوصا ذوي الاهلية والتمييز ، وأن يلقن الاذكار ، ابتغاء وجه الملك الجبار ، وأن يعطي العهود ويورد المريدين بأي طريق شاء من طريق العارفين .

نسأل الله تعالى أن يفتح عليه وعلى من تلقن وتلقى منه بقلب سليم وطريق مستقيم ، وألبسته جبة العبادة القلبية ، وجعلتها له جسدية وقلبية ، حسبما أجازني أشياخي بذلك ، والحقته بما هنالك ، وذكرهم لا يحمله هذا المسطور لما به من الضيق والقصور ، وجلهم عنده معروف ، وبكل خير موصوف .

وأوصيه ألا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته ، والسلام .

وكتب خديم أولياء الله ، وأهل بيت رسول الله ، عبد ربه ، الواثق بالمعبود الباري : عثمان بن محمد الهزاري القادري البغدادي الموساوي الحسني لطف الله به ، ووفقه وغفر له بمنه ءامين، انتهى .

ومنهم العلامة المشارك فريد زمانه محمد الأمين العلوي المتقدم ، لقيه بفاس أيضا ، ولقنه الذكر ، وأجازه بجميع مروياته عن جميع أشياخه اجازة عامة ، ونصها :

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

لما منّ الله تعالى على العبد الفقير ، البائس الحقير ، محمد الأمين بن جعفر الحسني الصوصي من أهل سجلماسة بوادي الرتب ، من أولاد عميرة دارا بملاقاة سيدنا وأستاذنا ونعمة الله التي أولانا ، سيدي الحاج محمد بن سيدي العباس بن يس الفاسي ، طلب مني بالوداد أن أكتب له فأجبته امتثالا لامره فأقول وبالله التوفيق : أني أجبت داعيه وأجزته بجميع ما رويته عن أشياخي ،

وما صحت لي روايته بالاذن الصحيح من أرباب الهمة وبالالباس ، وتلقين الذكر للمريدين ، وبربيع الفؤاد لشيخنا سيدي عبد الله بن حجازي الشرقاوي رحمه الله ، وبطريق سادتنا النقشبندية ، كما أخذتها عن شيخنا الحاج الطيب التازي ، عن جده من جهة الام السيد عبد الوهاب التازي رحمه الله ، قال هذا بفمه وكتبه بقلمه ، أفقر الورى الى الله محمد الامين بن جعفر المذكور ، والله خليفتي على السيد المذكور ، وأني أذنته في الاذن لمن وفقه الله ، وشرط التقوى ، وأن لا ينساني من صالح الدعوات في الخلوات والجلوات ، وأولادنا وأهلينا وأحبائنا ، وأهل المحبة كافة ، والسلام .

في 19 من ربيع الأول عام 1226 رزقنا الله خيره ، ووقانا شره ، آمين .

ومنهم الفقيه الحجة الانبل ، الخير الناسك الافضل ، بركة وقته وعمدته ، وقطب دائرته وحجته ، ذو الفضل السامي ، والكف الممدود ، سيدي علي محمود الرباطي الدار والقرار ، الخلوتي الطريقة والنجار ، لقيه مرارا وأخذ عنه مسائل عديدة وفوائد فريدة جيدة ، ولقنه الذكر ، وأذن له في مطالعة كتب الشيخ أحمد زروق ، وابن عطاء الله ، وابن عباد ، برسالة نصها :

من عبد ربه وأسير ذنبه ، تراب الاقدام وخادم الخدام علي محمود ، أحمد الله عاقبته وغفر زلته .

إلى محبنا في الله ، المرابط الارضى سيدي الحاج محمد ابن يس ، جعلك الله من الآمنين بمنه ءامين .

لقد وصلنا كتابك ومسطور خطابك ، دلنا على خالص ودادك ، جزاك الله خيرا وأصلح منك الظاهر والباطن .

وأما ما طلبت منا فلسنا من أهله ، لكن عليك بكتب زروق ، وابن عطاء الله ، وابن عباد ، والله يفتح عليك في فهم كلامهم والتفطن لاشارتهم ، والتنبه بالقلب والسير لمراداتهم وما انطوت عليه نصائحهم بجاههم ءامين .

ونريد منك أن تكتب لي وتبشرني بشيء من ذلك وما أفاء الله عليك من فضله ، بلغك الله قصدك وقصدنا فيك ، بمنه والسلام ، انتهى .

وقد ألف المترجم فهرسة سماها (المواهب القدسية ، في أسانيد بعض المشايخ الصوفية ، مع بعض الكتب البهية ، والمسلسلات النبوية) ، وقد اشتملت على مقدمة ، وبابين ، وخاتمة المقدمة في النية الصالحة ، وفوائد قرب الاسناد وما ثبت في ذلك عن السلف الصالح من العلماء الارشاد ، والباب الاول في كيفية التلقين لأوراد كل طريق ، وسندها المتصل بالتحقيق ، والباب الثاني في أسانيد (دلائل الخيرات) والمسبعات والمعشرات ، وبعض أحزاب العلماء القادات ، وبعض كتب السادات الصوفية ، وفي ضمنها من المواهب الربانية ، والخاتمة في بعض الاحاديث المسلسلات بالاسانيد المتصلة الى سيد السادات ، ثم أعقبها بذكر اجازات أشياخه ، ومن هذه الفهرسة لخصت ترجمته ، وهي في نحو كراس ونصف من الرباعي .

785) **محمد بن إبراهيم الزداغي** قاضي مراكش الفقيه العلامة ، ذكره الزياني في شرح فهرسة مولانا سليمان التي ألفها له من الطبقة الثالثة من ثلامذته ، وسراد كتبه ومغيري حواشيه وأبحاثه وأجوبته في المشكلات ، وكاتبه في ديوان رسائله ونساخ كتبه العلمية ، قال :

وقاضي الحمرا مخيف الباغي   محمد بن القاضي الزداغي

انتهى .

وقال فيها : ثم الفقيه النحرير قاضي مراكش الحمراء ، وابن قاضيها السيد محمد بن ابراهيم الزداغي الاصل ، المراكشي الدار والنشأة ، ثم أخوه الفقيه اللطيف الذي لمكارم الاخلاق رديف ، السيد المعطي بن ابراهيم الزداغي النسب (وتقدم) ذكر والده إبراهيم (1) .

وقال في (الجيش العرمرم) : حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى ابراهيم — يعني بن مولانا سليمان سنة 1226 — في تلك الحجة ، مثل الفقيه العلامة القاضي السيد محمد بن ابراهيم الزداغي ، والفقيه العلامة القاضي

1) في الأصل (وسياتي) اعتباراً للترتيب الأول للكتاب

السيد العباس ابن كيران الفاسي ، والفقيه الشريف البركة سيدي الأمين بن جعفر الحسني الرتبي ، والفقيه المؤقت الصادق الامين السيد عبد الخالق الودي ، حدث كلٌ واحد منهم أنهم ما رأوا من ذلك السلطان سعود ما يخالف ما عرفوهُ من ظاهر الشريعة ، وانما شاهدوا منه ومن أتباعه غاية الاستقامة ، والقيام بشعائر الاسلام من صلاة وطهارة وصيام ، ونهي عن المناكر المحرمة ، وتنقية الحرمين الشريفين من القذرات والآثام التي كانت تفعل بها جهاراً بلا انكار ، وذكروا أن حاله كحال أحد من الناس ، لا تميزه من غيره بزي ولا مركوب ولا لباس ، وانه لما اجتمع بالشريف الخليفة مولانا ابراهيم ، أظهر له التعظيم الواجب لأهل البيت الشريف ، وجلس معه كجلوس هؤلاء المذكورين وغيرهم ، من خاصة مولانا ابراهيم .

وكان الذي تولى الكلام معه هو القاضي ابن إبراهيم الزداغي ، وكان من جملة ما قال لهم : ان الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية ، فأي شيء رأيتمونا خالفناه في السنة ؟ وأي شيء سمعتموه عنا قبل رؤيتكم لنا ؟ فقال له القاضي المذكور : بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي ، فقال لهم : معاذ الله ، ، إنما نقول كما قال مالك : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، ،والسؤال عنه بدعة ، فهل في هذا مخالفة ؟ فقالوا : لا، وبمثل هذا نقول نحن أيضا ، ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي صلى الله عليه وسلم وإخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم، فلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ارتعد ورفع صوته بالصلاة والتسليم عليه وقال : معاذ الله تعالى ، بل نقول : انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره ، وكذلك غيره من الانبياء ، حياة فوق حياة الشهداء ، ثم قال له القاضي : وبلغنا أنكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم ، وزيارة الاموات قاطبة مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن انكارها ، فقال له : معاذ الله ان ننكر ما ثبت في شرعنا ، وهل منعناكم أنتم لما عرفناكم أنكم تعرفون كيفيتها وآدابها ؟ وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية ، ويطلبون من الاموات أن تقضي لهم أغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية ، وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكار مصير الزائر الى ما صار اليه المزور ، ثم

يدعو له بالمغفرة ويستشفع به الى الله تعالى ، ويسأل الله تعالى المنفرد بالاعطاء والمنع ، بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق أن يستشفع به ، هذا قول إمامنا أحمد رضي الله عنه ، ولما كان العوامُّ في غاية البُعد عن إدراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعة ، فأي مخالفة للسنة في هذا القدر ؟ انتهى .

هذا ما حدث به أولئك المذكورون ، سمعنا ذلك من بعض الجماعة ، ثم سألنا الباقي أفرادا فاتفق خبرهم على ذلك ، انتهى .

وقد تكلمنا على هذه المسألة في (اظهار الكمال) فراجعه ، وذكرنا ذلك أيضاً فيما تقدم لدى ترجمة سيدي أحمد ابن العريف .

786) **محمد بن عمرو ابن عبد الله** الزروالي الأصل ، الفاسي الدار والمنشأ ، العالم العلامة المحقق ، الحبر البحر الفهامة المدقق ، أعجوبة الدهر في التحقيق والاتقان ، والكعبة التي يطوف بها الطائفون من بعيد البلدان ، المترجم في جميع العلوم ، القائم عليها قيام أهل الذكاء والمفهوم ، مع فصاحة لسان يعجز عنها سحبان . كان رحمه الله بحرا لا يجاري في مجارى العلوم ، ومهندا يفري أديم المشكلات بماضي الفهوم ، حافظا ضابطا متقنا ماهرا محصلا متفننا ، عارفا بالاصول والفروع ، حاضر الافراد والجموع ، مشاركا في معقول العلم ومنقوله ، ذا نظر يؤدى إلى تحصيل مجهوله بمعلومه في منطق وبيان ، وعربية وأصلين ، وتصوف وفقه ، وحديث وتفسير ، مع استغراق الأزمان ، في الاعتناء بالمطالعة والافادة بكل وجه حسب الامكان ، ذاهمة علية ، ومناقب زكية سنية ، طبق ذكره الآفاق ، وسارت بالثناء عليه الرفاق .

أخذ رحمه الله عن الشيخ سيدي الطيب بن كيران ، والشيخ بناني ، والشيخ التاودي ، والشيخ عبد الكريم اليازغي ، وابن عبد السلام الفاسي ، وسيدي الجيلالي السباعي، وسيدي عبد القادر ابن شقرون، وسيدي محمد بن طاهر الهواري ، وغيرهم .

وأخذ عنه هو من لا يحصى من جملتهم : السلطان مولانا سليمان ، أخذ عنه الفقه والحديث والتفسير والنحو وغير ذلك ، والعلامة سيدي عبد القادر بن أحمد الكوهن ، أخذ عنه الفقه والحديث ، والبيان ، والاصول ، والتصوف .

توفي رحمه الله من غير عقب صبيحة يوم الاحد ثاني وعشري ذي القعدة الحرام عام 30 ، وقيل تسع وعشرين ومئتين وألف ، ودفن عن يسار شيخه سيدي الطيب .

ترجمه في (امداد ذوي الاستعداد) وغيره .

وقال في (جمهرة التيجان) ما نصه :

والعالم المعدود في الموالـــــي محمد بن عمرو الزروالـــــي

انتهى .

ووقفت على ورقة بخط سيدي المجذوب بن عبد الحفيظ الفاسي ، نص ما فيها :

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليماً .

ومما نظمه الفقيه الأديب سيدي حمدون ابن الحاج رحمه الله ما نصه :

خيمة ما بها سوى قائـــل أح وبها مد صوته وترنـــح
منهم مشتك صداعا ومنهـــم مشتكٍ مشْيَ بطنه به صبـــح
وسراويله بكفه محلـــــــو ل يخاف إن سده فيه يسلـــح
منهم مشتك بواسر قعـــــر لا تراه الا يميل ويجنــــح
منهم مشتك بدمل ابـــــط يشتهي الفجر منه بالعصر يلمح
منهم مشتك بطول ركـــــوب قد أضر لكنه ما تنحنـــــح
منهم مشتك بداء مخـــوف هو من كل داء أقوى وأرجـــح
حل في خيمة ليفرد عنـــــا بأنيس به يطيب ويفـــرح
وأنيس من مسه من ســـــواه قال أح أح دعني لخـــلى أح أح

انتهى .

وسبب نظمه الابيات أعلاه ، أنه كان مع رفقة من الفقهاء مسافريـــن لحضــرة مراكش ، منهم الفقيــه العلامة سيدي محمــد بن عمرو الزروالــي ، والفقيه العلامة سيدي محمد بن محمد ابن منصور ، والشريف المحدث سيدي عبد الرحمان بن ادريس العراقي ، وكاتب الحروف المجذوب بن عبد الحفيظ الفاسي ، والسيد سيدي محمد بن أحمد بناني ، فاتفق يوما أن كان كل واحد منهم يشتكي بضرر من الاضرار المذكورة في الابيات أعلاه ، فكاتبه يشتكي بصداع رأسه ، والشريف العراقي يشتكي مشي بطنه ، والفقيه بناني يشتكي بواسير ، والفقيه ابن منصور يشتكي دمالة تحت إبطه ، والناظم إنما يشتكي بطول الركوب ، والفقيه الزروالي يشتكي بضر مخوف قد أطال به حتى تفرد في خيمة لكثرة أنينه ونزعه ، وكان له أنيس يخدمه ويباشره ، فان مسه غيره صاح ، وقال : (أح أح دعني لخلي أح أح) .

انتهى بحرفه .

ورأيت مرثيه في ديوان الفقيه ابن ادريس للمترجم اشتملت على ستين بيتا مطلعها :

خطب عرا ومصيبة دهمـــــــــاء قرحت لها الاجفان والاحشـــــــاء

وختامها :

سلم على الدنيا سلام مــــــودع ان أقبرت أعلامها العلمـــــــاء

ووقفت على خطه الحسن ، على نسخة كانت في ملكه من حاشيــة سيدي محمد اللقاني ناصر الدين على (التوضيح) للشيخ خليل في مجلد واحد، وهو خط نفيس ، وقد جمع تلك الحاشية بعضهم من طرر اللقاني على التوضيح وجعلها نسختين .

787) **محمد بن محمد ابن منصور** الشفشاوني الأصل ، الفاسي الدار والمنشأ ، الشيخ الفقيه العلامــة ، الحافظ المشارك الفهامة ، المتفنن فـــي المعقول والمنقول ، الكثير التحصيل لما ينقل أو يقول .

كان رحمه الله حافظاً لمذهب مالك، يوشك أن يعدَّ من رجال « المدارك »، مستحضرا للنوازل التي تعرض من معضلات المسائل ، مشارا اليه بكمال التحصيل ، معولا عليه فيما يرجع لحال الرسوم أي تعويل ، مع المشاركة في النحو والأصليـْن والبيان والحديث والتفسير ، وكان ملازماً للتدريس والتقييد، والافادة للخاص والعام ، مع ما انضم الى ذلك من رشاقة العبارة وبلاغتها ، واذلال عويصات المسائل ، حتى يستوفى فهمها الذكي والغبي .

له حاشية على التصريح ، وحاشية على مختصر السعد ، اختصرها من حاشية سيدي محمد بن عبد الخالق البناني المصري مما جمعه من طرر شيخه الصبان ، شرع في طبعها بالمطبعة الفاسية ، وحاشية على المحلي ، جمعها من طرر شيخه سيدي عبد الكريم اليازغي ، وحاشية على شرحي بناني وقدورة على السلم ، وحاشية على الخرشي لم تكمل ، وحاشية على الاحياء كذلك الى غير ذلك .

أخذ عن الشيخ سيدي الطيب ابن كيران ، والشيخ بناني ، والشيخ سيدي التاودي ، وسيدي عبد الكريم اليازغي ، وابن عبد السلام الفاسي ، وسيدي الجيلالي السباعي، وسيدي عبد القادر ابن شقرون ، وسيدي محمد بن طاهر الهواري ، وأجازه سيدي محمد بـن عبد السلام الناصري الـدرعي ، والشيخ سيدي مَحمد فتحا بن مُحمد ضما بن أحمد بن عبد القادر الشهير بالامير ، المتوفى في شوال عام اثنين وثلاثين ومئتين وألف ، ومولده سنة أربع وخمسين ومئة وألف .

ولد المترجم رحمه الله بعد المغرب يوم الاربعاء من ذي الحجة الحرام عام تسعة وسبعين ومئة وألف ، وتوفي عند زوال يوم الاربعاء ثاني وعشري شعبان عام اثنين وثلاثين ومئتيـن وألف ، ودفن عند أرجل شيخـه سيدي الطيب ، ومن ذكر معه .

ترجمه في (أمداد ذوى الاستعداد) .

وتقدم أنه سافر لمراكش في ترجمة رفيقه سيدي محمد بن عمرو الزروالي ، وقال في (جمهرة التيجان) :

وخدنه العلامة المبـــــرور محمد ابن منصور المشهـــــور

وقال الضعيف في تاريخه : وفي هذا اليوم ورد السيد عبد السلام اليزمي الفاسي ، مع الفقيه محمد ابن منصور الفاسي على رباط الفتح ، ولما وصـــل اليزمي وابن منصور لمراكش أخذا في تدريس العلم بالسلطـــان ، وولي ابن منصور القضاء ، وأما الزروالي فاتى مريضاً مع الحاج العربي بن علي للرباط ، انتهى .

788) **محمد بن محمد المزوري** نسبة الى مزورة من الشاوية ، الفقيه العلامة قاضي مراكش في دولة مولاي سليمان في أواخرها ، وأوائل دولة مولاي عبد الرحمان ، وقفت على تسجيلات عليه في عدة رسوم ، وهو الذى أثبـت حوالة الاحباس الكبرى لما جددت ، منها رسم مؤرخ في فاتح شعبان عام 1237 سبعة وثلاثين ومئة وألف .

قال في (الجيش العرموم) بعد ذكر وفاة مولانا سليمان ما نصه : لما فرغ من دفنه ، واجتمع الناس الاعيان بباب دار السلطان لتعزية من حضر من أهله ، وهو شقيقه مولاي موسى ، وولده مولاي بوبكر الاصغر ، جعـل مولاي موسى يشير الى أنه أحق بالامر ، وأنه لا أكبر منه ، وهو صادق مـن جهة الجرم والسن ، ولكن لا أصغر منه عقلا وهمة ، وكان القاضي المزوري ، والفقيه سيدي محمد بن الطاهر الفيلالي إلى جنبي ، فأخرجت ذلـك الكتاب الذي كان كتبه السلطان بالعرائش ، وأمرني بحفظه ، يعني العهد ، لمولانا عبد الرحمان ، فأريتـه للقاضي ،وقلت : ان السلطان قد عهد لمولاي عبـد الرحمان ، فقل لهذا الاحمق أن يسكت حتى يظهر الخبر من الغرب الذى فيه الجيش ، وأهل الحل والعقد ، فلما قرأ القاضي ذلك الكتاب ، وتحقق خـط السلطان ، دفعه خفية لسيدي محمد بن الطاهر فقرأه خفية ومولاي موســى مشغول بالثرثرة مع من حوله ، فقال له القاضي : ما قلت ياسيدي الا الحق !

أنت بركتنا ، وأنت ولد سيدي محمد وشقيق السلطان رحمه الله ، ومن ذا الذي يتقدم عليك ؟ ولكن نحن لا كلام لنا في هذا الامر ، وانما الكلام في الغرب الذي فيه العساكر السلطانية من العبيد والوداية وعلماء فاس ، فقال له مولاي موسى : أنت يافقيه غير اسكت ، لا كلام لك ، انما أنت قاضي ، اذا أتاك من تحكم عليه فاحكم عليه ، أليس هؤلاء الذين حضروا عسكرا ؟ هنا العبيد ، وهنا الوداية ، وهنا العلماء ، ومراكش دار السلطنة ومنها تخرج الملوك .

فرفع سيدي محمد بن الطاهر يديه ، وقال : الفاتحة ، الله يرحم السلطان ويجعل البركة في بقيته ، فقرأ الناس الفاتحة فقام سيدي محمد وانصرف ، وناداه مولاي موسى : يافقيه ، يافقيه ، فلم يلتفت إليه كأنه لم يسمعه ، وقام القاضي وجعل الناس ينصرفون حتى بقي مولاي موسى وحده مع أصحابه وخاصته ، انتهى .

789) محمد بن أبي بكر اليازغي الزهني

محمد بن العلامة أبي بكر بن عبد الكريم بن علي الزهني اليازغي أصلا ، العمدة المحقق المشارك المدقق ، وحيد عصره في علم المعقول من غير مدافع ، بل وفي علم المنقول المتشيع في محبة آل البيت ، ومن له الذكر الشهير والصيت ، أديب الزمان ووحيد العصر والاوان ، بهذه حلاه تلميذه سيدي الوليد العراقي في (الدر النفيس) ، لما ترجم لنفسه في آخره قائلا : لازمته في ألفية بن مالك بشرح الازهري وحواشيه، قراءة بحث وتحقيق، وفي (مختصر السعد) كذلك مرارا ، وفي (المحلى) كذلك مرتين ، وفي (الصغرى) ، وفي (السلم) ، وفي (المغنى) ، وفي (الخزرجية) ، وفي (الحكم) ، وفي (صحيح البخاري) ، وغير ذلك ، وانتفعت به ما لم انتفع بغيره ، انتهى بمعناه .

ومن شعره رحمه الله :

خليلي ان الفاسيين لجوهر ... على جيد هذا الدهر لاح وأبرقا
صغيرهم للمجد يسرع يافعا ... وأكبرهم فوق السماك قد ارتقى

أزاهرهم عن يمن فِهرٍ تفتّقتْ　　وغصنهم لا زال باليمن مورقـا
ولو أنصفوا كانت خطا نعلهم على　　جباه الورى غرب البلاد ومشرقـا

وبعض فتاويه منقولة في (النوازل الرندية) .

وفـي مدحه يقول تلميـذه الوزير محمد ابـن ادريس حين قراءتـه عليـه :

سقى معهد الاحباب صوب السحائب　　ورد الى أحبابها كل غائـب
وحيا ثغور زهرها كل بـارق　　يحاكي وميضا من ثغور الكواعـب
وجر النسيم الرطب من عرصاتها　　ذيول دلال بين تلك الملاعـب
ولا برحت تعتادها كل غـادة　　من الانس بيضاء الحلى والترائب
ربوع بها أنسي وراحي وراحتـي　　وأهلي وأصحابي وجمع الحبائـب
قطعت بها شرخ الصبابة والصبا　　ونلت بها كل المنى والرغائـب
كما نلت في عصر الشباب بصالح　　مفازا سما عن كل خل وصاحـب
خليل خلا من كل عيب يشينـه　　كما قد تحلى بالعلا والمناقـب
رأى فضله نقصي كمالا فخصنـي　　بود وفي العهد صافي المشـارب
بدت شمسه من غربنا فسمت بـه　　لخطة فضل ليس فيها براغـب
فأصبح مرفوع الجناب مؤيـدا　　بتوفيق رب العرش من كل جانب
فلله منه مفرداً صار جامعـاً　　لأوصاف فضل ليس تحصى لكاتب
حوى الفضل بين الناس إرثا وطارفا　　وجاء بآي للعلا ومناقـب
هو الصدر حاز الصدر منه نفائسا　　من العلم عفوا ليس تدنو لطالـب
اذا قال شعرا أو غدا ناثرا لـه　　أراك اللآلي في نحور الكواعـب
ويبدي لدى فهم الغوامض آيـة　　مبينة التحقيق من فيض واهـب
ويظهر في علم التصوف والصفـا　　دقائق تتلو فعله بالمواهـب
فلا زال محفوظ المكارم راقيـا　　مراقي النجوم الزهر بين الكواكب
بجاه رسول الله أحمد من لـه　　مقام رفيع القدر سامي المراتـب
عليه الصلاة والسلام وآلـه　　وأصحابه ما سار غر النجائـب

وفيه يقول أيضا عند ختم (مختصر السعد) سنة 1230 :

جعلت حديث الحب مسك ختام ... فصح بارسال الدموع غرامي
وما زال مذ نيطت عليَّ تمائمي ... بحب الظباء الآنسات هيامي
تخذتُ ربوعَ الحب دار مقامة ... وقوضت من أرض السلو خيامي
وما زادني الا غراما ولوعة ... مقال عذول مولع بملام
ولي من ظباء الانس هيفاء غادة ... كستني بطول الهجر ثوب سقام
أحلت دمي باللحظ ظلما وحرمت ... بطول تجنيها لذيذ منامي
وقد منعت حتى زيارة طيفها ... وضنت على المضنى برد سلام
وقدت برمح القد جسمي ومهجتي ... ولم ترع في شرع الغرام ذمامي
أعارت ظباء البيد جيدا وناظرا ... وأعطت غصون البان حسن قوام
فلو برزت للشمس خرت بفضلها ... وللبدر لم يوصف بوصف تمام
لقد عز في هذا الزمان نظيرها ... كما عز في الاعلام مثل امام
رفيع ذرى العلياء شيخي محمد ... مجل بنور العلم كل ظلام
سليل العلا والمجد والجود والتقى ... امام هدى للناس وابن امام
بدا في سماء العلم بدر سمائها ... وحل من التحقيق أعلا مقام
هو الأوحدُ الصدرُ الذي بعلومه ... تيسر للطلاب كل مرام
علوم الورى قد أذعنت لذكائه ... وألقت اليه كلها بزمام
فمعقولها قد أعقلته فهومه ... ومنقولها قد قاده بخطام
ولا فن الا وهو فارس دسته ... يحلى به بالفهم كل همام
يدير على الطلاب خمرة فهمه ... فيتركهم في الخلق حلف هيام
سكارى من التحقيق حارت عقولهم ... نشاوى معان لا نشاوى مدام
يضيء دياجى المشكلات ذكاؤه ... ويبرمها من فهمه بحسام
فتبدو لأرباب العقول كأنها ... لدى فلك الافهام بدر تمام
فلله يوم قد تشرف أذ غدا ... بتلخيص سعد الدين يوم ختام
لقد حررت أبحاثه ونقوله ... وحط عن المقصود كل لثام

وحلي بالتحقيق أبدع خليـــــة وجلـّي عن معناه كلُّ ختام
فلا زلت يابدر العلوم محمــــد تزيح عن الافهام كل ظــلام
وأبقاك ربي للفضائل منهــلا تروي بعذب الفهم كــل أوام
وأسأل رب العرش يتحف جمعنـا بفتح عظيم بالمعارف ســام
ويلحقنا بالعاملين بعلمهــم لننجو غداً من شدة وزحــام
بجاه إمام المرسلين محمــــد وآل وصحب ماجدين كــرام
عليه صلاة الله ما ذرَّ شـــارق ووشـَّى أديمَ الروض صوبُ غمام

وللمترجم قصيدة رائية من البسيط ، نظمها في مدح تاريخ الزياني ، وقد أثبتها الزياني في آخر (الروضة السليمانية) ، وحلاه بالعلامة الأديب ذي الرمي المصيب ، ومن نظمه رحمه الله (حدائق الازهار الندية ، في التعريف بأهل الزاوية الدلائية) .

وقال أيضاً :

إليك أبا العباس جئنا وما لنـــا سوى بابك الأحمى ملاذ ومعقــل
قصدناك للأمر الذي فطر الحشـا ومنه أبحر الجود يزيد يدبــل
وحاشا وكلا أن نؤوب بخيبـــة فشأن كريم الاصل يحمي ويحمل

وقال أيضاً :

إليك رسول الله أرفع ما دهـــا فأنت لها يامن يقول أنا لهـــا
ومن جودك الفياض نرجو أمانيا بك الله في الدنيا والاخرى أنالهـــا

وقال أيضاً :

ياليلة الاسرا لك الشرف الذي من دونه رتب الكواكب تنــزل
تيهي كما تاه البراق بأحمـــد فغدا بعزٍّ ركوبه يتدلَّــل
سبحان من أعطاكما فضلا بـــه فهو الكريم بخلقه المتفضــل

وقال أيضا هذا الموشح :

من هواك أصبح فى أمانـــــي

لا يـــــزال * يعلو بعليـــاك ياطراز الكـــون * ياذا البهـــا

يازيـــن زيـــن يارفيع في رتب المباني

الـــوجـــود * من سر معناك إنســه والجـان * بك أزدهـــى

السعـــــود * في طي مرضاك ياسنا الكونيـــن * يامشتهـــى

يازيـــن زيـــن في بهاك تنجذب المعاني

فـــي سنـــاك * يادر أســـلاك قـــرة العيـــن * أنس النهـى

فـــي حمـــاك * ما زلت أرعـاك أرتجي في الحين * نورا زهـــا

يـــازيـــن زيـــن

وقال أيضا رحمه الله :

يارسول الله خطبي معضـــل ليس إلا بالدوا منك يـــزول

جاهك الشمس وخطبي ظلمـــة ما له عند سناها من نـــزول

أنت غوثي وملاذي دائـــما ياملاذ الكل عند ما يهـــول

فأغثني يامغيثا في غـــد وأنلني كل مأمول وســـول

أنت باب الله ياعين الهـــدى يامفيض الفضل ياعين الوصـــول

وعليك الله صلى دائمـــا ما أمال الغصن في روض قبـــول

وقال أيضاً :

أرى المرء في الدنيا على كبر يسعى ولا يرعوى عنها بموعظة ترعـــى

أضرّ به حمق ألم تر أنـــه حريص عليها وهو يعلمها أفعـــى

وصبه حكيم العصر يبطل سمهـــا فكم من حكيم ماهر أخطأ النفعـــا

وأفضل خلق الله شخص رمى بها ثلاثا فلم يملك لعصمتها الرجعـــا

يوى ضدها الاخرى وكيف بعاقل يجوز في الضدين أن يبصر الجمعا

طوى شقة منها فعادت لأصلهـــا   وللأصل أسباب تكون له رفعـا
وسافر عنها وهو فيها وانمـــا   هو حب القلب لا الماء والمرعـى

وقال أيضاً :

مولد للمصطفى شـــرف   وبه للأنبيا شغـــف
جوده في الكون مُنبلـــج   منه كل الخلق يغتـــرف
نوره للكافرين دجـــا   فدهاهم في الوغى تلـــف

وشـــرح كتاب أميـر المؤمنين المقـدس مولانا سليمان لأهـل فاس بالتقريع في قضية من خرج عن الطاعة من أهل الشر والعصيان ، نقله الزياني في (الروضة السليمانية) في حوادث سنة 1235 ، وأشار اليه أحمد ابن الحاج في صدر شرحه لكتاب مولانا الحسن له .

فـائـدة

ذكـر الزياني فيما كتبه علـى (الروضة السليمانية) حيـن قدمها للسلطـان مولانا سليمـان ، أن محمد ابـن ادريس ، والمترجم اليازغـي ، ومحمد الكنسوس هم الذين ظهروا في دولة أمير المؤمنين بعد الشيخ حمدون، والشريف سيدي سليمان الحوات ، وأن أعرفهم بالتاريخ ابن ادريس لكونه باشره معه حالة تخريجه ، وستأتي ترجمة الباقيين .

توفي المترجم رحمه الله في ذي القعدة الحرام عام 1238 ثمانية وثلاثين ومئتين وألف بمراكش ، ودفن بضريح ولي الله أبي العباس السبتي ، وترجم لوالد المترجم في ص 110 من ج 2 من (السلوة) .

790) محمد (العربي) بن محمد (المعطى) الشرقي

محمد العربي بن محمد المعطي بن محمد المدعو الصالح الشرقي ، الشيخ الامام أبو المواهب ، ألف فيه حفيده علامة وقته الامام المجمع علـى بركته ، سميه سيدي الحاج العربي بن داوود (الفتح الوهبي ، في مناقـب

الشيخ أبي المواهب مولانا العربي) ورتبه على مقدمة ، وستة أبواب، وخاتمة ، المقدمة فيما يتعلق بالاولياء من سلوك طريق الادب معهم ، واعتقاد الخير فيهم ، وإثبات الكرامة لهــم ، وكيفية زيارتهم ، وما اختير لذلك مــن الدعاء ، الباب الأول فــي فضل سيد الوجــود ، والسبب في كــل موجود ، الثاني في فضل الأمة المحمدية ، الثالث في التعريف بجده الشيخ سيدي محمد الشرقي ، وأشياخه وطريقته ومناقبه ، وبعض أولاده وتلامذته ، الربع : في التعريف بالشيخ صاحب الترجمة ، وذكر نسبه الصالح ، وابتداء حاله ، وبناء أمره على الاستقامة والتقوى ، الخامس : في ذكر أشياخه من المشارقة والمغاربة ، والسادس : في مآثره ، والخاتمة : فيما ينبغي للمريد سلوكه مع مــولاه .

كان المترجم رضي الله عنه اماماً عارفا وجبلا راسخا .

ورث الولاية والدا عن والــــــد	وغدا لاهل الأرض خير ســــــراج
من غر أسلاف وأكرم معشـــــــر	من حل أرضهم سمي بالتـــــاج

نشأ محافظا على دينه من صغره ، بسبب دعــوة دعاها والده لامــه السيدة الحقاوية من ذرية الشيخ سيدي عبد الحــق القيرواني دفين جبــل تعزيط ، من بلد بني عتاب ازاء وادي العباد (1) .

كان المترجــم زوارا للأولياء ، ثم حبب اليــه كثرة الصلاة والذكــر والدعاء ، يبيت يناجي مولاه ساهر الطرف ، باكي العين ، ثم أشرب قلبه حب تلاوة القرآن ، والمحافظة على الصلاة في الجماعة ، مغتبطا بكتاب الله ، لا يبقى بلا وضوء قط ، يبيت يطالع كتبه ، ملازم الصلاة في الجماعة الا لعذر ، زاهدا صابراً وقوراً حلو المفاكهة ، طيب الاخلاق ، غاض الطرف عن مريدي اذايته ، ويجازيهم بالاحسان الجزيل ، محافظا على السنة متمسكا بها ، متخلقا بأخلاقه عليه السلام في شؤونه كلها .

---

1) كذا بالأصل ، ولعله يريد وادي العبيد

أخذ القرآن العظيم والتوحيد على الفقيه البركة سيدي المحجوب الموسوي ، ومن أشياخه رحمه الله العلامة سيدي محمد بن بلقاسم السجلماسي شارح (العلمين) ، قرأ عليه وأجازه اجازة عامة ، وأسند له (دلائل الخيرات) و(المسبعات) عن سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي ، ومنهم سيدي التاودي ابن سودة ، وأجازه اجازة عامة ، وأخذ علم الحديث عن العلامة سيدي أحمد جاد الله خناني ، والتفسير والتوحيد وغير ذلك عن العلامة سيدي محمد العقاد الفيومي بجامع الازهر ، و (الشمائل) و (الشفاء) عن العلامة سيدى محمد بن أحمد الاثري الحنفي البخارى الخليلي ، ومختصر أبي الضياء ، ورسالة ابن أبي زيد ، وشرحهما ، والنحو والمنطق والمعقول عن سيدى علي الجدادي المالكي ، والمصافحة عن الشيخ مرتضى .

وممن أجازه سيدي محمد الحديدي الازهري ، والخناني المذكور ، ثم الامام أحمد الدمنهوري ، والفيومي المتقدم ، وسيدي محمد الحفناوي الشافعي ، وسيدي محمد بن ابراهيم المصلحي الشافعي ، والجدادي المتقدم ، وسيدي حسن بن علي الكفراوي ، والشيخ مرتضى ، والامام عبد البسيط السنديوني .

وأما الطريقة فمبنى أساسه ونور نبراسه ، فهو والده الامام الشيخ مولانا المعطى ، وما مات رضي الله عنه حتى تركه وليا صالحا ، وان كان قد تركه صغيرا ، ثم أعاد الاخذ عن سيدي محمد بن أبي القاسم السجلماسي ، فهو الواسطة بينه وبين والده ، وأخذ الخلوتية عن الحفناوي .

ومن كرامات المترجم رضي الله عنه أن العلامة سيدي العربي بن السايح الشرقي ، أخبر أن والده السيد السايح كان لا يلد الا الاناث ، فأتى يوما للشيخ فزاره واشتكى عليه ، فأعطاه الشيخ قميص صبي ، وجعل له فيه وردة ، فصدق الله اشارة الشيخ ورزق السيد العربي ، فكان وردة في العلم والعمل ، وقد استوفى كرامته رضي الله عنه في الاصل .

توفي رحمه الله يوم السبت في جمادى الاولى عام أربعة وثلاثين ومئتين وألف .

ومن أولاده رضي الله عنه العلامة سيدي بن داوود ، كانت له محبة في الشيخ سيدي أبي العباس السبتي ، إذا عرضت له حاجة يكتبها في بطاقة ويرسلها إلى قبره ، فيكون قضاء تلك الحاجة كفلق الصبح .

لخصت هذا كله من التأليف المذكور ، وقد قرظه العلامة سيدي أحمد ابن سودة بتقريظ حسن ، مؤرخ في ثامن شوال عام 1298 .

وللمترجم سيدي العربي :

أمولاي ياقطب الزمان ومن به ... ملاذ اذا ما المرء أصبح في ضيق
فسرح عبيدا واعطف اليوم سيدي ... غياثا فأنت الغوثان خيف من خفق
فحاشاك ياقطب الانام وشمسها ... يضام لكم نجل ويخشى من الزلق
وأنت أمام زاهد متورع ... وغوث لمن ناداك ياسيدي الشرقي

ووقع له بسبب بعض الوشاة من ولاة بني زمور من قبيلة ورديغة ، الذين وشوا للسلطان سيدي محمد بن عبد الله أن جل قبيلتهم يدخلون للزاوية الابي جعدية وما حواليها ، ويمتنعون من أداء ما وظف عليهم لجانب المخزن ، فكتب السلطان بأن يقع التصرف في جميع نواحي أبي الجعد ما عدا الحرم ، فدخل العسكر والقبائل ، وصاروا يأخذون الناس من الاضرحة من غير اطلاع المخزن على ذلك ، والمترجم بداره لا يعلم ما يقع ، وفي اليوم الثاني وجه المخزن عليه وهيأ له عدة من البغال ، لينتقل لمراكش مع بني عمه ، حتى تظهر نتيجة خدمة الواشى ، فلما وصل لقصبة تادلة أكرمه السلطان اكراماً جزيلا الى أن وصل لمراكش ، فنزل بحومة القصور وبقي هناك نحو الثلاث سنين يسرد معه صحيح البخاري ، ولما وقع الختم أكرمه وأمره بالرجوع لمحله ، فتربص بعده بعض الايام ، وخرج السلطان للرباط فأخذته المنية بالطريق ورجع الشيخ للزاوية .

ولما بويع مولاي اليزيد وجه على الشيخ ، واعتنى به وأتحفه بخزانة من كتب وتوادع معه ورجع للزاوية ، وبعد مماته بايع مولانا هشاماً كغيره من أهل الحوز .

ثم لما بويع مولانا سليمان بفاس كتب للشيخ بأن يوجه بيعته ، فلم يمكنه ذلك لبيعة مولاي هشام ، وبقي الامر يتردد بينهما والوشاة يشون بينهم، ولما طلب الاقالة من مولاي هشام وأقاله في بيعته ، بايع المولى سليمان وذهب لفاس ومكث نحو العشرين شهرا مع علماء وقته واشرافه ، ولما أذن له في التوجه عجل بالرجوع لوطنه .

وذكر الزياني أن المترجم وأولاده وبني عمه أخرجهم سيدي محمد بن عبد الله من زاوية أبي الجعد الى مراكش ، فاستقروا بها الى أن مات ، فردهم مولاي هشام الى زاويتهم ، ثم نقلهم منها الى فاس ، ثم ردهم الى زاويتهم ، انتهى .

وقال سيدي حمدون ابن الحاج يوم ختمه لتفسير البقاعي ، مستشفعاً لمولانا سليمان أن يرد المترجم لوطنه بسلام ، وأن يصلح ثغور الاسلام ، قصيدة مطلعها :

طاب المقام وطاب السير والسفر   وما تشاؤه فيه النصر والظفـــر

وحلى المترجم مولانا سليمان في (عناية أولى المجد) بالشيخ العالم الحافظ المشارك الصالح ، أبي حامد العربي بـن الشيخ العارف الصالـح ، المعطى بن الصالح الشرقي العمري ، عند ذكر تلامذة الشيخ المقريء العلامة سيدي محمد بن عبد السلام بن محمد بـن عبد السلام بن العربي بـن أبي المحاسن الفاسي ، وهذه النسخة من (العناية) بخط سيدي عمر بن عبـد الـرحمان الفاسي ، بتاريـخ صفر عام 1299 . وكان حج المترجم عـام 1190 ، وذكره الشيخ مرتضى في (شرح الاحياء) في كتاب السماع ، وقـال فيـه أحـد الأولـيـاء الصالحين ، ومن مشاهير تلامذته محمد بـن عـبـد السلام بن محمد بن أحمد البناني المتوفي سنة 1234 ، وأبو حامد العربي بن القاضي أحمد بن التاودي ابن سودة ، وأبو حامد محمد العربي بن محمد الدمنتي الفاسي ، ومحمد بـن حفيد بـن هاشم القادري الحسني ، وأحمد بـن . . . التلمساني السماتي ، ومحمد الهاشمي البقالي ، والشيخ العربي الزرهوني ، وأجازه اجازة مذكورة في (اتحاف الحفيد ، بترجمة جده الصنديد) .

791) **محمد المكي ابن مريدة السرغيني** الساوري الصنهاجي المراكشي ، من أهل مراكش ، وكان اماما بها بسيدي أحمد السبتي ، ومن أهل العلم والفقه والجلالة والدين .

توفي بفاس بعد قدومه اليها زائرا ، ودفن بباب دار الوزير السيد موسى قريبا من دار المخزن ، وضريحه هناك مشهور معظم .

ذكره في (السلوة) .

وذكره الزياني في شرح (جمهرة التيجان) من أشياخ مولانا سليمان ، وهو صنو قاضي مراكش السيد الفضيل والد الفقيه السيد علي .

وللمترجم رحمه الله تأليف سماه (الكواكب السيارة ، في البحث والحث على الزيارة) ، وقفت عليه في مجلد ، ذكر فيه أنه لما صدرت من مولانا سليمان رسالة مختصرة مفيدة مشتملة على علوم جمة ، تكلم فيها على الزيارة لأجل ما عرض بها وطرأ من البدع التي لا تخفى على أحد ، أراد أن يكتب بعض ما ظهر مما سطره علماؤنا رحمهم الله ، امتثالا لما أوجبه الله من طاعته .

وقال في (المجد الطارف) ما نصه : المكي بن محمد ابن مريدة السرغيني الصبيحي ، من بني صبيح من قبائل العرب القادمين في المئة السادسة ، زمن الموحدين الى المغرب الاقصى .

كان هذا الفقيه رجلا عالما صوفيا لا تأخذه في الله لومة لائم ، له الوجاهة عند السلطان أمير المؤمنين مولانا سليمان بن محمد رحم الله الجميع، فوشى به بعض الولاة الظلمة للسلطان حتى أوغر صدره عليه ، فأشخصه لحاضرة فاس ، ثم أتبعه بعياله وأهله ، فلم يبق العامل الذى سعى به الا أياما حتى قطعه قبيلة الرحامنة اربا اربا ، ورموه بوادي نسيفة (1) ، فذهب به الوادي شذر مذر ، أي متفرقاً ، وتبعه بالقرب مولانا سليمان رحمه الله ، فنعوذ بالله من دعوات الصالحين .

---

1) نهير يجري شمالي مدينة مراكش ، اشتهر باسمه المبربر : تانسيفت

توفي سيدي المكي المذكور سنة أربع وثلاثين ومئتين وألف بفاس، هكذا بخط ولد أخيه الفقيه النزيه ، المدرس الواعظ سيدي علي بن الفضيل بن مريدة ، انتهى .

792) **محمد بن عبد الله الغربي الرباطي** ، من العلماء الذين كانوا أهل مجلس السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي الذين كانوا يؤلفون له ويسردون ويخوضون فيما يجمعه ويستخرجه من كتب الحديث التي جلبها من المشرق ، كمسند الامام أحمد ، ومسند أبي حنيفة وغيرهما ، وكانوا لا يفارقونه سفراً وحضرا ، وسافروا معه من مراكش الى الصويرة وغيرها .

793) **محمد بن عبد السلام الشرقي** ، دفين روضة القطب الأكبر سيدي الجزولي رضي الله عنه .

كان رحمه الله وليا صالحا ، زاهدا ورعا أستاذا مبرزا ، أخذ عنه ابن عمه سيدي محمد الحفيان الآتية ترجمته (1)

794) **مَحمد (فتحا) المدعو الحفيان** ، من حفَدة الشيخ سيدي مَحمد الشرقي ، قال في (البغية) عند قول المنية :

والعمري السيد الحفيان ذي العلم والصلاح والعرفان

ما نصه : العلامة الأستاذ المقريء المشارك الفاضل ، سيدي مَحمد بالفتح المدعو الحفيان ، آل الشيخ الكبير ، والقطب الشهير ، سيدي مَحمد الشرقي العمري رحمه الله تعالى ورضي عنه ، رحل من بلده في طلب العلم الى مراكش، فأخذ القراءات وأحكامها عن ابن عمه الولي الصالح ، الزاهد الورع ، الاستاذ المبرز سيدي محمد بن عبد السلام الشرقي دفين روضة القطب الاكبر سيدي

---

1) هذا الشيخ (تقدم) ذكره في ترجمة تلميذه العلامة سيدي أبي القاسم بن عبد العزيز الشاهد المراكشي الذي أجازه في التاسع عشر من جمادى الأولى عام 1217 (مؤلف) ، انظر 1 : ص 311 ع 111 من هذه الطبعة

محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه ، وسمع بها شيئاً من الحديث ، ثم رحل الى فاس فأقام بها مدة ، وقرأ بها على غير واحد من مشايخها ، وفي هذه المدة لقي الشيخ رضي الله عنه وأخذ عنه ورده ، وصحبه وانتفع بصحبته نفعا ظاهراً .

وحدثني قدس سره عن سبب اجتماعه بالشيخ وأخذه عنه ، فقال : كان لي رفيق من الطلبة من أولاد أبي السباع ، وكان قد أخذ عن الشيخ رضي الله عنه ورده ، وانخرط في سلك أهل طريقته ، فكنت اذا وجدته يذكر أوراده وهو على غاية ما يكون من الخشوع والحضور وغضّ الطرف والاستغراق في الذكر ، أهزأ به كالمداعب له ، وأقول له : أي شيء تصنع ؟ وما هذا الشغل الذي أنت فيه ؟ فكان يصبر لي ويستمر على عمله ، فاذا قضى غرضه من ذلك أقبل علي وذكرني ، وتطلف معي في الوعظ والتنفير عن الاستهزاء بأهل نسبة الله تعالى ، وربما ذكر لي الشيخ رضي الله عنه بما يرغبني في الاخذ عنه ، فلما كان ذات ليلة وقد فعلت معه مثل ذلك وبالغت فيه ، التفت إليّ بعد ما قضى ذكره وكلمني في ذلك ، وذكرني بجد وبعض تعنيف على وجه النصيحة لي ، فلم أشعر أن قلت له : ان أردت أن أدخل معك في هذا الامر فأرني كرامة يطمئن بها قلبي لما تقوله ، فقال لي : وهل أنت فاعل إن رأيت كرامة ؟ فقلت : نعم ان شاء الله ، وقد كان مضى من الليل القدر الذي ينام فيه الناس ، وتشد أبواب السكك ، بحيث لا يفتح الموكلون بغلقها الا لمن عرفوا أنه من أهل الحومة مثلا ، بعد مشقة تلحقه معهم في ذلك كما هو معلوم ، قال : فتوافقت مع الرفيق المذكور على أننا إن قصدنا دار الشيخ رضي الله عنه في ذلك الوقت ، ولم يتعذر لنا فتح الابواب التي بين المدرسة التي نحن نازلون بها ، وبين داره ، وهي كثيرة ولا يتعذر علينا أيضا لقاء الشيخ في ذلك الوقت ، فان ذلك يكفيني كرامة ولا أرجع حتى آخذ عنه رضي الله عنه .

فنهض الرفيق بشدة عزم وقال لي : قم بنا ، ففتحنا المدرسة وخرجنا قاصدين دار الشيخ رضي الله عنه ، فكلما أقبلنا على باب درب أو سوق وجدناه مفتوحا ، وكذلك حوانيت أهل الاسواق مفتوحة والمصابيح موقدة بها ، وأنا لا

أشك أن ذلك ليس من عادة أهل البلد ، وأن ذلك خرق عادة ، فاخذني من ذلك رعب عظيم ولم نزل كذلك حتى أقبلنا على باب دار الشيخ رضي الله عنه ، فاذا الضوء يظهر لنا ببابها ، فلما انتهينا الى الباب استأذن الرفيق ، فاذا الشيخ رضي الله عنه جالس كالمتهيء للقيانا المنتظر لنا ، فأدينا الواجب من التسليم عليه وجلسنا بين يديه ، فرحب بنا وأقبل بكليته علينا ، ثم طلبت منه التلقين ، فمن الله تعالى علي بمساعدته لي على أحسن ما ينبغي في الحين ، ثم رجعنا والابواب على حالها وكذلك الحوانيت ، فلما دخلنا المدرسة ، سمعنا بعض المؤذنين بالقرويين ممن عادته أن لا يؤذن الا بعد مضي ثلث الليل .

قال صاحب الترجمة قدس الله ثراه : وهذا أول خارق اتفق لي مع الشيخ رضي الله عنه ، ثم شاهدت بعد ذلك ما لا يكاد ينحصر ، قلت : وقد حدثني من ذلك بشيء كثير ، وقد أثبت بعضه في هذا التقييد ، ولا يمكنني استيفاء ترجمته تفصيلا الآن والله المستعان ، انتهى .

وانما لم يبسط في (البيعة) ترجمته لأنه من عائلته وقرابته ، وبسط الكلام فيه يؤدى الى التزكية ، فتنكب بسط كراماته فيها قصدا للخمول ، انتهى .

وممن أخذ عن المترجم : الاستاذ البركة السيد عبد السلام بن المخفي الحصيني ، قرأ عليه القاضي سيدي الحاج عبد الله بن خضرا بقراءة أبي عمرو بن العلاء ، ثم بالقراءات السبع ، وكان ذا باع في علم القراءات ، عارفا بالرسم والضبط والنحو ، كما في (الاتحاف ، بما يتعلق بالقاف) للقاضي المذكور .

795) محمد بن محمد (الصادق) ابن ريسون العلمي

محمد ابن العلامة المحدث محمد الصادق ابن ريسون الحسني العلمي اليونسي التطواني ، باقعة صقعه ، عميد الأشراف ، العلامة المسند ، المحدث الضابط ، النسابة الرحلة ، الراوية الصالح .

رحل الى فاس سنة 1177 ، وروى بها عن جسوس ، وعمر الفاسي وابن الحسن بناني ، والتاودي ابن سودة ، ومحمد بن الحسن الجنوي ، وعبد القادر بوخريص وأجازوه اجازة عامة ، كما أجازه أيضا بالمغرب محمد بن أبي القاسم الرباطي ، شارح (العمل) ، ومحمد بن علي الورزازي ، وابن عبد السلام الناصري الدرعي الأخير عام 1216 .

وحج عام 1216 فاجازه جماعة بالمدينة : عثمان الشامي المدني ، والسيد زين العابدين جمال الليل المدني ، وبمصر عبد الله الشرقاوي ، والأمير الكبير ، وعبد المنعم العموي المالكي ، وأحمد العريشي الحنفي ، والشمس محمد الدسوقي ، وسالم ابن مسعود الطرابلسي الازهري ، وعبد العليم الفيومي الضرير ، وبتونس الشيخ محمد بيرم الاول ، وبطرابلس البرهان ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد النور اليزليتني الطرابلسي وغيرهم .

وروى الحديث المسلسل بالفاتحة عن الاستاذ عبد الرحمان المنجرة من طريق شمهروش الجني ، وأخذ بمراكش عن المقريء المحدث النحوي ، حاج الحرمين ، محمد بن عبد الرحمان التدلاوي تلميذ المذكور قبله ، وأخذ أيضا عن الشيخ المشارك الاديب المؤرخ محمد بن العباس الشمرادي ، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الطيب بن محمد الوزاني ، وطريقة سلفه عن محمد بن علي بن الحسين ابن ريسون ، وعن أبيه محمد الصادق ، عن جده أحمد ، عن أبيه الحسين ، عن أبيه محمد ، عن أبيه علي ، عن مولاي عبد الله بن حسين المغاري المصلوحي ، وأخذ الطريقة الخلوتية عن القطب أحمد الصقلي دفين زاويته بفاس ، وتلميذه المعمر عبد الوهاب التازي ، قال المتوفى عن نحو المئة ، وعبد العليم الفيومي وغيرهم .

ومات بوزان سنة 1234 كما وجدته بخط تلميذه ابن رحمون ، وبخط شيخنا القاضي ابن سودة سنة 1236 . له فهرسة حافلة ألفها باسم أبي القاسم الزياني صاحب (الرحلة) ، ومنها نقلت ما ذكر .

أجاز المترجم للسلطان سليمان بن محمد العلوي ، والتهامي ابن رحمون ، والشهاب أحمد بن عبد الرحمان الطرابلسي الطبولي المتوفي بطرابلس سنة 2154 ، ومن طريق الاخير نتصل به عن الشيخ فالح الظاهري ، عن الشيخ السنوسي وعمران الياصلي ، كلاهما عن الطبولي عنه ذكره في (فهرس الفهارس) (1) .

ووقفت على فهرسته المذكورة وهي في نحو كراس ونصف من القالب الكبير .

796) محمد بن عبد السلام ابن ناصر الدرعي

محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الكبير بن الشيخ محمد بن ناصر .

قال الكوهن في فهرسته لدى ترجمة شيخه سيدي الطيب ابن كيران: وأجازه حسبما أخبرني به بعض الثقات ، خاتمة الحفاظ بالديار المغربية ، الامام المحدث سيدي محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي المتوفي في صفر سنة 1239 ، انتهى .

وقال في (طلعة المشتري) : كان علامة أديبا فقيهاً محدثاً ، حافظا فاضلا ، لم يأت بعد الشيخين في آل ناصر من هو أعلم منه ، قرأ بفاس على شيوخها كالشيخ جسوس ، والشيخ التاودي ، والشيخ بناني ، والعلامة الحافظ سيدي ادريس بن محمد العراقي الحسيني ، وهو عمدته في علم الحديث ، وأحمد الشرايبي ، وكل هؤلاء اجازه باجازات طويلة ، وأجازه الفقيه العلامة سيدي محمد بن أبي القاسم السجلماسي شارح العمل وناظمه وغيرهم ، ورحل إلى المشرق مرتين ، إحداهما سنة ست وتسعين ومئة وألف ، والاخرى سنة احدى عشرة ومئتين وألف ، وكان عالي المنزلة عند السلطان

---

1) الترجمة منقولة بالحرف من **فهرس الفهارس والأثبات** 1 : 333

مولاي سليمان بن محمد رحمه الله ، فكان اذا حج أرسل معه أموالا جزيلة بقصد تفريقها على علماء مصر والحرمين الشريفين وأشرافهما .

واجتمع هنالك بجماعة من الايمة المشاهير ، وأخذ عنهم وأخذوا عنه ، منهم الشيخ مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي المذهب ، شارح (الاحياء) و (القاموس) وغيرهما ، أجتمع به في حجته الاولى ، وأقبل عليه وأجازه ، ومنهم الشيخ أحمد بن محمد الدردير شارح المختصر وغيره ، والشيخ محمد بن علي الصبان شارح الخلاصة وغيرها ، وهو شافعي المذهب ، والشيخ محمد بن محمد الامير صاحب المجموع وغيره ، ومن عدا هؤلاء من الأيمة المشاهير ، وكلهم أجازوه ، وأجازتهم مثبتة في كناشه ، وقفت عليها بخطوطهم رحمة الله ورضوانه عليهم .

ومن الفوائد التي استفادها في رحلته الثانية ، أنه لما انتهى الى طرابلس ، عثر عند رجل من طلبتها يقال له أبو الطبل ، على كتب نفيسة غريبة اشتراها باصطنبول في صفقة واحدة بثمن تافه ، منها سفران من كتاب (الكمال) للحافظ عبد الغني المقدسي ، في رجال الكتب الستة ، وهو الذى اختصره أبو الحجاج يوسف المزي الدمشقي ، وسماه (تهذيب الكمال) ، ثم اختصره الذهبي ، وسماه (المقتضب) (1) ومنها نسخة من صحيح البخاري في مجلد واحد بخط الحافظ أبي علي الصدفي شيخ القاضي عياض ، قال فراودته على إبدالها بنسخة جليلة مذهبة ، يناهز ثمنها السبعين دينارا فيجزء أيضا فابى ، وعرضت عليه الثمن مضعفاً فابى ، ويأبى الله الا ما يريد ، وعليها من سماعات العلماء أهل القرون السالفة عياض فمَن دونه إلى ابن حجر العجب ، ومن جملة ما كتب عليها وأظنه بخط الحافظ السخاوي ما نصه : هذه النسخة هي الاصل الذى يعتمد عليه ويرجع عند الاختلاف اليه ، ولقد اعتمد عليها شيخنا الحافظ أبو الفضل ابن حجر حالة شرحه للجامع الذي سماه (فتح الباري) ، وعليها أيضا ما نصه : لكاتبه ابن العطار في الشيخ الامام الحافظ حسين بن

---

1) واختصر **تهذيب الكمال** الحافظ ابن حجر العسقلاني وسماه **تهذيب التهذيب** ، وهو مطبوع في 12 سفراً (مؤلف)

محمد بن عيسى الصدفي ، كاتب هذه النسخة من صحيح البخارى ، وهـو شيخ القاضي عياض صاحب كتاب (الشفا) وغيره .

قد دام بالصدفي العلم منتشـــرا   وجل قدر عياض الطاهر السلـف
ولا عجيب اذا أبدى لنـــــا دررا   ما الدر مظهره الا من الصـــدف

وقلت أيضا فـي سيدنا ومولانا قاضي القضاة ، برهان الدين ابـن جماعة الكناني الشافعي أدام الله أيامه وأعز أحكامه ، وقـد حملت اليه هـذه النسخة لمجلسه بالصالحية في العشر الاول من رجب الفرد سنة اثنتيـن وثمانمئة ، فنظر فيها ، وقال : لو كتبت نسخة واضحة بخط حسن ، وقوبلت على هذه لكانت أحسن ، ثم مال اليها لان كاتبها رجل جليل القدر ، فقلت :

رأى البخاري بخط الحافظ الصدفي   قاضي القضاة امام النيل والسلف
فمال واسطة العقد الثمين لــــــه   ولا عجيب بميل الدر للصدفــــي

انتهى كلام ابن عبد السلام المذكور في (الرحلة) .

وقال في كتاب (المزايا) له ما نصه : ورواية موسى بن سعادة أولى وأوثق وأضبط من اليونينية ، لاجتماع الشيوخ في أمصار المغرب عليها ، قال ولقـد عثرت على أصل شيخه الصدفي الذي طاف به البـلاد بخطه ، وذلك بطرابلس في جزء واحد مدمج ، لا نقط به أصلا على عادة الصدفي وطريقة بعض الكتاب ، الا أن بالهامش اختلاف الروايات والرمز عليها ، وفي آخرها سماع عياض وغيره من الشيخ بخطه ، وفي أولها كتابة لابن جماعة الكناني ، والحافظ الدمياطي ، وابن العطار ، والسخاوي قائلا : هـذا الاصل هو الذى ظفر بـه شيخنا ابن حجر العسقلاني ، وبنى عليه شرحه الفتح واعتمد عليه ، لأنـــه طيف به في مشارق الارض ومغاربها ، الحرمين ، ومصر ، والشام ، والعراق ، والمغرب ، فكان أولى بالاعتماد . كرواية تلميذه ابن سعادة ، قال : ولقـد بذلت لصاحبه صرة ذهب ، فأبى من بيعه وبقي ضائعا في ذلك القطر ، فـلا حول ولا قوة الا بالله .

قال : ثم حملتني الغيرة على العلم والمحبة فيه أن ابلغت خبره لامامنا المنصور بالله سليمان بن محمد أيد الله ملكه ، وأنجح أمره ، فوجه الى صاحبه حسبما شافهني به ألف مثقال أو ريال ، الشك مني ، فأجابه بأنه يقدم به الى حضرته ، وما منعه الا الفتنة فيما بين ترك تونس والجزائر ، ثم لما طال الامد أعاد الكتابة اليه في ذلك ، والى الآن لم يظفره الله به .

قال : ولقد داعبته ذات يوم ، فقلت له في شأن سماع الصدفي المذكور ،وما ذا لمبلغ خبر هذه الخصلة ؟ فوعدني أنه ان ظفر به يجدد منه فرعا ، ويعطيني أحدهما على اختياري ، ثم ذكر أبيات ابن العطار المتقدمة في مدحه ، ثم قال : وقلت أنا في ذلك :

هذا سماع الامام الحافظ الصدفي	بخطه وعليه رونق الشـــــرف
تداولته يد الحفاظ من خلـــف	عن سلف فرماه الدهر بالتلـــف

وفوائد ابن عبد السلام المذكور كثيرة .

وله تآليف ، منها كتاب (المزايا ، فيما حدث من البدع بأم الزوايا) وهو كتاب مفيد جدا لولا ما فيه من التحامل في بعض المواضيع ، ومنها كتاب (الرحلة الحجازية) مفيد كذلك ، اشتمل على أخبار وفوائد علمية ، ومنها أجوبة في نوازل شتى وغير ذلك .

ومما رأيته منسوبا اليه من الشعر ، هذه القطعة وهي غاية في بابها :

لله في الخلق ما اختارت مشيئتـــه	ما الخير الا الذي يختـــاره الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرتـــه	ما لامرء حيلة فيما قضـــى الله
تجري الامور بأسباب لها علــل	تجرى الامور على ما قـــدر الله
ان الامور وان ضاقت لها فـــرج	كم من أمور شداد فـــرج الله
اذا ابتليت فثق بالله وارض بـــه	ان الذى يكشف البلوى هـو الله
ياصاحب الهم ان الهم منفـــرج	أبشر بخير فان الفاتـــح الله
والله مالك غير الله مـــن وزر	ولا يصيبك الا ما قضـــى الله

اليأس يقطع أحيانا بصاحبه … لا تيأسن فان الصانع الله
الله لي عدة في كل نائبة … أقول في كل حال حسبي الله
ثم الصلاة على المختار ما تليت … في محكم الذكر قدما قل هو الله
والآل والصحب ما طابت حياتهم … ثم استقاموا فقالوا ربنا الله

ورأيت بخط الفقيه السيد المعطي بن الطيب مرينو الرباطي ما نصه :

الحمد لله

انشدنا الفقيه العلامة الدراكة الحجة البركة ، ابن خالتنا سيدي محمد بن عبد السلام الناصري ، وهو مريض ببيتي شفاه الله وأطال عمره بمنه، يوم الاحد الثامن والعشرين من ربيع النبوي الانور الاسعد ، سنة ست عشرة ومئتين وألف ، من نظم ابن الفخار (1) شيخ أبي العباس السبتي ، وكان الشيخ يستحسن انشادها حتى أنه أنشد له ذلك عند النزع ما نصه :

عقدت عليك مكمنات ضمائري … عقدَ الرَّجاء فألزمتْك حقوقا
ان الزمان عدا علي فزادني … علما بأنك مالكي تحقيقاً
ما نابني ضيم بوجه مساءة … الا عبرت به اليك طريقا
امض القضاء على الرضى مني به … اني وجدتك بالعباد رفيقاً

توفي الفقيه ابن عبد السلام المذكور ليلة السبت ثاني عشر صفر سنة تسع وثلاثين ومئتين وألف .

انتهى كلام (الطلعة) .

ووقفت على رحلة المترجم في مجلد ضخم من القالب الكبير بخط اليد ، وخط يمينه في آخرها بمقابلتها ، ولعزتها لابد أن نذكر طرفا منها ،

---

1) هكذا في **التشوف** وليست له . بل هي معروفة من زمن التابعين ، وقد أنشد الأبيات الثلاثة الأولى في **تلخيص معالم الايمان** عن الزاهد عقال ابن غلبون المتوفى بالحرم المكي سنة 291 وقدمنا ما يتعلق بذلك في 1 : 336 من **الأعلام** . وراجع 2 : 152 من **تلخيص معالم الايمان** ، وراجع 1 : 297 من **الاعلام** (مؤلف)

فنقول : ذكر في أولها أنه قاصد تقييد ما عنّ له في سفره للحرمين الشريفين ، من وصف المراحل ومن لقيه من الفضلاء ، وأجوبته عن بعض سؤالات من بعض النبلاء ، ومن زاره من الاحياء والاموات ، وغير ذلك من الحوادث والنوادر والاخبار .

ثم أنشد قول القائل وهو القطب سيدي عبد الله بن أبراهيم المرغتي الطائفي الحسني الشاذلي ، شيخ شيخه سيدي محمد الجوهري :

هذي التآليف من بعض الخطيئات	فاشهد علي واشهد كل من ياتي
اذ كلها شقشقات واتباع هوى	وفخفخات وعجب بالوريقات

ثم ذكر في المقدمة فضائل الحج والزيارة ، وفي الخاتمة آداب السفر، ثم ذكر أن يوم سفرهم من الزاوية الناصرية هو الخميس 3 جمادى الثانية سنة 1196 بعد صلاة الظهر بها ، خرجوا في جماعة من الفضلاء والعلماء والاعيان ، وخرج لوداعهم عم والده الشيخ الامام أبو المحاسن والمفاخر ، سيدنا يوسف بن محمد بن مَحمد بن ناصر ، ثم ذكر مدة دخولهم سجلماسة واقامتهم بها ، ومن زاره بها أو لقيه من الاخيار ، ثم نزلوا بتابوعصامت (1) ثم نقل عن البكري ما نصه :

مدينة سجلماسة بنيت سنة أربعين ومئة وهي سهلية ، أرضها سبخة ، حولها أرباض كثيرة ، وفيها ديار رفيعة ومبان سرية ، ولها بساتين كثيرة ، وسورها أسفله مبني بالحجارة وأعلاه بالطوب ، بناه اليسع بن منصور ، ولها اثنا عشر بابا ، ثمانية منها حديد وهم يلتزمون النقاب ، وهي على نهرين ، عنصرهما من موضع يقال له أكلف به عيون كثيرة ، فاذا قرب من سجلماسة ، تشعب نهرين ، يسلك بشرقيها وغربيها ، وجامعها متقن البناء، وحماماتها ردية البناء ، وماؤها زعاق ، وكذا جميع ما ينبسط من الماء بها ، وشرب زروعهم من النهر في حياض كحياض البساتين ، وهي كثيرة النخل

1) **تبوعصامت** : قرية شهيرة بعيادة الريساني من اقليم الرشيدية

والاعناب وجميع الفواكه ، وزبيب عنبها المعرش الذي لا تناله الشمس لا يزبب إلا في الظل، ويعرفونه بالظلي، وما أصابته الشمس منه يزبب، وهي صحراوية لا يعرف في غربيها ولا في شرقيها عمران ، وليس بها ذباب ولا يجذم من أهلها أحد ، واذا دخلها أحد بجذام توقفت عنه علته ، وأهلها يسمنون الكلاب ويأكلونها كما يصنع أهل مدينة قفصة ، وقسطيلية ، يعني توزر ، ويأكلون الزرع اذا خرج شطؤه ، وهو عندهم مستظرف ، والمجذومون عندهم هم الكنافون ، والبناءون عندهم يهود ، لا يتجاوزن هذه الصناعة ، ويزرع أهلها سنة ويحصد من تلك الزريعة ثلاثة أعوام لانه بلد مفرط الحر شديد القيظ ، فاذا يبس زرعهم تناثر عند الحصاد ، وأرضهم مشققة فيقع ما تناثر منه في تلك الشقوق ، فاذا كان العام الثاني حرثوا بلا بذر وكذلك الثالث ، وقمحهم رقيق صيني ، ويعمل بها ثياب يبلغ الثوب منها أزيد من عشرين مثقالا ، انتهى ، وغالب ما وصف غير موجود اليوم حسبما شوهد .

وزرنا في مدة الاقامة أعيان البلد مولانا الغازي ، المرة بعد الاخرى ، وكذا شيخه علي بن عبد الله ، ومولانا الحسن الشريف ، ومولاي علي الشريف ، وسائر من في مقبرته، وزرنا مولانا أبا زكرياء، والامام مولانا عبد الله الدقاق، والامام ابن هلال صاحب (النوازل) ، والامام الحبيب اللمطي ، وتلميذه أحمد بن عبد العزيز الهلالي ، وعلي بن أبي زينة ، ورجال جاوز وسائر من في مقبرتهم ، وكان من أفضل من لقيته من الاكابر بها الشيخ المسن البركة ، الطائع لربه في السكون والحركة ، سيبويه زمانه ، وفريد عصره في أوانه ، ملين القلب القاسي ، عبد الرحمان بن أحمد التنغراسي ، ولد سنة 1113 ، وأنشد لغيره معرضاً بأولوية ابن هشام بالثناء من المرادي :

تصدى للخلاصة اذ نحاهـــــا	بتوضيح وتسهيل مفـــــاد
فان ترد الوصول الى مناهـا	فخذه فانه فوق الـمـــــراد

والحق ان الجمع والتحرير وقوة الاطلاع مع المرادي أكثر منه مع ابن هشـام .

وأنشد لغيره أيضا :

يابن هشام حويت علمـــــــا يحتاج كل الورى اليـــــــه
جاوزت في النحو والمعانـــي عمرو بن عثمان سيبويـــــه

ثم ذكر أن المغاربة يعتنون بالدراية عن الرواية ، فيتركون الاجازة واستعمال الاذكار النبوية لفقد المربي ، وعلى ذلك أدرك شيوخه ، كسيدي مَحمد جسوس ، ومولاي عبد الرحمان بن ادريس المقري ، وسيدي ادريس العراقي الحافظ .

ثم أنشده لغيره :

أودعكم وأودعكم جنانـــــــي وأسكب أدمعا مثل الجمـــان
فلو نعطي الخيار لما افترقنـــا ولكن لا خيار مع الزمـــــان

قال : وممن لقيته الشيخ المسمن البركة الاستاذ أبو القاسم بن الشيخ الحبيب ومن أمثلة الطلبة بهذه البلدة ، الفقيه النحرير المفتي أبو القاسم بن محمد بن عبد الملك التجمعتي، ثم نقل عنه أن ابن الفخار شيخ أبي العباس السبتي هو مقريء الصبيان وليس شيخ أبي العباس إلا في القراءة ، فقلت : انه ابن الفخار الفقيه ، فقال : لا ، الفقيه منهما معاصر لابن عتاب وابن مالك الفقيهين ، فقلت : اما اذا كان معاصرا لهذين الامامين فهو من أهل القرن الخامس كهما ، وأحمد من أهل السادس فلا يبعد ان يدركه ، اذ ليس بينهما من الزمان كثير ، فقد ذكر غير واحد أن ابن الفخار توفي سنة 419 ، وابن عتاب ولد ثلاث وثمانين وثلاثمئة ، وتوفي سنة 462 ، انتهى .

قلت : الصواب مع التجمعتي ، فان الشيخ أحمد لم يولد الا بعد موت ابن الفخار الفقيه بنحو مئة سنة وست سنين ، اذ ولادته كانت سنة 524 ، ثم قال : ولنا ممن ينتسب هذه النسبة ثالث من أهل القرن التاسع ، وأوقفني عليه في (نفح الطيب) انتهى .

وفـي (الطرة) هذا الذي بـ (نفح الطيب) هو الامام ابـن الفخار النحوي ، وهو غير أبي عبد الله الفخار دفين تطوان شيخ أبي العباس ، وهو مختبر الصبيان بالطيور كما في (الابريز) ، وهناك ابن الفخار رابـع ، ترجم له في (التشوف) وهو ابن كامل ، دفين داخل باب الدبغ ، انتهى .

ثم ذكر المؤلف ما وجد شيخ شيوخه أحمد الرسموكي المراكشي بخط تلميذه محمد بن عبد الله الابريزي ما نصه : وينبغي للمسمع أن يجعل صوت تكبيره لجلوس التشهدين مخالفا لصوت باقي تكبيراته الى آخره .

ثم قال : وممن اجتمعنا به الفاضل محمد بن يوسف الغنجاوي ، وهو تلميذ أحمد الهلالي ، ثم ذكر أنه وقف على اختصار نوازل ابن الحاج المسمى (تقريب المنهاج ، لفوائد نوازل ابن الحاج) ونوازل منسوبة لسيدي العربي الفاسي ، وتقاييد منسوبة لعبد الرحمان الفاسي العارف ، أنشد فيها لغيره :

شرط الذي يمكن أن يستفتـى ويقتدى بفعله أن افتـى
دين قويم وتقى مشتهـر وفقه ذهن هذبته الفكـر

ثم ذكر خروجهم من سجلماسة في صبيحة يوم السبت 26 جمـادى الثانية ، ثم ذكر أن ابتداء وادى كير من ناحية بلدة آيت عياش ، وعليه قرى ومزارع ، ويمتد كذلك الى ناحية الصحراء ، والعمارة متصلة في جوانبه الى أن يصل الى أطراف الحماد الكبير الذى بينه وبين سجلماسة ، فمـن هناك تنقطع العمارة الى أن يصل الى قرى وادي الاساورة (1) فتتصل قراه كذلك نحوا من عشرة أيام الى قريب من توات ، فينعطف يمينا في رمال كثيرة ، وهو أطول أودية المغرب مسافة ، وأكثرها مخافة .

انتهى وهذا بخط المؤلف ، ملحق بـ (الطرة) .

وبعده ذكر وصولهم للقنادسـة ضحى يوم الخميس فاتـح رجب ، وتعرف في القديم بالعوينة ولعل تسميتها بالقنادسة محدثة تسمية لها باسم

---

1) هو وادي الساورة

من نزلها بعد أن تلقانا سكانها من المرابطين بني الشيخ ابن أبي زيان مظهرين الفرح ، والبلدة منقطعة في صحراء من الارض لها عيون قليلة الماء جدا مع كونها غير عذبة ، الا أن البلد يصلح عليها كالدواب يزعم ذلك أهلها ، وبها نخل قليل ، والبلد عامر تصلى فيها الجمعة الا أنه فارغ من العلم .

ثم ذكر أنه تلقاهم أحبتهم من أهل فجيج ، وزار ضريح الامام العالم العلامة الشريف الادريسي سيدي عبد الجبار جدهم مختصر (تفسير القرطبي) مع زيادة عليه ، وابنه سيدي محمد ناظم (مختصر الشيخ خليل) وسماه (نظم اللآلي الحسان) ، وقد نظمه أيضا ابن المترجم ، وهو بالزاوية الناصرية .

ثم قال سيدي منصور مدفون بنواحي توات بموضع يعرف بتجطون من كرارة ، يزعمون أنه أخ مولاي عبد الله الغزواني دفين مراكش توثر عنه كرامات ، ثم قال : وبالبلد رجل اسمه محمد بن زيان من أولاد سيدى الشيخ دفين الابيض ، من ذرية سيدي سليمان أبي سماحة دفين فجيج ، اعتزل عن الناس في خلوة يزار فيها ، وله صيت ، ظهر عليه من الخلوة آثارها ، ولاحت عليه أنوارها ، معرضا عن الدنيا بحذافيرها ، زرناه بالنية فاكرمنا ودعا لنا ، وأولاد سيدي الشيخ المذكور بهذه البلاد الشرقية لهم صيت .

ثم قال :

تنبيه

ورد علينا هنا رجل ينتمي للعلم والصلاح من شرفاء عين ماضي ، اسمه سيدي أحمد التجيني،رفض سكنى بلده بعد تطليق زوجه وانقطاعه للجولان شرقا وغربا ، وقدومه الآن كان من تلمسان مزعجا من بعض أمراء الترك بها ، زعم أنه أخذ عن الشيخ السمان المدني وأجازه ، وأخذ العهد على الشيخ محمود الكردي المصري ، وتذاكرنا معه في مسائل حتى انجر للكلام لعدم تحسين الظن بمتربطة (1) الزمان ، فأنشد لغيره :

---

1) أي بأدعياء الصلاح مشتق من **المرابط** وهو فى عرف متأخري المغاربة الولي الصالح

إذا لم يكن الا الاسنة مركبـــــا   فما يسع الانسان الا ركوبهـــــا

ومن تشديده لما حضرته صلاة العصر ، فرام اتباعه من أهل البلد الصلاة خلفه ، فمنعهم معتلا بأنه لم ينو اقامة تقطع حكم السفر ، معتمدا على كراهة اقتداء المقيم بالمسافر ، فقلت : فضل الجماعة يجبرها وهو أولـى بالمراعاة كما قالوا ، وانجرّ الكلام للتأسف على قلة تعاطي العلم وتدريسه وذهاب أهله ، فقال : يحرم التدريس في هذا الزمان لفقد شرطه من الامتثال ، وتطهير الباطن كالظاهر وتحسين النية ، فقلت : لا والله لا يحرم ، بل هو في هذا الزمان الذي عمت به سحائب الجهل أوجب ، ثم ذكر أن هذه المسألة في أول ذخيرة الامام القرافي ، لو اعتبرنا هذا لانحسمت مادة التعليم والاقراء ، فينقطع الشرع ويفسد النظام الى آخره .

وقال لما وصل عين ماضي : وهذه البلدة عامرة بأهلها ، وغالبهم شرفاء من أهل البيت من قبيلة بالظهرا تعرف بالتجاجنة ، يحفظون القرآن ، وتقدم في أسلافهم العلم ، وأما اليوم فالعلم قد ذهب أهله ، وجاءنا المسـن فقيه البلد سيدي محمد بن زيان ، فمنه يستمدون وعليه يعتمدون ، وله بعض ممارسة بألفاظ مختصر خليل ، أوقفني على التقييد الكبير لأبي الحسن الصغير على (المدنة) في ستة أجزاء ضخام من الكبير حبسا ، بدأه بمقدمة في فضل العلم ، يرمز بالضاد لعياض ، وبالشين لابن رشد ، والخاء للخمي ، والميـم لابن يونس ، والعين لعبد الحق ، وربما استغنى بالقاف وحدها له ، والشيخ لمؤلفه المملي .

ووجدت فيه ما نصه : واختلف في الدغفل وهو ايرن على قولين ، فقال ابن القاسم تخرج منه ، يعني الزكاة ، ومنع ذلك أبو محمد بن أبـي زيد ، انتهى .

وليس في الخزانة الناصرية من تقييد الشيخ أبي الحسن هذا إلا جزآن . نسأل الله أن يكمله لنا ، فنعم الكتاب .

ثم قال في وصف عين ماضي : وبلدتهم هذه حصينة ، مبنية كلها بالحجارة ، دارت بها الأجنة والحدائق ، وفتحوا لها الأبواب من داخل البلد ومن خارجها ، وهي مشتملة على فواكه ، وما أكثر لديهم التفاح ، تسقى الأجنة كلها من عين واحدة خارجة من سفح جبل بقربهم ، عذبة باردة ، يزعمون أنه يورث الشقوق في الأيدي والأرجل في زمن الشتاء ، ثم قال : ونساء عين ماضي لايغتسلن من جنابة ولا من حيض أو نفاس ، يزعمن أن الاغتسال بمائهم يعقمن ، فتركن ذلك لذلك ، فقلت لمن حدثني بذلك ما هي إلا عقوبة من الله لهن على ترك الواجبات ، وأما الحجاب فما رأينا في هذه البلاد مثلها في تركه ، الرجل وزوجته وابنته يسقون الركب ، باديات مزينات ، مع ما وسمن به من الحسن البديع ، ولا يتولى البيع والشراء غالباً لديهم إلا النساء ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ! وأعظم من ذلك اعتيادهم للطهارة الترابية من غير عذر ، حتى من وسم بالفقه منهم تراه يضرب الارض عند كل صلاة ، اتكلوا في ذلك على زعمهم أن ماءهم يضر بالبصر ، ولقد والله توضينا منه مرارا وما رأينا منه ضرراً ، فان كان ذلك يحدث بكثرة الاستعمال أو في فصل دون آخر وتحقق الضرر وتعذر الوضوء فغيره من مياه الآبار ، فلا شك أن ذلك يبيح الانتقال للتيمم .

ثم قال عند ذكرى قرى الزاب : وممن اجتمعت به بهذه البلدة الشريف الفقيه سيدي الخضر بن محمد ابن عطية ، وأنه وقف على (الانفاس الزكية ، في شرح الحكم العطائية) للشيخ علي الحجازي ، وعلى شرح القصيدة المشهورة في الطريقة التي مطلعها :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشريه

وهو حسن ولم يسم الشارح نفسه .

ثم أرخ تاريخ دخولهم لبسكرة في متم رجب ، ثم ذكر مفتي البلد في الوقت ، محمد الهادي بن أحمد بن سليمان المصمودي الاصل ، قرأ بقفصة وأجازه علماؤها ، كالشيخ التاودي لما مر به حاجا ، يحفظ كثيرا على عادة

أهل البادية ، تراه يسرد فصولا من (الشفا) لعياض ، وقصائد وحكايات ومواعظ عن ظهر قلب ، وحدثه أن الامام الرقعي هذه بلدته وبها قبره ، انتهى .

قلت : فيه نظـر .

ثـم قـال بـعـد نقـل قـول أبـي سـالـم العياشي : مـا رأيت شرقا وغربا أحسن منها ولا أحصن وأجمع لأسباب المعاش الخ ، فيه نظـر ظاهر فبالمغرب بل والمشرق ما هو أحسن منها وأحصن ، وأجمع لاسباب المعاش من أمهات المدن ، كمراكش وفاس ومكناسة الزيتون ، وغيرها من بعض الثغور كآسفي ، ورباط الفتح ، وأزمور ، وأين أنت من نيـل مصر وصعيدها ؟ وما بها من مضاعف البركات كما بدمشق ، والشام ، والعراق وغيرها ، فلا نرى ببسكرة من أسباب المعاش ما بها ، الا أنها فضلت ما ذكر بأنواع تمار النخيل الجيد ، ونخيل مصر ومراكش على الضد من ذلك ، فلو قال ما رأيت بافريقية أحسن الى آخره لكان قريباً على ما فيه ، وأين أنت من قسنطينة وتونس وطرابلس ، وما بها من أسباب المعاش والحسن والتحصن ؟ ولكن حبك الشيء يُعمي ويُصم ، والعذر له أن بسكرة أول ما يلقاه في سفره للحرمين الشريفين على بعض ما وصف ، فقال فيها ذلك ، والخطب سهل ، ثم نقل عن (الاستبصار ، في أخبار (1) الأمصار) ، وعن (الروض المعطار ، في أخبار الأقطار) .

ثـم قـال : وبقي عليه من مدن قسطيلية الودان ، ويقال تقيوس اذ بها مدينته بالتاء لا بالدال ، كما تنطق به عامة أهل تلك البلاد ، ثم قال : وكذا زرنا بتوزر الجديدة ، سيدي ميمون ، وابن غلاب ، وسيدي عبيد بـن خضير من أولاد سيدي عبيد الشارف ، المقبور ببلدة تعرف بالجامع بظهر النمامشة قرب خنقة سيدي ناجي ، وله ولذريته بهذه البلاد الافريقية صيت ، وذريته كثيرة الآن تبلغ آلافا محترمين عند الامراء وهم من أولاد أبي السبع ، سكـان سوس الاقصى ، ومن صلحائهـم المقبورين بتوزر الجديدة سيـدي

---

1) المعروف : فى عجائب الأمصار ، وهو لمؤلف موحدي مجهول الاسم ، طبع بالاسكندرية سـنـة 1058

عبيد ابن الذيب وسيدي عبد العاطي ، وسيدي علي الكموني، وسيدي أحمد بن عثمان بن أبي القاسم ابن أشويط ، وسيدي عبيد بن عبد الملك ، زرنا الجميع بالنيــة .

ثم ذكر أنه اجتمع من طلبتها بالفقيه محمد بــن أحمد بــن منصور الجمني نسبه لبلدة بنفزاوة على مرحلة ونصف من توزر ، أوقفه على (سلم السعادة) ، نظم للشيخ عبد الصادق بن عيسى في طريق القوم ، عدد أبياته أربعة آلاف وخمسمئة ، أتم نظمه عام 1081 ، وعلى شرح الخروبي لنظم الشيخ زروق في عيوب النفس في خمسة عشر كراسا من الرباعي ، وعلى منظومة الأخضري فيالتوقيت التي نظمها وهو ابن عشرين سنة المسماة بـ (السراج) ، وعلى شرحها للشيخ سحنون بن عثمان ، وعلى حواشي البطيوي على المكودي، على الخلاصة في نحو ثلاثين كراسا جامعة مانعة في بابها من الرباعي ، وذكر هنــا أن الاجوبة الناصريــة صحح نسخة منهــا سيدي أحمد بــن سليمان الرسموكي ، وعلى حواشي الشيخ الصعيدي على شرح شيخ الاسلام زكرياء على ألفية العراقي في المصطلح في خمســين كراساً رباعياً ، واجتمع أيضــاً بقاضي البلد سيدي محمد بن عبيد ، وأخيه سيدي عبيد ، وأوقفه على (نسمة الآس ، في حجة سيدنا أبي العباس) ، وسيدي خالد بن الحاج ابراهيم أوقفه على جزءين من تفسير المهدوي الذي ينقل عنه ابن عطية ، وعلى شرح ابن قنفذ على منظومة ابن فرح في الالقاب .

ثم ذكر وصوله لقابس ، ثم قال : ومن الذين اجتمعت بهم وكان ذلك منة من الله تعالى علي قاضي البلد ومدرسها وشيخ الجماعة ومعلمها الشيــخ أبو بكر بن الحاج أحمد بن تامر أقنونو به عرف ، ثم ذكر أنه تذاكر معه في قضية انسان باع ملكا من أخيه في الاشاعة بينه وبين الورثة ، فلما تقابضا الثمن والمثمن ، قامت بنية المشتري أنه قال بعد انعقاد البيع ودفع الثمن ، ان الملك االمذكور حبس من والده دنية ، وأشهد مع ذلك على نفسه أن لا يرجع على البائع بما قبض من الثمن ، هل يكون قوله هذا اقرارا على نفسه فيلزمه ؟ وهل يسري اقراره لنصيب غيره من الورثة أو يكون في نصيبهم شاهدا ؟ فقال المؤلف : اقراره مقصور عليه لا يتعداه لغيره ، عملا بما في حد ابن عرفــة

والقرافي الى ءاخره ، فعارضه القاضي بقوله : جوابك هو الذي لاح في النازلة له ، ولكن في تبصرة ابن فرحون أنه لا يقبل قوله في نصيبه ولا في نصيب غيره ، وعلله باتهامه باسقاط القبول والحيازة ، قال وبه عارضني بعض الطلبة لما قلت أنه مقر في نصيبه ، شاهد في نصيب الغير ، فقال المؤلف : يرجح ما في ابن فرحون بقول المتن أواخر العتق وان شهد أحد الورثة أو أقرَّ أن أباه أعتق عبدا لم يجز ولم يقوم عليه ، أي لم تجز شهادة ولا اقراره كما في نص المدونة ولا يقوم عليه ، اذ ليس هو المعتق وجميع العبد رقيق .

ثم ذكر ما في (الدر النثير) من جواز تقارر الورثة على الحبس ما لم يظهر كتابه ، فيكون العمل عليه الى ءاخره .

ثم ذكر اجازة القاضي المذكور له ولشيخه أحمد بن الحسن بن علي سبط الشيخ ابن ناصر العامة ، حسبما أجازه بها الشيخ الامام عبد الله بن محمد السوسي نزيل تونس ، وهو أخذ عن ابراهيم بن عبد الله الجمني ، وسيدي ابراهيم بن موسى الفيومي الأزهري ، كلاهما عن الخرشي والزرقاني باسانيدهما ، وأخذ أيضا عن الشيخ منصور المنوفي الضرير الشافعي وأجازه بمروياته ، وعن الشيخ أبي العز اللخمي الشافعي القاهري وأجازه أيضا ، وعن الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي الشافعي ، وأجازه في الكتب الستة وغيرها عام 1127 بمكة المشرفة ، ثم ذكر له سند البخاري عن الاخير ، وأرخ لهما هذه الاجازة بمنتصف شعبان من عام 1196 .

وأنشد بعد ذكر طرابلس الغرب قصيدة والد قاضيها المالكي في الوقت ، وهو سيدي أحمد بن عبد الدائم الانصاري مطلعها :

أرى زمنا قد جاء يقتنص المهــــا بلا جارح والاسد في فلواتهــــا

ثم ذكر أنه وقف على شرح هذه القصيدة المسمى (التذكار ، فيمن ملك طرابلس أو كان بها من الاخيار) لسيدي محمد بن عقيل بن أحمد بن عبد الرحمان بن غلبون الطرابلسي الدار ، الدرني أصالة ، ولما ذكر رجالها ، قال :

ومنهم سيدي محمد الصيد ، وابنه سيدي عبد الحفيظ ، ومقبرتهما في مكان يسمى الهنشير على ستة أميال من المدينة ، والصيد بلغة أهل طرابلس الاسد سمي بذلك لقهره للجبابرة ، ولعدم اجتراء أحد على معارضته .

أخذ الطريق عن أبي معزة التلمساني ، وهو عن سيدي أبي عمرو المراكشي ، ولذريته اليوم كمال محبة في ذرية أبي عمرو والسؤال عنهم ، والصيد المذكور هو شيخ ابن مساهل ، زرناه وتلقانا بنوه بالترحاب والاكرام ، توفي سنة خمسين وألف .

ثم ذكر من اجتمع به من علمائها ، منهم الشاب العلامة سيدي محمد العربي ، والفقيه محمد بن مكرم المالكي ، وقاضي البلد محمد بن أحمد بن عبد الدائم الانصاري ، ومنهم الهمام علي بن أحمد ابن شارح (المرشد المعين) علي (I) بن عبد الصادق ، حدثه حفيده المذكور أنه رأى أيام غربته بتونس رحلة لابن العربي المعافري المالكي في أسفار ، وأوقفه على تآليف مبيضات لجده المذكور ، منها شرحه على (المرشد المعين) ، وعليه من تقريظ عبد السلام بن عثمان التاجوري بخطه ما نصه :

جازاك في الدارين رب خالق ... من كل خير ياابن عبد الصادق
فلقد أجدت القول فيما رمته ... من حسن سبك في اختصار رائق
ما ان رأينا مثل ما أبديته ... من شرح مرشدنا العظيم الفائق
لا يبلغن معشار ما قد ضمه ... ممدوح شرحك صامت أو ناطق
لو شامه ميارة مع شرحه ... لأقر قطعا أن شرحك فائق
أو قد رآه عاشر من قبله ... لاشار لابنه أن هذا السابق
إن كنت فيما قد تأخر عهده ... فلانك في بحر العلوم الفائق
فضل من الرحمان فاشكره على ... أنعامه فهو الكريم الرازق

I) هذا ابن عبد الصادق الطرابلسي غير ابن عبد الصادق الدكالي الفرجي شارح المختصر الخليلي الذي أفتى فى قضية احداث المكس بفاس وسائر أقطار المغرب ، وقد غلط صاحب **الاستقصا** حيث جعله الطرابلسي ، وهذا الغلط سلم منه الزياني والكنسوسي (اللذين) ما ذكر لفظ الطرابلسي (مؤلف)

لا زلت مقداما لكل فضيلـــــة	لا يلحقنك في المكارم لاحـــق
ومحبكم عبد السلام مؤمـــــل	منكم دعاء من فؤاد صـــــادق
بصلاح حال في الحياة وبعـــده	ختم بخير يرتضيه الخالـــق

ومنهم كاتب الجناب العلي الشأن ، سراج مملكة آل قرمان ، مصطفى بن قاسم المصري ، خوجة به عرف ، الحنفي المذهب ، كان مما استنسخه لنا طالبا أجره مـن خالقنا : ابن الشاط على فـروق القرافي ، والوانوغي على المدونة ، وزروق على البخاري (1) ، والشيخ عبد الغني النابلسي على (اضاءة الدجنة) ، وحواشي الشيخ يعيش على شرح ميارة على التحفة ، ثـم وعـده بانتساخ تكميل التقييد لابن غازي من النكاح الى آخره ، وحواشي عبد الرحمان العارف على البخاري ، والأبي على فروق القرافي ، ثم وجهها له حين وصل بلاده ، وأتحفه بشرح ابن زكري على النصيحة ، وأوقفه على خزانته فرأى بها نوازل ابن عظوم القيرواني في مجلدين ، وشرح أبي الحسن الانطاكي على (البردة) في عدة أجزاء ضخام ، وعلى (بشائر أهـل الايمان ، بفتـوح آل عثمان) لكاتب الانشاء بالحضرة التونسية ، وترجمان أميرها ، من أهل القرن الحادي في مجلدين عربه من التركية للعربية ، واستطرد علماءهم إلى زمانه ، وعلى (الحلل السندسية ، في الاخبار التونسية) للوزير ، لقبا التونسي في سن الاربعين في قرن المؤلف في ثلاثة أسفار من الكبير ، ومنهم أخوه المفتي أحمد أوقفـه على (لب الالباب ، فيما تضمنه أبـواب الكتاب ، من الاركان والشـروط والموانع والاسباب) لابـن راشد القفصي ، (والفائق) له فـي سفريـن .

ثم ذكر أن سيدي عبد السلام بن عثمان التاجوري ذيل (المعيار) بسفرين ، وشرح (المرشد) ، ولقي أحمد بن ناصر ، وذكر أن شجر العشر هو الخرفع ، ويسمى بالبربرية الاكرنك .

وقال قبل ذلك **لطيفة** :يضرب المثل في الدناءة والبخل بأماكن أربعة في المغرب جزيرة الاندلس ، وخصوصا مالقة ومدينة سبتة وفاس ، حتى قال الـقائـل :

---

1) طبع بالقاهرة سنة 1975 فى خمسة أجزاء

لا تلمني على الدناءة أنـــــي مالقي وقد سكنت الجزيـــرة
ومررت بسبتة ذات يـــــوم وشربت مع الفويسي الحريرة (1)

وهذا أمر غير مطرد في سائر أفراد الناس الى آخره .

ثم ذكر أنه وقف على رحلة البلوي ، وأن غالبها شعر وأدبيات ، وقال أيضا : وناهيك بمن مدحه العبدري ، وقد علم لسانه في البدوي والحضري ، ثم ذكر أن رحلة التجاني انتهت بمسلاتة من عمالة طرابلس لكونه عرض له مرض ، فرجع عن الحج ، وأنشد لغيره عند الكلام على أيلة :

بطريقة أيلة أجبل وعِقـــاب لا يرتجي فيها النجاة عُقـــاب
فكأنما الماشي عليها مذنـــب وكأنما تلك العِقاب' عِقـــاب

وقـال :

سلكنا عِقاباً في طريق كأنهـــا صياصي ديوك في سلوك عِقـــاب
وما ذاك الا أن ذنبي أحاط بـــي فكان عِقابي في سلوك عِقـــاب

وقال حين التكلم على مقبرة مكة : وبداخل البيوت قبر عباس بـن مرداس ، وعباس بن عبد الله بن عباس في قبة صغيرة ، ثم ذكر أن الشيخ علي امام مقام الحنابلة ،ومفتي مذهبه بحث عنه حتى اجتمع بالمؤلف تجاه الحجر بقرب دار الندوة ، وقد صاحب معه ضيافة تقبل الله منه ، وأخبره أنه أخذ العهد الناصري من عمنا الشيخ يوسف بن محمد طيب الله ثراه لما حجّ سنة احدى وستين ، انتهى .

ثم ذكر أن تأليف أبي الحسن السندي على مسند الامام أحمد فـي ثلاثة أجزاء اشتُري لاميرنا نصره الله ، فجيء به له ، ثم قال حين وصل زابغا حاكيا للاسئلة التي سأله عنها محبه في الله ، العلامة الدراكة القاضي عبـد العزيز بن حمزة المراكشي ، وكـان كرفيقه العلامة أحمد بـن عبد الرحمان

1) الفويسي تصغير الفاسي ، المنسوب الى فاس ، والحريرة حساء معروف

القضوي الدمناتي من أهل الدين والصلاح والمحبة للمؤلف ولأسلافه قائلا : وكنا نترافق ليلا ونهارا ، وكان والله من الافاضل الذين أبرزهم الوقت ، ثم ذكر أجوبته له عنها .

وقال عند ذكر الابواء : وبهذا المنزل أنشدني الاديب أحمد بن عبد الرحمان الدمناتي ، وقد جرى ذكر الجواري لشيخنا عمر الفاسي رحمه الله في مملوكة له اشتراها بمراكش مدة اقامته بها :

ومملوكة أمسيت أملك رقهـــا	فما أصبحت الا وقد ملكت رقـــي
لي الله لا أرجو الخلاص من أمرها	ورب فتى يرجو التخلص بالعتــق

وبه أنشدني له رحمه الله في هجو بعض معاصريه ، وكان بيده خال وقد كان يأنف القراءة على الشيخ متكبرا ، ثم نزلت به ملمة فجاء يشكوها الى الشيخ ، فقام وهو عند أمير البلد في رفعها عنه قائلا متغزلا :

خليلي ما للخال حط الى اليـــد	وعهدي به يعلو بخد مـــورد
أجار بفرط الفكر فانحط مهنـــة	وشأنُ ذوي الكبر الرجوعُ إلى اليد

ثم ذكر عند الكلام على من لقي بالمدينة المنورة ، أن المسن البركة الشيخ علي بن محمد الشرواني الحنفي أخذ العهد الناصري من عمه الشيخ أبي يعقوب .

ثم قال : عادة المشارقة اليوم في النوازل الفقهية مالكية وغيرهم ، أنهم يعتمدون تقريرات وظواهر ولا يعتنـون بمطالعة كتب الاحكـام الفقهية كـ (المعيار) ، ثـم ذكر عند تعداد فضـلاء العماء بالقرافة الصغرى مدفنهم سيدي أحمد بن العربي المراكشي الدار ، وأنـه زاهم كلهم عـلى التعيين .

ثـم ذكر في الكـلام عـلى من لقيـه بمصر شيخه الشيـخ مرتضى الزبيدي ، وأن كتبه كثيرة لم يشاهد مثلها فـي خزانة ، ولو خزانة شيخـه الحافظ سيـدي ادريس العراقي بفاس ، ثـم ذكر ما ذكره شيخه الشيـخ التاودي ابن سودة حـين قراءته (الموطأ) بمصر من أن الامـام الشافعي ليس بحافظ على مصطلح أرباب الحديث الى آخره .

ثم ذكر أن التقاريظ التي قرظت على شرح القاموس للشيخ مرتضى بلغت مجلدا جمعها مؤلفه ، ومنها ما قال فيه شارحه المذكور :

شرحنا على القاموس شرحا محققا ... غدت أعين الحساد منه على الغض
والفيت لما أن مزجت بشرحــــه ... عليه رداء سابغ الطول والعــرض
ونوهت من ذكراه ما كان حافــلا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

ومن تآليفه (إنجاز الحاجة الماسَّة ، في تحقيق لفظ سجلماسة) ، و (نور النبراس ، في نسب بني العباس) .

ثم أورد اجازة شيخه المذكور ، وفيها فأول ما سمعه من حفظي ولفظي حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، وحديـث سلمة بن الاكوع ، وهـو أول ثلاثيات البخاري ، املاء لسندهما ومتنهما ، ومن خرجهما من الايمة بالموافقات والابدال ، وقد كتب له ذلك بخط أحد السامعين لها في المجلس والتاريخ ، وهو الفقيه النبيه علي بن عبد البر بن علي الحسني الونائي الشافعي ، ثـم سمع في عشية يوم الخميس لاربع بقين من صفر الخير من السنة الاولى ، يعني سنة 1197 من كتاب (الصحيح) للامام البخاري الى قوله : بوادره ، ومـن صحيحمسلم مـن أول كتـاب الايمـان الى آخـر الباب وهو قولـه : بنحو حديثهم ، ومن سنن أبي داوود الى قولـه : الخبث والخبائث ، ومن سنـن الترمذي الى قوله : فلا تقتلنَّ بعدي ، ومن سنن النسائي المعروفة بالمجتبى الى باب : كيف يستاك ، ومن سنن ابن ماجة الى قوله : ليلها ونهارها سواء ، ومن مسند الامام أحمد : رواية ابنه أول حديث ، ومن مسند الامام الشافعي الى قوله : وبما أفضلت السباع كلها ، ومن مسانده الامام أبي حنيفة : تخريج الخوارزمي الى تمام الخطبة ، ومن (الموطأ) لامام دار الهجرة الى قوله : وقت الجمعة ، كل ذلك بقراءة سيدنا المجاز المشار اليه ، فسمع ذلك كله الجماعة السادة الفضـلاء : سيدنا الفقيـه ، الدين الثقة ، العـدل المرتضى ، قاضي الجماعة بمراكش عز الدين أبو العز عبد العزيز بن العباس بن حمزة المطاعي الفزاري ، وسيدنا الفقيه العدل الصالح الارضى ، قاضي الجماعة سري الدين أبو العرفان أحمد بنعبد الرحمان الدمناتي ، وسيدنا الفقيه الصالح العالم

المدرس ، سلالة الأشراف ، شمس الدين أبو التوفيق محمد الصديق بن مولانا محمد الهاشمي بن مولانا علي بن عبد الله بن طاهر الحسني السجلماسي أدام الله فضلهم ، ونفع بعلومهم المسلمين .

ثم في يوم السبت سادس ربيع الاول قرأ على سيدنا المجاز حفظه الله تعالى بعضامن مسلسلات ابن عقيلة ، وهو شيخ مشايخنا ، وناولتها لـه مع حاشيتي عليها المسماة بـ (التعليقة الجليلة ، بمسلسلات ابن عقيلة) الى آخره .

ثم ذكر من مشايخه ، أعني الشيخ مرتضى السيد المعمر عبد الحي بن الحسين الحسني البهني ، من تلامذة البصري ، والنخلي ، والزرقاني شارح (الموطأ) ، ثم من أشياخه المغاربة محمد بن عبد الله بن أيوب التلمساني المنور ، والشيخ التاودي ،وقد أجاز السيد المذكور جميع من حضر مع المؤلف اجازة عامة ، ثم ذكر المؤلف انه شرح أربعين حديثا في الظلم جمعها صاحبه وشيخه سيدي محمد الجوهري ، وحثه على ذلك ، ثم ذكر من أشياخه الشيخ سليمان الجمل صاحب حاشية ذى الجلالين ، وأنه كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ، وان تلك الحاشية كان يسرد عليه تلامذته مواد التفسير فيأمرهم بكتابة ما يريد منها ، كان رحمه الله صواما قواما زاهدا متقشفا وليا من أولياء الله تعالى .

ثم ذكر شيخه أحمد الدردير ، وشيخه سيدي محمد البخاري ، والشيخ الامير ، والشيخ أحمد البجيرمي ، وأجازوه جميعا اجازة عامة ، وفي اجازة الاخير أن أبا الصلاح علي بن عبد الواحد الانصاري شيخ سيدي عيسى المغربي الثعالبي ، وتلميذ أحمد المَقْري ، ومن أشياخ المؤلف سيدي محمد السمنودي المنير ، وسيدي محمد بن ابراهيم المصلحي الضرير الشافعي تلميذ الشيخ الصباغ الاسكندري ، حدث ابن الصباغ قال له ذات يوم : اقدم الينا يوم الخميس نجتمع بالشيخ يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر ، وكان ذلك سنة اثنين وستين عام قفوله من الحرمين ، قال : فاتفق أن جعل الشيخ يدرس بالازهر متن خليل في قوله : ومن بادر اخرج له الآخر في النكاح ،

ويرددها مرارا حتى سقط من ذلك مغشيا عليه ، فحمــل لداره فهلك يــوم الخميس الذي وقع الوعد به ، قال : فما هو الا أن بلغني النعي فذهبت نحو داره ، فوجدت الشيخ أبا يعقوب قد سبقني ، فلم يقع اجتماعي به الا علــى جنازة الشيخ رحمه الله ، قــال : وأوصى أن يتولى الصلاة عليه أبــو يعقوب ففعل ، ومنهم ابن الست الشلبي العزيزي ، نسبة لعزيزة قرية من قرى الريف، والشيخ حسن الجداوي المالكي ، يقتصر على متن خليل ، وما لا بد منه من الشرح ، لا نظير له في ذلك الا شيخ المؤلف أيضا سيدي عبد الله السوسي بفاس العليا ، ومنهم الشيخ أحمد العروسي ، والشيخ أحمد السمنودي ، والشيخ سليمان البجيرمي ، والشيخ عبد الرحمان البناني محشي المحلى ، والشيخ الصبان وغيرهم ، وكلهم أجازوه اجازة عامة كشيخه أحمد بن الحسن الناصري بطلبه منهم له ذلك .

تم قال بعد أن ذكر ذم العبدري لمصر وأهلها ما نصه : جريا على عادته عفا الله عنه في ذم البلاد وأهلها ، وما كان ينظر الا بعين السخط اليها فليته مدح من يستحق المدح ، وذم من يستحق الذم ، أو يتغافل عنه الا بقصد البيان ، وما رأيناه مدح بلدة ولا ساكنها الا مدينة تونس ، ولو أمكنه أن يقول في الحرمين هجوا لقال ، وما ذاك إلا أن الرجل بربري من سكان الجبال ، لم يألف الناس ولا البحث عنهم ولا الذهاب اليهم ، وانما ينزل بمدرسة من جملة الطلبة ، أو بفندق من جملة الغرباء ولا يتفطن له عالم ولا ذو مروءة ، حتى اذا صدر عن البلد ، قال فيه ما شاء .

وقال عند ارتحالهم من مصر وإشرافهم على منهل التميمي مــا نصه : فانشدنا الاديب العلامة أحمد بن عبد الرحمان القضوي الدمناتي لنفسه وقد رأى فتى بارعا في الحسن راكبا على فرس يسابق خلف جارح يغريه علــى غزال حتى تمكن منها :

فيا عجبا حتى الغزال رأيتــــــه ... يصيد غزالا يقتفيه على النعــت

يحاكيه في معنى الصفات جميعها ... فما باله لم يحكه في التلفـــــت

وقال في ذلك الدراكة الفهامة قاضي الجماعة بمراكش أبو فارس :

بتميم رأيت بدرا تـــــــلألأ ... راكباً صافناً ينـــــادي الألاء
قد رمى مهجتي بسهم لحـــاظ ... ليته قد سقاني عذبـــا زلالا
أضرم في فؤادي نار هـــــواه ... فاعجبوا لغزال صاد غـــزالا

فراجعتهما على البديهة بقولي مداعبا :

الا فليمت بالعشق من كان ميتـا ... ويترك أسباب الغزال وما يحكـى .
ويأتي رياض الذكر يجني أزاهـرا ... يسلي فؤادا طالما صده يشكـــى

وكان ذلك غدوة وقت الاشتغال بالاذكار .

ثم راجعني أحمد المذكور على البديهة بقوله :

نغوص على در القوافي بفكـــرة ... ونسبك منها التبر في أحسن السبك
ونترك ما شان الشريعة في الهوى ... فليس علينا فيه يرجع بالـــدرك

ثم قال : وألغز الشريف الاديب مولانا وسيدنا محمد الصديق ، من ذرية مولانا عبد الله بن طاهر في لفظ قربة ، وقد شاهد ما الناس عليه من الجد في تعمير القرب من التميمي لقطعه مفازة السروال قائلا :

ما اسم أتى على حروف أربـــع ... أوله نصف لثانيه فـــع
وربع لرابع ويقلـــــب ... وقلبه في الجو حينا يرقـب
يركب فوق الدهر أو يرتفـــع ... وأنت في بسط متى ما يشبـع
وان ضممت الحرف منـــه أولا ... يصير طاعة به قد اجتـــلا

فأجبته بقولي :

لله حبر ماهر يسبي العقـــول ... بسحره العذب البديع في المقول
عني وعاء روح كل ذي نفـــس ... فساده بالثقب اذ يبدو النفـــس

ثم نقل عن أبي فارس المراكشي ، في حكمة قول الانسان بعد الفراغ من قضاء حاجته : غفرانك كما ثبت بذلك الحديث ان الشارع وان أمر الانسان بنتيجة ذكر الله فيه فهو ذنب باعتبار ، فأمر لذلك بالاستغفار ، فباحثه بأنه أمر بالترك فامتثل ، فكيف يعد ذنبا يستغفر منه ؟ وأجاب عن ذلك الشريف سيدي محمد بن محمد الهاشمي الشهير بالصديق المتقدم الذكر ، بأن كفارة المجلس مطلوبة حتى في ختم مجالس الخير وفي عمل الطاعات ،فهذا من باب كفارة المجلس وهو حسن ملائم .

ثم قال : لم أوتي بالواو بدل الفاء في قوله تعالى : « جاء الجق وزهق الباطل » ، الجواب : انه لو أتى بالفاء لاقتضت الآية : ان الباطل كان ثابتا ، وليس كذلك ، اذ الباطل زاهق أولا وبالذات ، ولا يلزم من وجدانه ثبوته ، فافهم ،ولم أر من المفسرين ولا من المعربين من أشار اليه وهو ظاهر .

ومن مستفاداتي عن أبي فارس عن شيخه أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي رحمه الله تعالى : أنه حضر درس شيخه الامام سيدي سعيد العميري للتفسير بمكناسة الزيتون ، وهو يقرر في هذه الآية فسأله سائل عن ذلك ، فأجابه على البديهة مع اختصار بقوله الباطل جفا ، وهو معنى ما أجبنا به لله الحمد على الموافقة ، انتهى .

وقال أيضاً : مَن اشترى أمة فظهر بها الجذري عنده ، أهو عيب قديم يوجب الرد على البائع ، أذ الأصل فيه أنه بقية حيض في البطن تغذى به الجنين أم لا ؟ لأنه من الامراض الهائجة على الانسان كغيره من سائر الطبائع ، الجواب بعدم الرد ، وأنها مصيبة من المبتاع إلا إن سأل عنه البائع فدلس قائلا نزل بها الجذري فبرئت منه ونحو ذلك ، أو كان قبل عقد الشراء ولم يطلع عليه المبتاع الا بعد انعقاد البيع ، أو حدث بها بقرب انعقاد البيع كظهوره يوم الشراء ، لأن البائع يتهم أنه تفطن له لمقدمات ومخايل ، فعند ذلك يكون عيبا يوجب الرد على البائع .

ومن مستفاداتي من أبي فارس اني نزلت بمكناسة أيام السلطان مولانا اسماعيل رحمه الله تعالى ، فافتى فيها علماء وقته بذلك ، وخالفهم في

ذلك السيد عبد الوهاب الدراق ، وكانت له خبرة تامة بالطب ، وقال : انه عيب يوجب الرد محتجا بأن الفقهاء يستندون الى الاطباء في العيوب ، وهم حكموا بأن أصله من غذاء الجنين في البطن بالدم ، فصار قديما عيبا لهذا المعنى، وكتب في ذلك رسالة سماها (هزء السمهري ، في الرد بالجذري) ، فقلت : ان كان مدار رسالته على هذه الحجة فهي واضحة السقوط كما لا يخفى .

قال أبو فارس : وقعت عيني على نص للمالكية بموافقة ما للدراق قلت : ولا أخال ذلك ، اللهم ان كان فيجب تقييده بما قررناه ، وبما اذا جرى عرف الناس ، يكرهون شراء مَن يصبه الجذري ، ويزهدون في شرائه ، وان كان بثمن بخس ونحو ذلك ، يجب على البائع البيان ، حسبما تقرر في الفقه المالكي أن الضابط في العيب هو نقصان الثمن إلى ءاخره .

ثم ذكر أنه وقف لشيخه الشيخ التاودي على أن الجذري لا يرد به ، لان الفقهاء انما اعتبروا في الرد بالعيب قدمَه لا قدمَ مادته ، وأيضا فالرد بما العادة السلامة منه ، وأنتم تقولون لا سلامة الى ءاخره ، أنتهى .

ثم ذكر أنه وقف على رحلة البلوي بطرابلس ولم نر لتينهم — يعني أهل الزوارات من عمالة طرابلس — شرقاً ولا غرباً نظيراً في الحلاوة واللون ، فقلت في ذلك ارتجالا ومداعبا لبعض من تنزه عن أكله ، لكون المالكين له أباضية ، أصحاب عقائد زائغة :

بادر إلى الباكور واعن بـــــه	ولا تحد عنه من أجل نفـــاق
لاسيما الزوري إن لـــــه	حلاوة في خضرة بها فـــاق

وأنشدني في ذلك أبو فارس لغيره ، والحديث شجون ، لبعض فقهاء مكناسة الزيتون ، وقد واعده صاحب بستان يجتمع معه لاكل الباكور بعيد صلاة الصبح ، فجاء الفقيه وتخلف صاحب البستان ، فكتب له في ذلك :

باكر إلى الباكور وقت الغســـق	واجن جناه في ديباج الـــورق
ولا تثق بالوعد من أهلـــه	فانهم من أجله في قلـــق

ومن أشياخ المؤلف : الشيخ بناني محشي الزرقاني ، ثم ذكر أن بالخزانة الناصرية زهاء أربعين فيما بين تفسير وحاشية على كتاب الله تعالى من دون تكـرار .

ثم ذكر أنهم اجتمعوا بالركب الفاسي والسجلماسي ذاهبين للحـج ومعهما مولانا اليزيد بن مولانا نصره الله تعالى ، ثم ذكر أنه لما تراءت لهـم سجلماسة فيضحى التاسع والعشرين من شعبان عام 1197 ، فلم أنشب جوف الليل الا برجل من أعراب بني مَحمد جاء يخبر أنه قدم من بلادنا درعة وترك عمنا الشيخ يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر مريضا مشرفا على الهلاك ، فما أتم خبره حتى جاء آخر يخبر أنـه حضر في هذا اليوم بزاوية الشيـخ الامام الغازي ، حتى جاءت بينة رسالة من الزاوية الناصرية تخبر بلقاء ربه في آخر ثلث الليل الاخير من ليلة الجمعة السادس والعشرين من شعبان رحمه الله تعالى ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

ثم ذكر المؤلف أنه كان مقيما بفاس سنين السبعين ، ثم ذكر المؤلف أنه أتم هذه الرحلة في سنة 1199 جزاه الله خيرا ، وهذه النسخة التي وقفت عليها قوبلت من مؤلفها سيدي محمد بن عبد السلام بن محمد بن محمد بـن ناصر سنة مئتين وألف ، وعليها خطه الرائق في داخلها وآخرها ، والحمد لله أولا وآخرا ، وقد طالعتها في نحو يوم واحد وزيادة ، والله ولي التوفيـق والهدايـة .

وقد وقفت على شرحه المذكور للاربعين الجوهرية ، في ترك الظلم وأجوبة فقهية له ، ونظم في موجبات الفقر والهم ، وبعض اجازات أشياخه له في مجموع ، ثم وقفت على رحلة المترجم الثانية الواقعة عام 1211 ، وهـي الحجة الثانية ، ذكر في هذه الرحلة أنه زار في مدينة الجزائر الامام أبا زيد الثعالبي ، والخروبي شارح الصلاة المشيشية ، والجزائري ناظم التوحيد ، وأنشد في وجدة قول القائل :

فأمـا أرضها فأعـــــزُّ أرض ... وأمـا ناسهـا فأخسُّ نـــاس

797) محمد بن ادريس العمراني المراكشي

محمد بن ادريس بن محمد بن عبد الرحمان العمراني المراكشي ، كان عالما فاضلا عارفا ، قرأ بفاس وذهب للاخذ عن شيخه مولاي العربي الدرقاوي بزاويته ببوبريح ، ثم أذن له في الذهاب لمراكش بعد أن خدمه ، يحكى أنه كنس كنيف شيخه المذكور ، ويحدث عنه بكرامات ، ووجد بعد موته بنحو أربعين عاما جسده حيث عُثر عليه كأنه دفن لم تعدُ عليه الأرض ، وأخبر بذلك السلطان وطلب منه اجراء الماء لزاويته بالقصور ، فساعدهم عليه، ثم أخذه بعد ذلك بعض الولاة لداره ، وأخبر كثيرا من أهل الطائفة الدرقاوية ان المترجم أشكلت عليه مرة مسألة فعظم عليه بطنه واتسع فمه ، فخرج منه رأس وشافهه في القضية بما شفى له الغليل ! فعلم أن ذلك شيخه المذكور ، ونشر الطائفة الدرقاوية بمراكش .

ثم توفي في حياة شيخه ، ودفن بزاويته في القصور في فحل الزفريتي ، والزفريتي المنسوب اليه الفحل المذكور كان محتسب مراكش سابقا ، وهو منسوب الى زفريت قرية بأولاد مطاع ، خارج مراكش .

798) **محمد بن أحمد بناني** الفقيه ، تقدم ذكر سفره لمراكش في ترجمة رفيقه ابن عمرو الزروالي ، وقال فيه في (جمهرة التيجان) عند ذكر أشياخ مولانا سليمان :

وسابق الحلبة في الميـــــدان **محمد بن أحمد البنانـــــــي**

انتهى .

وحلاه تلميذه العلامة سيدي محمد بن حمدون ابن الحاج عند عد أشياخه في اجازة سيدي محمد بن أحمد بن الطيب بناني الآتية ترجمتهما بالعلامة النحوي البياني سيدي محمد بن أحمد البناني .

799) **محمد بن ابراهيم الاندلسي المراكشي** الهمام ، العلامة الامام ، له الشرح الكبير للحزب الموسوم ، بسبحان الدايم لا يزول ، للقطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي .

طبع هذا الشرح بالمطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد 57 بتونس سنة 1327 ، موافق 1909 م في 92 صحيفة ، وهو شرح نفيس نقل فيه عن شرح سيدي عبد الوارث لهذا الحزب ، وبسط الكلام على ألفاظ الحزب واستوفاه كله .

قال فيه ص 62 : وأجمع العبارات في معنى وصف الكريم ، ما قيل الكريم الذي إذا قدر عفا ، واذا وعد وفى ، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجا ، ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى ، وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى ، وان جفا عاتب وما استقصى ، ولا يضيع من لاذ به والتجا ، ويغنيه عن الوسائل والشفعا ، فاذا كانت هذه الصفات لا يستحقها أحد سوى الله تعالى فينبغي أيضا أن لا تتخطاه آمال المؤملين الى غيره ، كما قال بعضهم :

حرام على من وحد الله ربـــــه وأفرده أن يجتدي أحدا رفـــــدا
وياصاحبي قف بي مع الحق وقفة أموت بها وجدا وأحيا بها وجـــدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدهـا فذا الملك ملك لا يباع ولا يُهدى

وفي 83 منه ذكر فضل المسبعات التي رواها الخضر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي في كتاب (قوت القلوب) لأبي طالب المكي ، وفي كتاب (الاحياء) للغزالي ، ولم أقف على ترجمة لهذا الشيخ ولا تاريخ وفاته ، وما هنا من تسميته الشارح المذكور محمد بن ابراهيم هو الذي في نسخة الطبع ، والذي وجدته في نسخة بخط اليد ، أنه لولده مهدي بن محمد بن ابراهيم الى آخره ، وفي هذه النسخة من الشرح المذكور ما نصه : كان الفراغ من تبييضه وجمعه عند عشية يوم الثلاثاء 7 من شهر ربيع النبوي عام 1241 ، ألفه عبد ربه الفقير مهدي بن محمد بن ابراهيم الاندلسي المراكشي، لطف الله به ءامين ، انتهى .

800) محمد بن محمد التهامي ابن عمرو الرباطي

محمد بن محمد التهامي بن محمد بن عمرو بن قاسم الأوسي أبـاً الحسني أماً الرباطي .

من أشياخه العلامة سيدي عمر بن المكي الشرقي ، وشيخهما العلامة القاضي أحمد الحكمي والد محمد صالح ، والعلامة السيد عبد الواحد بن مَحمد بن أحمد بن مَحمد بن أبي السعود عبد القادر الفاسي ، والعلامة سيدي محمد بن أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي ، وسيدي عبد الرحمان السرايري ، والشيخ سيدي محمد الرهوني ، وسيدي أحمد بن التاودي ابن سودة، وسيدي عبد القادر ابن شقرون ، وسيدي محمد بنيس ، وسيدي محمد بن عبد السلام الناصري ، وسيدي عبد الله الجكني . ودخل المترجم مراكش عام أربعة وعشرين ومئتين وألف .

كان رحمه الله مستقلا بحمل راية العلم ونشره بالعدوتين ، وتصدر لنشره بالتدريس والافتاء على الأمور المعضلات ، وتوارد عليه طلبة العلم من كل ناحية من أقطار المغرب ، وكان رحمه الله يرجع اليه في الامور المهمات ، فمن ذلك ما وقع ذات يوم في حكم من الاحكام صدر بالرباط ، وكان رحمه الله هو المباشر لكتبه وتعضيده بنصوص الايمة ، ثم ان الخصم لصاحب هذا الحكم ، أخذ نسخة وتوجه بها لفاس ، وكان القاضي بها اذذاك هو الفقيه السيد العباس بن السيد أحمد بن التاودي ابن سودة ، فكتب على ذلك الحكم بالفساد ، فأخذ منه صاحبه نسخة ، ورجع بها الى كاتب الحكم الفقيه ابن التهامي المذكور ، فحقق المسألة ورفعت القضية لحضرة مولانا سليمان ، وأحضر العلماء بمراكش ، وفاوضهم في ذلك وكتب :

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

الحق أحق أن يقال ، والحق هو ما كتبه في المسألة أهل الرباط ، بهذا أقول ولو أفتى به سحنون ، هم رجال ونحن رجال ، ذلك فضل يوتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

فنأمر الوقف عليه من عمالنا أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه ، والسلام .

كتبه سليمان بن عبد الله كان الله له .

وكان المترجم رحمه الله كثير المطالعة في كتب الفقه والنوازل والاحكام ، واللغة والعروض ، والشعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، اناء الليل وأطراف النهار ، طلق الوجه بشوشا ، حسن الخلق ضاحكا في سائر دهره ، كثير الخير للفقراء والمساكين واليتامى والارامل ، وتأنيس الغريب وتسلية المحزون ، وتنفيس كربة المكروب ، وتفقد ذوي الحقوق ، وبذل الميسور من الطعام والدراهم وغير ذلك ، لا يكترث لشدة ولا يهتم لنائبة ، واثقاً بالله ويقضي بنفسه حاجة المحتاجين ، جواداً مفضالا ، ومجلسه في التدريس مجلس علم وفهم وحفظ وبحث وتحقيق ، تروقك عبارته ، وتهديك اشارته ، وفي خطابة الجمعة لا تسمع أفصح منه ، واستخلفه شيخه الحكمي المذكور في أحكام القضاء أيام ولايته فكانت أحكامه حسنة ، وخوطب بالتولية بعده فلم يقبل ، وكان ينوب عن غيره أيضا ، وكان يجتمع مع الفضلاء الاعلام كالفقيه العلامة سيدي الحفيان الشرقي ، والفقيه الأديب شارح قافية الونان سيدي محمد بن أحمد بن الفقيه الجريري ، وكتب بيعة مولانا عبد الرحمان من تلفيقه وانشائه ، وزار والده بضريح الولي الصالح سيدي مكدول بثغر الصويرة ، وتطوف زائرا صلحاء أحوازها ، وتوجه بعد ذلك لمراكش ، فزار صلحاءها ورجع للرباط .

ولما رحل لحجه ودخل تونس ، أخذ عن الاوحد ابراهيم الرياحي ، وحضر درسه في البخاري والتفسير والتلخيص ، وكا نلقيه بالرباط أيضا ، والشيخ محمد بن الشيخ محمد بيرم في التلخيص والدرر والبخاري ، ولقي والده ، ولقي علامة القطر سيدي محمد المحجوب ، والشيخ مصطفى بيرم ، وابن أخيه الشيخ محمد ، والشيخ محمد بن الخوجة ، وسيدي محمد الآبي ، وسيدي محمد الشاذلي ، وبالغ هؤلاء كلهم في تعظيمه ، واستجازوه فأجازهم وأجازوه أيضا .

ومما خاطبه به حفيد ابراهيم الرياحي المذكور :

لا تعجبن لشرب البنّ منفــــردا	فان عذري لذي الاذهان معقـــول
في لفظك الشهد أغنى عن مقارفتي	وسكّرُ القول في ناديك مبـذول
فذاك عذر يزيل القول موقعــــه	والعذر عند كرام الناس مقبـــول

وكتب في اجازته لابراهيم الرياحي أنه أجازه في (الرحلة العياشية)، وأذن له في جميع ما تضمنتْه قائلا : وقد أخذتها من عدة طرق ، فأرويها عن شيخنا الامام المحدث الحافظ المتقن محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي ، عن راهب الامة وعالم الاسلام أحمد بن محمد الورزازي التطواني الدار ، عن شيخه محيي السنة سيدي أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي ، عن مؤلفها الشيخ أبي سالم ، ثم ذكر أن الناصري المذكور يرويها عن الشيخ جسوس ، عن سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي ، عن مؤلفها ، ويرويها المترجم أيضا عن الشيخ الرهوني ، والناصري المذكور ، عن الشيخ التاودي ، عن أبي الحسن الحريشي شارح (الشفا) عن مؤلفها ، ويرويها الناصري أيضا عن الشيخ مرتضى ، ويرويها المترجم أيضا عن الصالح الحافظ الشيخ عبد الله الجكني، عن شيخه تاج الاولياء محمد بن عبد الودود الجكني ، عن والده ، عن المحدث سيدي أحمد الخطاط ، عن الشيخ أحمد بن ناصر ، عن مؤلفها .

وقد قرظ على حاشية شيخه الشيخ الرهوني ونصه :

اللهم صل على سيدنا محمد وأزواجه وذريته وسلم .

يقول كاتبه المسرف على نفسه ، المرتجي عفو ربه ، محمد بن محمد التهامي بن محمد بن عمرو بن قاسم الاندلسي لقبا ، الاوسي نسبا ، الرباطي دارا ومنشأ ، جبر الله صدعه بمنه .

لما وقفت على هذه الحواشي التي قيدها شيخنا الامام سيدي محمد الرهوني أبقى الله بركته وقضيت منها العجب ، دعتني الرغبة في صالح دعائه ، أمنه الله بفضله الى أن قلت في مدحها وان قصرت :

قد زار طيف من بثينة في الكرى ... فعجبت مما خلته لن يذكـــرا
وبدا لطرفي من بديع جمالهــــا ... ما أدهش القلب العميد وأسكرا
وجلت محيا الدهر تحت نقابهـــا ... فامتاز ما قد كان قبل منكــــرا
واستل من بيض القواضب جفنها ... ما قد فرى ودج العنود فبكــــرا
فحسبتها شمس الضحى لكنهـــا ... تكسو الشموس محاسنا لن تنكرا

ولها يخر البدر عند تمامـــه ... أو ما ترى منه المحيا أعفـــرا

روحي فداها كم لها من نعمـــة ... عمت قصارى أمرها أن تشكـــرا

ملكت على حكم الهوى رقِّي كمـا ... حازت من العلياء ما لا يفتـــرى

فكأنها تاج على هام العـــلا ... وكأنها ماء الحياة لمن سـرى

بل فوق ما أحكيه الا أنهـــا ... عقد نفيس بالجميل تصـــدرا

قد صاغه حبر الايمة شيخنـــا ... المفرد الجمع الجموع الأنـــورا

العالم النحرير من قد خصـــه ... مولاه بالتحقيق فضلا محضـــرا

وله انتهت في العلم كل رئاســة ... حقا على الاطباق من أهل الثـرى

صدر الافاضل في الصدور محمدا ... أعني الرهونيَّ الامام الأكبـــرا

أمست حواشيه الفريدة تحفـــة ... تنبيك عنه بين ءاساد الشـــرى

تزهو بفضفاض الذيول تجـــره ... ويحق للحسناء أن تتبختـــرا

ولها أريج عاطر يجلو الاســـى ... عن كل مفؤد براه ما بـــرى

تدعو من الاكفاء قرما ماجـــدا ... هذا جمالي قد بدا فليمهـــرا

سارت مسير الشمس في ءافاقها ... فاستعظم الاعظام منها المخبـــرا

شمس تفوق الشمس الا أنهـــا ... فاعجب لها شمس تحلي المنظـرا

تهديك للسر المكتم فاغتبـــط ... بغنى اذا ما نلته لن تفقـــرا

واشدد يديك بعروة منها تقـــي ... ليل الجهالة لن يحوم بمن قـــرا

واعكف عليها كي تفوز بسرهـــا ... ودع الشواغل تمس فردا في الورى

جمعت من التحقيق كل غريبـــة ... أضحت لعين الشمس حقا مظهـــرا

اكرم بها لو لم تكن تسبي النهـي ... ببدائع تنسي المنى والمصـــدرا

وغدت بأجياد الحواشـــي درة ... بنفائس الارواح بخسا تشتـــرى

وبجبهة الشرح المرونق غـــرة ... غراء تكسوه الجمال الازهـــرا

حوت المحاسن والمفاخر جملـــة ... فغدت ثمال العالمين كما تـــرى

سبحان من أولاكما من فضلـــه ... ذخرا جزيلا بالجزاء مـــؤزرا

فاهنأ بأجر كامل من ربنـــا ... وابشر بخلد في الجنان مسـورا

واسلم لهذا العصر شمس ظلامـه ... وامامه المقصود فيما قد عـــرا

يأيها الشيخ الذي كلَّ الـــورى ... عن وصفه فثنوا مقاولهـــم ورا

جد للفتى الاوسي منك بنظـرة — يحيا بها منه ذوات اقفـرا
وتجله في جيله حتى يـرى — علما بتقديم الالاه مصـدرا
فلقد كساه الجهل ثوب مهانـة — لو لم يشنه بالذنوب تستـرا
فارحم بوجه الله بزة حالـه — وانظر له نظر الاساة المعتـرا
وعليك من هذا العبيد تحيـة — ما زار طيف من بثينة في الكـرا

انتهت، وليت فكرتي عن ذلك انتهت، اذ من المحال قطعا أن تفي بمدائح هذه الخريدة، أو أن تأتي ببعض كمالات هذه الفريدة، فانما هي منحة ربانية، ونفحة وزانية، ودين على العلماء مخلد في الطروس، وحلي واجب ان تتزين به كل عروس، وبهجة بهية ونهجة مرضيـة، والله المسؤول أن يديم بقـاء مفتض ابكارها العين، وساقي طلابها سلسبيلا من ماء معين، ويجزل له بها المثوبة الكاملة، ويلحفـه أردية العافية الشاملـة بمحمد وءاله عليه وعليهم الصّـلاة والسلام ءامين.

في 17 من صفر الخير عام 1229.

انتهى من صحيفة 354 ءاخر الجزء الثامن.

وفي ديوان المترجم إثر ذكره قصيدته القافية التي عارض بهـا قصيدة ابن ونان التي مطلعها :

تسحب في الادلاج كل خيفـق — يراء سبسب يباب سملـق

ولما تعرض لذكر الذين قرظوهـا من أيمـة المغرب قال ما نصه : وأجازه أيضاً على هذه القافية :

هذي فتوح هيئت فـي أزل — ثم بدت في علية من رونـق
أكرم بها من حلة في نسـق — أبهى وأسنى من حلي العنـق
قد صاغها الأرضـى السريُّ الالمعي — ذو الادب الغض الشهي المورق
رقّت وفاقتْ غيرها لأنهـا — في مدح خير الخلق زاكي الخلق
صلى عليه الله ما حيا الحيـا — محلولك الربع بسيل مغـدق.

وهذه القصيدة كمل نظمها في شعبان الابرك عام 1230 ، عدد أبياتها 176 ، راجعها في كناش الفقيه سيدي محمد بن الحسن المراكشي .

وقال في (الاتحاف) :

ومنهم أديبنا ابن عمـرو   أعجوبة الدهر بغير نكـر

محمد بن التهامي السابـق   ابن الفقيه الصالح الموفـق

عمرو بن قاسم بالاوسي يدعـا   أندلسي هاجر منها يرعـى

نادرة الدهر الذي لم يظفـر   له بثان في جميل الاثـر

الفاضل المشارك المحقـق   العالم العلامة المدقـق

أبو المعالي في علـوم الادب   وذو اتساع بمعال قد حُبِـي

شارك في المعقول والمنقـول   وفاق أهل العصر من فحـول

كان عجيب الحال علما ودهـا   وأوحد الدهر ذكاءً نزهـا

أخذ عن أهل الرباط وسـلا   ومن بفاس فعلا وحصـلا

وكان من عمده ابن الحكمـي   أحمد ذو الفضل الغزير الافخـم

وبأبي الجعد أبو حفص عمـر   وغيره من كل خريت بهـر

وظهرت ءاياته بكل فـن   ونقرت نغمته بكـل رن

ونظم الشعر العجيب ونثـر   لولاه لم يعرف رباط بعبـر

أصيب بالنقرس في المفاصـل   وكاد أن يكون كالمستأصـل

فنقرت امرأة بـداره   وطلبت أخباره بأمـره

قالت رأيت قائلا في النـوم   قل لابن عمرو لن ترى من لـوم

ان مدح السلطان بالقريـض   تعني أبن عبد الله بالتعريـض

قال فقصها لبعض الفضـلا   قال امدحن خير الملوك النبـلا

قال ابن عبد الله أعلا من ملـك   هذا الوجود مطلقا وقد سلـك

نبينا محمدا خير المـلا   صلى عليه ربنا كما تـلا

فنظم الشعر البديع القافيـة   الحائز السبق بخير البريـة

وحصل الشفا له والمكرمـة   وأول النظم غريب فاعلمـه

تسحب في الادلاج كل خيفـق   يرأء سبسب يباب سملـق

جلت عن الوصف وجل حسنهـا   وبعدت وقربت من النهـي

ثم قال :

وقد تفانى في مديح المصطفى / فجل قدره بما قد وصفا
ونال فوزا لم ينله مرتضى / رأى النبي قائلا لك الرضى
متمما ءاخر بيت منها / لما انتهى القول بها فأنهى
وقوبلت بكل أرض المغرب / بأجمل الوصف العجيب المطرب
وصح جسمه فنال الفرجا / وعظم الشوق به مثل الرجا
فشدّ رحله لأرض المشرق / والعمر منه في الشباب المورق
فلم يزل يروي ويلقى العلما / ويحرز السبق بما قد عظما
حتى غدا شمسا بأفق العلم / ما بين غربه وشرق أعظم
وحل في أرض الحجاز نيرا / يروي السنا عن كل من قد ظهرا
ومر ذكر ذاك مع مرافقه / محمد بن عيسى أعظم فقيه
وظل في مصر مع الحجاز / أربعة الاعوام في اعتزاز
وختم الله له بالحسنى / مكرما لدى المقام الاسنى
دفن بين خير أم الخلق / وزوجه ذات السنا والسبق
خديجة لدى المعلى الأنور / فحبذا الفخر الجميل المخبر
عام ثلاثة وأربعينا / من ثالث القرون خذ يقينا
وعاد خدته ومن يرافقه / بكتبه وما حوته ورقه
وكلها علم وجيد يغزر / ولمع ونكت قد تندر
وفيها ما أسند من شرق وغرب / وما حوته رحلة وكل عجب
وهي بنحو عشرة الكرارس / ومنها ما حذف أو بعد نُسي
اذ لم يكن مجمعها المؤلف / وانما أبرز منها نتف
وعلق الشرح على منظومته / كشفا لما انغلق من قافيته
وحاله يفرد بالتأليف / وخبره يخص بالتصنيف
وفي الذي أبديته كفاية / لذى النهي محصلا للغاية

انتهى .

توفي رحمه الله بمكة المكرمة سنة أربع (1) وأربعين ومئتين وألف ، بعد أن خرج من الرباط للحج في 10 ربيع النبوي عام 1243 (2) وألف فهرسته ورحلته .

801) محمد بن الطاهر العلوي المدغري

محمد بن الطاهر بن محمد بن مَحمد بن السعيد بن مُحمد بن مَحمد بن قاسم بن مولانا الحسن العلوي المدغري ، العلامة المحدث الحافظ دفين مراكش .

ولد سنة 1185 خمس وثمانين وألف ، وأخذ مبادىء العربية عن علماء سجلماسة ، ثم انتقل الى فاس واستوطنها ، وأخذ عن سيدي حمدون ابن الحاج وطبقته ، وشاركهم في الاخذ عن شيخ الجماعة سيدي التاودي ابن سودة ، واعتمد عبد القادر ابن شقرون ،ومحمد الطيب ابن كيران في عدة فنون ، وكان علامة محدثا حافظا محققا ، له مشاركة تامة في جميع الفنون ، ماهرا في التفسير والحديث وعلوم العربية مع الاستغراق في الاعتناء بالمطالعة والافادة ، ومحبة الاولياء والصالحين ، والمجذوبين والسالكين .

أخذ عنه سيدي الطالب ابن الحاج مترجمه في (الاشراف) ، والاخوة الثلاثة : الفقيه العالم النسابة الدراكة مولاي الزكي مؤلف (المطالع الزهراء ، الجامعة لأسماء بني الزهراء) ، ومولانا الصديق ، ومولانا الحبيب العلوي .

وقال تلميذه الوزير محمد ابن إدريس في قصيدة يمدح بها مولانا عبد الرحمان ، وقد ختم صحيح البخاري ، وكان المترجم اذذاك هو الذي يحقق روايته ، ويحسن درايته في الحضرة منها :

فالزم على شيخ تحقق درسه ... أفهامه للمشكلات ظهور
وادأب على تحصيله بأصوله ... واحفظ فحفظك للحديث نصير

---

1) هذا يتنافى مع ما سبق فى النظم المتقدم من انه توفي (عام ثلاثة وأربعين) الخ .

2) لعل خروجه من الرباط كان عام 39 أو 1240 لما تقدم فى النظم السابق من انه بقي فى مصر والحجاز اربعة أعوام

واذا ظفرت بمثل شيخي محمـــد وأتاك في تقريره التحريــــر
تبدو لك الاسرار وهي سوافــر وتلوح من خلل التراجم حــور
فاذا وردت وردت أعذب منهــل يروي نداه المعتفي ويميـــر
لو لم يكن فرد الايمة ما أعتنـي بحضوره في درسه المنصـــور
شفع الصيام بدرسه فبدا لـــه من فهمه بدجى الغوامض نـــور
كلفا كعادته بكل فضيلـــــة وعناية تذكي الحجا وتنيـــر
قد فاح مسك ختامه بختامـــه وتضاعفت في الطاعتين أجـــور
وبدا القبول على الحضور وكيف لا وجنود أملاك السماء حضـــور
نشر العلوم بدرسه متواتـــر ووجوده بوجوده ميســـور
قد شاد للعلماء فيه مفاخـــرا وسما لديه الماهر النحريــر

وعدتها سبعة وثلاثون بيتا ، راجع تمامها في ديوانه .

توفي المترجم رحمه الله بحضرة السلطان بمراكش ، وأقبر بضريح مولاي علي الشريف بها في منتصف جمادى الاولى عام 1248 ، وصلى عليه اماماً ، العالم السيد الهادي الامراني امام الضريح الادريسي في اليوم الذي دخل فيه مراكش .

قال تلميذه مولاي الزكي المذكور : استوزره امام وقته مولانا عبد الرحمان بن هشام ونوه به ، ولازمه في حضره وسفره الى أن توفي بمراكش .

802) محمد التهامي بن حمّاد الحمادي المكناسي

محمد التهامي بن الولي الصالح سيدي حماد بن عبد الواحد الحمادي من آيت حمادي ، فخذ من بني مطير الشهير بالمكناسي قاضي مراكش وخطيبها، ومدرس العلم بها ، وآخر حفاظ المغرب الفقيه العلامة المشارك أبو الفتح ، أخذ عنه العلامة سيدي الوليد العراقي الاجرومية ، والألفية ، والمرشد المعين كما في (الدر النفيس) له .

وممن أخذ عنه سيدي الطالب بـن الحاج ، وسيدي محمد بن عبد القادر الكردودي ، وسيدي محمد ، وقفت على أستدعائهم الاجازة منه ، واجازته

لهم اجازة عامة مطلقة ، ومنهم سيدي الحاج عمر ابن سودة كما صرح بــه في اجازة شيخنا السباعي ، ولسيدي محمد ابن الحاج أبيات يستعطف بها المولى سليمان في حق المترجــم مذكورة في ديوانه في الامـــداح السلمانيــة ، ووالده مترجم في (السلوة) في الجزء الثاني ، وقفت للمترجم على خطابه في رسم مؤرخ 1246 .

توفي رحمه الله برباط الفتح منعطفاً الى فاس من مراكش يوم الاربعاء حادي عشر صفر عام تسعة وأربعين ومئتين وألف ، أو في التي قبلها عــن أربع وستين سنة ، وفن بدويرة بالزاوية الناصرية بحومة أبي القرون .

وممن أجازه من أشياخه : سيدي إدريس بن زين العابدين العراقي ، والشيخ الطيب ابن كيران ، وأخذ المترجم عن العلامة سيدي أحمد بن الشيخ التاودي ابن سودة ، كما صرح به تلميذه الحاج عمر ابن سودة .

ومن شعره مخاطبا للسادة الفاسيين ، ومادحا كما في ترجمة أبي القاسم بن أحمد الفاسي من (السلوة) :

أبي الجود الا أن يكون لكم عبــدا ... ولا العرف الا من أناملكم يســدى
ملكتم ملاك الفضل قدما وحادثـــا ... فأضحت اليكم كل مكرمة تهــدى
ولو نسبت يوما لغير جنابكــــم ... لكان على وجه المَجاز حوى بعــدا

وكان رحمه الله شيخ مجلس قراءة الصحيح بين يدي السلطان ، وكان شيخ المجلس المذكور السيد العباس ابن كيران المتولد في نصف ذي الحجة عام 1220 من عام 1253 الى 5 قعدة عام 1271 ، وسيدي عبد القادر الكوهن قبله من عام 1249 إلى 1253 ، ثم سيدي المهدي ابن سودة ، ثم سيدي أحمد ابن سودة المتولد ليلة الثلاثاء 29 رجب عام 1241 ، من عام 1294 الى أن مات رحم الله الجميع .

803) محمد بن سيدي محمد ابن أبيج العلوي

محمد بن سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن الفغ (1) سيدي أحمد بن محمد بن القاضي عبد الله بن الطالب بن حبيب بن أبيج من قبيلة إدوعلي ، ينتهي نسبه الى يحيى العلوي الجد ، الجامع لاكثر القبيلة في تلك البلاد .

قال في (الوسيط) ما نصه : برع في عنفوانه في العلوم ، وصرف همته الى نظم الشعر ، وبلغ صيته في قطره مبلغا لم يبلغه أحد ممن عاصره ، فاذا قيل ابن محمد خضعت له رقاب الأدباء ، وفطاحل البلغاء ، وأنا أسوق عنه بعض ما يبرهن عما ذكرت ، وغطت شهرة شعره على علومه ، مع أن له اليد الطولى ، في العربية والفقه ، وكان ينظم القصيدة فيقدمها الى العلامة بابَ بن أحمد بيب العلوي ، فينشده إياها ، فيأمره بسترها ، فيمتثل أمره ثم يعود إليه بغيرها ، حتى قال قصيدته التي رثى بها محمد الدنبج التندغي وهي :

لا عذر للقلب أن يقني السلو ولا ... للعين أن تبق في آماقها بللا

فانشده إياها فاستحسنها، وجعل يزحف عن مجلسه استحساناً لها، وهي في غاية الانسجام ، ومنها بعد المطلع :

إن النعي بفيه الترب فاه بما ... أسهى وأسهر من تبريحه المقلا
رمى القلوب بما لو كان صادفه ... رضوى ولبنان دهدى منهما القللا
نعى محمدنا الناعي فقلت له ... هلا عطفت عليه العلم والعملا

ومنها يخاطبه :

ياهالكا وقسنيُّ الموت ما برحت ... ترى وأغراض رامى نبلها النبلا
ان تعتبرها قنى أم اللهيم لكم ... نفست معضلها المرهوب ان نزلا
أو سرت عن هذه الدنيا الغداة لقد ... سارت مزاياك في اقطارها مثلا

1) أي الفقيه بلغة مغاربة شنجيط ، وينطق مغاربة الشمال الفقيه الفقي

نفاد زادك من دنياك زودنـــــا حزنا وان كنت مسرورا به جـذلا
ووردك الموتَ روانا الزعاق وإن رواك مورده الصهباء والعســلا

ومنها يخاطب قومه ، وكانوا يلقبون بحلة أربعين جوادا :

ياأربعين جوادا ان حسبكــــم لطف المهيمن فلترضوا بما فعـلا
ولتذكروا الرزء لا ضاعت أجوركم بخاتم الرسل تنسوا خاتم الفضلا

ولما نبغ محمد طار صيته في ذلك القطر ، وكان صغير السن يدهش الناس بسلاقته وحدة ذهنه ، وكان محمد بن الطَّلْبَ المشهور في تلك البلاد موجوداً إذذاك فاجتمع به يوماً ، فانشده قصيدته التي يقول فيها :

فيمن أهيم بها لاموا ولو هامـوا بمن أهيم بها يوما لما لامـــوا
هام الفؤاد بمن لولا ملاحتهـــا ماسفهت من ذوي الاحلام أحـلام
هام الفؤاد بخيت الناس بحت بها اذ في الكناية تلبيس وابهـــام

حتى أتى على آخرها، فقال له مَحمد المذكور : الحمد لله الذي جعلك في غير زمني ، وكان مَحمد إذذاك شيخاً كبيراً ، ولما حدقت إليه العيون نزعته أعراقه إلى طاعة الله والتفكر في أمر الآخرة ، فاشرأبت نفسه الى حج بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فوازره على ذلك صديقه وابن عمه ، سيدي أحمد بن حرمة بن الصبار العلوي ، وكان فاضلا عاملا ، وكان لهما ابن عم آخر ، فوافقهما على ذلك ثم بدا له فيه ، فجلس وجعل يثبط همة محمـد فقال فيه :

يامشفقا من رحيلي لج في كمـد هل أنت من دون ربيء آخذ بيدي؟
أمسى يفندني فيمـــا أرى وأرى مفنِّدي فيه منسوباً إلى الفَنَـد
دعْني وعزميَ والبيدا وراحلتـي وما جرى من بنات الفكر في خلدي
الله حسبي لا ألوي على أحـــد كلا ومثلي لا يلوي على أحـــد
وعمدة العزم مني لا يحل بهـــا حل اذا حل عزم محكم العقـــد

وقال أيضا لما عزم على الحج :

تجلد جهد نفسك للفـــــراق ... وكفكف غرب سافحة المآقـي
وجرد من عزيمك ما يـــوازي ... مترات المهندة الرقـــاق
ونكب عن مقال أخي الهوينـــا ... وعنها فهي خاسرة الصفـــاق
وعن باك وباكية أراقـــــاً ... دموعا ليس واكفها بـــراق
الى البيت العتيق بنص احـــدى ... عتاق الكوم أو أحد العتـــاق
بنص شيمِلَّة تعدو بعالـــي ... قراها عدو منفرد لهـــاق
أجادت خلف غاربها بنـــاء ... يدا صفو المراتع والمســاق
تباري الريح جافلة وتطـوي ... عريضات الفلا طيَّ البطـاق
لو أرسلها وقد لحقت كلاهـــا ... على خرجاء أيقن باللحــاق
فلا تبرح تروح بها وتغـدو ... وتدلج لاتناخ سوى فـــولق
الى أن تستحيل على حنايـا ... فقار الظهر لاصقة الصفـــاق
وتحسبها اذا بغمت لغوبـــا ... من الادلاج ثاغية العنـــاق
وعاشر كل منتدب ليرقـــى ... من ابنية العلى صعب المـــراق
به حملت مفزعة نــــوار ... على الأحكام من حبك النطـــاق
أأحبابي أعاد الله منـــــي ... ومنكم بعد فرقتنا التـــلاق ؟
الى أرض الحجاز أحلت عنكـم ... صفيحة وجه وجدي واشتياقـــي
سلوت أحبتي واشتاق قلبـــي ... بتلك الارض لا نُجْلَ الحــداق
ولا بيض الترائب والثنايـــا ... مديرات الجمان على التراقـــي
بزمزم غلتي تغلي فمن لـــي ... بكأس من مدامتها دهـــاق
صفا نفسي الصفا ومني مناهـــا ... وبالجمرات قلبي ذو احتــراق
الا ياركب حقق ما رجوتـــم ... على حسن التلاطف والوفـــاق
ثقوا بالله واعتصموا وسيـــروا ... خفافا فالمهيمن خيــــر واق
فلا الاقدام يجلب ما كفينـــا ... ولا الاحجام يصرف ما نلاقـــي
وشدوا الميس من قود النواجـي ... بجنبي كل يعملة دفـــاق
وذوقوا السهد فوق ذرى المطايـا ... لذيذا والكرى مر المـــذاق
وشجوا البيد عازفة النواحـــي ... وجنح الليل منسدل الـــرواق

وخوضوا في الهواجر كـل آل — طمى والشمس لافظة البصاق
وأن عرض العتاب بمنشآت — مواخر لا تزال على اختراق
هوابط من جبال الموج طورا — وطورا في بوادخه رواق
اذا جاشت دواخنها تناهت — صواعدها الى السبع الطباق
نجائب لا تعرس في مبيت — ولا ترعى ولست لها بساق
الى حيث النجاح وحيث يغدو — أسير الذنب مفكوك الوثاق
وحيث تنيخ حامدة سراها — لدى الاصباح مدلجة الرفاق
وحيث نطوف سبعا ثم نسعى — ونسرع للمواقف في استباق
ونشعر بعد وقفتنا ونرمي — ونأوي للمحلق للحلاق
ونرجع للطواف وقد أرقنا — دماء المشعرات من النياق
ونمضي يومنا بمنى فنقضي — بلا عجل ليالينا البواقي
فان طبنا بطيتنا نفوسا — تنادينا لطيبة بانطلاق
فوافينا الحبيب وذاك أوفى — وأوفر ما نؤمل من خلاق
ودرنا بالقباب كما أردنا — ودرنا بالنخيل وبالزقاق
الا يانعم طيبة والعوالي — وحيطان الحدائق والسواقي
هي الدار التي شرفت وتاهت — على شام المواطن والعراق
على من صاغ منصبه حلاها — وساق لها العلا كل المساق
صلاة الله ما لبى حجيج — وما حم اللقا عقب الفراق

ولما وصلا الى مراكش ، نزلا عند محمد الامين بن أبي ستة ، وكان من المقربين عند السلطان مولاي عبد الرحمان ، فلم يوصل خبرهما من أول الأمر الى حضرة السلطان ، فقال :

هل حامل أسنى السلام كله — لحامل الملك وعبء كله
ومتولي عقده وحله — وواضع الامر على محله
من لا يجود زمن بشكله — ولا يرى عدل عديل عدله
مأوى الغريب ومحط رحله — وملتقى نزوله ونزله
قضى له الله بجمع شمله — ووطء من خالفه بنعله

وعز الاسلام وعز أهلــــــــــه ... ودام خفض العيش تحت ظلـــه
ما يرتجي سائله من بذلـــــه ... موجبه لازال فوق سؤلــــه
ما يرتجي أمثالنا من مثلـــــه ... انا نرجى من جميل فعلـــه

ولما أبلغ ابن أبي ستة خبرهما الى السلطان أمر باحضارهما ، فلما سلما عليه واستقصى خبر الجهة التي قدما منها أنشده قصيدتيه الآتيتين ، وكان السلطانُ رحمه الله شديدَ الاهتمام بأقصى المسلمين من أهل مملكته (1) حتى أنه يعلم أهل الخير من كبار أهلها وأهل الشر ، ولما أنشد القصيدتين استحسنهما السلطان ، وأولاهما :

هل في بكا نازح الاوطان من باس ... أم هل لداء رهين الشوق من آس؟
أم هل معين يعين المستهام علــى ... ليل كواكبه شدت بامــــراس ؟
آه لمغترب بالغرب ليس لــــه ... جنس وان كان محفوفا بأجنـــاس
على الامام بفضل الله يمنحـــه ... رحمى فيكشف غم الآسف الآسي
أقول والركب محزون بوحشتنــا ... صبرا فكم وحشة أفضت لايناس
اذا وضعنا بأرض الغرب أرحلنـا ... راح الرجاء علينا طارد اليـــأس
اني كفيل بنيل السؤل لي ولكـم ... اما بمراكش المحروس أو فـــاس
أمامنا في كلا المصرين نورهمـــا ... امامنا المستماح المطعم الكاسـي
خليفة المصطفى وهو ابن بضعته ... ثوبا من المجد لم يعلق بأدنـــاس
الله منك حقوق الناس قلدهـــا ... يقظان لا غافل عنها ولا نـــاس
عَمَّرتَ عُمِّرت من عهد الشريعة ما ... باض النعام بدور منــــه أدراس
داركتها بعد ما مالت دعائمهـــا ... فاستحكمت واطمأنت فوق آساس
وافاك ركب تعاطوا من نعاسهـــم ... على متون المطايا قهوة الكـــاس
حثوا جلاس المهارى لا يرون على ... منابر الميس منها غير جـــلاس
حتى برى السير منهم كالقداح ومنـ ... ـها كالقسي حنتها كف قـواس
فواسنا بلقا ما اعتيد منك ومــا ... فضل المقالة الا قولنــــا واس

1) وهذا دليل على مغربية الصحراء

وحقق الظن انا سوف تحملنـــــا ... على مجوفة الحيزوم كالـــــراس

لها دخان حريق الغاب ازعجـــه ... أنف الجنوب بأنفاس فانفـــاس

واسمح لنا بدعاء منك صالحـــه ... بيمنه يسهل المستعصب القاسي

والقصيدة الثانية :

ألمتْ بنا أهلا بها أم سالـــــم ... على نأيها أم تلك أحـلام نائـم ؟

ألمت بنا وهنا وقد ضرب الدجا ... علينا خباء في متيه المخـــــازم

ألمت بشعث في الفلاة توســـدوا ... مرافق خوص كالسهام سواهـــم

نضونا على انضائها من عزيمنـــا ... سواهم أمضى من شفار الصوارم

وجبنا عليها مهمها بعد مهمـــه ... الى ابن هشام كي نزور ابن هاشم

الى أن انخناها لديه ولم نكـــن ... كمن عاقه عن ذاك ضعف العزائم

خليفة مصباح الهدى وحفيـــده ... ومحيي عافي ربعه المتقـــادم

غيور على بيضاء سنته التـــي ... أبيحت لها لولاه كل محـــارم

فكم غض عنها طرف من رام طرفها ... بغض وكم قد كفّ من كفّ ظالم

أنام عيون الناس تحت عدالـــة ... وقت رجل ساري الليل لدغَ الأراقم

ومنها يخاطب السلطان :

تعاظمنا هول الطريق ومنكـــم ... عظام اللهى نعتاد دفع العظائـــم

وثقنا بري حين أمت ظماؤنـــا ... موارد طامي بحرك المتلاطـــم

ومنهـا :

أمولاي لا زالت مدى الدهر منكـم ... حصون المعالي عاليات المعالـــم

ولا برح التقبيل شغل أكفكـــم ... وأقدامكم تحذى أديم الجماجـــم

فأصبح ثغر الارض سوقا وأصبحت ... مآسدها مرعى المخاض السواهـم

حماها حماه الله ان تستبيحهـــا ... من أعدائها دهم الدواهي الدواهم

وبشرنا أن سوف تأتي ركابنـــا ... أبا فاطم انا أتينا ابن فاطـــم

على جده في كل بدء ومختتـــم ... مبادي صلاة ما لها من مخاتـــم

وقال أيضا يخاطب ابن أبي ستة ، ويسأله التوسطَ في أمر السلطان :

أثار من التذكر حيـــــن زارا ... خيال من أميمة ما أثـــارا
سرى بعد الهدو فما أعيـــرت ... قلوب العاشقين كما أغـــارا
وكم بعث الخيال لذى انتـــزاح ... نزوعا للأحبة وادكـــارا
الا أهلا بها ولو استحالـــت ... على قرب زيارتهـــا ازورارا
لئن أنأى أميةَ ما اعتسفنـــا ... رواحا بالنجائب وابتكـــارا
فقد أدنت مباراة المطايـــا ... نوافخ في البُرى مَن لا يبـــارا
ازارتنا الفقيه فانصفتنـــا ... من أيدي النأي إذ مطـل المزارا
وغادر طيها نشر الموامـــي ... اليه طي حاجتنا انتشـــارا
قد أهدى الدهر اذ اهدى الّينـــا ... لقاه من أساءته اعتـــذارا
إلى مثل ابن أحمد فلْيسافـــرْ ... أخو العزمات أو يدع السفـــارا
همام سل صارمه ليحمـــي ... من الحق الحقيقة والذمـــارا
أبى نور الهداية من يديـــه ... لمحيار الضلالة ان يحـــارا
وشيد للحقيقة من زوايـــا ... تعاطي الذكر أرفعَها منـــارا
له خلق يدير مدى الليالـــي ... عليها من معارفه عُقـــارا
سرى لمحمد في الأرض حمـــد ... يسير به المسافر أين سارا
حكمنا فيه بالخير امتداحـــا ... الى أن أصبح الخبر اختبـــارا
فأبصرنا شواهد ما سمعنـــا ... كمفتوق الصباح اذا استطـــارا

ومنهـا :

أسيدنا النبيه ومن تحلـّــى ... بما فضح الجواهر والنضـــارا
أسارانا ببابكم فبـــادر ... الى تخليص إخوتك الاســـارى
ودارِكْ بالنجاة ذَماءَ غرقـــى ... قد اقتحموا بما اقتحموا بحـــارا
أطاعوا أمر غيهم ولجـــوا ... غرورا في عمايتهم سكـــارى
فانهم وان شطحت نواهـــم ... لجارك فارع حق من استجـــارا
رعاك الله من راع نصيـــح ... رعاية من قد أودع واستعـــارا
وبارك فيك ربك من خديـــم ... قد أحسن في أوامره ائتمـــارا

ومنهـــا :

أمتخذ الهدى خذها هَدِيــــــاً   بدت في زي فارهة العـــــذارا
تغض الطرف من خجل وتدنـــى   عليها من مهابتك الخمـــارا
قد أكسبها فخارك حين زفـــت   اليك على نظائرها فخـــارا

وقال أيضا يصف ليلة سهرها عنـد بعض أفاضل أهـل مراكش ، ويصف ما اعتراهم فيها من السرور ، ويصف منزل صاحب الدعوة ، وكيفية شرابهم للشاهي (1) :

ياليلة راح فيها عازب الوطــــر   بات الصفاء بها يسطو على الكدر
طابت مجالسنا فيها وخامرنـــا   حسن السرور على موضونة السرر
اذ بات أحمد يسقينا على مهــل   أشهى من الراح في أبهى من الدرر
في منزل تتعب الافكار عبرتهـــا   فيه كما يتعب الابصار بالنظـــر
فيه النهار عشاء والمعائــش والأ   نهار تجري وفيه مثمر الشجـــر

ثم إنه رحمه الله بعد مقابلة مولانا السلطان عبد الرحمان وحفاوته به وبمن معه ، ركبا البحر متوجهين الى الحرمين الشريفين ، وفي الركب ابن أبي الشيكر (2) (بكاف معقودة) قائد أبناء أبي السباع ، فبدءوا بالزيارة ثم قضوا حجهم ، فتوفي رحمه الله بين مكة وجدة ، ولم نعثر له على نظم فى الحجاز سوى بيتين قالهما لابراهيم القاضي صاحب الصولة في الينبوع وضواحيه ، وكان تلقى ذلك الركب بما ينبغي وهما :

ياقاصدا بطحاء مكة يرتجـــى   نيل الطواف ببيتها المرفــــوع
لا تخش من ينبوع حاجك غـورة   ما دام ابراهيم بالينبـــــوع

---

1) **الشاهي** هو الأتاي ، وقلت فيه فى حدود العشرين وثلاثمئة وألف :

الشاي ذاب نضاره فى الكاس   وغدا كلوني عاطر الأنفـــاس
فاشربه طاب مذاقه وحلا وطب   من طيب عنبره بروض غـــراس
دع عنك خمرا مر طعم مذاقهـــا   وتثير حرب الفتية الجـــلاس
واشربه من خود بهاء جمالهـــا   تسبي القلوب بقدها الميـــاس

(مؤلف)

2) تقدمت ترجمته ، انظر 2 : 417 ع 292 من هذا الكتاب

وقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هاج التفرق فاعذليني أو دعـــي ... شوقا أصم عن العواذل مسمعـــي
لا تنكري مني الشحوب فهكـــذا ... فعل الفراق بكل صب مولـــع
ان الاحبة أودعوا اذ ودعـــوا ... في القلب شجوا لم يكن بمـــودع
كيف السلو خلافهم أم كيف لـي ... بالكف بعد نواهم من مدمعـــي ؟
باتوا فبت بليلة لم تنكشـــف ... من بعدهم وبمقلة لم تهجـع
بانت ببينهم الرباب وخلفـــت ... بين الجوانح غلة لم تنقـــع
دار الرباب اربٌ فيك على الربـى ... ينهل مرتجس الركام الممـــرع
حي الالاه زماننا اذ لم يـــرع ... فيك الصدود ولا نعيب الا بقـــع
دهر مضى جمعت لنا أيامـــه ... شمل السرور فهل له من مرجـع
أم هل تقربها النجائب ان تـــرح ... عوجا سواهم جائلات الانســـع
من كل مجفرة لها بعد الونـــى ... عدو الهجف أو الاتان الملمـــع
يانفس قد ولى الشباب وأنت عن ... غي البطالة والصبا لم تنـــزع
قد تعلمين مصيرَ أمرك فارعـوي ... فالعلم محض الجهل ان لم ينفـــع
والموت منتظر اللقاء وذو الحجـا ... متأهب للقائه المتوقـــــع
ما لي أشاهد كل حين عبـــرة ... وعن الغواية سادرا لم أقلـــع
وارحمتا لاسير ذنب تاه فـــي ... ظلم الضلالة عن قويم المهيـــع
اني فزعت وفكرتي جعلت الـــى ... خير البرية مشتكاي ومفزعـــي
انسان عين الكون غرة وجهـــه ... حاوي التفرد بلمقام الارفـــع
ذو الرتبة العليا التي ما للـــورى ... من مطمع في نيلها من مطمـــع
باب الالاه ومصطفاه لســـره ... وسراج حجته الذي لم يقشـــع
من خصه بحلى الكمال الاهـــه ... والكون واقع أمره لم يوقـــع
والى اسمه ضم اسمه شرفا لـــه ... من قبل حيعلة المنادى المسمـع
وبه توسل الانبياء الى الـــذي ... حازوه من سر النبوة أجمـــع
أسرى الالاه به وأودع صـــدره ... في ستر جنح الليل أشرف مودع
يامولد الهادي لشهرك نفحـــة ... أرج الزمان بنشرها المتضـــوع

أكرم بمولد ذي الختام بيومـــه وبشهره وبعامه والموضـــــع

حليِيَ الزمانُ به كما حليَ الربى بالروض اثر الساريات الهمـــع

لله أكملُ خلقة وخليقـــــــة مُنِحا لصفوة هاشم ومُجمَّـــع

بحر اذا ورد العفاة وان بـــــدا فالبدر ماضي عشره والأربـــع

يغشى الهياج اذا التظى متبسمـا والبيضُ تلمع والفوارسُ تدَّعي

والخيل ثائر نقعها من نسجـــة وجه الغزالة مدرج في برقـــع

في سرج مشرفة التليل طِمِـرَّة أو سلهب ظامي المفاصل جرشع

حطم الاعادي حطمة جنحت بهـم لتبذل من بعد طول تمنـــــع

وبها غدى من أبي السجود لربـه وله سجود بعدها لم يرفــــع

قتلى تنازع في الوغى أشلاءها بين الجيوش جيوش طير وقـع

فغدت حصون الشرك رسما داثرا لعبت به أنفاس ريح زعـــزع

لم يبق فيه المصطفى من قيصـر كلا ولا كسرى ولا من تبـــع

بهدى الكتاب دعا فمن لم يرتـدع بهدى الكتاب فبالكتائب يـردع

فِرقٌ هُدين به ، وأخرى حُمِّلت من سيف سطوته الذى لم تسطـع

لاتال مدحا للنبي وبَلْه (1) مـا تدري النصارى في المسيح وتدعـي

* * *

ياخيرَ مَن حمل المطيُّ ومن به زجر العتاق بلامعات اليلمـــع

أثنى عليك إلاهُنا فلتعتــرف بقصورها فِكَرُ البليغ المصقـع

اني بمدحك استجير واننـــي منه لفي الحصن الحصين الامنـع

فأمنت طارقة الحوادث وانثنـت عني دواهم كل خطب مفظـــع

وبك احتميت من المكاره فاحمني وبك استعنت على الزمان فكن معي

لتكن معي عند الممات وكن معـي عند السؤال وكن معي في مضجعي

لتكن معي يوم الجزا ان قدمـت نفسي لما صنعت وما لم تصنـع

صلى الاله عليك ما صدحت على فنن مطوقة الحمام السجـــع

---

1) بـلـه : اسم فعل بمعنى اترك

ومن غرر قصائده قوله يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا :

زارت عُلَى عُلى شحط النوى سحرا ... فاعتاض جفنك من عذب الكرى سهرا

زارت فبأت نظام الهم مجتمعـــا ... شوقا وبات نظام الدمع منتثـــرا

فالقلب يغلى وجفن العين يسعده ... بمدمـع كلمـا كفكفته انحـدارا

يارب مشتبهات لا منار لهـــــا ... من خاضها ركب الاهوال والغررا

خاضت الي ودوني من هوائلهـــا ... ما يستتيه عن القصد القطا الكُدُرا

زارت معرس سفر بعدما ارتحلوا ... شهرا رواحا وتهجيرا ومبتكـــرا

تهوى بهم راقصات العيس طاوية ... أخفافها من عراض البيد ما انتشرا

تعلو الهضاب وصم الصخر حافية ... ما ان ترى نقبا فيها ولا دبـــرا

بزلا سما النيُّ في أثباجها وعلـى ... غربانها لبدت اذنابها الخطـــرا

عهدي بها لم تزر جاراتها كســـلا ... واهاً لها كيف باتت تسلك الوعرا؟

باتت تشق ظلام الليل نحوهـــم ... ياعظم ما كلفت أوصالها الفتـــرا

ما انس لا انس والايام مولعـــة ... بفرقة الشمل اذ خالستها النظـرا

فأومأت بكحيل الطرف باسمـــة ... نحوي لكيما أرى أن الرقيب يرى

أيام أحسو رحيق الوصل آمنـــة ... نفسي ان أحسو سمَّ الصرم والصبرا

ما كنت أحسب هذا الدهر تحدث لي ... احداثه من ليالي صفوه كـــدرا

اني اذا الحبل أمسى من علية ذا ... صرم وأمسى تدانيها نوى شطرا

عديت عنها وعن جاراتها وخـــدت ... بي نجبُ فكريَّ للمختار من مضرا

من يشغل الذهن منه في محاسنه ... يستقبح اللعس المعسول والحورا

لما برى كبدي ما قد جنته يـــدي ... يممته صارفا عن غيره البصـــرا

وجهت وجهي الى خير الورى وأرى ... لنفسي الفوز بالمطلوب والظفـرا

وجهت وجهي الى مغنى الفقير ، ألا ... أني لمعروفه من أفقر الفقـــرا

وجهت وجهي لذي الخلق العظيم وذى ... المجد الصميم عديم الشكل والنظرا

وجهتُ وجهي لمحمود المقام ومة ... ـصود الأنام إذا الخطبُ الجليل عرا

مولى الشفاعة في الهول العظيم اذا ... ما صد عنها جميع الرسل واعتذرا

منير صبح الهدى للمهتدين بـــه ... من بعد ما جن ليل الكفر واعتكرا

به الى مهيع الحق اهتدى نفـــر ... وضله نفر من قوله نفـــــرا

قد اخرست عن مقال الحق السنهم ... والضب أخبر لما استخبر الخبرا
وخالفوه ففاض الماء منفجرا ... لما دعاه ونادى فاندعى الشجرا
والشمس عن صوبها ردت له وله ... قد أسبل المزن لما استمطر المطرا
من آيه وكفى القرءان معجزة ... ما كان من خارق في بدئه ظهرا
يكفيك أن إلاه العرش صوره ... كما يشاء ومنه صور الصورا
لا لا تقس بالورى الماحي فذو خطأ ... من قاسه بالورى لو لم يكن بشرا
أثني عليه بما قد كان ناسبه ... رب العباد فماذا يبلغ الشعرا
أهدى اليه قديما من بدائعه ... كعب وحسان والهمزي ما كثرا
أسدوا به وأناروا ثم ما بلغوا ... كلا لعمرك من معشاره العشرا
لكن أتوا فيه بالقدر الذي اقتدروا ... قبلي فهلهلت أقفو منهم الاثرا
لا يوجد الدهر الا راكبا خطرا ... أو قائدا شقرا أو طاردا أخرا
أو قائدا عسكرا أو مفنيا زمرا ... أو قارئا سورا أو قائما سحرا
ما زال يغزو وجند الله يؤزره ... والنصر يصحبه في كل ما شجرا
حتى استبد وبز الكفر دولته ... بالغزو واستعبد الاشراف والامرا
واصبحت ملة الاسلام واضحة ... وعم نور هداه البدو والحضرا
قد انكروا ما أتى البر الصدوق به ... والبر أنزل تصديقا له السورا
من صد عن ءايه العظمى أعد له ... بواتر الهند والخطية السمرا
والجرد جرد المذاكي القود حاملة ... ربداً ضراغم في زيٍّ الورى جسرا
مستلئمى حلق الماذي يقدمهم ... شاكي السلاح يهز الصارم الذكرا
ثبت الجنان وموج البحر ملتطم ... والحرب رامية من شهبها الشررا
يخوض ثم بحار الموت مبتسما ... تلك الجراءة بله الضيغم الهصرا

هذا ما بقي في الخاطر منها ، وربما وقع فيها تقديم وتأخير .

ومن بديع قوله في الغزل :

ولت ليال الينا ساقها الزمن ... ما سيق من بعدها للاعين الوسن
ولت سراعا وولى البشر يتبعها ... عنا وأقبل من ادبارها الحزن
ولت فقائم ركن الصبر منهدم ... من بعدها ومصون الدمع ممتهن

قد غبن بالوصل ممن لم يغب جزعي   من بعد ما غاب عنا وجهها الحسن
بمن اذا قابلت يوما محدثـــة   تحاسدت عند ذاك العيـن والأذن
بانوا بها لا سقى السّاقي مطيهم   ولا رعت ما وشاه العارض الهتن
ياظاعنين ولي نفس تصاحبهـم   في بينهم حينما ساروا وما سكنوا
حملتموني ثقلا من تحملكـم   يعوق جلد القوي عن حمله الوهن
ان ظلت بعدكم أدعو الربوع لما   هاجت لقلبي من ذكراكم الدمـن
تعتادني زفرة يرتد صاعدهـا   عن عبرة ضاق عن منهلها الجفـن
فانني ببكا غيلان ربع لـوا   حزوى أو أربع وعسى مشرق قمن
ليت الاولى ظعنوا بالقلب اذ ظعنوا   لم يظعنوا والأولى لم يظعنوا ظعنوا

وما وقع بينه وبين سيدي محمد بن الشيخ سيدي رحمهما الله ، ذكره أكثر منه ، كان محمد هذا رحمه الله في غاية الآداب ولا يلاحي الناس ، ولم تزل الفتن تقع بواسطة أهل الوشاية ، ونقل الاخبار على غير وجهها ، فاتفق أن أحد الادباء من تلامذة الشيخ سيدي أنشد أبياتا لسيدي محمد المذكور ، وأولها :

يا مُعْملين قلاصا حاكتِ الحِرَفا   صارت وصارت لها أنواعه جرفـا

فتوقف محمد المذكور في جمع حَرْف على حِرَف ، وهو في الحقيقة غير مقيس ولم ينكر ، فابلغ ذلك الاديب سيدي محمد المذكور أن ابن محمد لحنه فكتب اليه :

يامنكرا جمعنا حَرفا على حِرَف   لتتئد لا تكن للمرتمى هدفـا
انكار من ليس يدري اشدد به غررا   أذ هو من جُرُف الألحان فوق شفا
ينهار من هذر والصمت يثبتـه   والفر قبل اللحاق للجبان شفـا
لو خضت لجة قاموس وجدت به   درا جلا جلو مصباح الدجا السدفا
حرف الكدى لا سواه جمعه حرف   وزانه عنب والجمع قد عرفـا
ثانيه طل ولم يجمع على فِعَـلِ   فعل سوى ذين قد كانا به اتصفـا
والعلم ذو كثرة في الصحف منتشر   وأنت ياخل لم تستكمل الصحفا

فلما وصلته الابيات استغرب ذلك ، لأنه لم يتكلم بما يمس كرامة صاحبها ، فأمر رجلا كان معه أن يكتب ، فأملى عليه ارتجالا أربعين بيتا في ذلك البحر ، والروى ، وكان يملي بيتا فيكتبه بسرعة ، فيأتي بغيره قبل تمام نسخه، ولما بلغت بابَ المتقدمَ الذكر محا بعضها وأقسم عليه أن لا يتفوه به، حفظا لكرامة ابن الشيخ المذكور والقصيدة هذه :

مني إلى ابن كمال الدين مَن خلفا ... بين الورى أحمد المختار والخلفا
أزكى سلام يحاكي حسن سيرته ... وطيب شيمته لا روضة أنفا
سيديَّ قطب رحا أهل المعارف من ... أمسى يجدد رسم الدين حين عفا
ما زال مذ عقدت منه الازار يد ... صبا مشوقا بأفكار العلا كلفا
فنال منزلة تعلو السعود الى ... أن صار للناس من داء القلوب شفا
اعلم أياخل أني لست حاسدكم ... وان مني لكم محض الوداد صفا
لا تسمعن ما وشى بعض الوشاة به ... واسمع مقالي فليس الأمرُ ما وُصِفا
اذ قد حكى البيت راويه على حِرَف ... فقلت مستفهما لا منكرا حِرَفا
وهل سمعتم بحَرْف جمعه حِرَف؟ ... قد كان ذا عن قياس الجمع منحرفا
ما كان من شيمتي نكر على أحد ... يأبى لي النكر طبع منه قد أنفا
ولا مجافاة أرباب الجفا شغلي ... مثلي اذا ما جفا حلفُ الجفا صدفا
وان أتي صائلا ذو الضعف يوعدني ... فالله يعصمني من صولة الضعفا
قد سره جريه في القفر منفردا ... فظن سرعته فيه وقد دلفا
اقصر بطرفك لا تطمع الي به ... فشأن من ليس يدري الجري أن يقفا
ومن يخض لجة القاموس ليس له ... فلك تقيه من الالحان قد تلفا
أهدى الي من الاشعار مضحكة ... للخلق أودعها من لحنه كِسَفا
ان صير الهمز همز القطع متصلا ... وقال جلوى وجلوا ثم ما ألفا

ومنها :

والشعر صعب عزيز ليس يدركه ... سوى ذكي حديد الفهم قد ثقفا
لا يكسب الشعر تبجيل وقولهم ... عسى تكون لنا من شيخنا خلفا
كلا ولا أنا نجل الشيخ سيدنا ... أبي وأمي قد فاق الورى شرفا

وهذا ما تذكرت منها ، وربما وقع فيها تقديم وتأخير لقدم عهدي بها .

ولما شاعت هذه القصيدة تداولها الناس،فتداعى تلاميذ الشيخ سيديً على هجو ابن محمد ، فلم يكترث بهم ولم يجب منهم غير الشيخ أحمد بن سليمان الديماني لانه رآه كفوءا ، وهذه العادة قديمة في الشعراء ، كانوا لا يهاجون من يرون أنه دونهم ، فلما بلغ الشيخ سيدي انتصارهم لابنه دعاهم ، وقال لهم : ان انتصرتم لابن شيخكم ، فاني أنتصر لابن شيخي ، وكانت أم محمد المذكور بنت حرم بن عبد الجليل المتقدم ، وكان الشيخ سيدي تلميذا له فهذه احدى مكارم أخلاق الشيخ سيدي ، ولما بلغ الامر أيضا والد محمد صاحب هــذه القصيدة ، أقسم عليه ليذهبن اليه ويطلب منه الصفح ، فركب وأناخ فــي مسجد الشيخ ، فوجده فيه ، فأنشده قصيدته الآتية ، فقال له : ليتك هجوتنا في كل يوم واعتذرت بمثل هذه القصيدة استحسانا لها وهي : -

هاجت رسيس بلابلي وهمومــي ... قسرا دوارس أربع ورســـوم
أودت بهن يد الزمان فأسـأرت ... كالوحي أو كمرجعات وشـــوم
كانت لروض اللهو مرعى فانتهت ... للعين مرعى الشيح والقيصـوم
لله ما جلبت له عرصاتهـــا ... من ذكر عهد للشباب قديــم
فأراد يكتم ما به وبدمعــه ... ظهرت ضمائرُ سره المكتــوم
ان ترمني بسهام لحظ غـادرت ... بين الجوانح داميات كلــوم
فلربما سرت بمرأى رائــق ... عيني أوان مسرة ونعيـــم
ولكم سحبت بربعها برد الصبا ... وشربت عذب رحيقه المختوم
ولكم عمدت الى الملاعب مائسا ... كالغض عطّفه هبوبُ نسيــم
ولكم رشفت من الشفاه بربعهـا ... عذبَ الزلال بعاتق الخرطـوم
قد خنت عهد عهودها ان لم أقف ... حيران يلتهب الأسى بحزيـم
بل لم أقم بحقوقها ان لم أقـم ... منهلً جفن بالدموع جمــوم
لا زال يعهدها السماك معاهـدا ... بأجش منبجس الصبير هزيـم
مرخي الّجوانب ذي روايا حفـل ... تمري قوادمَها الجنائبُ شيـم
لما رأت دمن الصبابة والهــوى ... سفهن حلمي واستبحن حريمي

هبت تلوم ومن يلم متذكرا ... عهد الشبيبة لام غير مليم
فأجبتها نهي المحب كأمره ... فدعي الملامة في الهوى أو لومي
ما خلتني أجد السلو ولم تزل ... ذِكَرُ الأحبة تستثير همومي
قالت وكنت من الضلالة سائرا ... في ظل مسترخ السدول بهيم
هلا اهتديت بنجم شيبك اذ بدا ... فكم اهتدى ذو حيرة بنجوم
أو ما كبرت عن النسيب ألا ترى ... عنه العدول الى امتداح كريم
بمحاسن تنسيك ما للبيض من ... وجه أغر الوجنتيْن وسيم
هذي محاسن من غدا بصفاته ... مستوجب الاجلال والتعظيم
من بالسيادة والمحامد وسمه ... وفق اسمه فالاسم كالموسوم (1)
نالت من الرتب العوالي كفه ... ما لم تكن لتنال كف أريم
ألفى المكارم قد تهدد ركنها ... فأقام ساقط ركنها المهدوم
خلق الاله بنانه للبحث عن ... صعب العلوم وكسْب كل عديم
ولسانه للكف الا مدمنا ... لتعلم أو مدمن التعليم
وجنانه الماضي المنير لفهم ما ... عنه قد أكدى فهم كل فهيم
وقصائد ود العذارى جعلها ... حليا مكان اللؤلؤ المنظوم
يا راكبا يدنيه ساحة بابه ... تقريب دامية الاظل رسوم
أبشر فقد يممت مَن مَن ينحُه ... يظفر بنيل مؤمل ومروم
ان سائلا يممت بحر مواهب ... أو جاهلا يممت بحر علوم
أو مشتك من ذي عداء مظلما ... يممت رفع شكاية المظلوم
علم المعارف والمعاني والمعا ... لي من أب نبه بهن عليم
شيخ هدى من ضل عن سنن الهدى ... حتى كسا الانوارَ كلَّ أثيم
عم الانام بهديه وأمدهم ... كلا بفيض من نداه عميم
وردت حياض نواله وعلومه ... هيمُ الورى فشفى غليل الهيّم
في كفه رزق الانام فكلهم ... ساع لموضع رزقه المقسوم
فترى البيوت أمامه مملوءة ... من بين ناوي رحلة ومقيم

---

1) معناه ان الذي يخاطب به لفظة سيدنا فهو سيد كاسمه

كلا بنسبة ما يحاول خصمه — من قوت أفئدة وقوت جسوم
لم يكفه الميز الكثير لدى القرى — كلا ورسل الكوم نحر الكوم
فترى بساحته الدماء وفرثها — ولقي العظام جديدة ورميم
وترى القدور رواسيا وترى الجفا — ن لوامعا بحواضر المطعوم
من قاسه بالاكرمين فانه — في الشأو قاس مجليا بلطيم
بل قاس ملتطم البحار بنطفة — والروض غضا ناضرا بهشيم
حدث ولا حرج عن الشيخ الرضا — أو دع اذا حدثت بالمعلوم
ياحبذا ذاك الكمال وحبذا — جلساؤه من زاير وخديم
ولحبذا تلك القعيدة أنها — حليت بدر من حلاه يتيم
نالت عظيم الحظ حين تعلقت — بمنال حظ لا ينال عظيم
قد أكملت خلقا وخلقا وانتمت — لاروم صدق فوق كل أروم
عدمت نظائرها فواجد من لها — شبه لعمرك واجد المعدوم
ان كنت قد أخرتها ذكرا فكم — من آخر في رتبة التقديم
ياحائز الشرف الصميم ومنتهى — أمل المريد وحيلة المحروم
حز ما ابتغيت من الكمال فأنت في — زمن بمثلك في الانام عقيم
لا زلت باقي الدهر سالك مهيع — في أثر والدك الكريم قويم
وبقيتما زمنا فكل منكما — غوث المضيم وبرء كل سقيم
مني اليك تحية تزداد ما — بعث التشاجر من مشى بنميم
ونفى اساءته بعتبى معتب — وعلا بصون الحلم كل حليم
وعلى النبي من الالاه صلاته — وسلامه في البدء والتتميم

ومن رقيق شعره قوله :

شمر لعل رسيم الاينق الذلل — من بعد عشرين يدني ساكني العقل(1)
سر مدمنا عبر أمواج الهجير وسر — تحت الدجا ثالث البيداء والابل
واعص العذول فمشتاق الاحبة من — ما ان يميز بين العذر والعذل
واصحب دليلا من الشوق المبرح ان — مال القطا عن سبيل القصد لم يمل

---

1) العقل : مواضع معروفة لها آبار غير طويلة بالنسبة لما يقال له بئر في عرفهم

واجعل مهادك بطن الرحل من جمل … جون المؤخر أو وجناء كالجمــــل
رعت من الروض في أكناف دومسما … لم ترع منه بجنبي هضبة الوعــل

ومنهــا :

سهل تجشمي البيداء معتسفـــــا … لو كنت من وصل من أهوى على أمل
إني وإن حلت ياذي عن مودتنــا … عما عهدت لديَّ الدهرَ لم أحــل
سلى فؤادي عني هل سلوتكـــم ؟ … والجفن بعدك هل ذقت المنام سلى ؟
بورد خدك الا ما وصلت أخــــا … بث آلم يان بعد الهجر ان تصلـي
صلى أخا كلف كم بات من شغف … الى لقاك سمير النجم أو زحــــل

ومن رقيق غزله قوله :

بعد الهدو يمين الضرع اسرى لي … طيف أحل ببالي كل بلبالــــــي
أسرى فنبهني وهنا بتيرس (1) من … بارين(2)طيف قطوف المشي مكسال
زارتك عائشُ والجوزاء جانحـــة … والليل ملتفٌ أوراق وأذيـــــال
زارت ومن دونها شم الجبال وأو … عاث الرمال ولماع مــــــن الآل
وكل مغبرة الارجاء طامســــة الأ … علام حفت بأوجال وأهـــــوال

ومنهــا :

أما وكل خلوب اللحظ ساعدهـــا … والساق غصـًا بدملوج وخلخـــال
لفي الفؤاد هوى مني لعائــــش لا … يبلى وكل جديد غيره بــــال
مل المعاتب فيه من معاتبتـــــي … فكف عني ومل العذل عذالــــي
وطالما سمته كتما فنم بـــــــه … دمعي وأخبر عنه مخبر الحـــال
دعني اليها أجوب البيد ممتطيـــا … بزلا تواصل إرقالا بارقـــــــال
أدني بها النازح النائي وأسبحهــا … بحر الدجا وبحور الآل فـــي الآل

وله أيضاً :

أرض العقيلات يابرق الحيا وعلى … أحيائها لعيون الشائمين لـــــح

1-2) تيرس وبارين مكانان معروفان بصحراء المغرب

ولا ترق دونها في الارض ملء فم ... من ساريات روايا ودقك الدلـــح
حول المليحة خيم واغدون ورح ... ثم اغدون ورح ثم اغــــدون ورح
ولا تزل مستطيرا مثل ما رمحـت ... بلق العوادي زهاها فادح المـرح
حتى اذا عمت السقيا مسارحهـــا ... فاسق المسارح من بارين واسترح

ومن ظريف ما يحكى عنه أنه كان مسافرا ومعه ناس من أهل الفضل ، فنزلوا أمام بيت فيه عبيد لابن جَيْرفَيِّنْ أحد من اشتهر في بلده ، وكان ابن جَيْرفَيِّنْ المذكور موجودا في تلك الليلة عند عبيده،فلم يسلم عليهم ولم يبعث اليهم بفراش ولا قرى ، فاجتمعوا به من غد تلك الليلة ، فأخبرهم أنه غدا يذهب إلى ابن أحمد ابن عيدٍ أمير آدرار ، فقالوا له : نريد منك أن توصل اليه هذا المكتوب ، فظن أن المكتوب فيه سلام على الامير لا غير ، فلما ناوله اياه أمر من يقرأه فاذا فيه :

ان يمنع الله رزق العبد ينزلـــــه ... ضيفا لدى نجل جَيْرفَيِّنْ ذي البقر
اهدى اليه بنا عوز الكرام ومــــا ... لاقت نجائبنا من شدة السفـــــر
لم يأتنا بفراش لا ولا بقـــــرى ... ولم يسلم ولم يسأل عن الخبـــر
فبات ملآن بطن حولنا ولنـــــــا ... مبيت موسى كليم الله والخضـــر

فلما قرئت الابيات ضحك الناس ممن يحمل هجو نفسه الى أمير ، فهذه الصحيفة مثل صحيفة (المتلمس) ، وكان لابن جيرفَيِّنْ هذا ابن عم يملك الابل ، فلما سمع الابيات قال : الحمد لله على أن لم يقل ذي الابل .

وقال أيضا يرحب بأحد أفاضل قبيلته قادما من الحج :

وافى الهمام فتاه الدهر وابتهجـــا ... وانزاح برح هموم النفس وانفرجا
لم يأت دهر لعمري قبل حجتـــه ... بحجة أشبهت أيامها حججـــــا
وافى فزاد به الرحمان شانئنـــا ... كربا وكان لنا من كربنا فرجـــا
وافى وقد شاد من بنيان والــــده ... والعم وانتهج النهج الذي ابتهجا
قوم شعارهم قدما وديدنهـــــم ... في الله أن يبذلوا الأرواح والمهجا

قد وجه العيس نحو البيت تمرح في فيح الفلا والخلايا تعبر اللججــا

تقتاده همة قصوى ويجذبــــه شوق حوى الصدر منه لوعة وشجا

لم يثن همته ظل البيــــوت ولا بيض العوارض تجلو الظلم والفلجا

مضى مُذيلا لحر الشمس وجنتَه وللموامي اذا الليل البهيم دجــا

حتى قضى ما انطوى في النفس من أرب وتمَّ ما قد رجا يانعم ذاك رجــا

فقرت العين إذ ألقى عصاه لــدى حيث الالاه يحط الوزر والحرجـا

وطابت النفس منه حين فاح لــه من طيب طيبة أذكى فايح أرجــا

فنال من زورة الهادي وشيعتــه ما نال والصيد كلا في الفرا اندرجا(1)

سقيا ورعيا لعيس بلغته علــى أيْنٍ تشكتْه من أيدي النوى وجا

راحت سواهم عوجا بعد ما رحلت غلبا مبارية هوج الصبا هوجــا

ياضيعة الناجيات القود ليس لهـا تحت العجاج بمغبر الفجاج نجــا

والحمد لله ربي اذ أتيح لــــه من ورطة البحر والداء العضال نجا

لا زال آخر آل الحبر أولهــــم يقفو ولا زال يعلو كعبهم درجــا

ثم الصلاة على المختار ما دلجا الر كب المجد الى البطحاء وادلجــا

وله من قصيدة يرثي بها ولي الله سيدي مولود فال اليعقوبي :

ما لراجي الخلود نيل خلــود ان ورد المنون حتم الــــورود

انما الموت عرضة ليس عنــه من محيص كلا ولا من محيــد

ان ليبي في جنبه لقصيــر ليل بنت الشريد بابن الشريــد

ومنهــا :

غادروه تحت الصعيد دفينــا نعم ذاك الدفين تحت الصعيــد

وهي تقرب من قصيدة ابن مناذر التي رثى بها عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي .

---

1) قوله ، والصيد كلا في الفرا اندرجا ، يشير به الى مثل مشهور وهو : كل الصيد في جوف الفرا ، يعني ان كل قربة يرتجي ثوابها من غير الفرائض افضلتها زيارته (ص)

ومن غزله :

ردته بعد تمام الحلم والنَّبِـــــهِ احدى الجواري رهين الشوق والوله
ان أمرءا سفهته بعد كبرتـــــه بنات عشر لمعنور على السفـــه
كم قائل لي الى كم لا ترى أبـــدا من نومة الحب الا غير منتبـــه ؟
فقلت لا تعجبيَ مني فكم سلبـــت حسناء قبلي لبّ الحازم النبـــه
يمين حق بمرآها المليح ومـــا بالباطل الحق إن يُسْمَعْ بمشتبهُ
ان الذي قد جنى ما كان من ولهي لهي وإن شفا برح الغرام لهـــي

وقال في مدة اقامته بفاس حرسها الله لما زار ضريح الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه :

أبدى الزمان من البشاشة والصفا سرا واثبت منهما ما قد نفـــى
ان غاب قبل اليوم عنا سعـــده فاليوم أسعد بالمرام وأسعفـــا
وقضى بعدل وهو قدما جائـــر ووفى وعادته العدول عن الوفـــا
وصفا لنا بعد الصدود وصالـــه بوصول قبر المصطفى بن المصطفى
بالأحمدي خليقة وطريقـــــة واسما ووسما واقتداء واقتفـــا
الله يمنحه الكرامة كلمـــــــا ذكر المشائخ ما أشف وأشرفـــا
ان رمت خال مقامه ومقامهـــــم فانظر لحال المقتفي والمقتفـــى
منه استمدوا واستبد بزائـــــد فات المعارف كنهه ان يعرفـــا
قد خصه الهادي بأنفس تحفـــة ولكم أب خص البنين واتحفـــا
ياروضة شمخت بطود شامـــخ أنفا واكسبها علاه تأنفـــــا

ومنهـا :

يدلي ببرح محبة قد طالمـــــا منها تشوف للقاء تشوفـــــا
وبخدمة سلفت لوالده الـــــذي لو سمتموه البيع لم يستنكفـــا

وهذا ما تذكرت الآن من شعره، وديوانه مجلد ضخم ، رحمه الله رحمة واسعة ، وكان حيا بعد الخمسين والمئة والألف ، انتهى (1) .

(1) الترجمة منقولة بالحرف من **الوسيط** ص 17

804) محمد بن علي الحاحي النكنافي الفقيه ، استوزره المولى عبد الرحمان عام 1251 ، ثم أخره ورد وزيره سيدي محمد بن إدريس .

805) محمد التهامي بن محمد الأوبيري الحمري

محمد التهامي بن محمد بن مبارك بن مسعود الحمري الأوبيري ، كان شيخه ابن عبد السلام الجبلي حسن النغمة بالقرآن ، وكان ذات يوم يسرد قتل ظلماً ، أخذ عن مولاي التهامي الوزاني ، وكان المترجم مسنا جاوز المئة ، كان شيخه بن عبد السلام الجبلي حسن النغمة بالقرآن ، وكان ذات يوم يسرد معه لوحته بالسبعة ، فمر جماعة من النصارى على البيت الذي كان فيه ، فوقفوا يستمعون قراءته رحمه الله تعالى .

أخذ عن شيخه سيدي محمد بن أحمد بن العربي الرجراجي المراكشي مولداً ووطناً ، والشيخ أحمد بن طاهر الأندلسي أصلا المراكشي مولداً ، وهو عمدة قراءته بمراكش في الفقه والنحو والأدب ، وشيخه مولاي علي الشريف البوعناني ، قرأ عليه بعضاً من الشاطبية ، وشيخه سيدي أحمد الشاوي لقبا ، التاذلي نسبا ، المراكشي وطناً ، قرأ عليه بعضا من الألفية ، وصدرا من الرسالة ، وشيخه سيدي مَحمد بن بدن الدكالي ، قرأ عليه الالفية والتصوير ، والضبط ، و (الدرر) ، وبعضاً من (الشاطبية) ، وسيدي أحمد أبن الحضري الدكالي العثماني بعضا من (خليل) وبعضا من (الالفية) ، والمحقق سيدي محمد بن عبد الكريم الرحماني قرأ عليه الشاطبية ، وكان يسرد معهم الجعبري ، والامام سيدي الجيلاني بن أحمد بن المختار السباعي ، والشيخ سيدي علي بن أحمد الوزاني ، وأذن له في الاذكار كـ (الدلائل) ، وأحزاب الشاذلي ، والزروقية ، والنووي ، والمشيشية وغير ذلك ، والعلامة سيدي محمد بن عبد السلام الناصري قرأ عليه ابن عاشر ليلا في سفره معه لحج بيت الله الحرام ، عام أحد عشر بعد المئتين والألف ، ثم قدم عندهم لموضعهم عام سبعة عشر ، فقرأ عليه أول البخاري ، وبعضا من سنن أبي داوود ، وفاتحة الموطأ وأجازه .

ومنهم الشيخ التاودي حضر عليه في (صحيح البخاري) بجامع القرويين ، والعلامة سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي المقرىء ، سرد عليه قصيدة ابن المرحل ، فيقول في بعض المواضع : هذه اللفظة ليست في القاموس ، قرأ عليه الشاطبية بالجعبري الى ياآت الاضافة ، ودالية ابن مبارك ، والكتاب العزيز ، والشيخ سيدي الطيب ابن كيران قرأ عليه صدر عبادة خليل ، والسلم ، ومجالس في التلخيص ، وسيدي عبد القادر ابن شقرون في (خليل) أول البيوع الى الختم ، ومجالس من العبادة ، والبخاري ، و (الموطأ) ، وسيدي محمد بن طاهر الهواري قرأ عليه السلم والأزهري ، وزار سيدي أحمد بن موسى دفين سوس ، ومنهم سيدي العربي بنيس قرأ عليه بعض التلخيص ، وبعض تفسير النسفي ، وسيدي عبد السلام أحلوي قرأ عليه الدرر اللوامع ، وتصوير الهمز والضبط ، ومنهم الامام الامير حضر عليه في مجالس من (المختصر) ، والشيخ على الضرير ، والشيخ حسن البصري الضرير حضر فيه مجالس في التفسير بالجامع الازهري ، والتقى مع الشيخ عبد العليم الضرير ، والشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الشافعية ، ومع الشيخ محمد المسيري بالاسكندرية ، حضر مجلسه في البخاري .

ولما استخف إخوانه حمير (1) بعامل المولى عبد الرحمان وبولده وضربوهم بالبارود ، فسجنهم السلطان مدة تشفع فيهم بقصيدة منها قوله :

امنن عليهم كما منّ الرسول على ... وفد هوازن مع ما كان من خلل

فأجاب بعد النثر بقوله :

ياعالما أبدت القربى حنانته ... فجاء من رائقات النظم بالمثل
شفعت في حمير ترجو نجاتهم ... والظلم منهم وليس الظلم من قبلي
ما حمير غير أنصار ومهما هفوا ... فالعفو من شيمتي والصفح من خللي

---

1) تعرف اليوم بأحمر ، قبيلة شهيرة بين مراكش وأسفي

الى أن قال :

فالعفو شيمتنا والحلم سيرتنـــا   وراثة من أبينا سيد الـــرسل

وكان ألزمهم من الغرم في تلك الوقيعة نحو الاربعين قنطارا ، فقد صدق أبو حنيفة رضي الله عنه في قوله : من استخف بالسلطان ذهبت دنياه .

وقفت من تآليف المترجم على (اتحاف الخل المواطي ، ببعض مناقب الامام السكياطي) ، وهو في نحو ثلاثة كراريس كلها درر ، منه لخصت هذه الترجمة وزدت من غيره .

ومما وقفت عليه من تآليفه (مدد اللطيف ، في شرح السبط والتعريف) ، فرغ منه ضحوة يوم الخميس سابع ذي الحجة عام 1249 وهو شرح لطيف بين الايجاز والبسط ، جعله للمبتدىء بعد أن اطلع على شرح ابن المرابط .

وشرح نظمه في موانع الصرف ، وشرح منظومة العروض لأحمد الرسموكي ، وشرح نظمه حكم الوقوف لحمزة المقرىء ، والأربعة عندي نسخ القاضي سيدي الجيلالي بوخريص ، (اتحاف الخل المواطي) من نسخة المؤلف يوم الاحد رابع ربيع الثاني عام 1250 هـ .

806) **محمد العربي بن محمد الهاشمي العزوزي الزرهوني** ، القاضي المفتي العلامة ، ألف في ترجمته السيد عبد الحي الكتاني تأليفا في نحو أربعة كراريس سماه (اتحاف الحفيد ، بترجمة جده الصنديد) رتبه على أربعة أبواب وخاتمة ، الأول في اسمه وكنيته وشيوخه ، والثاني في المراتب الدينية التي تقلب فيها وأسماء مؤلفاته وتاريخ وفاته ومدفنه ، والثالث في بعض فوائده ونتف من فرائده ، والرابع في أسماء تلاميذه وتراجمهم وأخبارهم وبعض نعوتهم ، الخاتمة في بعض أسانيد العلوم الشرعية المتصلة به مع اتصالاته به فيها .

ولا بأس بالاشارة الـى مقاصده ،فنقول : هو الامام العلامة الفقيـه الاديب المشارك المحقق الاريب أبو المعالي ، أو أبو حامد ، ونسبته الـى زرهون بسكنى بعض آبائه به ، وهو جبل بالمغرب فيه مدفن مولانا ادريس الاكبـر .

زرهون أفضل ما في الغرب من بقع اذ فيه قبر عظيم من ذوي الكـرم

ولد سنة ست وتسعين ومئة وألف ، وطلب العلم بفاس ، وأخـذ منطوقه والمفهوم عن كبار أهلها من وجهاء الناس ، منهم عالم المغرب في وقته محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن محمد بن عبد الواحد بن الطيب المعروف بابن كيران الفاسي دارا ومنشئاً ومدفنا ، المتوفي بالشهدة فـي سنة 1227 ، دفين روضة العلماء خارج باب الفتوح ، ومنهم العلامـة المحدث المؤرخ محمد بن عامر المعداني الفاسي ، جامع الفتوحات المحمدية على ما ذكر بعض المتأخرين ، توفي مقعدا بفاس سنة 1234 أربعا وثلاثين ومئتيـن وألف ، ومنهم العلامة العربي بن المعطي بن الصالح الشرقي التادلي منشئا ومدفنا ، المتوفى في التاريخ 1234 المذكور ، أجاز المترجم في دلائل الخيرات والمسبعات في خامس ربيع الثاني سنة 1219 تسعة عشرة ومئتين وألف ، وفي الطريقة القادرية وتلقينها ، حسبما أجازه بذلـك الشيخ التاودي عـن الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان ، ثم أجازه اجازة عامة في جميع ما يرويه في ثاني التاريخ المذكور ، ومنهم الشيخ الصالح البركة المعمر العلامة النازلي محمد بن عبد القادر المعروف بقدور بن محمد بـن عبد القادر بن علي بـن موسى بن المير الصبيحي النافعي الزغلولي الزواق المستاري أصلا، الزرهوني قرارا ومدفنا ، الناصري طريقة ، أجازه بدلائل الخيرات ، توفي في منتصف ذي الحجة عام 1231 واحد وثلاثين ومئتين وألف .

ومنهم العالم العارف عبد القادر بن أبي جيدة بن أحمد بن مَحمد ابن شيخ الشيوخ أبي السعود الفاسي لقباً وداراً ، النقشبندي الشاذلي طريقة ،

شارح (الفتوحات المحمدية) شرحا حافلا لم يكمل ، مات رحمه الله شهيداً بالطاعون في منسلخ ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ومئتين وألف .

ومنهم مَحمد بن حبيب الله الصغير ، المختاري طريقة ، أجازه بالاوراد القادرية وتلقينها بروايته لها عن سيدي محمد بن الشيخ المختار الكنتي .

ومنهم العلامة المحدث الرحالة المعمر مَحمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الكبير بن الشيخ مَحمد بن ناصر الدرعي الشاذلي ، وقف على نسخة البخاري بخط أبي علي الصدفي بطرابلس الغرب في ملك رجل ، وأعطاه في ثمنها نحو المئة والخمسين ديناراً فلم يقبل ، وهي في جزء واحد (1) مدمج لانقط به أصلا على عادة الصدفي ، وفي آخرها سماع عياض وغيره من الشيخ بخطه ، ولما بلغ خبرها لمولانا سليمان وجه لصاحبها ألف مثقال ، ووعد بالقدوم بها . توفي الناصري المذكور في ليلة السبت ثاني عشر صفر سنة 1239 تسع وثلاثين ومئتين وألف .

ومنهم المعمر سليل الصالحين محمد بن عبد الهادي أحد أولاد الشيخ العارف أحمد بن عبد الصادق الرتبي السجلماسي دفين البطاطحة من سجلماسة المذكور في (التحفة الصديقية) واختصارها ، و (نشر المثاني) ، المتوفي سنة 1066 ستة وستين وألف .

وهؤلاء أشياخه التسعة المترجمون فيه .

ثم ذكر في الباب الثاني أن المترجم السيد العربي الزرهوني درس وألف ووعظ وصنف ، فمن أشهر مؤلفاته شرحه على (المرشد المعين) ، وشرحه على تحفة ابن عاصم الا أنه لم يتم ، وشرحه على لامية الزقاق . ومنها

---

1) يعني في ستة عشر كراسا . كل وجه فيه خمسون سطرا كما في رحلة الفاسي الذي حج في هذا القرن الثالث عشر ، وراجع ما تقدم في ترجمة سيدي محمد بن عبد السلام الناصري ص 193 من هذا الجزء

روض المنى وبلـوغ المرام لشرح شواهد المكودي وابـن هشام ، وهـو مطبوع ، وحواش على الاجرومية ، وشرح عـلى شواهد التلخيص ، ومنهـا نوازله ، وولي قضاء صفرو سنة 1239 ، ثم في حدود سنة 1247 ترقى لمنصب القضاء في فاس العظيمة لما أخر عنه محمد بن ابراهيم الدكالي في سادس ربيع الاول سنة 1247 سبع وأربعين ومئتين وألف ، ثم ورد الخبر بعزله من فاس ثاني عشر شعبان من السنة المذكورة ، واقتصر على الفتوى الى أن بدرت منه بادرة ، وفلتت منه فلتة نادرة من اباحة بناء اليهود لحمام بملاحهم ، وذلك أنه استفتي إمام وقته مولانا عبد الرحمان في حدود اثنين وخمسين ومئتين وألف عن طائفة من أهل الذمة في حارة منفردين ، أرادوا احداث حمام بحارتهم لا ضرر فيه على أحد من المسلمين ، هل يمنعون من ذلك أم يجابون اليه ؟ فأجاب قاضي فاس مولاي عبد الهادي العلوي بأنه لم يقف على نص في عينّ النازلة ، وظواهر وتعليلات عن الايمة الاعلام تقتضي منعهم ، لأن عدم اتخاذهم له في هذه الاقطار هو زيهم الواجب مـن الصغار ، فاحداثـه يوجب لهم غاية الشهـرة والافتخـار ، ووافقه عـلى هذا الشيخ بدر الدين الحمومي ، ثـم علي التسولي ، ثم عبد القادر الكوهن ، ثم محمد بن أحمد السنوسي ، ثم محمد بن عبد الرحمان الحجرتي ، ثم أبو حامد الزرهوني قائلا : ان ما كتبه القاضي لا شك فيه صحيح ، فطالما طالع ولم يجد نصّاً ، فالله أعلم بسبب عدم ذكرهم لحكمه مع معرفتهم به وعلمه ، فلم يبق الا أن يتمسك بالعموم ، فيقال كـل وصف يخرج أهل الذمة عن الذل والصغار يمنعون من ارتكابه كما هو ظاهر ، ثم كتب بعده عبد الواحد بن أحمد بن التاودي ابن سودة ، ثم أحمد المرنيسي ثم مولاي عبد السلام بوغالب ، ثم محمد بن أحمد الشفشاوني الحسني ، ثم كتب الشيخ المترجم أبو حامد الزرهوني فتوى تناقض ما كتبه أولا وما أفتى به من ذكر ، وهي في نحو الكراس .

وها أنا الخص ما هو في عين النازلة من كلامه مع الاختصار ، قال : انه وقع سؤال عن أهل ذمة ملاح المدينة البيضاء ، وهم على ما أعلم منفردون

بسكناه ، لا يسكنه معهم أحد من المسلمين ، أرادوا احداث حمام بملاحهم المذكور، فهل يجابون لمطلبهم أو يمنعون ؟ وجوابه يستدعي تقديم ثلاثة مطالب :

الأول في الكلام على الأرض التي بها سكناهم ، الثاني فيما يجوز لأهل الذمة إحداثه بمحل سكناهم وما لا يجوز ، الثالث هل وقع التصريح في ديوان من دواوين المذهب بذكر إحداثهم للحمام ؟ وهل عرف لهم حمام قط ؟

وحيث قلت الحاجة الى نقل كلامه في المطلبين الأولين ، فلنلخص كلامه في المطلب الثالث فنقول : قال رحمه الله : المطلب الثالث اعلم أنه لم يتعرض أحد من أيمة المذهب فيما علمت لحكم احداث أهل الذمة الحمام ، ولا وقفت عليه في ديوان من دواوين المذهب المعتبرة في النوازل والأحكام، لا في تهذيب البرادعى ، ولا مختصر ابن عرفة ، وابن الحاجب ، والتوضيح وحواشى اللقاني عليه ، وشامل بهرام ، ومختصر خليل ، وشروحه ، وحواشيه ، ولا غير ذلك مما وقفت عليه من الكتب المعتمدة ، ولم يذكروه ، والله أعلم ، لجوازه وبقائه على الأصل في الأشياء الذي هو الاباحة ، ألا تراه ذكر في المختصر ما يمنع منه أهل الذمة فحصره ، وترك ما عداه مما يجوز لهم ، ثم استنتج مما مهده في المطالب أن أهل الذمة الموصوفين في السؤال لا يمنعون من إحداث حمام في موضع مملوك لهم بالحارة المنفردين بسكناها ، بدليل ما ذكر في المطلب الثاني من النقول المفيدة ، لكون التفصيل انما هو في خصوص الكنائس التي هي متعبدهم ومحل اظهار كفرهم ومعتقدهم ، أما بناءاتهم لغيرها فلا يمنعون من إحداثها ، بشرط أن لا يستطيلوا في بنائها على المسلمين كما في نصوصهم ، وذكره في المعيار وغيره ، فدخل في عموم غيرها احداث الحمام دخول أولياً ، إذ هو من الضروريات المحتاج اليها ، وليس في بنائه رفع دين الكفر ونصره ، فيكون له كالفرن المعد لطبخ الخبز ، ألا تراهم لم يمنعوا في محلهم الخاص من اتخاذ موضع يعصرون فيه الخمر ، أو يضربون فيه الناقوس ، أو ما في معنى ذلك ، وان كان يحصل لهم فيه من التسلي والفرح والسرور ما لا يحصل لهم في الحمام ، وهذه الكنائس التي

هي متعبدهم ومحل اظهار دينهم أُذِنُوا فيها على التفصيل السابق ، فكيف بالحمام ؟ وفي المعيار من جواب للامام الرصاع ما نص المراد منه : « واذا صارت الارض المذكورة على ملكهم دون اشتراط أماكن يُعبَد فيها غير الله فلهم أن يتصرفوا فيها ببناء ما يحبون » ، وفيه من جواب لمحمد التِّنَسي فلما كانت العطية المطلقة ، والكراء المطلق ، إنما يقصد بهما الوجه الجائز حمل مالك السؤال على ذلك ، ولم يحكم سوى بهدم الكنائس ، ويبقى الأمر على الصحة فيما سوى ذلك من التصرفات انتهى ، والشاهدُ قوله : « ببناء ما يحبون » ، وقول الثاني : « جميع التصرفات » ، فانهما شاملان بعمومهما لاحداث الحمام ، ومعلوم أن التمسك بالعموم متعين ، حتى يدل دليل على التخصيص ، ثم قال : « ولا يقال أنهم يمنعون مما فيه التباهى ، ويلزمون بما فيه وقار الاسلام ، أي تعظيمه واحترامه » لأنا نقول بموجب ذلك ، لكن المراد بالتباهي الذي يمنعون منه هو تزييهم بزي المسلمين الخاص بهم ، من ركوب الخيل ، وَلَبْسِ العالي من الثياب والعمائم ، ونحوه مما يظهرون به ويتباهَوْن ويتفاخرون ، وليس التباهي بما يحدثونه من بيت الشيطان في محلهم الخاص بهم ، لأنه بيت يتخذونه بداخل حارتهم التي انفردوا بها ، فلا يراه الا النزر اليسير من المسلمين ، وفي المعيار « وذكر الامام ابن عطية في تفسيره أن عمر كتب الى أبي عبيدة بن الجراح ، انه بلغني أن نساء أهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساء المسلمين ، فامنع ذلك ، وحُلْ دونه ، فلا يجوز أن ترى الذمية عورة المسلمة » ، والمقصود من هذا كله ، أن الحمام كان معهوداً عند أهل الذمة ، وان شرط عمر عليهم أن لا يفعلوا أموراً مخصوصة ظاهر في ابقاء الحمام المعهود عندهم ، على الأصل في الأشياء الذي هو عدمُ الحظر ، وعلى كل فهو يفيد أنهم كانوا يدخلون الحمامات ويغتسلون بها ، وليس في دخوله لهم التباهي على أهل الاسلام ولا عدم وَقارهم ، ولو كان في دخولهم له شي من ذلك لما تركوا يدخلونه قديما . فقول سيدنا عمر : فامنع ذلك هو صريح في منعهن من الدخول على الحالة الموصوفة ، ومفيد لجواز دخولهن على غير ذلك ، ولدخول رجالهن أيضا . وما زال الأمر ببلاد المشرق على دخول أهل الذمة الحمام مختلطين مع

المسلمين من غير نكير ، لا يقال اتخاذهم لحمام في حارتهم المختصة بهم ربما يكون لهم فيه المباهاة ، بخلاف دخولهم لحمامات المسلمين ، لأنا نقول الأقرب العكس ، وهو أن الاشتهار انما يحصل مع اختلاطهم بالمسلمين في حماماتهم ، وتراجعهم في الكلام عند تناول الماء ، وتدافعهم على السبق للموضع والماء ، ونحو ذلك ، فان قلت اختصاصه غالبا بالمدن دون القرى دليل على أن في اتخاذه نوعاً من الرفاهية ، قلت لا دليل فيه ، وإلا لكان الفرن ودار الدباغة ، والجزارة ، وحوانيت الحجامين ، ونحوها مما هو مختص بالمدن غالباً كذلك ، ولا قائل به ، فافهم ، الى أن قال : وكتب محمد العربي بن الهاشمي الزرهوني بتاريخ 28 شوال سنة 1202 .

وعقبه نقد الجواب المذكور لعلي التسولى شارح التحفة،وقد ملأ هذا بالتحامل المتفاحش والمغالطة الكبيرة بما يستحيى من تسطيره، حتى أنه ألزم الشيخ محمد الزرهوني الكفر،وذلك أنه ذكر أن الامام العبدوسي جعل تمكينهم من الكنائس موادة، واستدل بقوله تعالى: « لا تجد قوماً يومنون بالله واليوم الآخر » على المنع، وكفر مَن تسبب فيه ، قال : وتمكينهم من بناء الحمام كذلك أيضاً ، بل أحرى لما فيه من الرفاهية المنافية للذل والهوان المشروعين لرجاء الاسلام ، وعليه فيجري في الكاتب المذكور ما قاله العبدوسي ، وأي فرق بين الكنيسة والحمام؟ إلى آخره، وهو تحامل بارد، وخروج عن الحق والانصاف والله شارد،فأي بليد أو جاهل لا يفهم الفرق بين الحمام والكنيسة ، وما بني كل واحد منهما له ؟ وحين قرأت هذا الرد فهمت مغزى مَن منع الاجتهاد اليوم ، وتحقق عندي أنهم منعوه بالنسبة الى مثل هؤلاء الذين يتكلمون بما يشتهون ، ويكفرون ويزندقون مَن يشاؤون ، فلو أبيح الاجتهاد حتى لمثل مَن هذا حالُه لادخل فى الدين ما ليس منه بالمرة ، فهذه الادراكات التي سمعت تقضى لأصحابها بأن لا يباح لهم الا التقليد المحض ، ومَن أبردِ ما عنده انه جعل الحمام يقتضي الرفاهية أكثر من الكنيسة ، فهل هذا يصدر من عاقل فضلا عن فاضل ؟ فأين الحمام من الكنيسة ؟ كأنه جهل أن الكنيسة ينادى فيها غيرُ الله ، ويذم نبينا سيدنا محمد فيها آناء الليل وأطراف النهار ، بخلاف الحمام ،

وضع لازالة الاوساخ والادران ، وما أكثر تسارع المتأخرين الى التكفير في أدنى العمل اليسير ، مما لا يستوجب ولا حتى مطلق اللوم ، فغاية الامر في مسألة الحمام لو تعين الصواب مع التسولي ومَن وافقه أن يكون خصمهم ظهر لـه خلاف ما ظهر لهم ، فيكتفى بأن يقال لـه : خالفت ما ظهر لك مـن الصواب ، أما التفكير فهو نقمة سلطها الله على ألسِنة المتأخرين ، وتتسارع اليها أقلامهم ، فانا لله وإنا اليه راجعون .

ولم تزل الافاضل في كل عصر وحين يسلط الله عليهم مَن يؤذيهم ويعنفهم ويبكتهم ، فقد ينصره الله عليهم ، وقد يدخر لذلك الفاضل نصـرة حقه في الآخرة فيجرى عليه ما جرى على الأسلاف وأتباعهم من الاخـلاف ، ومنهم الشيخ محمـد الزرهوني ، فانه بسبب تحامـل علي التسولي عليـه سعى في ترحيله ، فرحل الى ثغر السويرة ، ومرّ في طريقه على مراكش كما أخبرني بذلك بقية أولاده ، وهو الناسك المسن الخاشع محمد المهدي بارك الله في عقبه ءامين . ثم مكث بالسويرة ، ومكث بها حتى مات مغرباً عن وطنه ، شهيدا ماجوراً لبعده عن سكنه ، وذلك يوم الخميس عاشر جمادى الثانية عـام ستين بعد المئتين والألـف ، ودفن بضريح سيدي مكّـدول بالسويرة ، خارج سورها بمسير نحو ربع ساعة ، رحمه الله رحمة الابرار ، وأسكنه جنات عدن تجري من تحتها الانهار .

ثم ذكر في الباب الثالث لدى ذكر ما كتبه الايمة الاعلام من علماء القرن الثالث عشر على رؤيا الامام الحلبي ما نصه : كان في جملة من كتب أيضا محمد العربي الزرهوني المؤلف فيه ، ونص ما كتبه حرفيا :

الحمد لله الذي فضل آل بيت الرسول على سائر الامم ، وجعلهم بين أظهرنا رحمة بنا أشهر من نار على علم ، والشكر لله العلي العظيم ، المستحق كل ثناء وتحميد وتبجيل وتعظيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عنصر كل شرف ومنبع كل مجد وخلـق كريم ، وعلى ءاله الأطهار ، والمهاجريـن والأنصار ، الذين حازوا قصب السبق في هذه الدنيا وفي دار النعيم .

وبعد فلما وقف كاتبه على ما سطره الايمة الاعلام ، علماء الامــة ، ونصحاء الاسلام ، المحبون في ءال نبينا عليه الصلاة والسلام ، رام التطفل على الأبواب ، والسلوك في عقد أهل المحبة والحق بلا ارتياب ، بعد أن سأل مَن لا تسع مخالفته من الأحباب ، ناشداً قول بعض أهل الخير والصلاح :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهـــــم   إن التشبه بالكِرَام ربـــــــاح

قال اعتمادا على فضل الكبير المتعال : لا مِرْية فيما زخرفته أيدي البديع ، ونمق بأساليب الترصيع ، في شأن هذا النسب الرفيع ، يعنــي نسب الشرفاء الكتانيين ، سيما ما يبرز من فكر أبي الربيع – يعني سيدي سليمان الحوات – الذي سحر الألباب نظما من ورد عذب مشارعه لا يظمأ وبهر البلغاء نثراً لو سمعه الاموات لأزمعوا نشراً ، نادرة الزمان ، وأعجوبة الدهر والأوان ، المزري أدبُه بالحريري وابن خاقان ، أقسم بمن أسجد لذكائــه الأفهام ، وأنطق لبراعته الاقــلام ، وأخذمه القوافي   القيم بــاودها الحافى ، وأهرق عليه من ماء الفصاحة ، وأفرغ عليه من حُلل البلاغة ، لقد نشر ألويةَ هؤلاء الاشراف للناظرين ، وزاد قواعد شرفهم تأسيسا ، ومكن أي تمكين ، وأشاد من الادلة ما شنف آذان السامعين ، وأرغم أنوف الحاسدين الجاحدين ، وصادف صوب الصواب ، بما أبداه في تلك الانساب ، وبعد أن نمق وأجاد ، ووضح السبيل المراد ، وقــف عليه بعض أهل العصر مــن الأيمة المحققيــن ، والبلغاء المتفننين ، فصرحــوا بلسان واحد بحقيقتــه وتصويبه ، وحسن سياقه وتهذيبه ، وهذه خطوطهم تجلَّت للعيان ، وليس بعد البيان من بيان ، فهو جدير بأن يعتمد ويدخر ، حتى يكون موكدا لشهرة هذا النسب الذي هو كالشمس بل أبينُ وأظهر ، فليشد الواقف عليه يديــه ، وليعض بنواجذه عليه ، تمسكا بالحق ورجوعا اليه ، فلم يبق لمن يريد الفوز بالمنا والسؤل إلا أن يسأل الله بجاه نسبهم الشريف ، أن يرزقه محبة آل الرسول ، وأن يلهمه قدر هذه النعمة الكبرى بوجودهم فينا ، فهنيئاً لنــا وبشرى ، وأن يغفر بجاههم ذنوبنا ، وانْ كانت متكاثرة ، وان يرحمنا برحمته في الدنيا والآخرة ، إنه ولي الاجابة بمنه ءامين .

وكتب خديم الشرفاء ومحبهم بلا امتراء ، العربي بن الهاشمي الزرهوني تولاه الله بحضرته بمنه وكرمه .

ثم ذكر في الباب الرابع : ان المترجم أخذ عنه كثيرون من علماء الحاضرة والبادية ، وانتفعوا بعلومه من داءات الجهل الطافية ، وهم كثيرون ، فانّى يأتى عليهم حصر ، أو يجمعهم ديوان في مصر ، ولكن نقتصر على ما وقفت عليه ساعة التقييد مع استعجال ، لعدم انجماع الفكرة وسلو البال، فمنهم وهو أكبرهم ذكرا العلامة اللغوي النحوي البياني المؤرخ الاديب ، الدراك الافضل محمد بن عبد القادر الكردودي ، ناظم شرح اصطلاح القاموس ، وشارح خطبة الألفية ومؤلف كشف الغمة ، في بيان أن حرب النظام حق على هذه الامة المطبوعات بفاس ، المتوفي سنة 1268 ثمان وستين ومئتين وألف ، ودفن خارج باب الفتوح بفاس ، ومنهم : العلامة المحصل المشارك الراوية المعمر ، أحمد بن محمد بن أحمد بن الطاهر الأزدي المراكشي الدار ، الفاسي الرحلة والمزار ، المدني الهجرة والمدفن ، أجاز له محمد العربي الزرهوني عامة ما له ، ومنهم العلامة الهمام ، المشارك المتفنن القاضي الأعدل، عبد الرحمان بن أحمد بن الولي الصالح التهامي البريبري السلوي أصلا ، الرباطي دارا ، المتوفّى سنة ؟ 128 بالرباط ، ومنهم : الفقيه الراوية الدراكة النحرير المعتنى المقيد ، محمد التهامي بن محمد المكي بن عبد السلام ابن رحمون المصمودى الحسني الفاسى ، أجاز له المترجم في الطريقة القادرية ، وفي دلائل الخيرات ، وفي همزية البوصيري ، وبردته ، وفي سائر ما يرويه من الأذكار والأوراد ونشرها وتلقينها في خواتم عام 1227 سبعة وعشرين ومئتين وألف ، توفي في يوم الاربعاء سادس عشر ذي القعدة سنة 1263 ثلاث وستين ومئتين وألف ، ودفن بزاوية سيدي قاسم ابن رحمون ، وقبره في أعلا درج الباب من الدرب المشار إليه ، ومنهم العلامة المعمر النحرير ، الصوفي الناسك علي المدعو علالا بن محمد بن أحمد ابن جلون الكومي الفاسى ، محتسب فاس ، المتوفى صبيحة يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى سنة 1292 اثنين وتسعين ومئتين وألف ، ودفن بروضة مجاورة لزاوية الشيخ محمد بن ابراهيم الخياطي ، التي بدرب الحرة من طالعة فاس ، بينهما

الزنقة المعروفة بدرب أهل تادلة ، ذكر أخذ علي ابن جلون عن محمد العربي الزرهوني في سلوة الانفاس ، ثم ذكر في الخاتمة أنه يتصل بالمترجم بروايته بالاجازة العامة ، عن علي بن ظاهر الوتري بروايته كذلك ، عن أحمد بن الطاهر المراكشي كذلك ، عن المترجم محمد العربي الزرهوني بسنده لصحيح الامام البخاري ، ولفقه الامام مالك ، وللطريقة القادرية ، ولدلائل الخيرات ، أتم هذا التأليف البارع ، وحرره وجمعه في يومين آخرهما عشية يوم الثلاثاء ثلث وعشري ربيع الثانى سنة 1328 ثمان وعشرين وثلاثمئة وألف ، ولخصته من مبيضته التي كتبها بخطه المبارك ، جزاه الله خيراً ، وأولاه مثوبة وأجراً ، وقد وقفت على نوازل المترجم وهي في مجلدين .

807) محمد بن ادريس ابن إدريس الزموري العمراوي

محمد بن ادريس بن محمد بن ادريس بن محمد بن ادريس بن الحاج الزموري العمراوي .

قال في (الجيش العرمرم) بعد أن ذكر أنه وجد بخط المترجم محمد بن ادريس مكررا ثلاث مرات ما نصه : فقلت له ما هذا التكرار ؟ فقال لي هكذا بخط والدي مرفوعاً الى السيد محمد بن الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل ، تكرر محمد بن ادريس في عمود آبائنا تبركاً بالجد المذكور ، قال : فقلت لوالدي هذا النسب صحيح ، فقال هكذا كان آباؤنا ينتسبون ، وكانت عندهم ظهائر الملوك المتضمنة للتوقير والاحترام ، وضاعت لهم في بعض الفتن الواقعة في باديتهم قبل انتقالهم لفاس ، وكان بعض من ذكر في ذلك العمود وهو السيد عبد القادر بن محمد بن ادريس رجلا صالحاً زاهدا في الدنيا ، معرضاً عن كل شيء من أسبابها ، وكان أولاده أرادوا تجديد تلك الرسوم التي ذهبت ، فنهاهم عن ذلك ، وقال لهم : « أما النسب فانه ثابت لنا والحمد لله بالحياة المسترة ، والمزية النافعة النفع الحقيقي إنما تظهر في الآخرة . وأما في الدنيا فان كان مرادكم التوقير بين الناس والخروج من وظائف العوام فانا ضامن لكم ذلك الى آخر الدنيا » انتهى .

ثم قال : وكان مقام سلفهم بقبيلة زمور من بني عمرو منهم ، من عهد قيام مغراوة على الأدارسة واختفاء الأدارسة في أغمار القبائل ، وكان والده المذكور سيدي ادريس رجلا صالحاً أدركناه وزرناه مراراً ، وكان يلتمس منه الخير ، ويرغب الناس في صالح دعواته ، فلا يلقاه أحد الا قبَّل يديه ، وطلب منه الدعاء ، ولا يعرف أحدا اذا لم يكلمه ، كأنه مصطلم ، ولكن ليس كل الاصطلام ، يذهب من داره بدرب اللمطي الى جامع الاندلس ، ويصلي الصلوات المفروضة كلها هنالك ، ويجلس في ناحية من المسجد ، واذا لم يحضر الامام الراتب لا يصلى غيره ، حتى كأنه هو الراتب ، لان الأيمة يتكلون على وجوده هناك في كل وقت ، فلا يحتاجون الى طلب من ينوب عنهم . هكذا أدركناه ، وكنت أقرأ هنالك حزباً بين الظهرين ، وهو من جملة أهل ذلك الحزب فاغتنم زيارته ، وتقبيل يديه ودعاءه ، مع ما كان بيني وبين الوزير المذكور من شدة الاتصال في زمن القراءة، بسبب المناسبة الادبية الجامعة بين المتجانسين، وسببه أني لما قدمت لفاس أول مرة ، وذلك عام تسعة وعشرين ومئتين وألف ، وكنا نحضر معاً عند الفقيه الآزمي وجدناه في باب الشهادات من المختصر ، فلما ختم أنشد الناس في ذلك قصائد على العادة ، ومن جملة ذلك قصيدة لي أولها :

ختامُ الهوى قد فُضَّ منك بسره　　　فمالك تطوى الحبَّ من بعد نشره؟

فكتب إليَّ الوزير يطلب نسخة منها بقطعة أولها ·

ختام الهوى هام الحبيب بحسنها الخ .

فتمكن من يومئذ بيننا وبينه حب روحاني ، بقضاء سابق سبحاني ، فقضينا زمن الشبيبة في تحصيل ما كتب من علوم الرسوم ، في اشتراك المشايخ والمجالس، واقتناء الفضائل والنفائس، وإقامات الافراح والمنتزهات، والمخاطبات والمساجلات ، والمباسطات والنزهات ، فمضت لنا في ذلك ليال وأيام أرق وأطيب من أيام ذي سلم بلا منغض ، الا سرعة زوالها كأحلام من حلم ، وكان والده المذكور في أول أمره يُعلم الصبيان في المكتب الذى بباب

درب اللمطي زماناً ، وانتفع الناس به ، فلما ترعرع ولده الوزير أقامه مقامه ، وغلب عليه الهروب من الناس والانفراد كما أشرنا اليه ، فكان الوزير في ذلك لامتثال أمر أبيه ، وكان لا يخالفه فيما قلّ ولا فيما جل ، ولا يفعل أمرا من الامور المهمة الا باذنه ، ولا يسقط في يده درهم فأعلا الا ألقاه في يد أبيه ، فأقام في ذلك المكتب فأعانه الله عليه ، وبارك له في حركته ، وأُعطي القوة الباهرة ، فكان يُكتّب الصبيان ، ويكتب غالباً الكتب التي يقرأ بها ، ولا يفوته ما هو بصدده من حضور مجالس التعلم ، واذا ذهب الى القراءة يترك عمه سيدي أحمد ينوب عنه في المكتب حتى يرجع ، وقد كتب على تلك الحالة كتباً عديدة زيادة على الانصبة التى يحضر بها وهي شيء كثير ، كتب ثلاث نسخ من الشفا وسفَّرها بيده وباعها ودفع ثمنها لأبيه ، ونسختيْن من القاموس ، وباعهما بثلاثين مثقالا لكل واحدة ، وذلك أعلا ثمن في ذلك العهد ، والشفا بعشرة مثاقيل لكل واحدة ، وهو ثمنها . والاشياء في ذلك الوقت رخيصة ، والدراهم قليلة .

ولما فرغ السلطان العادل مولانا سليمان من بناء الدارين اللتين بزقاقيْ الحجر والرواح لولديه مولاي ابراهيم ومولاي علي جعل وليمة عظيمة للشرفاء والعلماء وخواص الطلبة ومَن يُشار إليه بالخير ، فأحيا الناس تلك الليلة بالصلاة وتلاوة القرآن والذكر والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الوزير المذكور ممن حضر ، وأنشد قصيدة طنانة عجيبة المنزع أولها :

حياك حياك ربّ العرش يادار ولا تحلّ حماك الدهر أكدار

فعجب الناس بها في ذلك المجمع ، وأنشدها النشادون في كل بيت من بيوت الدارين وكان من جملة الحاضرين شيخنا سيدي حمدون ابن الحاج ، فأخذها وتركها عنده ، وفي صبيحة تلك الليلة طلع بها للسلطان ، وقال له : هذا نفس غريب في هذا الزمان ظهر في ولد من أهل فاس ، وأنشد في هذه الليلة هذه القصيدة ، فأمر له السلطان بمئة مثقال ، ولكل واحد من

الفقهاء بخمسين مثقالا ، ولكل واحد من مطلق الحاضرين بعشرة مثاقيل ، فدعا شيخُنا الوزير ودفع له مئة مثقال ، وكانت مئةُ مثقال إذذاك لها بال عظيم ، فقال الناس فلان أعطي مئة مثقال ، فذهب بها الوزير وصبَّها في حجر أبيه ، وبذلك مع ما باع به الكتب التي كان يكتب زوجه أبوه ، فما زالت الايام تدرجه وترقيه ، حتى كان ما تقدم من قيام أهل فاس على الامام العادل مولانا سليمان ومبايعتهم لأولاد مولاي اليزيد ، حتى انطفأت نيرانهم ، وانكشف دخانهم ، ورجع الناس لامامهم العادل ، وولى على فاس ولد أخيه السلطان المؤيد مولانا عبد الرحمان ، فاتصل الوزير بخدمته ، فلما بويع بعد موت عمه العادل بقي الوزير على مرتبته ، تسمو به السعادة، حتى استقلَّ بالوزارة، وكان يقول أنه ما أدرك ما أدرك الا ببركة ولي الله تعالى سيدي مولاي عمرو ، وهو رجل صالح مشهور بالزهد والعبادة ، والتجافي عن جميع أسباب الدنيا ، يقبل بكليته على ما خلق لأجله ، وكان الناس يقصدونه للزيارة ، ويستمدون منه البركة والخير ، وهو مقيم بمدرسة الصهريج التي بجوار جامع الاندلس ، وهو رجل أستاذ يقرأ بالجماعة ، دائم العكوف على التلاوة والذكر ، قيل ان السلطان العادل كان طلب منه الوصول اليه فامتنع ، فأتاه السلطان في بعض الليالي وهو لا يعرفه فزاره ودعا له ، ولو عرفه ما ظهر له ، وكان الوزير ملازماً لأجل الخدمة والقيام بكل ما يخصه من الضروريات زمناً طويلا ، وكنتُ طلبت منه أن يوصلني اليه لطلب الزيارة ، فاستأذنه لي فأذن ، فدخلت عليه في بيت بأعلا المدرسة ، فرأيت رجلا تذكِّر الله رؤيتُه ، جالسا على حصير أظنه بلا لبد ، لابساً حائكاً وقميصا لا غير ، وكان الزمان بارداً جداً ، وهو ضعيف الجسم ، نحيل مائل الى الطول ، أسود اللحية ، فدعا لنا بالخير ، وقرأنا الفاتحة ، والحمد لله على لقاء أهل السعادة ، فانه ما أفلح من أفلح إلا بصحبة مَن أفلح ، وكان هذا السيد لا يقبل عطية أحد ، ذكر الوزير أنه كان يعرف في بعض الكهوف بخارج باب الفتوح من حضرة فاس معدن الفضة، فكان اذا احتاج إلى القوت يأتي بتراب منه ويدفعه للوزير أو لرجل آخر كان يخدمه أيضا ، يقال له السيد محمد المغيرفي ، يسبكه من دفعه اليه ، فيصرف منه عليه حتى ينقضي ويأتي بآخر ، ولم أتيقن تاريخ وفاة السيد عمرو المذكور،

وإن كنت حاضرا في الصلاة عليه وفي دفنه ، الا أنني ما كنت أقيِّد شيئاً من أمثال هذا ، انتهى .

وقال قبل ذلك ما نصه : وأما الوزير العلامة المفوه الرئيس أخونا في الله سيدي محمد بن ادريس ، فانه كان عصامَ الدولة وحِلْيَةَ جمالها ، ومجليَ محاسنها ومظهرَ كمالها ، فآثاره تزري دولة بني مولانا هشام بدولة بني مروان بالشام ، ساعدته أحكام السعود ، وعاملته بانجاز الوعود ، فأدرك في ظلال دولة السلطان المؤيد مولانا عبد الرحمان من الجاه والعز والصولة بعد عبوس ، وأركبته أعز المراكب وألبسته أفخر ملبوس ، وبيته في فاس ومنبته منبت طيب (أدرك) ما لم يدركه الوزير المهلبي مع ملوك الديلم ومعز الدولة ، فضحكت له الايام ، وأصله الاصيل ناشيء عن واكف من الاصالة صيب .

ثم قال في محل آخر بعد ذكر المترجم : فمما أنشأه في بعض الاعياد قوله :

أعد الحديثَ عن الحما وظبائه	فالسمع مشتاق إلى أنبائه
وصل الحديثَ عن اللوا وعقيقه	والنازلين الجزعَ من جرعائه
فهناك معترك النواظر والنهى	ومجال أفراس الهوى وظبائه
كم من صريع هوى بأفنية الحمى	فتكت عيون العين في احشائه
ومتيم لعب الغرام بقلبه	لما سقاه الوجد من صهبائه
وأسير وجد في اسار جمالهم	قادته مرسلة العيون لدائه
ان القتيل من الغرام ودائه	مثل الشهيد مضرجا بدمائه
ياصاح إن وافيتَ منزلةَ اللوا	ومررت ما بين العذيب ومائه
ولقيتَ أسرابَ الظباء رواتعاً	حول الحمى يمرحن في أرجائه
فاحفظ فؤادك من ظُبا تلك الظُّبا	فلكم كمي صيد في أحيائه
وإذا بدا سلع فعرج نحوه	وتنشق الارواح من تلقائه
واذا مررت بحي قومي حَيِّهم	وصل السلام على الحمى وظبائه
واخلع نعالك في مقدس وادهم	واحطط رحالك خاشعا بفنائه
فهناك طابت طيبة من طيب من	طاب الوجود بطيب طيب ثنائه

وهناك روضة خير من ركب المطا ... واجل من لاذ الورى بعلائـــــه
وهناك من أسرى الاله بذاتـــه ... غمر الوجود بجوده وعطائـــه
وحباه قربا لا يضاهى خصـــه ... بمصون سر الحب في ايحائـــه
وأراه من آياته وصفاتـــــه ... ما كلّت العقلاء عن إحصائـــه
وكساه من أجلاله وجلالـــــه ... ما حارت الأفكار في انهائــــه
أوَ ليس آدم قد توسّل باسمـــه ... بعد الخطيئة فاهتدى لدوائـــه ؟
وغدا يكون وما تكون بعـــــده ... من ذي احتباء تحت ظل لوائـــه
أو ليس كل الرسل من نوابـــه ... وجميعهم هاد بنور ضيائــــه ؟
قد بشروا أتباعهم بظهـــــوره ... وتواطأوا طرا على عليائــــه
أخذ االعهود عليهم أن يؤمنـــوا ... ان أدركوه وينصروا لدعائــــه
يا أمة المختار طولوا رفعـــــة ... واستبشروا طرا بنيل ولائـــه
ولتكثروا أمداحه في ليلــــــة ... رد النهار لها سنا لالائـــــه
قد فاقت القدر الرفيعة منصبـــا ... وسما الزمان بها على آنائـــه
كم آية شفت القلوب بنعتهـــــا ... رفعت بها الأخبار عن شفَّائـه (I)
فدنت الى الارض النجوم محبـــة ... وبدت قصور الشام من بطحائـــه
وبدا الرجوم من النجوم بطرد من ... رام استراق السمع من أعدائـــه
خمدت به نيران فارس واعتـــرى ... إيوان كسرى الكسر من أعلائـــه
غارت بحيرة ساوة وأساءهـــــم ... ما قد رأى في النوم من اسرائـــه
وله من الآيات ما عجز الـــــورى ... في وصف بعض البعض من اجزائه
والوحي أعظم آية قد نالهـــــا ... وأدل معجزة على استعلائــــــه
أسراره لا تنقضي وعلومـــــه ... لا تنتهي أبدا على استقرائـــه
كم معجزات قد تواتر ذكرهـــا ... دلّت على تصديقه وسنائـــــه
كالضبي في تكليمه والضبّ في ... تسليمه والجذع عند بكائــــه
والماء في تفجيره والزاد فـــي ... تكثيره والنخل عند دعائـــــه
والصم في تسليمه والجن فـــي ... تعليمه والفحل في استعدائـــه

(١) الشفـا، بتشديد الفاء أم عبد الرحمان بن عوف (ض) وقابلة رسول الله (ص)

والشمس ردت بعد ما غربت لـه ... والبدر شق له بأفق سمائـه

وكذا الحصا قد سبحت في كفـه ... ورمى بها فأصاب أهل نوائـه

نطق الذراع له وأفصح معلنـا ... عن سمه وأبان خافي دائـه

أربى على الاحصاء باهر فضلـه ... وسما على الادراك كنه علائـه

مَن ذا يروم مديحه ؟ وإلاهنـا ... أسماءه قد شق من اسمائـه

هل بعد مدح الوحي مدحة مادح ؟ ... فاقرأه تلق ثناه في اثنائـه

علّقتُ آمالي بجاه محمـد ... وقصرتها قصدا على عليائـه

ورجوت من ربي المفاز بجاهـه ... والظن أن لا أخيب عند رجائـه

وعلقت من آل النبي بذمـة ... تدني القصيَّ الى كريم منائـه

من طهر المولى وخص المصطفى ... شرفا وجللهم كريم كسائـه

وخدمت واسطة الأيمة منهـم ... نجلَ النبيِّ المهتدَى بضيائـه

مولى الخلائف عابدَ الرحمان مَـن ... رحم الالاه الخلق عند ولائـه

أحيى به الدين الحنيف وزانـه ... بسنائه وحيائه ووفائـه

وأعاد أرض الغرب روضا ناضراً ... برُخائه وسخائه ورَخائـه

ونفى عن الاسلام كلَّ ضلالـة ... وأضاء نور العلم في أرجائـه

وأشاد مغنى الملك فاستعلى بـه ... وقضى حقوق الله في أعدائـه

وأعاد في جسم الخلافة روحهـا ... وشبابها وكساها ثوب بهائـه

من حاز مجموع المكارم مفـردا ... وروى حديث الجود عن آبائـه

الحلم من أوصافه والعلم مـن ... آلائـه والفهم عبد ذكائـه

والعدل من أحكامه والفضل مـن ... انعامه والفضل من ندمائـه

والنصر من أحزابه والشكر مـن ... أصحابه والبحر من اسمائـه

والحسن من قسماته والأمن مـن ... حسناته واليمن من وزرائـه

والجدُّ من أترابه ، والمجدُ مـن ... أثوابه والسعد تحت لوائـه

والسيفُ من عزماته ، والعيثُ من ... سطواته والغيث من نظرائـه

والزهر من نفحاته والزهر مثـ ... ـل صفاته والفخر تحت ردائـه

والحق في أفعاله والصدق فـي ... أقواله والحذق في عرفائـه

والسر في كلماته والبر فـي ... جنباته والجهر في استرضائـه

فاق الثواقب والمناقب والحـــلا وزرى بطيب المسك نشر ثنائـه
قد فاخر الاعصار عصر وجـوده وتنافس الاملاك في استصفائـه
غمرتني أنعمه الّتي قد أعجـزت شكرا فقمت لها ببعض أدائـه
وأتيت من حر الكلام بمدحـة خلع الجمال عليها حسن روائـه
وجلوت عذراء المدائح غـادة وشى حلاها الفكر في انشائـه
أهدى البيان لها عقود جواهـر نُظِمتْ على همز الرويّ وهائـه
وأتت بكاملها الرفيع لكامـل بحلى الكمال سرى على اكفائـه
والله أسأل بالشفيع محمـد في أن يمتعنا بطول بقائـه
ويديم نصرته ويثبت عـزه وعلاءه ويثيبنا برضائـه
صلّى عليه الله ما حيا الحيـا وترنم الحادي بحسن غنائـه
وعلى الاماجد آله وصحابـه والتابعين الحق مع خلفائـه

وهكذا كانت سُنّةُ مولانا المؤيد في ختم امداح الليلة المباركة بمثل هذه القصيدة الفريدة من انشاء وزيره الأعظم المذكور ، ولم يتخلف قط الا في المدة التي عزل فيها وقام غيره مقامه ممن حرم مراضع الادب ونسلت اليه الجفاوة من كل حدب ، ونعاه الدست السلطاني مع وجوده وندب، فلما عاد الوزير الاعظم الى نصابه ، واسترجع حقه من غصابه ، عادت الدولة الشريفة إلى شبابها ، وتمسكت بمتين أسبابها ، وجرت سُنَّةُ التعظيم والتشريف على مجراها ، ونالت من المحامد كبراها وصغراها ، ولم يزل قائماً في مركزه الأعز الاسنى ، ملازما لعادته الحسنى ، إلى أن توفاه الله عام أربعة وستين ومئتين وألف ، فأصبح الدست العالي من تلك الحلية عاطلا ، وغريم الزمان بقضاء تلك الديوان مماطلا .

ثم قال بعد ذلك : ولما توفي الوزير الاعظم ، انقطعت هذه السنة الحميدة ، وبوفاته رحمه الله تهدم ركنُ عال من أركان الدولة ، وظهر أثره في أخلاق مولانا المؤيد ، وقد قال بعض جلسائه ذات يوم : منذ مات ابن ادريس ما وجدنا مثله ، ولا من يقاربه ، انتهى .

ثم قال بعد أن ذكر المرض المسمَّى بالحلاقم : وكان أخونا في الله الفقيه العلامة الوزير لسان الدولة في أول أمره أوان تردده في مجالس العلم ، يكاد أن لا يمر عليه شهر من الشهور ، الاّ ويصيبه وينفجر له من داخل بعد أسبوع ، لكن لا يمرُّ ذلك الأسبوع إلا وقد أشرف على الهلاك ، فأضر به في ذاته ذلك غاية ، ثم أني رأيت ابن الهندي ذكر في كتاب (الرحمة) دواء ذكر أن من استعمله يشفى منه ، ولا يعود اليه أبدا ، فأوقفت عليه الوزير المذكور، فاستعمله فلم يعد اليه بعد ذلك ، وكان كدواء المسيح ، وكذلك جربناه لكم من واحد ، فلم تتخلف تلك الخاصية المذكورة ، وهو أن تذبح دجاجة ، وتؤخذ مرارتها ، ويحتفظ بها ، ثم تطبخ الدجاجة فاذا نضجت أخذ من مرقها ، فتفرغ فيه تلك المرارة ، ويشربها العليل مع ذلك المرق .

وقال في رياض الورد في ترجمته ما نصه : رقيق الاشارات حلـو الحكايات ، له في النظم والنثر القلم الأعلا ، والمورد الأحـلا ، لازم الجثوّ للتعليم بين يدي أكثر أشياخنا فمن فوقهم ، ثم اتصل بمولانا السلطان عبد الرحمان بن هشام ، وأنشده قصيدة منها :

رفعتْ لمجدك رايةُ الاحســـــان	وبدا بعصرك ساطع البرهـــــان
وسرت بسرك في الانام مســـرة	سر المحب بها وغص الشانـــــى
يامفردا في الفضل غير مشـــارك	أقسمت مالك في البرية ثانــــي

فاشتملت عليه دولته اشتمال الأكمام على الزهر ، والهالة على القمر ، حتى انتظم في سلك الرئاسة وارتبط ، وحلّ ما شاء بحكم اختصاصه بهـا وربـط .

وكانت له رحمه الله معرفة ببعض العلوم كالحساب والتعديل، أخذهما عن الشيخ سيدي محمد بن الطاهر بن أحمد الحبابي رئيس الموقتين بمنار القرويين من فاس ، وكالنحو واللغة والعروض والأدب أخذها عن غير واحد ، وكانت له أمداح عديدة سلطانية ، وأخرى نبوية وغيرها ، وأشعار كثيرة ، ومقطعات . وله أيضاً صحبة كبيرة لأولياء عصره ، ومحبة فيهم . وأخذ عـن بعضهم كالشيخ سيدي الطيب الكتاني ، والشيخ سيدي عبد القادر العلمي

دفين مكناسة الزيتون ، وغيرهما مما يكثر ، وانتماء الى الخير وأهله ، ويد بالغة في الادب ، رحمه الله تعالى بمنه وكرمه ، توفي يوم الاثنين رابع محرم فاتح عام أربعة وستين ومئتين وألف .

وقال الزياني في آخر (البستان) ما نصه : وهذه القصيدة من انشاء الاديب السيد محمد بن ادريس بن الحاج ، كان في ابتداء أمره يستخرج لنا ما كنا نقيده في تأليف (الترجمان) ، و (البستان) ، و (الالفية) ، و (الجمهرة) ، و (الفهرسة) ، و (الحادي) ، و (البغية) ، و (السهام الراشقة) ، وشرح الكورة والرحلة وغيرهم ، وكان ملازمي في البيت يدي ويده الى الليل ، فاستماله الفقيه السيد حمدون ابن الحاج رحمه الله وجلبه ، وقاطعني وهاجرني إلـى أن كان يمر ببابـي ولا يسلم ، ولم أقصر معه في الاحسان ، وأنكر الصنيع فتركته حتى أهملته ، وجعلت غيره من الطلبة ينسخ لي ما أقيد الى أن توفي السيد حمدون رحمه الله ، فجعل يوجّه لي من يستعطفني على الرجوع لحاله الأول ، فأبيت لما ظهر لي من سوء صنيعه بعد انتفاعه بالأجر والاجرة والمعروف التام هذه مدة من ثلاثة أعوام ، وأنا أعطيه خمس أواقي في كل يوم ، ولا يخرج الا ممتلىء الجراب من كل ما يدخل علي من فواكه الوقت وغلله ، واشتغل يتعلق بخواص الطلبة المتصلين بنا وبالمكاتب ، وقط ما أجبته عن واحد منهما الى أن أتاني شفيعاً الفقيه الشريف سيدي أبو بكر المنجرة بكتابه ، وطلب مني أن أجيبه عليه ، فما وسعني الا جوابه ، ثم قدم علي في هذه الايام بهذه القصيدة الرائقة ، فانها من غرر القصائد عدّ فيها ما لنا من التآليف التي استخرجها ، حيث لم يكتب عليها مع من كتب من الادباء الذين مدحوها ، وعمتهم صلة أمير المؤمنين ، فمدحها جملة، فمن أجل ذلك عرفت به أمير المومنين، وأظنه يخلف مقام السيد حمدون أو يقرب منه ، ووجهتها لامير المومنين ليراها ، إذ هو الجهبذ الأحبر ، والنقاد الأكبر ، وهؤلاء الثلاثة ظهروا في دولة أمير المومنين بعد حمدون ، والحوات هذا ابن إدريس ، واليازغي ، وكنسوس ، وهذا ابن الحاج أعرفهم بالتاريخ لأنه باشره معنا أيام تخريج ما قيدنا ، والله يبارك لنا في عمر سيدنا والسلام .

ابن أحمد الزياني ، وفقه الله

وهذه القصيدة :

متى ينجلي ليل التهاجر بالوصل ويرفع مجد الود منا الى الأصل
وتسعدني سعدي برؤيى جمالها فقد أضجرتني بالتعلل والمطل
لقد طال عمر الصد بيني وبينها ولا شحطت داري دراها ولا رحلي
عجبت لها تدني المريب لوصلها وتقصي الذيأصفى الوداد عن الوصل
وتمنع حتى طيفها وصل صبها وتزور عن رد السلام من البخل
وحوراء اما قدها فمهفهف قويم واما لحظها فري العقل
تريك قضيب البان ماس على نقا وأثمر بدرا قد تطلع في ليل
يذكرني الدهر المؤرخ ثغرها وناظرها الوسنان لحظ مها الرمل
دهتني ولم تدر بأني مدنف وأني بها عن من سواها لفي شغل
وزائرة والليل مرخ رواقه وأنجمه ترنو بأعينها الشهل
ينم عليها طيبها وهو صائك ويفضحها صوت القلائد والحجل
بسطت لها خدي المصون تذللا وما كنت لولا الحب أصبر للذل
فبتُّ بها بين العذيب وبارق وبين النقا والبان والبدر والليل
وباتت وما غير العفاف نديمنا تغازلني حتى الصباح على رسل
حديثا كما أملى أبو القاسم الرضا فنون علوم من نقول ومن عقل
إمام أطاعته البلاغة والنهى وحيته أفكار المعارف والنبل
يصرف في كل الفنون يراعه فيأتي بسحر القولفي المنطق الجزل
ويغرس في أرض الطروس حدائقا ويمطرها من سحب فهمه بالوبل
فتثمر أصناف المعاني كأنها أزاهر روض في عبير وفي شكل
فلله ما يسدي ويلحم فكره ولله ما يتلي علينا وما يبلي

* * *

أبا قاسم قد فقت كل مؤلف وأحرزت في نيل العلا قصب الخصل
جمعت من الاخبار كل غريبة عقول جميع الناس عنهن في عقل
والفت في كل العلوم سواطعا مرونقة الألفاظ عادمة المثل
ففي الترجمان المعرب الفخر أعربت مزاياك عن علم كثير وعن نقل

وفي تحفة الحادي لدى الفضل للورى ومثلك من يأتي البرية بالفضـــل
وأبديت في نظم السلوك عجائبـا تبين على حفظ غزير وعن عقـل
وأطلعت في البستان للناس آيـة وأبقيتها دينا على كل ذي فضــل
وتوّجت عصرا أنت شمسُ علائه بجمهرة التيجان حييت من نجـل
نظمت به أشياخ عالم وقتنـــــا أمام الورى شمس الخلافة والفضل
وأطلعت في العمود أقمار سـؤدد ولكنه بالوصف فاق على المثــل
وأظهرت في رشق المحيا عجائبـا هديتَ بها أهلَ المعارف للسؤل
وأصفيت حتى الأولياء نصيحــــة وأبدلت إكسير الضلالة والجهـل
وفوقت في أمر السهام رواشقـاً رشقت بها أحشا الزنادقة النذل
جمعت لنا في الترجمانة ما بــدا ببر وبحر من حزون ومن سهــل
وضعت لنا كل العوالم كــــورة بسطت بها في الرحلة القول بالفصل
وفي الهيكل الموصوف بالجامع الذي جمعت به ما في التواريخ من نقـل
وأنست بالأنيس كل مهــــــذب وأطربته فلا يميل الى المثـــــل
وفي تحفة أهل النباهة حلـــــة لمن لبسها منهم وللسفها الويــل
وكم لك من آي تلوح لك العــــلا كما لاحت الاقمار في صدفة الليل
وما أنت الا غرة الفضل في الورى طلعت لنا في دولة الملك العــــدل
سليمان سر الكون عين كمالـــــه عريق عريض المجد سامى ذرى الفضل
هو الملك العلامة العالم الـــــذي به تقتدي الأعلامُ في العقل والنقل
إمام تحلى بالمكارم والنــــــدى وحاز صفات المجد جريا على الاصل
فما ان له غير الشريعة من هـــدى وما ان له غير المعارف من شغــــل
فناهيك من علم وحلم وعفــــــة وحكم وفهم حاز سبقا ومن عــــدل
وهذا على الاجمال ان شئت شرحه على الحق والتحقيق فاصغ إلى قولي
عليك بما أبداه كاتب ســـــــره أبو القاسم الارضى ودونك ما يملي
فقد نظمت أقلامه در فضلـــــه بسلك نضار فصلته يد العقـــــل
وقد جمعت أوضاعه كل رائـــــق من الوصف حدث ما تشاء عن الفضل

* * *

أبا قاسم جاءتك أبكار فكرتـــــي بشفعة كل تسلك العدل عن عـزل
كسوتك من وشي القريض وشائحا مطرزةَ الأبراد رائقة الغــــــزل

فقابلْ باقبال فانك أهلــــــه ... وعِـدْ بالرضى والعفو منك على جهلي
أيا قاسم لا زلت للجود قاسمــــا ... ولا برحت آياتكم للعلا تُملـــي
فقد نلت رفعا فوق ما قال ماجـــد ... وحييت بالتكريم في المجلس الحفل
فقلْ لذوي الاحقاد موتوا بغيظكـم ... أبى الله إلا رفع قدر ذوي الفضــل
فما الكحل الممدوح كالكحل فعلـه ... ولا الجد ما بين البرية كالجهــل
فلا زلت في أوج السعادة صاعــداً ... مسربل ثوب العز متصل الوصل

وقال في (اللؤلؤ المكنون) في ترجمة مولاي عمرو العمراني المتوفي سنة 1230 ثلاثين ومئتين وألف مــا نصه : ومن كراماته رضي الله عنــه أن الفقيه سيدي محمد بن أدريس وزير مولانا عبد الرحمان المتوفى يوم الاثنين الرابع من المحرم فاتح سنة أربع وستين ومئتين وألف ، المدفون بروضته بالقباب ، كان وقتئذ يؤدب صبيانا هناك ، وينظف ميضة المسجد المذكور ، يعني جامع الاندلس وهو فقير ملصق بالأرض لا درهم له ولا دينار ، ولا شيء يباع ، وكان يأوى الى هذا السيد المذكور ، ويحن اليه ، ويطلب منه الدعاء الصالح ، وهو يلقبه بالسلطان الصغير ، ويضربه بين كتفيه ، ويقول له : لا بد أن تدرك كذا وكذا ، فكان من أمره ما كان ، وأدرك من الجاه والمال والرئاسة ما هو معلوم .

وقال في (الحسام المشرفي) ما نصه : وأول كتَبَتِـه ـ يعني المولى عبد الرحمان ـ ووزرائه، الحافظ ما بين يديه وورائه، أديب الأدباء ، وأنجب النجباء، مَن تُتلا فضائله في مجالس الاقراء ومنابر التدريس ، الفقيه الوجيه السيد محمد بن ادريس ، هو الوزير الافخم ، وديوان الملك الاعلم ، وممن ظهر حسن صبره على انتظام أمره ، وممن حسن صبره على شدائده في حوادث الدهر ومكائده ، ومعرفته بعيب نفسه أوثق عنده من مدح أبناء جنسه ، منقبض عن العامة ومن يجانسها ، ممتنع عن التكبر والتجبر بما يحاسنها ، عالي الهمة ، متين الرحمة ، بقاء النعمة على كتده مقرون ببقائها على يده ، وجريان الامور على مذهبه ، بحسب استقامتها بسببه ، تحفة الحضرة السلطانية وما حواليها، يرغب الرعية بعطف قلوبها عليها ، يتتبع الفضائل دون الفضول ، وأبواب

الخبر دون الفصول ، ولا يشتغل بفروعها المتشعبة عن الاصول ، ولا يصرف عملا عن وقت يسرده وينصه ، فان لكل وقت عملا يخصه ، لا يضجر من ازدحام الأعمال،ما لم يخش تطرق الفساد إليها والاختلال،عند الاستحثاث والاستعجال، إحسانه للحر يحمله على المكافات ، وللوغد يحمله على معاودة السؤال وطي المسافات ، يضع إحسانه حيث وضع الرأي الصريح ، والاختبار الصحيح ، أجود من حاتم وأمامة ، وحسنات الدهر ملأت كناشه ورقامه ، وأحق ما ينشد فيه قول هذا الأديب النبيه :

تراه إذا ما جئته متهللا	كأنك تُعطيه الذي أنت سائله
كريم اذا ما جئتَ للعرف طالباً	حباك بما تحوي عليه أناملُه
هو البحر من أي النواحي أتيته	فلجتُه المعروف والجود ساحله
فلو لم يكن في كفّه غيرُ روحه	لَجاد بها فليتق اللهَ سائلُه

وهذا الذى وصفناه به نقطة من يم ، وتافه من جم ، وحصاة من ثبير ، وقليل من كثير ، وألا فالبسط والتوسعة في فضائله وشيمة الرفيعة وخصائله أكثر من أن تحصى أو تعد وتستقصى ، وكلها تنبىء عن قوة رأيه ، وصحة عزمه ، واستقامة سعيه ، واستعماله رحمه الله الاقتصاد في أمره أدوم لسلامته وأرفع لملامته ، وأغض لفرق حاسده ، وأصدق لفوائده ، وأروح لقلبه، وأخلص فيما بينه وبين ربه ، ولعلو قدره وعزة أمره ، لا يخلو من قرين يعانده أو حاسد يكايده ، يتوهَّم ان له همة تطاول منزلته ، وصفة يتحلى بها تطابق حليته ، ويرى أن حظه معه منحوسا ، ومثله مع وجود الكنبوسي لا يكون مرءوساً ، فتعسا له وخسراناً من حسود لا يسود ، وبالهم يموت كمدا مَن لا يزال يحسد من تحت اللحود ، فلهذا الوزير المرحوم بمنة الله اظهار المواهب ولطف المحل ، والتقدم في العلم والفضل ، فمن حسده ناهض فضله ، وأراد أن يحل محله ، فلم يهيء له الله أسبابا ، ولا فتح لطلبته أبوابا ، فبالفضائل الدينية أحرز مقامه ، وبالفواضل الدنيوية والعطايا حصن ذاته ارتحاله ومقامه ، وبالمناصحة لمن خصه بالمزايا ، والتحرز من ملابسة الدنايا ، دافع الله عنه كيد الطامعين وبلوى الرزايا ، وكسر شوكة حسدهم بالاحسان ،

وعودهم المعروف من طلاقة الوجه واللسان ، ولم ينشر معايبهم المطوية مثل نشرهم ورميهم أولياء الله وعلمائه بأسواء الدنية ، وتكرم بالعفو على ما بلغه من سوآتهم السوالف ، وخلاهم وما بقلبهم من الحسائف ، ووقت فراغه مـن خدمة الملك يصرف الى العبادة وجه همته ، وهكذا كانت سيرته الى أن لحق بربه ورحمته، فتأسف على فراقه الملك الهمام، حيث خلا بيته من روض حضرته البسام، وإذا تذكره الأنام، ترحم عليه اللئام والكرام، وما زال علَم نثره وشعره منصوبا بين الاعلام ، وحكم مثله وأمثاله تتلى ويستشهد بها أيمة الاسلام ، فاق المخضرمين والمولدين والمحدثين والمجددين ، فمن أشعاره الفائقة ، ذات المعـاني الرائقة ، يوم غزا السلطانُ المذكـورُ برابرَ زمُّور ، هـذه القصيدة التي تنبىء عن توغله في علم الادب :

مهور المعالي البيض والاسل السمر   وأقصى أماني السيد الامر والنهـر

ثم أنشدها وهي 118 بيت .

ومن أشعاره السلسة المساق المشتملات على التشبيهات البديعة ، والاستعارات الرفيعة ، من غير ارتكاب لغة وحشية فيها ، وكل أشعاره رضى الله عنه يرتكب فيها سهولة التركيب ، ويترك كل لفظ عدى الغريب ، وكان ذلك هو المطلوب في مدح الملوك ، فقد نقل الشيخ المغيلي أن من الادب في مدح الملوك بالشعر تهذيبه وتحسينه ، وتقريب عباراته وتزيينه ، ولا يرتكب قائله الاوزان الضعيفة ، ولا اللغة الوحشية ، بل يعتمد في مدح الملك ما رق وراق ، انتهى .

وللمترجم رحمه الله ديوان شعر حافل ، جمعه ولده ادريس (المتقدمة ترجمته (1) ، قال فيه عند زيارة السبعة رجال ، وقد حظِي ببلوغ الآمال ، ونال بركة أهل الكمال :

1) في الأصل : الآتية ترجمته ان شاء الله ، اعتبارا للترتيب السابق للكتاب ، وقد تقدمت ترجمة ولده ادريس في 3 : 22 ع 336 من هذا الكتاب

جزى الله أهل الخير خيراً فانهـم | حموا جانبي من كل عيب ومن رذ
هم أرشدوني للهدى بعد حيـرة | ولا يمنح الارشاد الا ذوو الرشـد
وهم أوردوني بالحمى مورد الصفـا | الى أن صدرت بعد ريي عن الـورد
وهم البسوني حلة المجد والرضا | وهم رفعوا قدري الى دارة السعد
حللت حماهم خائفاً مترقبـا | فجادوا وعادوا بالعناية والوجـد
حططت رحالي عندهم طالب القرى | بمراكش حتى قروا.ورعوا وفدي
كرام بدوا في دارة الجود سبعـة | حكتها الدراري السبع في النور والجد
فبابن علي يوسف فتح بابهـم | وعند عياض ما تؤمل من مجـد
وأما أبو العباس فهو امامهـم | ولابن سليمان الرضى آية القصد
وسل من علا التباع ما شئت من هدى | ومولاي عبد الله ذي الكرم العـد
ويسهل ما تبغيه من كل مطلـب | بجاه السهيلي الرضىَ العالم الفرد
أولئك أرباب العناية والعـلا | وهم قادة والمهتدون على قصـد
وكم من امام في جوار ديارهـم | له ما لهم من رفع جاه ومن رفـد
هم القوم لا يخشى من الجور جارهم | وان جاور الموفون في الناس بالعهد
هم يكرمون الجار ما دام بينهـم | وتتبعه الامداد موفورة الرفـد
ولا أحد يرعى الذمام كرعيهـم | ويحمي ذمار المستجير على البعد
فلا زلت معمور الجناب بفضلهـم | أنال بنيل منهم فائض المـد
وزادهم المولى الكريم ترقيـا | وبسطا وفضلا زائدين على الحـد
وأبقاهم المولى مظاهر رحمـة | بجاه الذي أولاهم مدد الفـرد
عليه صلاة الله ثمَّ سلامـه | وآله والأصحاب ما فاز ذو قصـد

وقال أيضاً يخاطب ولي الله أبا العباس السبتي رضي الله عنه :

تبسَّم في وجه الرجاء سعـودي | وأورق في أرض المسرة عـودي
وقابلني دهري ببشر ورحمـة | وانجز من بعد المطال وعـودي
وعاد باحسان الي ومنـة | وقال لأيامي المليحة عـودي
ووافت بألحان التهاني بشائـر | تفوق حلى طار ونغمة عـود
وذلك لما أن قصدت حمى الـذي | تناهَى ثناء في عُلا وصعـود

إليك أبا العباس أهدي على النوى ... مدائح تكسوني ثياب سعـــود
وأنزلت رحلي في حماك وقد دنـا ... وطال قيامي في الورى وقعـودي
وجردت من حبي إليك ظعينـــة ... على متن طرف أو سنام قعـــود
فأنت الذي نستدفع الخطب باسمه ... ونأْمن أهداف البلا بوعـــود
ونستجلب الخير الجليل بقصدكم ... ونظفر من بحر الندى بـــورود

وقال في توسل منه :

وبالحسن اليوسي ناديتُ سائـلا ... لعليَّ أحظَى بالامان وبالذخـــر
وناديت عبد الله أعني ابن طاهـــر ... وأولاده أهل السياسة والبـــر
وبالمرتضَى المولى عليٍّ شريفهم ... توسلت والرحمان يرفع لي ذكري
فهم جيرتي بين الانام ومقصـدي ... وعندهم روحي العزيزة مع فكـري

وقال في توسل رحمه الله منه :

بجاه أبي يعزى الرفيع مقامـــه ... وجاه أبي العباس غيث الندا البر
وبالمرتضَى المولى عليٍّ ونسلـه ... وبابن آلعريف سابق السادة الغر
وبالقاضيعياض بن موسى ويوسف ... هو بن علي صاحب الغار والاثـــر
وبابن سليمان الجزولي ذي العـلا ... وعبد العزيز المرتضَى وأبي عمرو
وبالغزواني والسهيلي والرضـا ... أبي ياسين ميمون مبرىء ذي الضر
وأحمد السوسيِّ ذي الفضل وابنه ... منيل العلا العباس مهلك ذي الجور
وبابن حسين عابد الله وأبنـــه ... أبي الفضل ابراهيم جابر ذيالكسر
وجاه ابن ساسي ذي الكمال وجاره ... مفيد العلا وحال ذي الكرم الوفـر
وجاه ابن موسى أحمد ورجالـــه ... كذا نجل عبد المنعم النير الفكـر
وسيدي نجل سيدي وجميع مَـن ... بسوس وأهل الله في كل ما قطـر
وسيدنا مكدول قلْ وجميع مَـن ... برجراجة الانجاد من سيد بـــر
ومَن حل في تلك النواحي بأسرها ... وجملة أهل الله في ساحل البحـر
بسكان تيط أهل كل كرامـــة ... ومَن فضلُهم سام علىالانجم الزهر
وسيدنا أبي محمد صالـــح ... وبالمرتضَى أيوب أعني أبا الصبر

ثم ذكر رجال سلا والرباط ورجال مكناسة وأقطار تادلة ودرعة قال :

فبالبطل الشرقي أعني محمدا وأبنائه الابطال في حومة الذعر
فبالغزواني المرتضى ثم صالح وسيدنا المعطي الذخيرة للذخر
وسيدنا العربي غوث زمانه وأبنائه الانجاب والسادة الغر

ثم قال :

وبالصومعي الفرد وابن مبارك أنادي وأشياع له وبني النجر

ثم ذكر أعلام فاس قال :

ودراس الارضى وجاه ابن حرزهم ويوسف الفاسي مع صنوه الحبر

ثم ذكر رجال وزان ، وأولاد مصباح والقصر ، وأهل الحرائق ، وأولاد البقال وأولاد مولانا عبد السلام ابن مشيش ، ثم مولاي علي الشريف وغيرهم ، ثم قال :

ومولاي عبد الله أعني ابن طاهر وأبنائه أهل الولاية والطهر
وجاه شعيب الغوث في كل بلدة أبي مدين وابن الخلوف الذي يقري

ثم ذكر رجال الشرق وتونس والاسكندرية ومصر ، ثم جملة أهل الله ، ثم قال :

سألتكم بالله لا ربّ غيره وأحمد المبعوث بالفتح والنصر

وهو منه رحمه الله قلب للحقيقة ، فليتوسل لله بأوليائه ، ولا يتوسل للأولياء بالله ، وعدتها 105 أبيات .

وقال أيضا يتشوق الى فاس :

حنت لأحمال أثقال النوى عيري فذكرتْنيّ أصواتَ النواعير
يا عيري حُثّي الخطا واستنشقي أرجا من نحو فاس وان عزّ الخطا طيري

فما مقامي بأرض لا أنيس بهــــا ولا شراب سوى ماء الخطاطيــــر
إيه فما البعد عن أرض بها سكني أهل الحضارة فيها والقناطيــــر
في كل قطر بها أرض وساقيـــة فلا مجاز سوى على القناطيــــر
تلقى بها أوجها زانت نضارتهـا مثل الدنانير في زي النواويــــر

وبعدها 13 بيتاً في أغراض مختلفة .

وقال أيضا :

وهم مفتاح أبواب العطايــــا وأسرار الاجابة والســــؤال
نزلت بحيهم أرجو نجاحـــا وتوفيقا وأسأل جبرَ حالـــي
ولذت بأحمد السوسي أبغـــي قضاء مآربي وهناء بالـــي
وقد نشبت بي الايام ظِفــرا وأبدت نابها نوب الليالـــي
ومَن ينزلْ حِمى الكرماء يأمَــنْ ولا يُلقي لحادثة بـــال
وظني أنني أنزلت رحلـــي بأكرم سيد وأجل والـــي
يوالي القاصدين بفيض فضـل ويلقاهم بمحمود الخصـــال
ويبسط في قرى الاضياف كفـا معودة التفضل بالنـــوال
سما بالله أوصافا وحـــالا وأكرم بالتقرب والوصـــال
وصار له التصرف في البرايـا بما يبغي بسر الانفعـــال
أسيدنا قصدتك مستجيـــراً أؤمل منك فوزاً باتصـــال
وأرجو شفاء قلبي من هــواه وما بالذات من داء عضـــال
وأنتم للورى مفتاح خيـــر كما قد جاء في صدق المقـــال
وكيف يخيب راجي الخير منكم وجاهكم لطالبه موالـــي
ونجلك أحمد العباس قطـــب وفي أبوابه حطت رحالـــي
أأخشى وأنتمُ فينا حمـــاة ؟ ويهضم جانبي ولكم أوالـــي
جعلت كليكما لكما شفيعـــا فكيف يضيع بينكما سؤالـــي ؟
وجاه المصطفى للكل أمـــن به الرحمان رحمته يوالـــي
صلاة الله والرحمى عليـــه وآل والصحاب وكل تالـــي

وقال أيضا :

أبا العباس ياغوث الانــــــام ... ويامولى الاكارم والكــــــرام
وياحرز الأنام لمستجيــــــر ... وياورد الّتهان لكل ظـــــام
عهدتك في الشدائد لي مغيثـــا ... وغوثا ناصراً بين الأنـــــــام
معاذ الله تسلمني لحـــــــط ... وأنت الفارس البطل المحامـــي
علقت بذمة منكم قديمـــــــاً ... وشأنُك في الورى رعْي الذمـام
وجاهُك للورى وَزَرٌ وحِــرْزٌ ... فكيف يسام سربي باهتضـــام ؟
فراع واعتنِ وادفعْ ودافـــــع ... ووال المكرمات وجد وحــــام

وله رحمه الله في السادات سبعة رجال :

ياسادة الحي ياكـــــــرام ... ومن هم القصد والمــــــرام
ياجيرة جارهم عزيـــــــز ... فلا يسام ولا يـــــــرام
ياسبعة فاقت الـــــدراري ... بذكرهم ينجلي الظــــلام
أنتم بحور الندى وأنتــــم ... بدور سر بها التمـــــام
انا قصدنا الى حماكــــــم ... وعندكم يحسن المقـــــام
لكم بمراكش طلــــــوع ... بنوره استبشر الأنــــام
وأنتم مظهر التعالـــــي ... ومنكم الفضل مستـــــدام
فقابلوا بالقبول ضيفـــــا ... له باقبالكم غـــــــرام
وعاملوه لله فضــــــلا ... فأنتم الناس والكـــــرام
تحية الله كل حيـــــن ... تهدي لمغناكم والســــلام

وقال وقد وفق الله بعض أعيان الدولة العلية لتجديد بناء ضريح الولي الصالح سيدي ميمون وضمنه تاريخ ذلك البناء :

من فضل ربي وخير الخلق صفوتــه ... ومن سعادة عالي القدر والهمــم
مولى الملوك أبي زيد الذي سمحـت ... به الليالي فأحيا دارس الرمــم
قد أهـَّل الله من أبناء دولتــــه ... مَن صان ذي الروضةَ الغنا من الهرم

ضريح سيدنا ميمون من ظهـــرت ... له المكارم في عرب وفي عجـــم
دواء سقمك معقود بزورتـــــه ... تاريخه فاقصدنه ملقي السلـــــم

وقال يفخر بنظمه وأدبه ، ويقول للواله انتبه :

سل الرواة عن نفثات شعـــري ... فكم أبرأن من قلب سقيـــــم
وكم أظهرن جودا من بخيـــــل ... وكم أولدن من بكر عقيـــــم
فان الشعر في التحقيق سحـــر ... كما قد جاء في الاثر الكريـــم
ولي في نظمه القدح المعلـــى ... وأسرار تغيب عن العليـــــم
فانظم حين أنظم رائعـــــات ... تفوق الدر في العقد النظيـــم
وأرفع بالمديح مقام قـــــوم ... وان كانوا ذوي أصل لئيـــم
واخمل بالهجاء منار قـــــوم ... وان كانوا ذوي قدر عظيـــم
ولي قلم له بأس شديـــــد ... يثلم حده حد الصريـــم
يلين بالبلاغة كل قـــــاس ... ويسحر بالبيان لهى الصريـــم
ويترك ضربه الأقران صرعـــى ... لدي الميمون بالضرب القويـــم

وله أيضا رحمه الله يمدح المولى الاشهر سيدي ميمون دفين مراكش نفعنا الله به :

الله حقق بالشفاء ظنونـــــي ... وأقرّ من أهل الكمال عيونـــي
وتدارك العبد الضعيف بلطفـــه ... بدواء أهل السر والتمكيـــن
لما نزلت بحيهم متضرعـــــا ... متوسلا بعلاهم الميمـــــون
عافوا علي والبسوني حلة الـــ ... ـاقبال والاسعاد والتأميـــن
يا أيها الشاكي السقام بذاتـــه ... وبقلبه زرهم بحسن يقيـــن
والجأ لبابهم ولُذْ بحماهـــم ... تجد الشفاء بذاك طوع يميـــن
ما للشفاء من السقام اذا عـــرا ... الاّ زيارة سيدي ميمـــون
شيخ بادواء الخلائق عالـــم ... ودواؤهم بيديه كالمضمـــون
لا سيما الجار الغريب فانـــه ... لا يكتفي من فضله بالـــدون

ولما نزل بداره بجوار سيدي ميمون المذكور نفع الله به، أضر به البعوض ، ومنعه النوم ، فنظم هذه الأبيات مستغيثا بالولي المذكور ، فلم يضره بعد ، قال رحمه الله حتى أن من ينام معه بالمحل يبيت مروعاً ومايصيبه هو أذى :

ياسيدي ميمو ن يامَن فضلــــه حلَّى لساني الدرَّ مع آذانـــي

اني نزيلك والبعض أضر بـــي فامننْ بنفْي جميع ما آذانــي

أعط النزيل جزيل فضلك واكفه شر العدا وتقلب الأزمـــان

وقال في زيارة الولي الصالح سيدي أبي شعيب بأزمور :

قصدنا حمى الامام أبي شعيـــب رفيع القدر مُقري الزائرينـــا

وله أيضا رحمه الله في زيارة الولي الصالح العارف بالله سيدي عبد الله الغزواني :

طب العليل ومورد اللهفـــان في قصد أهل السرّ والعرفـــان

ومقر كل العز في عرصاتهــم ومنال كل الخير والاحســـان

أبوابهم للزائرين مناهـــل ومقامهم لهم مقام أمـــان

هم قبلة للسائلين وكعبـــة للآملين وعصمةٌ للعانــــي

كم نال قاصدهم بهم أسنى المنى وسما بمكرمة ورفعة شـــان

ولكم بهم خرق العوائد صـــادق في كشف معضلة ونيل أمـــان

روضاتهم روضات جود زخرفـــت وقطوفها للزائريـــن دوان

فالهج بذكرهم وصرح باسمهــم في حالة الاسرار والاعـــلان

واذا عرتك من الزمان ملمـــة فانزل بهم تأمن من الحدثـــان

فالله خصّهم بكل فضيلـــة وحباهم بتصرف الأكـــوان

وحمى حماهم أن يضام وخص من يعزى لهم بالأمن والاحســـان

لا سيما بحر المعارف والنـــدى عبد الالاه العارف الغزوانـــي

علم الولاية والعناية والعلـــى ومقام أهل الفضل والعرفـــان

وحماية اللاجي وعون المرتجـــي — وعناية الناجي وغوث العانـــــي
صعب الأمور بقصده متيســــر — وبعيد آمال به متــــــــدان
فرد سما بالله في أحوالـــــه — لما خلا عن ربقة الاكـــــوان
وسقى بكأس نال صفو شرابهـــا — أهل الصفاء وصفوة الاخـــوان
وغدا بعيد الشيخ وارث ســــره — عند اختلاف الجلة الأقـــران
أبدى لهم من سره ما سلمــــوا — واستسلموا لمقاله الربانـــــي
ولديه من سر الوراثة خاتـــــم — ختمت بها أسرار أهل الشـــان
كم آية ظهرت له وكرامــــــة — جلت لكثرتها عن الحسبـــان
من ذا يؤمل حصر ما قد نالـــه — من رفع مرتبة وعزة شـــــان
ويروم وصف مقامه والله قـــــد — أعلا مراتبه على كيــــــوان
فقف المطي على ربوع مقامــــه — والهج به في معقد الحدثـــان

وقال أيضاً :

والله لولا سبعة أرجو بهـــــا — نيل المفاز ورحمة الرحمـــان
ما قمت في باب الخلافة آمـــراً — أو ناهياً في خدمة السلطـــان
إبلاغ حاجات وغوث مؤمــــل — ودفاع مكروه وبذل أمـــــان
وعلاء إسلام وبث نصيحـــــة — واعانة الاخوان والاخـــــدان

وقال يفتخر بالعفاف وعلو الهمة وينزه نفسه عن اكتساب المذمة :

شعبي وشعب الغواني غير ملتئـم — ووصلهن أرى ضرباً من الحلـــم
كم لي أسائل عن سلمى وجارتهـا — وعن رسوم عفت وأينق رســـم
وكم أكفكف دمعا في مرابعهـــا — ضلا وأسال عونا واكف الديـــم
والشيب قد لاح في فودي وقنّعني — والسيف أحسن فعلا منه في اللمم
أسرى بليل شبابي فاستنار بـــه — كغاسق لاح في داج من الظلـــم
وبصر العين سبل الرشد فانبعثت — أخلاقه لطلاب المجد والكـــرم
نفسي عن الكبراء القدر قد كبـرت — وفوق هام الثريا قد علت هممـــي
ما ذا يقول ذوو البغضاء في رجـل — خال عن الكبر مكسي حلة الحكـم

والعرب بالباب والأخبار سائــرة وألسُنُ الخلق تبدي كل مكتتم
أصون ماء المحيا عن إراقتـــه ليس الدناءة والالحاح من شيمي
ولا أمدن عيني نحو عارفـــة من كف نذل ولو أربى على هـرم
وكم فتى لجنابِ الملك منتسبـا أعدى على المال من ذئب على غنم
يظل يسدي ويهذي في زخارفـه وليس يصدق في ضرب من الكلم

وقال كما نقله ولده من خطه : ولعبد الصالحين محمد بن ادريس العمراوي هذه القصيدة في مدح القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي ، أنشأها في شهور 1244 :

روح القبول من الاخبار حيانـي وعرفه بجزيل العرف أحيانـي
لو لم يكونوا رضوني لامتداحهـم ما عمر الفكر بالأشعار أحيانـي
أو لم يريدوا قضاء ما أؤملـه ما ألهموني إلى تقويم أوزانـي
هم الكرام ومن يحلل بساحتهـم ينل مناه بلا حد وميـزان
للشعر عندهم قدر وصاحبـه مقضي الحوائج مخصوص باحسان
والعرب ان مدحوا جادوا فنال بهم ذو الفقر دنيا وفكوا ربقة العانـي
فكيف من قد أتاه ربه شرفـاً وخص منه بتقريب وعرفـان ؟
شيخ الشيوخ الجزولي الرفيع مدا محمد المرتضى نجل سليمـان
قطب الكمال ومن قاموس راحتـه يروي البرية من قاص ومـن دان
قد احتسى من كؤوس الحب مترعها ثم أدار على صحب وخـلان
سقاهم صفو خمرة الصفا فصفـوا لله في حال اسرار واعـلان
كأس بها اغتبق الاكياس واصطبحوا انسا على نغم الألحان والحـان
راح تروح بها الارواح طيبـة اذا احتستها على روح وريحـان
رقت فما تبصر العينان صورتهـا ولا تحل بأكواس وكيـزان
قديمة زانها وصف الشباب فمـا تنفك تصرع في شيب وشبـان
كاساتها الصدق والعرفان نشوتها وسكرها صفتا صحو ووجـدان
من ذاقها ترك الدنيا وزخرفهـا وصار في العالم العلوي روحـان
كل على قدره أعطته نشوتهـا حالا فمن ثابت جاشا ومن فـان

الموت فيها حياة لا انقضاء لهـــا … فمت تعش عيشة المرفع الهانـــي

كم سالك في غمار الخلق عاقرها … وهائم واجد في طود لبنـــــان

ومنتش وهو صاح من تثبتـــــه … وآخر ثمل في الناس هيمـــان

خمز بها الحسن البصري خامـره … وجد فأضحى عظيم القدر والشان

منها تروي حبيب صافيا فغـــدا … من بعد عجمته لسان احســـان

ونال بسطا أبو يزيد حيـن روى … فقال هل من مزيد حسوها شان ؟

وقد سرتْ فيالسريّ الفرد نشوتها … فألبسته على صدق وإيمـــان

كما تحسى الجنيد صفوها فغـــدا … إمام علمي حقيقة وعرفـــان

ولابن أدهم لاح سر مظهرهـــا … فحاد عن ملك أموال وأعـــوان

وأكسبتْ خلد النوريّ معرفـــة … فغاب عن صحبه في كشف أحزان

وهام من أجلها الشبليُ منتشيـاً … لما ارتدى فاهتدى لنهج كتمـــان

وباح من سكرها الحلاج عربـــدة … فمات حدا بها ما بين ندمـــان

والجيلانيُ حبتْه رفعَ منزلـــة … في حضرة القدس قرب ما له ثـان

وحاز سهل بها تسهيل مطلبـــه … وبشرت بشرا الحافي برضـــوان

وفاز معروف الكرخي بمعرفـــة … بشربها فغدا معروف عرفـــان

أما الفضيلُ بن عياض فنال بهـا … فضلا ولم يبصر الدنيا بانســـان

واغتبق الحاتمي كأسها فغـــدا … في علمه اللدني بحر اتقـــان

ثم الى عمر بن الفارض انتقلـــت … فنال حسن بلاغة وتبيـــان

ونال من صفوها عبد السلام صفا … فنال أنسا بها عن كل أزمـــان

والشاذلي تحساها فما برحـــت … يفوح منها شذا في كل أزمـــان

ونال منها أبو العباس فانتشـرت … منه الى أبن عطاء الله صنفـــان

أبو يعزى بها قد عز شاهـــده … فهام وجدا ولم يجنح لسلـــوان

وفي أبي مدين لاحت سرائرهـــا … لما انتشى فنهى عن لوم سكـــران

أبو شعيب بها استعلت مراتبـــه … حتى غدا معرضا عن زخرف فـــان

أبو محمد صالح حبتْه عُـــلا … ورفعته على هامات شهبـــان

ثم احتساها أبو العباس صافيـة … فحاز من أجلها تصريف أكـــوان

والقطب ادريس منه شمسها طلعت … بمغرب بين أقطار وبلـــدان

وقد تجلت بسر نجله فسرت ... أسرارها في فؤاد القاصي والداني

قوم لهم قدم التقديم ان ذكروا ... لأنهم في الورى أعيان أعيان

ولم تزل يشرب الاخيار صفوتها ... في حضرة القدس في أكواس ايقان

ونحن نرجو بفضل الله قسمتنا ... منها وان عمنا أوصاف نقصان

فان لله سرا في خليقته ... ونفحة عرفت بقلب أعيان

ياسيداً قد سمت بالله رتبته ... علما وحالا وتقريبا ببرهان

انا ضيوفك والاقتار حالتنا ... وأنتم الاغنيا في حال إمكان

حاشاكم أن يخيب السعد عندكم ... فقاصد الله لا يغدو بحرمان

وقد تطلفت في أبواب فضلكم ... بذكر أسماء أهل الفضل والشان

وصفت خمرتكم كيما ألذّ بها ... وأحتسي في حماكم فضل احسان

وأنتم القوم لا يشقى الجليس بكم ... قطعاً وقاصدكم يحظى برضوان

ولا يخاف لدى الدنيا محبكم ... أذى ولا يختشي إحراقَ نيران

فلتقبلوني فاني في حمايتكم ... ولترحموني فانى مسرف عان

ولتشفعوا في قضاء ما أؤمّله ... حتى أعود بأوطاري لأوطاني

فقد أتيت لباب الفضل ملتجئاً ... وأنتم وزر المستضعف العاني

وسيلتي جاه خير الخلق أجمعهم ... محمد المصطفى من خير عدنان

صلى عليه وءال والصحاب معاً ... رب الورى ما سرت أرواح غفران

وما بدا وجه اقبال فقال فتى ... روح القبول من الأخيار حياني (1)

808) محمد بن المدني الفلاقي الغرفي

محمد بن المدني بن الكبير الفلاقي الغرفي ، الشيخ العلامة المشارك الفهامة الحافظ العامل صدر الدين الكامل ، كان رحمه الله فقيهاً محدثاً نحوياً بيانيا علامة مشاركاً ، ولي القضاء بحضرة مراكش مدة الى عام 1252 اثنين وخمسين ومئتين وألف ، ودرس الحديث والفقه وغيرهما ، أخذ عن الشيخ سيدي الطيب ابن كيران ، وسيدي حمدون ابن الحاج وغيرهما ،

---

1) ينظر عن الوزير محمد بن ادريس ذكريات **مشاهير رجال المغرب** ع 3 و**فواصل الجمان** ص 40 و**اتحاف اعلام الناس** 4 : 189

وانتفع به هو جماعة من الطلبة ، وكان يقرأ مع السلطان سيدي محمد في حياة والده مولانا عبد الرحمان .

توفي رحمه الله يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الثانية عام سبعة وستين ومئتين وألف ، ودفن بروضة العلماء بفاس قريبا من رأس شيخيه المذكورين ، وكان عند رأسه في جدار الروضة تاريخ وفاته فأقلع .

ذكره في (السلوة) ، و (الحسام المشرفي) وغيرهما .

809) **محمد بن محمد الزهني اليازغي** ، ولي حسبة مراكش في دولة مولاي عبد الرحمان ، وكان فقيهاً عدلا مدرساً ، وقفت على علامته في رسم مؤرخ عام 1267 ثم عام 1269 ، وكان يسكن بدرب تزكارن من حومة باب دكالة .

810) **محمد بن قدور اليزمي المراكشي** ، الشيخ الصالح ، الفقيه الاستاذ المقريء ، البركة الوجيه ، العالم العامل ، الزاهد الورع . درس الشاطبية وغيرها بجامع حومة باب دكالة ، وكان خطيباً به توثر عنه كرامات .

توفي رحمه الله في العشرة السابعة من القرن الثالث عشر ، ودفن بروضة باب دكالة .

811) **محمد بن حمو الرحماني البربوشي المراكشي** ، قاضي الرحامنة، المدرس الفقيه الأستاذ ، كان رحمه الله قاضياً بها في دولة المولى عبد الرحمان ، وكان مسموع الكلمة مع رفيقه العلامة السيد البهلول عند السلطان المذكور ، واليهما ترجع أمور قبيلتهم ، ويستشيرهما في تولية عمال الحوز ، ثم وشى بهما عاملا قبيلتهما علال بن عبد الله الشياظمي ، وزروال ، زاعمين أنهما ما داما في الرحامنة لا يستقيم لهما أمر ، فقبضا عام سبعين بموحدة ومئتين وألف ، ثم رحلا إلى فاس وكان قبل ترحيله يسكن بالزاوية العباسية من مراكش ، عمر طويلا . وتوفي رحمه الله في أواخر دولة المولى عبد الرحمان .

812) مَحمد بن مُحمد الأبيض

مَحمـد بفتـح الميم بـن مُحمد بضمها بـن قدور المغربـي الأصل ، المراكشي الاسكندري الدار المكنى الأبيض ، أورده أحمد ابـن حسون في رحلته التي ألّفها عام 1207 ، فقال عند ذكر دخوله للاسكندرية ما نصـه :

وفي هذا اليوم أيضاً تلاقيت مع شيخنا سيدي مَحمد بفتح الميم بن مُحمد بضمها ابن قدور المغربي المراكشي الأصل ، الاسكندراني الدار ، المكنّى الأبيض ، فتفاوضت معه في مسائل فقهية ، وأراني شرحاً له مطولا على تأليف شيخه شهاب الدين أحمد الدردير في مديح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، سماه (مورد الظمآن ، لشرح مولد سيد ولد عدنان) ، عادة أهل الاسكندرية أنهم يقرأون ذلك التأليف ليلة المولد، فتذاكرت معه في مواضع منه، من جملتها حديث أنا سيد ولد آدم ولا فخر، فقلت لِمَ خص صلى الله عليه وسلم ولد آدم وهو صلى الله عليه وسلم سيد آدم وولده؟فقال لي إذا كان سيد ولد آدم، وفيهم من هو أفضل من آدم كابراهيم وموسى كان أفضل من آدم بالأولى،وأراني هذا الجواب مكتوباً عنده بشرحه المذكور ، فقلت له : فالدليل على أن ابراهيم وموسى أفضل من آدم ، وقد خصص المفسرون البعض المفضل في قوله تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ووقع الاتفاق على أن المراد بالبعض في آية : (ورفع بعضهم درجات) محمد صلى الله عليه وسلم ، ويدل له حديث ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ، وآية: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وشرف الامة بشرف متبوعها ، فاشتغـل يستدل على ذلك ، وحاصل استدلاله آيل الى تفضيل موسى فقط ، وبقوله تعالى : (اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي) لاغير ، فقلت له : سلمنا أنهما أفضل من آدم لما في نظم الامام السيوطي المسمى بـ (الكوكب الساطع) ونصه :

يليه ابراهيم ثم موسـى ونوح والروح الكريم عيسـى
وهم أولو العزم فمرسلو الأنـام فالأنبياء فالملائك الكـرام

ويلزم من جوابه أن يكون صلى الله عليه وسلم أفضل من آدم ، فما نكتة العدول عن التصريح الى اللزوم والأول أقوى ؟ فسكت ولم يأت بجواب ، وظهر لي أن نكتة العدول المذكور التأدب مع آدم عليه السلام ، لانه أبو الأشباح ، ورأيته اعترض في شرحه المذكور على ابن حجر الهيثمي شارح الهمزية في تفضيله حواء على آمنة ، وصوب أن آمنة أفضل ، وهو اعتراض متجه ، وذكر لي انه لم يره لأحد ، وتذاكرت معه في مسألة الوجود ، هل هو عين الموجود كما نسب للاشعري أو غيره كما قاله الامام الفخر ؟ فقلت له : كيف يسوغ للأشعري أن يقول هو عينه ؟ والاشتقاق ينافيه ، وكذلك الاضافة في قولنا وجود مولانا قديم مثلا ، إذ الشيء لا يضاف لنفسه ، والمشتق منه سابق على المشتق ضرورة ، ومعاذ الله أن يجهل الأشعري أمثال هذا ، فقال لي إن الخلاف لفظي لا حقيقي ، وإن ما قاله الفخر يوافقه عليه الأشعري ، وما قاله الاشعري يوافقه عليه الرازي ، فقلت له : ما نكتة هذه المخالفة اللفظية ؟ فتوقف ، وهي مذكورة في كتب القوم ، وهي الرد على أكثر المعتزلة، إذ قالوا المعدوم الممكن قبل وجوده شيء وذات ومتقرر في نفسه في الخارج ، الا أن الممكنات قبل أن تكسى بنور الوجود مخبوءة في بيت مظلم ، ثم يفيض الله على من شاء منها نور الوجود ، فتبرز للعيان ، فللذات الموجودة عندهم تقرر قبل الوجود ، والفاعل المختار عندهم انما فعل الوجود لا الذوات .

قال البدر الزركشي : وهذا يجر بهم الى القول ، بقدم العالم الى آخر ما هو مذكور في كتب الكلام ، فلتراجع . وذكر لي أن له شرحاً على مقدمة ابن آجروم ، وله رسالة في مناسبة أبتداء البخاري بقوله : كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وقول الله تعالى : « انا أوحينا اليك » الى آخره ، مع قوله صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالنيات ... » وان له تأليفاً في اصطلاح الحديث سماه : « القول المستملح في علم المصطلح » ، وله حاشية على النخبة العليا ، وله تكملة لتأليف الامام الاخضري في الفقه من باب السهو ، وله حاشية على مناسك الشيخ خليل سماها « فتح الجليل » وله جزء صغير لخص فيه القدر المحتاج اليه من مناسك الحج ، وأراني جواباً حسنا أجاب عن مسألة الحبس على المعين ، هل يجوز قسمه

قسمة استغلال لأجل نحو العشرين سنة دون قسمة البتات ، أم يجوزان معا ؟ نقل فيه وحـرر أن قسمة البتات لا تجـوز ، وان وقعت فسخت ، وقسمـة الاستغلال تجوز ، وأنشدني من نظمه على لسان حال الامام مالك رضي الله عنه ما نصه :

يقول امام الدين والعلم مالـــك	لقد عدم الانصاف والجهل حالـــك
أيحسن بالانسان يزعم أنـــــه	على مذهبي وهو الفقيه المشـارك
فيتركه عمداً ويزعم أنـــــه	لنصرة دين الله حقاً يعـــارك
اينصر قولا للمخالف فتنـــة	أما حجتي تغري الذي هو حائـك ؟
يوافقني الجمهور من كل مذهـب	فيتبع قولا سد عنه المسالــك
كذبت لعمر الله أنت أخو المـرا	فان كنت مني انني لك تـــارك
فلا خير في شخص يعطل مذهبـي	فيا صحبتي حقا أغيثوا وداركـوا

813) محمد بن المكي العمراني المراكشي

محمد بن المكي بـن الحسن بن محمد بـن عبد الرحمان العمراني المراكشي ، قاضيها بمقصورة المواسين .

كان يحفظ مختصر خليل ، وتصدر منه الفتاوي الرائقة ، وكان عدلا عام 1229 تسعة وعشرين ومئتين وألف ، وقفتُ على علامته في رسم مؤرخ بذلك ، وعلى رسم خاطب عليه مؤرخ في 10 رمضان عام 1242 . واستقضي بالصويرة عام 1245 ، كما وقفت على ما يدل على ذلك ، وأعمل رسماً مؤرخاً عام 1243 ، وكان قاضياً بمراكش من عام 1238 ، ثم عام 1250 وقفت علـى خطابه على رسم مؤرخ بذلك ، كان خيّراً ديّنا ، ثم أخّر منه وذهب لفاس ، ثم رجع وولي حسبة مراكش ، وكان خطيباً بمولانا عبد الرحمان بمسجـد بريمة ، وتوفي يوم الجمعة بعد اغتساله لصلاتها بعد عام 1270 سبعين ومئتين وألف عن نحو ثمانين سنة ، وخلف من الاولاد سيدي محمد والد مولاي عبد الله ، ومولاي أحمد ، ومن البنات : زوجة شيخنا السباعي والدة أولاده مولاي أحمد ، ومولاي محمد ، والسيدة حليمة زوجة مولاي عمر ، ووقفتُ على عدة

فتاوي لعلماء مراكش في قضية رسم شهادة سماع حبس قطعية مؤرخ عام 1267 سبعة وستين ومئتين وألف أثبته سيدي الطالب ابن الحاج أولهم : سيدي محمد المطيع ، وسيدي سعيد جيمي ، ثم سيدي محمد المكي المترجم ، ثم عبد الله بن محمد العثماني .

فـائـدة :

قال في 2 : 179 من (الدرر البهية) ما نصه : « شرفاء دادس الباعمرانيون يرفعون نسبهم لأبي عمران ابن ادريس الامام ، ومنهم بمراكش جماعة وافرة بحومة القصور ، ولهم هناك شهرة بالشرف ، منهم : القاضي الشريف الفقيه السيد المكي بن الحسن ، والفقيه السيد المكي بن ادريس قاضي ر'دانة ، ومنهم بفاس الشريف الوجيه ، التاجر النزيه ، السيد الغالي ابن الفقيه السيد أبي عزة بن عبد السلام القاطن الآن بدرب بني يعدس من عدوة فاس القرويين ، ورأيت نسب هؤلاء مرفوعا لأبي عمران في غير ما رسم ، وكذا ما بأيديهم من الظهائر السليمانية وغيرها الى هلم جراً ، على أنه لم يذكر أحد من النسابين أبا عمران في أبناء الامام ادريس ، فلعله غلط أو في عمودهم اسقاط أو تحريف ، فقد زاد العشماوي وغيره عمران في أبناء الامام أدريس ، واليه ينسب البراكنة والمغارمة ، فجدُّ جميعهم هو السيد عبد الرحمان بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن إدريس بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن سعيد بن يعقوب بن داوود بن حمزة بن علي بن عمران بن مولانا إدريس الأزهر ، هكذا رفعه العلامة السنوسي في كتابه (الدرر السنية ، في السلالة الادريسية) ، وكان لهؤلاء سلطنة ودولة بتلمسان ونواحيها » انتهى .

ووقفت على ظهير شريف لمولانا سليمان بن محمد مؤرخ 5 محرم عام 1238 صرح فيه بابراء الفقيه القاضي مولاي المكي بن الحسن من متروك الهالك الشريف الطيب الوزاني المتجمل فيه مئتا ريال ، وزيادة مثقالين فضة حسبما رسم في الزمام بعد حوزه لها منه على أن يدفع مثلها لورثته بالعرائش إن شاء الله ، وعلى كتاب بامضاء الوزير سيدي محمد بن ادريس مؤرخ 29 محرم

عام 1263 باذن مولانا له في الافتاء في الأحكام الشرعية بهذه الحضرة المراكشية بالمشهور من مذهب إمامنا مالك ، ووجه له بطاقة للقاضيين ليكونا على بصيرة من ذلك ، وراجع ما تقدم في ترجمة جده سيدي محمد بن عبد الرحمان .

814) **محمد البركة** الولي الصالح ، المتبرك به حيّا وميتا ، المتوفّى سنة احدى وسبعين ومئتين وألف بالوباء ، ودفن بروضة باب الدباغ قبلة العين الجارية هناك .

قال في (حديقة الازهار) : كان هذا الولي صاحبَ كرامات ظاهرة، وإشارات باهرة ، اتفق لي معه أني كنت مع بعض الاصحاب من الطلبة بسوق الرقيق أيام طلب العلم بالحمراء ، فانتدبنا الى زيارة الولي عبد الله الغزواني نفعنا الله ببركاته ، فمررنا بدرب هذا الولي ، فقال بعض أصحابي : تعالَ إلى زيارة سيدي الحاج البركة ، فقلت أنا لم أنوِ زيارته ، وإنما نوينا زيارة الغزواني ، فقال أهل الرفقة لا بدّ من زيارته ، فدخلوا ، وذهبت أنا للغزواني، فبنفس ما جلست وشرعت في قراءة آيات قرآنية ، دخل عليّ أصحابي ، فلما فرغنا من الزيارة قلت انكم عجلتم في زيارة الحاج البركة ، فقالوا وجدناه مروعَ الحال ، سألنا منه الدعاء ، فقال لنا : اذهبوا الى الغزواني ، فأعدنا عليه، وقال لنا مثل ما قال أولا ، وكان هذا الرجل صاحب أحوال يقصده العامة والخاصة للزيارة ، كشيخنا سيدي محمد الطالب بن حمدون كان يزوره كثيراً، وكان السلطان يعظّمه ويُبجله ويقدره ، ويصبر على ما يصدر منه بحضرته . حدثني بعض أصحابه أن السلطان المذكور أرسل اليه لدار الملك فأتى فوجد أصحاب السلطان مصطفّين ، فصار يصافحهم قبل أن يلقَى الأمير وهم خلق كثير ، والامام قائم لمصافحته ، فبدأ بمن عن يمينه حتى انتهى اليه وصار يصافح من بعده ، وقد حضر بعض الاشراف من قرابة الامير ، فقال لقد أكثر هذا ، فانتهره السلطان وقال اسكت ، وكان هذا السلطان رحمه الله له فراسة نافذة ، ونورانية ناقدة ، فانه ما تعرف لأحد من المنتسبين الا ثبتت خصوصيته ، كالشيخ أحمد بن علي الدباغ المتوفى في السنة المذكورة آنفا، بل ماتا معاً أي محمد البركة الدباغ في يوم واحد في الوباء المذكور ، ودفن الثاني بروضة باب أغمات أحد أبواب حمراء مراكش .

815) محمد الفران المراكشي

كان رحمه الله ولياً صالحا ، وعلماً واضحا ، صدرت له كرامات وتصرفات ، ولما عزل السلطان مولانا عبد الرحمان بن هشام رحمه الله الفقيه الوزير السيد العربي بن المختار عن خطبته ، وولى مكانه الفقيه سيدي محمد غريط عام 1269 طالب مؤلف خرق العوائد المترجم في أن يقبل شفاعته في السيد العربي المذكور ، فانه كان طلب منه ذلك ، فقال والله انه لا يعود اليها أبداً ، فقد جاء عندي للدار وجعل السكين في فمه ، وقبَّل الارض ، فلم أقبل منه شيئاً من ذلك ، لكونه لم يحسن العبارة مع خلق الله ، فأخبرت السيد العربي بذلك ، فقال : لا حولَ ولا قوةَ الا بالله ، ثم حدث بعضُ أصحاب الشيخ سيدي قدور العلمي بما اتفق له مع المترجم في شأن الوزير المذكور بمراكش في تلك السنة أيضا ، قال ياسيدي اني أتيتك قاصداً ، فقال له وهل أتيت زائرا أو راغباً ، قال راغباً ، قال فيمن ؟ قال في فلان ، قال اخترْ واحدة من ثلاث دون تفكر ، قال وما هي ؟ قال قولُه تعالى : « ومَن يسلم وجهه الى الله » أو « فمن أظلم ممن كذب على الله » أو « اليه يردُّ علم الساعة » ، قلت « اليه يرد علم الساعة » ، قال انك من أهل الحيلة ، قال فاذهب اليه وقل له اني سآتيه في بيته ، فأتاه فجعل يرغب ويبكي بين يديه ، فقال له : أما الوزارة لا تعود اليها ، وأما غيرها سنُوليك ان شاء الله ، فكان الامر كما قال ، قد ولَاه السلطان على اخوانه شراكة وأولاد جامع حتى مات عنها ، وقد اجتمع محمد التاودي السقاط مع الجامعي المذكور بداره بمكناسة الى ان قال له إن هذا السيد الفران المذكور هو السبب في عزلي عن خطة الوزارة ، فقلت كيف ذلك ؟ قال رأيتُ ذات يوم وأنا نائم بفاس بداري التي بفندق اليهودي كأني خرجت من الدار أريد الركوب على الدابة ، فلما رفعت رجلي من الارض لأضعها في الركاب أتى اليَّ وقال لي انزل والله لا ركبتَها فاني قد عزلتك ، فلما انتبهت من نومي وتفكرت في ذلك حصل لي همٌ وغمٌ من ذلك ، فلما وصلت مراكش مع السلطان في تلك السنة وقع بي ذلك على يده وكان هو السبب فيه ، قال التاودي المذكور في كلامه (خرق العوائد) وقد اتفق لي

مع هذا السيد المذكور كرامات عجيبة ذكرتها في كتابنا (الرحلة المشرقية)، وله سر عجيب قد اشتهر به بمراكش .

ثم قال في محل اخر منه بعد أن ذكر الحاج محمد بن المدني بنيس انه كان معه يوماً بمراكش ، وكان قد وجّه عليه السلطان مولانا عبد الرحمان بن هشام اذ دخل علينا الولي الأشهر سيدي محمد الفران ، فجلس بازائي ، ثم سألني ، فقال أين هو بنيس الذي صيته في المشرق والمغرب ؟ فقلت ها هو نائم على الفراش ، فمدّ يده اليه لينزع عنه الغطاء بعنف ، فانتزعه فانتبه بنيس من نومه فزعاً مرعوباً ، فأشرت اليه ففهم ، ثم قال السيد المذكور : أهو هذا بنيس ؟ قلت : نعم ياسيدي ، قال انما هذا بنينيس فقط ، فقلت له : هذا ما أعطى الله ، ثم التفت اليه ، فقال هات الريال فأشرت اليه ، فناوله ريال واحد ، فقال زد فزاده ، ثم قال : زد ، فزاده إلى أن دفع له عدداً ، ثم قال : هات العنبر والعود ، فمكنه منه ، ثم قال : هات السكر ، فأتى له بقالب ، فقال زد ، فزدناه إلى أن حاز ثلاثة قوالب ، ثم قال هات الطلبلة فأتى بها ، فاشتغل يعمل الأتاي دون أن يذوقه ، ثم صبّه فناوله كأساً ولنا آخر ولمن كان حاضراً معنا هنالك . وهكذا الى أن شربنا ثلاثة كؤوس لكل واحد منا دون أن يشرب هو شيئاً منه ، ثم قام قائما فقال : بنينس كررها ثلاثاً ، وقال شرقاً وغرباً براً وبحراً جوفا وقبلة يهوداً ونصارى ومجوس وغير ذلك . والأسد يدك في جوفه قلبْه كيف شئت ، ومن له عين واحدة فليضف لها ألفاً ، وذهب لحاله .

وقد ذكرت هذه الحكاية وما وقع لنا مع هذا السيد المذكور مستوفى في كتابنا (الرحلة المشرقية) بتمامه .

ولما وصل المكي القباج لباب الخميس أحد أبواب مراكش وهمّ بالدخول لها استقبله المترجم وقال له عند الباب المذكور ان رجال مراكش مثل الزرع في المقلى ، انك تدخل ولا تخرج ، فكان كما قال له رضي الله عنه . قال في الكتاب المذكور : وقد سمعت هذه الحكاية ممن حضرها وقتئذ ، ثم شاع ذكرها بين الناس .

ثم ان المكي المذكور مات بعد ذلك بمراكش عام 1272 .

816) مَحمد بن محمد العربي عاشور الرباطي

مَحمد فتحا بن مُحمد العربي الرُشاي بضم الراء المهملة وفتح الشين المعجمة وبعدها ألف ثم ياء عاشور الأندلسي الرباطي ، قاضي الجماعة بمراكش ، الفقيه العلامة النحرير النقاد المطلع ، وقفت على تسجيل عليه مؤرخ 1256 ثم آخر عام ثمانية وخمسين ومئتين وألف ثم آخر عام 1259 ، ثم آخر ، وولي مكانه سيدي الطالب ابن الحاج ، كان يحكم بمقصورتي المواسين وابن يوسف ، وكانت فيه حدة ، سجن العلامة سيدي محمد السليطن حيث كان يفتي بنقض أحكامه ، ويعترض عليه فيها ، ووقع بينه وبينه لجاج ، ومنعه من الفتوى ، ثم سرحه السلطان مولاي عبد الرحمان في الحين . وكان لا يقبل من العدول الا المبرزين ، واختار منهم جماعة قليلة وعزل غيرهم ، واقتصر عليهم بأمر مولوي ، وصاروا يعرفون بالعدول العاشوريين ، ومن انصافه انه كان يأتي دار مفتي الديار المراكشية سيدي عبد القادر الدباغ يستفهمه عن القضايا ، وكان والده عدلا بالرباط ، وقفت على علامته في تسجيل ثبوت نسخة على قاضيه سيدي محمد العربي بن علي القسنطيني بتاريخ واحد ومئتين وألف .

وأبو بكر بن الرشاي ذكره في (الذيل والتكملة) من أشياخ محمد بن عبد الله ابن البر الجزيري نسبة الى الجزيرة الخضراء ، وهو ليس بأبي بكر محمد بن علي بن الحسن بن علي التميمي الغوثي القيرواني المترجم فيه .

فـائـدة :

ذكر في (نفح الطيب) في أوائل الجزء الثاني ما نصه : كان سيدي محمد الشاطبي لا يقدم من الشهود أحداً الا عند الحاجة ، وان حصلت الكفاية فلا يقدم أحداً غير مَن حصلت به الكفاية ، ويقول الشهود هم أولياء الله ، ويرى أن جنايتهم في صحيفة مَن قدمهم ، ويقول ما أجلّ الشهادة ان كانت صفة ، وأخسَّها إن كانت خطة .

تحذير وإنذار من بدع عاشوراء بمراكش .

وقفت على الرسالة المنسوبة للمترجم القاضي محمد عاشور في بدع عاشوراء بمراكش التي ذكر في أولها السلطان مولاي سليمان ، وهي في نحو كراسين من القالب الرباعي ، وعليها خط ولد المترجم تدل على براعة منشئها وتحقيقه ، فقهاً وحديثاً ، وتضلعه اطلاعا وبحثاً ، حُبب إليّ ايراد بعض نكت منها هنا ، قال في أولها : هذا ، وان هذه رسالة حفيلة ، بالنصيحة والهداية لمن ألقى السمع وهو شهيد كفيلة ، نهج لي طريقتها ، وكشف لي حقيقتها ، سيدنا الامام الاوحد ، أمير المومنين مولانا سليمان بن مولانا محمد ، أبقاه الله عمدة للدين ، وقامعاً لاهل البدع المعتدين ، وضعتها في ردّ ما اشتهر بمراكش ليلة عاشوراء من أمور أحدثوها ، وسموها الفراجة، تشتمل على مناكر هي لهدم بنائها وقلعها من أصلها محتاجة ، وذلك كتشبه الرجال بالنساء ، وتشبه الرجال باليهود والنصارى ، وكالمحاكاة لأناس من قبيلة أو من بلد أو تجار ، أو كاتخاذ الصور ، وضرب الرجال آلات اللهو من أكْوالات (1) ومزامير وغيرها ، وأخذهم بذلك أموالا من غير طيب أنفس أهلها ، بل يعطونهم اياها حماية للعرض ، وتوقياً من الضرب والشتم وسائر أنواع الاذايات . وكأخذ الكراء على تدوير الصبيان وغيرهم بالنواعير ، وما ينشأ عن ذلك من الضرر والجراحات . وعلى فضل الله وتوفيقه التعويل ، وبه الاهتداء الى سواء السبيل .

اعلم وفقنا الله وإياك لاتباع السنة أن الامور المذكورة بدع قبيحة محرمة ، والاتيان بها على وجه اللعب والهزل لا يخرجها عن الحرمة ، سيما عند مَن يرى سدّ الذرائع ، كما هو مبنى مذهب امامنا مالك، رحمه الله ، فان مَن يلعب بتلك الامور قد يألفها ويتطبع بها ويستحسنها ، ويميل اليها ، وينتظر متى يصل وقتها ، فاللعبُ بالمحرم حرام ، وذكر أبو بكر بن العربي

---

1) **اكوال** من أدوات الطرب بالمغرب . وشكله مستطيل من فخار أجوف يتسع من أسفل ويضيق من أعلا ، يجلد وينقر حسب ترتيب معروف ، وهو اكبر من **التعريجة** . وتتنوع اسماؤه حسب حجمه وزخرفه ورنينه . فهو **أكوال والهرازى والدعدوع ، والدربوكة** نوع منه .

في قوله تعالى : « ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ، قــل أبالله وءاياته ورسوله كنتم تستهزءون » ؟ ان الهزل بما هو كفر يوجب الكفر اجماعا، ونصه في أحكامه لا يخلو أن يكــون ما قالوه من ذلك جدا أو هزلا ، وهــو كيفما كــان كفر ، فان الهزل بالكفر كفــر لا خلاف فيه بيــن الامة انتهى ، ونقله عنــه القرطبي في تفسيره وأقــره ، ولعل كلامهما فــي صريح الكفر ، وفي القول الذي يقتضيه ، فان هزلهما كجدهما ، وأما الفعل الذي يتضمنه كشد زنار فيأتي ان شاء الله عن ابن مرزوق أنه ان كان على وجــه الهزل واللعب فهو حــرام ولا ينتهي بصاحبه الى الكفــر ، أما تشبه الرجال بالنساء وعكسه ، ففي صحيح البخاري باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال ، ثم نقل كلام ابن حجر ، وحديث الجامع الصغير لعن الله الى آخره وكلام المناوي عليه، وقال بعد أن نقل عن المناوي، ولم يعزه لأحد الصحيحين، وهــو ذهول عجيب فانه في البخاري في اللباس عن ابن عباس ، والتقديم والتأخير ليس عذراً في ترك العزو له ما نصه : قلت : ولا ينهض عذرا أيضا في ترك العزو للبخارى ، ان روايته فيها اسناد اللعن الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية غيره اسناده الى الله لأن معنى اللعن من النبي صلى الله عليه وسلم دعاؤه بلعنة الله ، فالمآل واحد . ثم نقل كلام الطبري ، وابن حجر هنا ، وفي كتاب النكاح ، ونقل عنه في حديث اللباس أنه يحرم على الرجال لبس الثوب المكلل باللؤلؤ ، ثم نقل عن المناوي في كبيره ، ثم نقل حديث الجامع الصغير : لعن الله المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء ، ونسبه للبخاري في الادب المفرد ، وللترمذي ، قال المناوي : ظاهره أنه لا يوجد في أحد الصحيحين وهو ذهول ، إذ هو في أصح الصحاح الحديثية في الحدود في نفي أهل المعاصي عن ابن عباس انتهى .

وقال بعده قلت : وهو في كتاب اللباس أيضا من أصح الصحاح ، في ترجمة باب اخراج المتشبهين بالنساء من البيوت ، عن ابن عباس أيضا ، لكن في روايتيه معاً : اسناد اللعن الى النبي صلى الله عليه وسلم ، لا الى الله ، وقد علمت أن ذلك ليس عذرا في ترك العزو اليه ، وأن المآل واحد ، على أن الذي رأيته في نسخة صحيحة من الجامع الصغير الرمز بالخاء والدال منفصلين،

وهما علامة البخاري في الصحيح ، وأبي داوود ، فكأن بعضَهم خلط الخاء بالدال ووصلهما ، فصارا على صورة الرمز للبخاري في الأدب المفرد ، وليس كذلك ، ثم نقل كلام العلقمي في المخنثين المأخوذ من كلام ابن حجر في النكاح ، وكلام الحطاب وغيره في الخنثي ، ثم كلام القاموس في المخ[illegible] والمصباح ، ثم ذكر نفي المخنثين ، ثم ذكر كلام الفقاء في عيبي تخنث العبد وفحولة الامة ، وأما تشبه الرجال باليهود والنصارى في هيأتهم وزيهم ، فنقل فيه كلام ابن مرزوق ، المنقول في شرح الشيخ جسوس ، وحاشية الشيخ بناني ، وكلام الحسن ابن رحال ، ثم حديث الجامع الصغير : من تشبه بقوم فهو منهم ، وكلام العلقمي عليه ، واما المحاكاة لمعين فهي من الغيبة المحرمة ، ونقل فيه كلام الاحياء ، واما اتخاذ الصور ، فذكر فيه كلام الفقهاء في أمثلة المنكر المبيح لترك اجابة دعوة الوليمة ، وصور على كجدار ، وكلام ابن حجر والأبي وغيرهما ، وحصل فيه أن الاحاديث الصحاح تفيد أن محل التشديد والوعيد فيما كان صورة حيوانية كاملة متجسدة ، وظاهر الأحاديث سواء كانت مما يطول بقاؤه ، كنحاس وحجارة وخشب ، أو لا كعجين وطين وفخار وعيدان تنكسر ، والأول هو الذي حكى فيه الاجماع على التحريم . والثاني هو محل خلاف أصبغ ابن الفرج ، ثم نقل عن القرطبي في قوله تعالى : « وتماثيل » أنه ذكر أنها صور الانبياء والعلماء ، كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهاداً الى آخره .

وقال بعده معترضاً على القرطبي ، ولم يثبت اباحة الصور الحيوانية في شريعة من الشرائع ، وانما أبيح لعيسى خاصة أن يصنع كهيأة الطير لمصلحة إظهار المعجزة ، وما ذكرناه عن القرطبي من استدلاله بالحديث السابق على أن التصوير كان مباحاً في ذلك الزمان فاسد ، اذ الحديث شاهد عليه لا له ، فهو من القلب ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم بعد ما قال : أولئك كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصورة ، قال : أولئك شر الخلق عند الله ، والحديث في الصحيحين ، فدل وصفهم بأنهم شر الخلق عند الله ، على أن ذلك التصوير لم يكن جائزاً في

شرعهم ، إذ لو كان جائزاً لهم لما وصفهم بأنهم شر الخلق عند الله ، أشار اليه ابن حجر ، ثم نقل كلام الرسالة : ويكره التماثيل فيّ الأسرة والقباب والجدرات والخاتم الى آخره .

وأما ضرب الرجال أجوالات والمزامير وغيرها من الملاهي في تلك الليلة ، فلا يجوز ، ونقل فيه كلام الرسالة (ولا يحلُ لك أن تتعمد سماع شيء من الملاهي) الى اخره ، ثم نقل كلام زروق في شرحها ، وتسمية الدف بالبندير بالمغرب ، وقال : وما فسر به الكبر يقتضي أنه المعروف بـ : الجوال ، وبذلك صرح بعضهم في تفسيره ، وقيل هو الطبل الكبير المجلد من الجهتين ، وقد ذكر صاحب النهاية التفسيرين ، وقد مثلوا أيضاً أوقات الفرح التى تلحق بالعرس على قول بأيام العيد وقدوم الغائب والعقيقة وحفظ الولد القرآن ، وليس منها ليلة عاشوراء ، اذ ليس لها خصوصية ظاهرة .

ثم نقل عن شرح الشيخ زروق للوغليسية ما نص المراد منه : « وما وقع لبعض المباركين من السماع بهذه الآلات وغيرها محمول على أنهم فيه أصحاب حال ، وصاحب الحال له حكم المجنون في جميع الاحكام ، فيسلم له ولا يقتدى به ، وانما الفرق بينهما أن صاحب الحال ذهب عقله بمعنى رباني ، فوجب تعظيمه لأجل ذلك المعنى ، والمجنون ذهب عقله بالخيالات الوهمية ، فترك في حيز العدم ، لتعلقه بالعدم ، وقد يكون صاحب الحال ثابت الذهن ، قائما بالحجة ، لكنه فان فيما توجه له من جهة أخرى ، فتقتدي به فيما صحّ فيه اتباعه للسنة لا غير ، وان قام عليه حقٌ شرعي فالقائم به نائب عن الله ، ما لم يكن الحامل عليه هوى ، فان القائم عليه يتضرر ، لأن جانب الحق عظيم ، مَن تعرض لهتكه بنفسه تهتك ، الا أن يكون بحق في حق ، ولا أحد أغير من الله » .

وأما ما يفعلون من ذهابهم متلبسين بتلك البدع الى كل مَن له وجاهة أو غنى ليعطيهم مالا فان لم يفعل آذوه وشتموه أو ضربوه أو سلبوه بعض ملبوسه فهو حرام ، وسِنْ أكل أموال الناس بالباطل والغصب .

ثم قال : وأما ما يؤخذ على التدوير بالنواعير فممنوع أيضا ومن أكل أموال الناس بالباطل ، لأن شرط المنفعة في الاجارة أن تكون لها قيمة شرعاً ، ثم نقل كلام الفقهاء في ذلك ، ثم قال ولا شك أن التدوير لا قيمة له في الشرع ، ولا التأثر به تأثر شرعي ، بل ينشأ عنه مفاسد من الدوخة والجرح والكسر ونحو ذلك ، وما تتوقع منه مفسدة ولا مصلحة فيه واجب الترك ، كما نصوا عليه ، ويلحق بهذا البحث بيع ما لا منفعة فيه شرعية .

ثم قال عن ابن رشد ، وانما استخف الرقوم لأنها ليست تماثيل مجسدة ، والمحظور ما كان على هيأة ما يحيى ، وما يكون له روح بدليل حديث : أحيوا ما خلقتم ، والمستخف ما كان بخلافه مما لا يحيى عادة ، فالمستخف من هذه الصور لعب الجواري ، لما جاء أن عائشة كانت تلعب بها فلم ينكره عليها النبي عليه السلام ، بل كان يرسل اليها الجواري ، وكل ما كان ليس كامل التصوير ، وكل ما قل الشبه قوى الجواز ، وكل ما جاز اللعب به جاز عمله وبيعه ، قاله أصبغ في كتاب الجامع ، قال البرزلي : وعليه الآلات التي يلعب بها الصبيان كالدوامات ونحوها لا بأس بها ، وكذا ورد فيها ، وسمعت شيخنا الغبريني يفتي بجواز ذلك في حق الايتام ، قال : « يشترى لهم الدوامات والزرابيط ونحو ذلك » . وكأنه رأى أن لعب الصبيان وفرحهم بها منفعة شرعية ، وانظر هل يسلم ذلك ، وانظر هل للأيتام مفهوم ؟

ثم ذكر خاتمة في اللعب بالنرد والشطرنج وما أشبه ذلك ، ثم نقل عن الحطاب عن ابن رشد أن اللهو في العرس عمله وحضوره ليس خاصاً بالنساء ، بل يجوز للرجال أيضاً ، ومسألة من يمشي على الحبل على جبهته وآخر يمشي على جبهته خشبة ثم يركبها انسان ، ثم ختم بحكاية وعظية مزهدة في اللعب واللهو مذكورة في روض الرياحين عن بهلول ، والله الموفق للصواب ، واليه المرجع والمآب .

وبقي عليه رحمه الله الكلام على ايقاد النيران في تلك الليلة وهي من البدع التي تضمنت اضاعة المال بلا فائدة ، وهو ممنوع شرعا ، كما

تضمنت التشبه بالمجوس الذين يوقدونها ، لأنها معبودهم ، وما ذكره لي بعضهم أن أصل ذلك : أن الناس كانوا يصورون صورة قاتل الحسين ، ويلقونها في النار فهو بدعة على بدعة ، وفيه التشبه أيضا بموقد نار سيدنا ابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد نجاه الله تعالى منها في تلك الليلة المباركة ، فليحذر من ذلك كله .

817) **محمد بن أحمد أزنيط المراكشي** ، أصله من بلاد الولية الصالحة السيدة عزيزة المترجمة في (أنس الفقير) ، كان رحمه الله علامة اماما ماهراً متقناً مدرساً مفتيا من صدور علماء الحضرة من طبقة سليطن ،وكان والده علامة أيضاً ، ولما ورد بعض علماء شنجيط على المولى عبد الرحمان بمراكش وصار يتفوه بأن الحضرة خالية من الاتقان في العلم اقتضى نظر السلطان أن أمر السيد العربي الهداجي عاملها بتوجيه أحد علمائها لمذاكرته ، فوقع اختياره على المترجم ، فاجتمع به في الديوان ، وصار يذاكره الى أن أفحمه المترجم ، وسُرَّ بذلك السلطان وأنعم عليه بجائزة وافرة ، وحبس عليه العامل المذكور الدارَ التي بجوار الجزولي ، وما زالت في يد أحفاده ، أخذ عنه ولَداه : الحاج أحمد ، والحاج مَحمد فتحا ، الذي حجَّ مع والده في حياته ، وكان للمترجم مجلس حفيل بين العشاءين بجامع الجزولي يحضره الكثير من الناس ، وكان يحضره النحوي سيدي أحمد الحيوت .

توفي رحمه الله عام 1273 ثلاثة وسبعين ومئتين وألف ، وفيها ابتدأ التدريس ولده الحاج مَحمد رحم الله الجميع .

818) **محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج السلمي**

محمد الطالب بن الشيخ سيدي حمدون ابن الحاج السلمي الفاسي الشيخ الامام العلامة ، الدراكة ، المحقق الفهامة ، المؤرخ النسابة الاكمل ، الفقيه النوازلي الانبل ، القاضي ، كان رحمه الله من أهل الفضل والدين ، بعيد الساحة عن كل ما يشين ، قال في معجم أصحاب الرضوى ، بعد ذكر المترجم ، كان اماماً نادرة في وقته في الجمع والتحصيل والتحرير والاجادة

مع الضبط والاتقان والانشاء الرفيع ، وعلى طريقة المتقدمين في جميع الفضائل لم يكن له في عصره مشارك في ذلك ولا مشابه ، ألف وأفاد في الفقه والحديث والنحو والتاريخ والانساب وغير ذلك ، واشتهرت تحاريره ، وأقبل الناس على النفع بها ، أدرك والده آخر عمره يقرأ صحيح البخاري والمختصر والتفسير ، ولكن لم يأخذ عنه لصغره ، وأخذ عن أخيه العلامة المحدث محمد بن حمدون .

قال في (رياض الورد) : « قرأت عليه صحيح البخاري ومسلم ، والشفا والموطأ ، والشمائل ، وألفيتي العراقي وابن مالك ، والسعد ، والمحلى ، ونصف مختصر خليل ، وخريدة والده في المنطق ، والجرومية ، وابن عاشر ، واستفدت من علومه بالمذاكرة في غالب الفنون ما وجدت بركة الانتفاع به في الدين والدنيا من وصايا ونصائح » .

وأخذ أيضا عن محمد اليازغي ومحمد بن طاهر العلوي الحسني ، وقاضي مكناس أحمد بن عبد الملك العلوي ، وقاضي فاس عبد الهادي بن عبد الله العلوي ، وادريس البدراوي ، ومحدث فاس عبد القادر بن أحمد الكوهن ، والعربي بن محمد الدمناتي ، وأبى بكر بن زيان الادريسي ، وقاضي مراكش التهامى المكناسى ، والعباس ابن كيران ، وعلي المتيوي ، وعلي بن عبد الله المتيوي ، وأخذ الطريقة الشاذلية عن العارف محمد بن محمد الحراق العلمي الموسوي ، وأخذ دلائل الخيرات عن محمد بن عبد الحفيظ القادري جد شيخنا محمد بن قاسم ، وأجازه عن شيوخه أبو محمد الكوهن ، وله مع رفيقه محمد بن عبد القادر الكردودي ألف فهرسته (امداد ذوي الاستعداد) ، وأبو حامد الدمناتي ، وقفت على اجازة لهما أيضا ، اجتمع بالشيخ محمد صالح وتبرك به واستجازه فأجازه بكل ما له ، وذلك في أواسط قعدة الحرام عام ستين ومئتين وألف ، وصافحه وشابكه ، وأخذ عنه صلاة الشيخ مُحيي الدين الطمطمية وغيرها كما رأيت جميع ذلك منقولا من خطه ، وسيأتي تفصيله بحول الله سبحانه . وللمترجم من المصنفات ما سارت به الركبان ، كحاشية شرح المرشد ، وحاشية على بحراق الصغير والأزهار الطيبة النشر ، في

المبادي العشر ، والاشراف ، على بعض مَن حلّ بفاس من مشاهير الأشراف، ونظم الدرر واللئال ، في شرفاء عقبة ابن صوال ، الذين هم أهل بيتنا الكتاني، ألفها لابن أخت جدي الأدنى القطب محمد بن عبد الواحد قدس الله سره ، ورياض الورد ، الى ما انتهى اليه هـذا الجوهر الفرد ، يعنى أبـاه سيدي حمدون ، ذكر فيه نسبه وما يتبعه من الولادة الى الوفاة ، وهذه المصنفات كلها عندي وانتفعت بها ، وعندي مما هو بخطه الجليل : شرح علـى احياء الميت للحافظ الاسيوطي ، وبلغني أن له ثبتا جامعا سماه : روض البهار ، في ذكر جملة من مشائخنا الذين فضلهم أجلا من شمس النهار ، وعندي ورقات بخط يشبه أن يكون منه ، وَلي قضاء مراكش مدة .

قال محمد بن المعطي السرغيني في فهرسته حين ترجمه : كان حجة في العربية واللغة والمنطق والبيان والحديث والفقه ، ولي القضاء بحضرة مراكش مدة تنيف على عشرة أعوام ، فما عدت له هفوة ، والخطابة بالجامع اليوسفي ، وتصدر فيه للاقراء وبثّ العلم ، قرأت عليه مختصر خليل إلـى كتاب اللقطة ، وشيئاً من صحيح البخاري ، وهمزية البوصيري ، ثم نقل الى قضاء الجماعة بحضرة فاس ، وحُمدت سيرته أيضا ، وحاشيته على المرشد المعين تداولها الناس في حياته وسارت بها الركبان قبل مماته، انتهى ملخصاً.

ثم بعد وفاة القاضي بفاس عبد الهادي العلوي ولي بها سنة اثنتين وسبعين ومئتين وألف ، ومات على القضاء بفاس تاسع ذي الحجة سنة 1273، فحمدت سيرته فيهما ، ولم يحفظ عنه ما يشين ، وكان بعض من لقيته من الشيوخ يقول : انه لم يسمع بمثل عدله في الاعصار المتأخرة ، حتى أنه لما ولي بفاس جاء ناظر الاحباس بدراهم توفرت لمن كان قبله ، فأبى أشدّ الاباية من قبولها بعد أن ألزمه شيخه وأخوه أبو عبد الله قبضها ، ولما مات لم يخلف شيئاً ، فرحم الله أولئك الناس ، دفن يوم النحر بروضة سيدي عزيز داخـل درب الطويل من فاس .

أخذ عنه من شيوخنا المحدث المعمر الفضيل بن الفاطمي الشبيهي ، شارح البخاري ، وأحمد بن الطالب ابن سودة ، والقاضي حميد بن محمد بن عبد السلام بناني وغيرهم ، ولم تتصل الرواية عنه بالاجازة العامة لكل ما يرويه الا من طريق تلميذه المعمر محمد بن أحمد بن الطيب بناني المراكشي ، وقد تأخرت وفاته جدا ، وكنت أرسلت الى مراكش مَن يأخذ لنا عنه الاجازة فلم يتيسر ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، انتهى .

وللمترجم شرحُ علم القافية من مقصورة والده سيدي حمدون التي عارض بها الخزرجية وشرحها في ثمانية كراريس من القالب الرباعي ، وعدد أبياتها مئة وستة وستون بيتا ، وتاريخ نظمها عام 1203 .

وترجمه في السلوة وفي الشرب المحتضر وفي حديقة الازهار .

819) **محمد بن حمدون ابن الحاج السلمي الفاسي** ، الفقيه العلامة ، الأديب المشارك ، المحدث الاريب ، الناظم الناثر ، ولد رحمه الله بفاس في نيف ومئتين وألف، وبها نشأ في حجر والده ، وقرأ القرآن وجوده على الشريف الاستاذ الصالح عبد السلام بن أحمد أخريف الحسني العلمي ، ثم شمر عن ساعد الجد في قراءة العلم على علماء العصر ، فاعتمد في العربية والفقه صهريه محمد بن عمرو الزروالي ، ومحمد بن محمد بن منصور ، والعلامة ادريس بن زين العابدين الحسيني العراقي ، واعتمد في الكلام والأصلين والبيان والمنطق والتفسير والحديث والتصوف والفقه والده سيدي حمدون ، والشيخ محمد الطيب ابن كيران حتى بلغ غاية الارب في تحقيق علوم الادب من النحو والتصريف والاشتقاق واللغة والعروض والمعاني والبيان والبديع والأصلين والمنطق ، وانفرد في علم الحديث بالحفظ والاتقان والضبط . فاتسعت بذلك عارضته ، واشتدت في العلم والعمل عنايته ، مع الدين المتين ، والسير على سنن المهتدين ، والهمة العالية ، والرتبة السامية ، وله رحمه الله مؤلفات عديدة ، منها شرح بعض الأبيات من الخمسيْن الأخيريْن من ميمية والده ، كمل به شرح والده عليها باذن منه عند وفاته ، وشرح خريدةَ والده

في المنطق سماه : بالجوهرة الفريدة ، في حل رموز الخريدة ، ونظم مختصر خليل ، ونظم توضيح ابن هشام ، وغير ذلك ، وكان له في نظم الشعر عارضة قوية ، وله في الأمداح النبوية وغيرها قصائد كثيرة ، وانتفع به خلائق .

توفي رحمه الله بعيد غروب اليوم السابع عشر من شوال الأبـرك سنة أربع وسبعين ومئتين وألف ، ودفن ببيت سيدي أحمد بن العربي قريبا من وسطه أمام قبر أخيه المذكور قبله ، بينهما قبر واحد (1) .

ترجمه في رياض الورد ، الا أنه لم يذكر وفاته ، لكونه تأخر عنه ، قرأ عليه أخوه سيدي الطالب ابن الحاج صحيحيْ البخاري ومسلم ، والشفاء للقاضي عياض ، وموطأ الامام مالك ، وشمائل الترمذي ، وألفيةَ العراقي في الاصطلاح ، وألفية ابن مالك بشرحيْ المكودي وابن هشام ، والسعـد ، والمحلي ، والنصف الاول من مختصر خليل ، وخريدة الشيخ حمدون والده في المنطق بشرح الشيخ سيدي الطيب ، والاجرومية ، واستفاد من علومه بالمذاكرة .

ومن تآليفه تتميم شرح ميمية والده ، وشرح خريدته ، ومدح سلطان وقته مولاي عبد الرحمان لما فتح قصبة الشرادي بعـد أن أكل هشتوكـة والشياظمة بقصيدة مطلعها : فتوح في مضمنها فتوح ، وبعث بها للسلطان لحضرة فاس ، واستمطر أنواء قرائح أعلامها في قصائد في ذلك المعنى ، ولما وصلت قصائد أهل فاس ، وهي نحو الثلاثين لحضرة السلطان بمراكش ، وقرئت كلها بين يديه ، وقد أخذت بمجامع قلبه وقالبه ، وأعجب بها ، وأجازهم بنحو ألف مثقال ، حضر هناك مَن أضمر قلبه حسدا ونفاقاً وبغضا وشقاقا ، وتكلم فيها بما هـي بريئة منه ، وأغرى الاديب السيـد عبد الله الديمانـي الشنكيطي على أن قال قصيدة في ذَمّهم بأن قصائدهم ليس فيها صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعريتْ عن التغزل ، وعن محسنات الشعر ، وأنه شغلهم عن البيان الفقهُ الذين يتوصلون به إلى القضاء ، وأطال في ذلك فـي قصيدة لامية من الطويل ، وأجابه صاحب الترجمة عن ذلك كله حتى قال له :

---

1) ما تقدم منقول من **سلوة الانفاس** 1 : 156

وما أنت إلا من فريق تشـــردوا   وآبُوا بخسران وخسف معجـــل

وصدر بيتي الفقيه الجليل الماجد الاصيل مولاي عبد الواحد بـن سيدي محمد بن عبد الله أمير المومنين ، ووقع بينه وبين قضاة العصر شنآن ، فأنشده والده ارتجالا :

أسقط عداك من عـــــــدول   ما دام هذا القضاء ساقـــــط
قاضيك لو كان من شهـــــود   وأنت قاضيه كنت ساخــــط

دخل مراكش مرات .

820) **مَحمد غرنيط** ، المكناسي الولادة والاستيطان ، المراكشـي الوفاة والمدفن ، تلميذ سيدي قدور العلمي ، الفقيه الكاتب الطبيب الماهـر المسن البركة المرحوم ، قال في مواهب الرحمان لدى ترجمة سيدي قدور العلمي نقلا عن محمد بن المكي السوسي ما نصه : ولم أسأل الشيخ مباشرة عن شيخه لصغري حينئذ ، لأني أعلم أنه لا بد للشيخ من شيخ ، كما أنه لا بدَّ للأب من جد ، فقلت له ، يعني السوسي المذكور على البديهة إلا من كـان كسيدنا عيسى وسيدنا آدم عليهما السلام وعلى نبينا الصلاة والسـلام ، فانهما لا أب لهما ، فأحرى الجد ، وأشرت له بذلك الى أن من المشايخ مَن يكون فطامه على يد رســول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتاج الـى شيخ ، كابراهيم الدسوقي وغيره ، ففهم وسكت رحمه الله تعالى . وقد انتفع به هذا الشيخ وكل ما كان فيه ببركته ، كالذي حدث عنه محمد غرنيط ، ويقال إن له فيه مؤلفاً خاصاً ومنظومة جيدة .

قلت أما المنظومة فرأيتها ، وبعضها عندي يزيد على الكراسة ، وهي من الرجز قال فيها :

وإن من فضل الالاه كان لــــي   محسن عشرتي بحسن العمـــل
سايرني بحسن خلقه علــــى   جهلي ويهديني إلى الله عـــلا
كمثل ما يفعل مع كل جليـــس   معْه فيصبح له خير أنيـــس

الى آخره .

821) **محمد بن عبد الرحمان المراكشي** ، ولد الشيخ مولاي المهدي البدوي ، كان رحمه الله قوي الحال ، عظيم الشان ، واضح البرهان ، توثر عنه كرامات .

توفي عام 1275 خمسة وسبعين ومئتين وألف .

822) **المحمدي** الولي الشهير المعروف عند العامة بسيـ ي وهو بقرب الدرب الكبير من حومة سيدي محمد بن صالح .

823) **مُحمد بن ابراهيم السوسي**

مُحمد ضمّاً بن إبراهيم بن الحسن القاضي بن مَحمد فتحاً السوسي أصلا ، المراكشي داراً ووطناً ، جدي رحمه الله .

كان فقيهاً ، نبيهاً ، وجيهاً ، ذا خط رائق نسخ به كثيراً من الكتب الحديثية وغيرها ، تزوج الشريفة السيدة حبيبة بنت مولاي الطاهر الحسني الادريسي البوعناني ، فولد له منها والدي محمد ، وتزوج غيرها من النساء كثيراً ، ونشأ فـي حضانة والده السيـد ابراهيم عفيفاً صيناً مشتغلا بمـا يعنيه ، وكانت تجري له مع قضاة مراكش نوادر عجيبة ، وإفحامات غريبة ، ينقض بها أحكامهم ، ويوجه بها لسان الملامة عليهم ، كان شعلة في الذكاء وحدة الفهم ، وحليتي تشبه حليته في كل شيء ، وكان رحمه الله صدرا في أعيان مراكش وسراتها ، محترماً عند رؤسائها وولاتها ، يُعظمون حرمته ، ويُوالون مبرته ، وممن كان له محبة في جانبه السلطان الاعظم مولانا عبـد الرحمان ، ووزيره الفقيه ابن ادريس ، والرئيس السيد عبد الله بن أحمد ، والأغا السيد الطاهر بن الحاج عبد الكبير السرغيني ، وهذان كل منهما وجه إكراماً لداره بعد موته تعزية فيه ، أخبر رحمه الله بموته ، وأعلم الناس لحضور جنازته في داره بدرب الحلفاوي ، وكانت بينه وبين شريف تامصلوحت مولاي سعيد والد مولاي الحاج الشهير صداقة تامة ، فلما مات استولى على خزانته العجيبة لصغر والدي إذذاك .

وزد جده رحمه الله من قبيلته سملالة بسوس في أوائل القرن الفارط، واستعمل قاضياً على بعض أعمال مراكش ، كفروكة ، وطالت مدتـه فيها ، فنسب اليها ، وكان لا يتظاهر بالنسب السملالي رحمه الله ، ويدخره الى محل نفعه ، واقتفى أثره في ذلك أحفاده رحم الله الجميع بمنه وفضله ، ووالـده ابراهيم كان أستاذا مقرئاً امام جامع درب الجامع بحومة ضَبَشي ، وكان ينيب عنه في امامته الفقيه العدل السيد الحسن بن غزوان المعمر ، توفى بعد غلاء الخبيزة المعروف بعام عشرين في حدود عام أربعة وستين ومئتين وألف . وتوفى ولده المترجم في أواسط العشرة الثامنة من القرن الفارط ، وليس في لحيته شعرة بيضاء ، ودفن بمقبرة باب أغمات ، أخبرنـي بترجمته الفقيهان المعمران الشريف مولاي أحمد الدمناتي ، والسيد المصطفى ابن قاضـي مراكش السيد عبد القادر الحشمي وغيرهما .

ولا بأس أن نورد هنا قصيدة مشجرة ، أوائلها باسمي واسم الجد لرشاقتها وبلاغتها من انشاء العلامة الاديب سيدي أحمد سكيرج الفاسي ، سدده الله ، وهي مشجرة تضمنت أوائل أبياتها سيدي العباس بن ابراهيم المراكشي :

سما مقامك في الدنيا وفي الديـن ... ودام قدرك في عزٍّ وتمكيـــن
يابن السراة الذين جلَّ فضلهـم ... بالعلم والحلم والاحسان والديـن
دانتْ لهم فيالورى السادات وابتهجت ... دنياهم بهم بين السلاطيـــن
يجلُّ بين ذوي العلياء قدرهـــم ... لما غدوا بهجة صدر الدواويـن
إن يفتخرْ أحدٌ كان الفخار لهـم ... بما لهم من مزايا في الميادين
لهم مساكنُ في الاحسان قد قصدت ... أبوابها الاقويا مع المساكيـن
عنتْ لرتبتهم أهلُ العـلا وإذا ... أتوا إاليهم ينالوا القصد في الحين
بهم تباهى العلا وأنت بينهـم ... بدر محوط بتحسين وتحصيـن
أبنت ياسيدي العباس نهج هـدى ... للعالمين بايضاح وتبييـن
سلبت منهم باظهار الكمال نهـى ... لما تناهـى لديك سرُّ تلقيـن
به تفتقت الازهارُ وازدهـرت ... فصار في العلم من أبهى البساتين

نور الفنون به أضحى بطيب شذا — أشها إلى النفس من شمّ الرياحين
أتيتَ بالدرّ من علم ومن حكـــم — وجئتَ بالسحر في تنويع تلويـن
بهرتَ أهلَ النهى بما أتيت بـــه — من الخوارق في أحكام تدويـــن
رفعتَ فيه منارَ الحقّ فانشرحت — به الصدور على رغم الشياطيـــن
أبديتَ فيه لنا جواهراً نُظمـــت — ثمينة القدر عند كل تثميـــن
هذا وعمرك لا أفي مدائحـــــه — ولو ملأتُ بها كل الدواويـــن
يكفيك أن الوفا بمدحه عجـــزت — عنه الفحول وعجزي عنه يكفينـي
مَن لي بعارضة في مدحه رجحـت — فيه على غيره بها موازينــــي
أم كيف أبلغُ ذاك وهو قلدنـــي — بفضله مناً منه توافينـــــي
لو قلتُ ما قلتُ كي أحصي محامده — لم أستطعْها على كل الاحاييـن
ما ذا أقول ونطقي فيه ذو حَصَر — ولم نطق حصرَ مدح فيه يشفيني
رفعتُ شكري له يوماً ليقبلـــه — فقابلتْني أياديه تكافينـــــي
أهدت إليّ من الوصف الجميل ثنا — وتوجتني بتاج العز في الحيـن
كيف السبيلَ إلى الوفا بمدحتـه — والعجزعن درك ما استحقّ يكفيني
شرحت عجزي له عن الوفاء بـــه — عساه يقبل تأبيني لتأمينــــي
ياسيدي حفِظ المولى جنابَك مـا — سما مقامُك في الدنيا وفي الدين

كان المترجم رحمه الله رائقَ الخط ، متقنَ الضبط ، نسخ به كثيراً من الكتب وصححها وأجاد في كتابتها ، منها نسخة لكتاب الامام ابن عباد في شرح الحكم نسخها عام 1263 .

بشرى عظيمة :

في ليلة تاسع عشر ربيع النبوي الانور عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمئـة وألف ، رأيت مناماً فقيهيْن من طلبة العلم بمراكش أحدهما شريف عقلتُ اسمه ، والآخر لم أعقله ، أخبراني أنهما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال لهما إنه ـ يعنيني ـ شريف ، فقلت لهما إن والدي سيدي محمد بن محمد بن ابراهيم رحمه الله شريف محض ، أبوه سملالي ، وأمه بوعنانية ، وطالما تردد في خاطري تحقيق ذلك بواقعة منامية الى أن بشرتماني بذلك عن النبي صلى

الله عليه وسلم ، فجزاكما الله تعالى عني خيراً ، فقالا لي كفانا مجازاة عن ذلك كونُ ذلك تسبب عن رؤيتنا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فهو فضلٌ كبير ، والله على ما نقول وكيل ، وله سبحانه المنة والطول ، وهذا كله في عالم المثال الذي أوسع وأكمل ، وحق وصدق .

قال الشيخ مولانا سليمان الحوات : ولقد أعتدَّ بهذه المرائي النبوية واعتبرها غير واحد من أفاضل العلماء وأكابر الايمة المتقدمين والمتأخرين ، وعدوها من الآيات الظاهرة، والمناقب الباهرة ، انتهى نقله من (السلوة) (1).

وقال العلامة سيدي جعفر الكتاني في (الرياض الربانية ، في الشعبة الكتانية) بعد أن ساق الكلام المتقدم بحروفه ما نصه : ومَن رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقد رآه حقاً ، فان الشيطان لا يتمثل به كما في الحديث الصحيح ، وفي الحديث أيضاً انقطع الوحي فلم يبق الا الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل أو ترى له ، وهذه منها ، فهو إخبار ممن يجب صدق خبره ، وقد ظهر مصداقها في الحين على وفق ما وعد به سيد المرسلين ، فهي إذن آية بينة لا يعدلها تسجيل حكم ولا بينة الى آخره . وراجع مطلع الاشراق، وراجعْ ما تقدم في ترجمة سيدي أحمد بن عبد الحي الحلبي ، وراجع الرحلة العياشية ، ونص رسم عدة إراثة بنت الجدة رحمها الله : يعرف كاتبه عفا الله عنه الشريف مولاي الحاج بن الطيب العلمي معرفة كافية ، ويشهد مع ذلك أنه يعلمه ، مات رحمة الله علينا وعليه عمن أحاط بميراثه ، زوجته عائشة بنت عبد الله المراكشي ، ولالَّ حبيبة بنت مولاي الطاهر الادريسي ، وأولاده ، فمن الأولى : مولاي محمد ، ومولاي الطيب ، ومولاي ابراهيم ، وسيدي محمد ، وخديجة ، ومن الثانية : لالَّ حاجة ، ونفيسة ، ثم ماتت لالَّ حاجة عن زوجها المكي بن محمد المراكشي ، وعن والدتها المذكورة ، وعن أخيها للأم السيد محمد بن ابراهيم المراكشي ، وشقيقتها لالَّ نفيسة المذكورة ، ولا يعلم وارثاً لمن ذكر أولا وآخراً سوى مَن ذكر ، وهم معروفون لديه مثل معرفة موروثهم المذكور ، عدى النساء معرفة تليق بهن ، كل ذلك في علمه ، وبه

---

1) سلوة الانفاس 2 : 170

قيدت شهادته مسؤولة لسائلها في عشري ربيع النبوي عام أربعة وتسعين ومئتين وألف ، وخاطب على هذا الرسم قاضي مراكش سيدي محمد بن المدني السرغيني .

فائدة :

قال في كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ما نصه : مدينة فروجة يسمونها أفروجا بينها وبين مراكش مرحلة ، وهي في بطحاء كثيرة المياه والفواكه والخيرات ، انتهى . من نسخة خطية مكتوبة عام 1003 .

824) محمد الكبير بن ادريس العمراني

محمد الكبير بن أدريس بن محمد بن عبد الرحمن العمراني المراكشي استقضي بر'دانة في دولة المولى عبد الرحمان ، وكان عالما بالنوازل له الاطلاع فيها ، توفي عام ثمانية وسبعين ومئتين وألف ، ودفن بمقبرة باب أغمات خارج مراكش عن سن عالية تجاوز الثمانين ، وقد وقفت على شهادته عدلا مؤرخة عام أربعة وأربعين ، وأثبتها ابن عمه القاضي مولاي المكي ، وعرف بها عام خمسة وثمانين ، وخلف المترجم من الأولاد : مولاي الصالح ، ومولاي سعيد ، وسيدي محمد الكبير ، ومحمد المرتضي ، ومولاي ادريس ، وسيدي محمد الصغير العدل المفتي ، ومولاي محمد ، ومولاي علي . ومن البنات زوجة الفقيه السيد عبد القادر العبدي ،وخلف ولده محمد المرتضى التوفَّى قيدَ حياته عام ستة وسبعين من الأولاد :أحمد وسليمان المترجمين في هذا الكتاب ، وشمس الدين ، ومحمد الصغير ، وخلف مولاي أحمد ، محمد الكبير ، وعبد الرحمان ، والفقيه السيد محمد المرتضَى ، وعبد السلام ، والحسن .

825) محمد بن أحمد السوسي التيوتي الرداني المراكشي ، عم السيد سعيد جيمي ، كان رحمه الله فقيهاً علامة مجتهد وقته ، ورئيس عصره ، حجة أخذ عنه ابن أخيه المذكور صحيح البخاري ورواه له عن شيخه الولي الصالح ، والقطب الواضح ، ذي التلاميذ العديدة ، والاوضاع المفيدة ، سيدي

أحمد الوزيري ، دفين ردانة ، المنتفع به حياً وميتا ، الشهير قدراً وصيتا ، شيخ سيدي الجيلاني السباعي ، عن شيخ الجماعة بفاس الشيخ التاودي ابن سودة بسنده .

وقفت له رحمه الله على الجزء الثالث من شرح البخاري بخط يده أولــه في القيام لجنــازة اليهودي ، وآخره في الحــج ، يشرح فيه الامــور الضروريات الواضحة ، وكأنه جرى فيه على ما نقله الحطاب في أول المواهب عن ابن رشد أن مَن ألف في فن يذكر كل شيء ، ولا يقول أن هذا واضــح ، ويسكت عليه .

كان المترجم رحمه الله ورعا زاهداً ، أخبرني والدي رحمه الله أنــه كان يبيت فوق المغسل بجوار سيدي محمد بن صالح بمراكش ، وجرت له أمور غريبة رحمه الله .

توفّي أواخر دولة مولاي عبد الرحمان .

826) محمد السليطن السملالي

محمد المدعو السليطن ، الشريف السملالي المراكشي ، العلامــة الشهير ، كان أستاذا فقيهاً ، مقرئاً مجوّدا حافظاً للعشرين ، مدرسا مفتياً ، حيسوبياً محققا ، عدلا موثقاً ، ورعاً زاهــدا ، شيخ الجماعة بمراكش فــي القراءات ، وعنه أخذ الحساب أبو اسحاق بن يدر ، ألف تأليفا سمــاه دواء الموت وجعله كمختصر الافاريد ، اشتمــل على أدبيات ولطائف ، ونــوادر ومستملحات ، نحو كراس ونصف ، كــان ولده سيدي ياسين يستنسخــه ويهديه للناس ، وسبب تلقيبه المذكور ، أنه لما أراد أن يقدم من سوس ، وقيل له ان أهل مراكش يلقبونك ، فاختار لنفسه لقبَ السلطان ، وقال لهم هو محمد السلطان ، ثم صار يقول لهم السليطن ، وقيل إنه كان يُؤمَّر على الطلبة في وقت النزهة ، وكان يعترض في فتاويه على أحكام القاضي محمــد عاشــور ويُفتي بنقضها ، ووقــع بينه لجاج فسجنــه ومنعه من الفتــوى ، ثم سرحه السلطان المولى عبد الرحمان في الحين ، كما أنه تخلّى عن الشهادة حيث أمر بها في قضية وامتنع .

توفي رحمه الله عن نحو المئة سنة في أواخر دولة مولاي عبد الرحمان .

827) **محمد بن العربي الحاجي** الفقيه العلامة قاضي درعة ، نزيل مراكش ، والد الفقيه سيدي محمد قاضي قصبتها .

كان أسند الايصاء على أولاده للمولى عبد الرحمان ، كتب ولده المذكور للسلطان سيدي محمد قصيدة يقول فيها :

وامننْ بحمل الوصاة والظهير كما وشْيُ المقدس في التحرير أبداه

828) **محمد بن محمد غرنيط** ، الفقيه الاديب الكاتب الوزير ، قال ادريس بن ادريس في الديوان الذي جمعه لوالده ما نصه : وقال أيضاً رحمه الله ووجهها لرفيقه الفقيه الكاتب سيدي محمد غرنيط مع كسوة وكساء ، وكان ارسال ذلك في المساء :

ألا يالبيباً بل حبيباً مقرباً وخلاً تسامَى صفوة ووفاء
نتائج ودي أمهرتْك خرائداً وأهدت اليك كسوة وكساء
وقد أطلعت أفكارُ فكري منصة ولا غرو أن تجلّى العروسُ مساء

ولما قدم مراكش السلطان المولى عبد الرحمان سنة تسع وستين ومئتين وألف عزل لأول دخوله الوزير المختار الجامعي ، ورتب مكانه المترجم أياماً يسيرة ، ثم استوزر الفقيه الصفار .

توفي رحمه الله عام ثمانين ومئتين وألف ، ودفن بالمسجد المجاور لضريح الولي الأكبر ، سيدي علي أبي غالب بفاس (1) .

829) **محمد بن الطيب السجلماسي المراكشي** ، كان رحمه الله مؤدباً فقيها صالحاً ، صاحب جدٍّ ومتجر رابح ، صوّاما قواماً ، مجودا لكتاب الله عز وجل ، قيماً على التهجُّد به ، يعطي مخارج الحروف حقها ، ويحسن نطقها ،

1) قصر المؤلف تقصيراً كبيراً في التعريف بالوزير الصدر محمد بن محمد غرنيط ، تنظر ترجمته في **فواصل الجمان** ص 63 و **اتحاف اعلام الناس** 1 : 218

وحج بيت الله الحرام مرتين ، قرأ القرءان بالروايات السبع على الاستاذ السيد المعطي بن أحمد السرغيني المراكشي ، والد مؤلف حديقة الازهار ، قال فيها : واتفق لي معه ، أنه مرض مرة وهو بالزاوية العباسية من حضرة مراكش ، فذهبت لعيادته ، وأنا يومئذ بالمدرسة اليوسفية ، فلما أردت الانصراف ، قلت له أرجو من الله ألا يكونَ بك باس على عادة عائد المريض ، فتبسم وقال لي : هل خفتَ عليّ أن أموت الآن ؟ فقلت ان الموتَ قريب من كل أحد ، فقال لا أموت الآن في هذه البلدة ، فانه أتاني الصادق المصدوق ، وقال لي يادفين البقيع ، فكان الامر كذلك ، فتوفى بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، سنة احدى وثمانين ومئتين وألف .

وكنت يوماً بين يديه رحمه الله أقرأ لوحيً مع أخي العلامة المقرىء سيدي المدني ببستان لنا تحت شجرة من التين ، فأتي الوالد رحمه الله ، فجلس بازائنا بيده سبحة ، فنظر الى تلك الشجرة ، فاذا فيها غصنٌ ناعم خرج منها وجاوزها طولا ، فقال سبحان الله ، انظر إلى هذا الغصن كيف ارتفع ارتفاعا كبيراً حتى جاوز أصله ، ثم التفت والدي رحمه الله فضرب بين كتفي ، وقال لي كذلك تكون ان شاء الله ، أرجو من الله أن تكون فوق رتبتي أو كلاما هذا معناه ، ثم قال : فقال المؤدب – يعني المترجم – فزت بهذا يافلان ، فاني أترقب مثل هذه الدعوة ، فقد خصَّك بها أبوك ، انتهى .

والسجلماسي نسبة الى سجلماسة ، ومن الغرائب ما ذكر صاحب تقويم البلدان أن مساحة حائط يحيط على جميع بساتينها ونخيلها يمنع غارة العرب أربعون ميلا ، انتهى .

830) **محمد بن أحمد الدكالي الغربي** ،وقفت على ظهير شريف مؤرخ في 15 رجب عام 1282 لسيدي محمد بن عبد الرحمان يخاطب ولده مولانا الحسن جواباً عن كتابه ، وبطيه بطاقة القاضي السيد محمد بن المدني في شأن ما طلبه أهل المدارس من جعل الراتب للفقيه السيد محمد بن أحمد الغربي ، وانه ختم معهم ألفية ابن مالك درساً ، فأمر القضاة أن يقدروا له مثل ما يقدر لامثاله من الاحباس وما قدروه نفذه له والسلام .

831) **محمد خوي بن مصطفى المجلشي** ، الفقيه الاديب ، أخذ عنه الفقيه الحاج عبد المعطي السباعي نصف رسالة ابن أبي زيد قراءةَ حفظ واتقان ، وجملة صالحة من الادب .

توفي بمراكش سنة 1283 .

832) **محمد بن أحمد ابن دحُ الازموري** ، نزيل مراكش ، كان رحمه الله شيخ الطريقة ، جامعا بين الشريعة والحقيقة ، آية في الحديث والفقه وطريق القوم ، أديباً شاعراً ، أريباً ماهراً ، جواداً سمحاً ، جزيل المعروف ، موقنا من الله بالخلف ومن رذيلة البخل مصروف ، كانت تأتيه الهدايا والصلات، فلا يقوم من مجلسه حتى لا يبقى لها بين يديه ثبات ، جعله الله نعمة ورحمة للعباد ، وانتشر صيتُه في الاقطار والبلاد ، يُلقن الناس الاوراد المختارية والناصرية ، لقى الشيخ الامام سيدي المختار الكنتي ، الخليفة وأخذ عنه ، ولقي أخاه الشيخ أحمد البكاي .

ومن شعره في تعزية شيخه المختار ، الغيث المدرار ، بعد الافتتاح :

وبعد لما سمع الأذنان ... وفاةَ شيخنا عظيم الشان
قطب الوجود نخبة الأخيار ... غوث العوالم أبي الأنوار
أستاذنا إمامنا النظار ... سيدنا عمدتنا المختار

الى أن قال :

ونحن بالحمد له جلَّ علا ... والشكر قد أعقبنا بما تلا
من الخليفة أبي العلاءِ ... **سيدنا أحمد البكاءِ**
بحبوحة العلم ودوحة الشرف ... ياقوتة العرفان جوهر الصدف
كهف الانام عصمة الارامل ... قطب الانام عمدة الافاضل

راجع تمامها في حديقة الازهار مع ما قاله رضي الله عنه أيام كونه في حرم ولي الله أبي شعيب السارية لما ناله من بعض ولاة الامر من الاذاية ، وبعض فوائده في الاستخارة ، وجوابه الحفيل عما كتب إليه أخوه في الله وصفيه العام الزاهد سيدي مهدي الدكالي العوني ، عما بلغه أنه يأكل من من موائد الخلفاء ، ويلبس الحرير ، ويقبل هداياهم ، وغير ذلك .

قرأ المترجم بفاس ثم بدكالة على سيدي أحمد بن ميمون السباعي ، تلميذ السيد أحمد بن التاودى ابن سودة ، وشيخ البوجمعوي المراكشي ، ولقي الشيخ عمر بن المكي الشرقي ، وأخذ عنه الاحاديث من طريق الجن ! وأجازه بالموطأ ، وكتب الحديث عن السجلماسي شارح العمل عن الحسن ابن رحال كما ذكره تلميذه سيدي ابراهيم التادلي في ما كتبه على الموطأ ، وكان له اذن في إعطاء الطرق الثلاثة ، المختارية ، وبها اشتهر ، بل هو عمودها بالمغرب ، والوزانية ، قال السيد عبد الحي الكتانى : والظن أنه أخذها عن سيدى الحاج العربي ، والناصرية والظن أنه عن أخذها عن سيدي عمر بن المكي ، أما المختارية فشدّ الرحلة من أزمور الى بلاد الصحراء بقصد أخذها عن القطب سيدي محمد بن القطب سيدي المختار الكنتي فوجده توفي ، ولعله في العشرة الخامسة فأخذها عن الشيخ سيدي المختار الخليفة ، فهطلت أسراره ، وازدانت أنواره ، وله مع الشيخ سيدى أحمد البكاي مناشدات ومراسلات شعرية مذكورة في الرحلة الحجازية للسيد عبد الحي عمه الله تعالى بلطائف الامداد ، وغالب الظن أنه أخذها عنه أيضا ، ووقع لبعض المتأخرين الجزم بذلك ، ورجع الى أزمور فشدت له الرحال من أقطار المغرب ، وشيد بها الزاوية المختارية هو والمقدم الطاهر ، وأقرأ بها العلوم الحديثية والفقهية ، وبها لقيه الشيخ محمد بن سعد التلمساني فاتح حجة عام 1255 . كما وقفت عليه بخطه في كناشه ، ومن أشهر الآخذين عنه عالم الرباط سيدي ابراهيم التادلي وأجازه عامة ، قال في اجازته لتلميذه زين العابدين بن أبي بكر البناني الرباطى لدى عدّ أشياخه ما نصه : ومنهم شيخنا الولي الصالح السيد الحاج محمد ابن دحّ الزموري ، أجازني بمكة عن شيخه سيدي عمر بن المكي بن المعطى بن الصالح صاحب الذخيرة ، عن السيد شمهروش قاضي الجان ! عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا سند أعلا من هذا السند اليوم في الدنيا كلها ، انتهى منها باللفظ ، نقله في مواهب الامتنان في صحبة قاضي الجان ، ومنهم : سيدي عبد الكبير الفاسي ، وأجازه بالطرق الثلاثة كما في معجم أصحاب الرضوى ، ومنهم : الفقيه ابن المعطى السرغيني المراكشي ، أجازه كما نقلناه في ترجمته عن فهرسته حديقة الازهار ، ومنهم

شيخنا الفقيه السباعي أجازه بالورد المختارى بأزمور وبمراكش ، وأجازنا به عنه خصوصا زيادة على الاجازة العامة التي أجازنا بها ، وسيدي محمد بن الهادى الدباغ ، المترجم في السلوة ، وهو بانى الزاوية المختارية بالعيون من فاس ، ومنهم : موقت الجامع الكبير بمكناسة الزيتون الفقيه الحيسوبي الموقت البركة سيدي الجيلاني بن عزوز الرحالي ، من ذرية سيدى رحال الكوش المتوفى بمكناسة عام 1309 ، دفين الزاوية المختارية ، ثم تلميذهما بركة مكناسة الزيتون سيدى السعيدي المنوني ، حفيد الشيخ سيدى علي بن منون شيخ سيدي محمد ابن غازي المترجم في فهرسته ، رحل إليه مرتين لأزمور ، وبركة زرهون سيدي عبد الله بن أحمد المعروف بعسيلة المترجم في الأنجم السوابق الاهلة ، وسيدي محمد بن المدني الشرقي البيضاوي المترجم فيها أيضا ، وكان الشيخ يحبه كثيرا وأعطاه لما أراد ان يسافر للحج نسخة من صحيح البخاري وضاعت له في فتنة سطات في رمضان عام 1321 ، والحاج العربي العبدوني أخذ عنه الطريقة المختارية ، وأخذها عنه الشيخ خليل بن خالد المتقدمة ترجمته في حرف الخاء .

توفي المترجم رحمه الله بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام سنة أربع وثمانين ومئتين وألف ، وقد كان انتقل اليها بقصد المجاورة، فتشرف بالدفن في البقيع ، وقبره هناك شهير ، حدثني الفقيه السيد الحاج عبد السلام اليعيشي أنه زاره عام 1280 بأزمور ، ووجده حلت به نزلة الفالج ، ودعا له بخير ، وكان بهي الصورة ، وغلبه الشيب إذذاك ، ولم يظهر عليه كبر ، وكان ممتعا بالدنيا ، فبيته بيت الرؤساء ، مجلل بالستور المعروفة بالحيطى ، وله خدم .

ومن نظمه رحمه الله

ان الكرام اذا حل الوفود بهم ... هشوا وبشوا وبالقرى لهم عجلوا
وتمموا بكمال القصد زورتهم ... وبالأماني مواليهم لهم كملوا
واستبضعوا معهم لأهلهم تحفا ... قرت بها عينهم ياحسن ما عملوا
طوبى لمن أم كعبة العطاء لكم ... ياخير بيت به الركاب قد نزلوا
وأنتم آل عين القطر قاطبة ... أولى بذا شرفا لانكم كمل

حاشا زواركم يخيب قصدهـــــم — أو يرجعون بغير ما بكم أملـــــوا

وأنتم منبع العطا بلا كـــــــذب — وفيضكم للورى يجرى بما سألــوا

بجاه جدكم المختار من مضـــــر — فغنموا وفدكم وبالمنى رفلـــــوا

صلى عليه الاه العرش ما سطعــت — شمس المعارف في قلوب من كملوا

وآله وصحابه الذين بـــــــــه — ذوي المجادة في أصل العلا حصلوا

ومن فوائد المترجم أنه سمع من والده أنه وجد مقيداً بخط سيدي الحاج أحمد ابن عاشر دفين سلا المؤلف في مناقبه (تحفة الزائر ، ببعض مناقب الولي الصالح سيدي الحاج أحمد ابن عاشر) للعالم سيدي أحمد ابن الحافي ، منسوبا أليه من شعره هذان البيتان :

سلا كل قلب غير قلبيَّ ما ســــلا — أيسلو بفاس والأحبة في ســـــلا

بها خيموا والقلب خيَّم عندهــــم — فأجروا دموعي مرسلا ومسلســـلا

ووالده الفقيه العلامة القاضي السيد أحمد ابن دحُّو نزيل أزمور من تلامذة القاضي أبي العباس الحكمى ، والد أبي عبد الله محمد صالح .

833) محمد بن عمر الدباغ الادريسي

محمد ابن الصالح عمر بن البركة محمد بن ادريس بن القطب مولانا عبد العزيز الدباغ الحسني الادريسي ، الشريف الجليل ، البركة الحفيل ، الفقيـه الناسك المجـذوب السالـك الولي الصالـح العارف الواضـح ، الذاكـر الأمجد ، كـان ءاية باهرة كثيـر الأوراد والأذكار ، شهيـر الذكر ، جواداً مفضالا ، يجود بما وجد ، وربما بات طاويا ، من أهل الخيـر والبركة والصلاح ، معروفا بالنجابة والفضل والسماح ، فقيهاً نبيهاً معظماً وجيهاً ، كثير التهجد في الأسحار ، وإغاثة الملهوف ، قرأ شيئاً من العلوم ، ونال منها ما يقيم به الرسوم ، ثم اشتغل بعلم الاسماء حتى حصل منه ما فيه الكفاية والشفاء ، واشتهر به اشتهار النهار ، ورحل لأخذه عنه من متباعـد الاقطار ، ولقي غير واحد من الأخيار، والشيوخ الكبار، وأخذ عنهم وتبرك بهم، منهم : الشيخ سيدي محمد صالح بن السيد خير الله الرضوى البخاري ، قال

في (السلوة) في ترجمة المترجم : سمعت بعض أهل الخير يثني عليه كثيرا ، والمترجم هو الذي فتح الباب للولي الكبير الموسوم بالقطبانية سيدي عبد السلام بن ريسون في علم الزيارج ، حتى توصل به لمعرفة الاسم الأعظم ، وحصل له الفتح من جهته ، فكان شيخه الذى فتح الله على يديه ، قال في (السلوة) : ويقول إنه كان من كبار الاولياء ، الا أنه كان ملامتيا ، لانه كانت تصدر منه أمور ينكر ظاهرها من الحلف بالحرام في بعض المرات ، ونحو ذلك .

وشوهدت له رضى الله عنه كرامات ، وخوارق عادات ، منها ما حدثني به بعض أصحابه أنه كان له أب يتَّجر في بلاد الروم ، وكان خائفاً عليه أن يموت هناك ، ففكر في نفسه يوما في ذلك بمحضر صاحب الترجمة ، فقال له : ما لك ؟ فقال له : ياسيدي ما بي الاَّ هم أبي ، أخاف أن يموت في بلاد الروم ، قال : فاحمرت عيناه ، ووقف شعره في رأسه ، وقال لي : عليَّ الحرام لا مات والدك الاَّ في بلاد الاسلام ! قال : فكان كذلك .

ومنها : أن رجلا من القواد قبض عليه السلطان بمراكش ، وكان إذذاك هو بحضرتها ، فجاء أهله اليه ، وشكوا له ذلك ، وكان ذلك يوم السبت ، وقال لهم : عليَّ الحرام لا بات في اليوم الخامس أي الذي هو يوم الاربعاء الاَّ معكم طليقا ! فجاء يوم الاربعاء المذكور ، وقرب تمام النهار ، ولم يظهر لتسريحه أثر ، فجاءوا اليه ، وقالوا له : ياسيدي هذا هو اليوم الذى وعدتنا بتسريح صاحبنا فيه ، وقد انقضى ولم يظهر لتسريحه أثر ، ولا خبر ، فذهب في تلك الساعة بنفسه الى السلطان ، ولم ينفصل عنه حتى أمر بتسريحه على سبيل خرق العادة ، لأنه لم يكن يظن أن السلطان يفعل ذلك ، فسرح بعد غروب شمس ذلك اليوم ، وبات تلك الليلة مع أولاده ، كما قال رحمه الله تعالى.

ومنه كان الوباء في سنة من السنين ، وكان بعض أصحابه جالسا معه ، فقال له : ياسيدي نخاف على أنفسنا وأهلينا من الوباء ، فقال له : عليَّ الحرام لا خرج من دارنا ولا من داركم في هذا الوباء أحد ! فكان الأمرُ كما قال .

ومنها ما حدثني بــه بعض أصحابه ، قال : دفعت اليه مــرة عشرة مثاقيل ، ففرقها على من كان حوله ممن يظن الغنى ، فتغيرت في نفسي ، وقلت: لو انفقها على نفسه وأهله ومن يلوذ به من الضعفاء لكان أولى ، قال : فكاشفني في الحال ، وقال لي : قلت كذا وكذا ، أنى اذا أنفقتها عليهم يأتيني الله عز وجل عوضا منها بكذا وكذا ، لعدد كثير من الدراهم ، قال ، فقلت له : اني تائب الى الله عز وجل ، وانصرفت .

وخرج مرة الى ضريح جده مولانا عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه بهذا الخارج ، فلما وصل اليه ، ودخل قبته ، اضطجع في موضع قبره الذى هو به الآن ، ثم قال لبعض أصحابه ممن كانوا معه : اذا أنا مت فادفنوني هاهنا ، فلم يبق بعد ذلك الا نحو الثمانية أيام ، ومات رحمه الله ، وكانت وفاته بالوباء زمنه صبيحة يوم السبت خامس عشر شهر الله المحرم فاتح عام خمسة وثمانين ومئتين وألف ، ودفن داخل قبة جده المذكور .

كان المترجم رحمه الله مقامه بمراكش أكثر من فاس ، وترجمه فــي (الدرر البهية) و (الشرب المحتضر) أيضا .

834) محمد الطيب بن اليماني بن أبي العشرين الانصاري الخزرجي

الوزير الاعظم ، الهمام الاجل الأكــرم ، عصام الدولة وامامها ، ومــن بيده البيضاء زمامها ، النبيه العلامة ، المنيف المبارك ، الرئيس الوجيه ، سلالــة الأماجد من خزارج الانصار ، الذين تساوى في مدحهم الاطناب والاختصار ، بهذا حلاه في (طالعة الجيش) ، ألف العالم البارع سيدي الغالي بن سيدي محمد العمراني اللجائي تأليفا سماه (دوحة المجد والتمكين ، في نسب ووزارة العالمين ابنى عشرين) أوله :

الحمد لله الذي زيَّن سماء الوزارة بدوحة المجد والتمكين إلى آخره .

ولما تكلم على المهدى بن تومرت ، نقل كلاما عن بعض المؤرخين ، ثمأحال هذا البعض قائلا : ومن أراد خبر ذلك مستوفى ، فليطالع كتاب أبي

عبيدة المراكشي ، المؤرخ المشهور ، وذكر فيه أن المترجم أجاز له عامة ، سيدي بدر الدين الحمومي ، وهو عند حفيده الاديب الحاج محمد بن الحاج ادريس بن الطيب .

وقال أكنسوس في (جيشه) : وأما الوزير الاعظم المبارك الأعز الاكرم ، الذي له في ساحة المجد أرفع المباني ، العلامة سيدي الطيب بن اليماني ، هذا السيد انتشأ في حجور السعادة والصون ، وصادف من العناية كل تأييد وعون ، فجمع له بين الرئاستين ، فتردد بين المرتبتين النفيستين ، بعد ما اقتنى من علوم الشرع ما اقتنى ، وحاز منها ما توجه اليه الاعتنا ، اتخذه السلطان المؤيد مولانا عبد الرحمان بن هشام معلماً لاولاده الكرام ، الذين خصهم الله بعناية الاعتزاز والاحترام ، فلما قدم مولانا المظفر مراهقاً من سجلماسة ، في صدر خلافة والده ، أضافه الى تربيته ونظره ، وخصه بكفالته في ورده وصدره ، فانتشا مولانا المظفر في حضانته انتشاء الدر في صوان الصدف ، وما خرج عن أخلاقه الحسان وما صدف ، حتى جمع عليه القرآن الكريم حفظا ورسما ، وأدرك غاية الكمال مسمى واسما ، وقرأ مقدمات العلوم وأمهاتها ، وأحاط بصورة النجابة من جميع جهاتها ، فلازمه بعد ذلك حتى تجلت شمس الخلافة في مشرقه ، ولاح تاج الامامة الكبرى على مفرقه ، فهو الآن قطب دائرة ملكه ، ويتيمة عقد سلكه ، بيمنه حفظ الله نظام الدولة من الانتثار ، وبوجوده تنال السلامة من الكبو والعثار ، حفظ الله سيادته ، وأدام في سماء العلا سعادته .

ومما كتبت له في بعض قدماته مع مولانا نصره الله من فاس لمراكش وكان قد طال مكثه بالغرب ما نصه :

أيها السيدُ الرفيعُ المكانــــه	والذي عظَّم الالاهُ مكانــــه
أنت ياأيها الوزيرُ همــــام	أمَرَ المجدُ أن يكونَ فكانــه
طيب الأصل والفروع زكــــي	أنت والله حافظ للأمانــــه
ليس للملك غيرك اليوم كـــاف	رافع بالنُّهَى له بنيانــــه

كلما دجت الخطوب أنـــــــارت منك ما قد دجا شموس الفطانـــه
قد وسعت الورى بخلق كريـــم وأبنتَ الامورَ كلَّ الابانــــــه
قدِمَ اليمنُ إذ قدِمتَ وجـــاءت كلَّ مَن يستعين منك الاعانـــه
فهنيئاً لكم بمقدم بحـــــــــر لافظ دره لكم وجمانــــــــــه
بحر علم من آل قيلة قــــوم نصر الدين باسهم وأبانـــــــه
حفظ الله ذلك المجد حفظـــــاً دائماً وأعزه وأعانـــــــــــــه

ثم قال بعد ذكر والده سيدي اليماني ما نصه :

ومآثر هـذا الوزير ومحاسنه وآثاره فـي تشييد أسباب الخير في الدولتين الهاشميتين لا تعد ، ولو ذهبنا الى تقييد ما شهدنا من ذلك بالعيان لانقضى الزمانُ قبل انقضائه ، وأفضى بنـا إلى براح الفخر وفضائه ، ولـو أفرد بالتأليف لكان بذلك حقيقاً ، وكان فعل ذلك لفاعله الى نيـل السعادة سببا وثيقا .

انتهى كلام أكنسوس .

وحدثني الاديب الحاج محمد بوعشرين حفيد المترجم أن مؤلـف الجيش المذكور ألف في ذلك تأليفين : أحدهما سماه (حسام الانتصار ، في وزارة بني العشرين الانصار) ، والثاني سماه (خمائل الورد والنسرين ، في وزارة بني العشرين) ، وأنه ذيل الاول بنحو أربع كراريس ، وأن الاصل في عشرين كراساً .

وقال في الحسام المشرفي عند ذكر شيوخ السلطان سيدي محمـد ما نصه : ثم الفقيه الوجيه امام المكرمات النبيه ، مصباح أهل زمانه ، ومفتاح قفل المشكلات بين أقرانه ، العلامة الاوّاه ، الخائف من مولاه ، أستاذ الدراية والرواية ، الحامل لألوية العلوم أدرك فيها الغاية ، مَن ألف لاجله الفتـح والتيسير وحرز الأماني ، سيدي الطيب بن اليماني ، هو والله من أيمة الدين الذين لهم الرسوخ ، ويشار اليهم بكمال المعرفة ويدعون بالشيوخ ، ومـن عز سيدنا المؤيد على والده المرحوم ورضاه عنه عيّنه له شيخاً وأفرده به ، ليأخذَ عنه قراءات القرآن على وجهها ، ومن أجل ذلك تمسَّك سيدنا بحسن

العهد ، وجعله معه وزيرا منذ ولاه أمر الخلافة ، الى أن أظفره الله بالملك فأقره عليها ، وهذا شأن سيدنا مع كل مَن تقدمت له معه صحبة ، ولاه الولاية، ورقّاه أعلا المراتب والدرجات ، حسناً منه بالعهد ، وفي صحيح البخارى : باب حسن العهد من الايمان ، وفي ذلك من كرم طباعه ، المؤذن بكرم طباع أسلافه ، ما يعلمه العام والخاص ، وفي مثل هذا يقول القائل :

إن الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا مَن كان يألفهم في الموطن الخشن

وقال في (الاستقصا) ما نصه : وفي سنة ست وثمانين ومئتين وألف ، وذلك عشية يوم الخميس الرابع عشر من شعبان منها ، توفي الوزير محمد الطيب بن اليماني المدعو بأبي عشرين ، وكان سبب وفاته أنه كان به داء الحصر ، فدخل الميضأة التي بمشور أبي الخصيصات من دار السلطان بحضرة مراكش ، فيقال أن مثانته تمزقت ، فمات رحمه الله ، وحمل الى داره ، وصلي عليه بعد الجمعة بمسجد المواسين ، وحضر جنازته الجمّ الغفير ، ودفن بضريح الشيخ أبي محمد الغزواني من حومة القصور ، وكان رحمه الله ذا جد في الأمور ، ونصح للسلطان والمسلمين . انتهى .

حدثني شيخنا الفقيه السباعي أن المترجم كان رحمه الله جامعاً لشروط الوزارة علماً وأدبا وديانة وسياسة وخلقةً (1) .

835) **محمد سيدي الحاج** الحداد حرفة ، المراكشي ، الولي الصالح، البركة الفالح ، المكاشف المسن ، كان رحمه الله في أوائل أمره يخدم حدادا بمراكش ، ثم انتقل عنها الى فاس ، وصار يأوي فيها الى حانوت بالحفارين من فاس القرويين عن يسار الطالع لباب الجيسة ، وكان الناس يأتونه أفواجاً أفواجا للزيارة والتبرك ، ويأتونه بالأقوات ، فمنهم مَن يقبل منه ، ومنهم مَن لا ، ومنهم مَن يأكل ما يأتيه به ، ومنهم مَن لا يأكله ويتصدق به ، وكان يخبرهم بما في ضمائرهم ، ويكاشفهم كشفا صريحاً ، وكان ربما يقابل في

1) تنظر ترجمة الوزير الطيب بوعشرين في **فواصل الجمان** ص 71 **واتحاف أعلام الناس** 3 : 97

بعض الاحيان بعضَ زائريه بالسب ونحوه ، وربما كان الزائر المقابل بذلك من أعيان البلد من أهل العلم والدين ولا يبالي ، وكان أشيب ، طويل القامة ، ليس في رأسه عمامة ، وانما فيه طربوش أحمر بال متسخ ، وكانت الاحوال تغلب عليه في بعض الاحيان ، فلا يقدر أحد أن يأوي اليه أو يتكلم معه ، فاذا سكن حاله تكلم وربما انبسط ، وربما أخذ دلائل الخيرات ، وجعل يصلى فيه على النبي صلى الله عليه وسلم .

قال في (السلوة) أدركته ورأيته وزرته مع والدي ، وسمعت بعض الاخيار يثني عليه ويقول : انه كان من كبار الاولياء ، الا أنه كان ينحو نحو الملامتية ، ومن كراماته أنه لما قربت وفاته ، قال لبعض من كان يأوي اليه من أهل الحومة التي هو فيها أنى تزوجت وأردت الدخول ، وأردت أن أعمله عندكم في داركم ببيت عمك فلان ، فقل له يأذن لي في ذلك ، فقال له : ياسيدي وبمن تزوجت ؟ فقال له ببنت السلطان ، فقال له حباً وكرامة ، ثم بعد أيام قلائل توفي ، واتفق من قدر الله ان غسل وكفن في بيت العم المذكور من غير قصد منه لذلك ، بل على سبيل الاتفاق .

وكانت وفاته رحمه الله في الخامس والعشرين من رمضان المعظم عام ستة وثمانين ومئتين وألف ، ودفن بهذا الخارج قريبا من سيدي المكي بروضته (1) .

836) محمد الطيب بن العربي الدرقاوي

محمد الطيب ، بن الولي الصالح مولاي العربي ، بن أحمد ، بن الحسين ، بن علي ، بن محمد ، بن يوسف ، بن أحمد ، بن الشيخ محمد الشهير بأبي درقة ، المتوفَّى بمراكش ، المنقول بعد اقباره بمراكش لتامسنا ، بن يوسف الشريف ، بن كنون الجدّ الجامع ، وهو أبو عمران بن عبد الرحمان بن سليمان بن الحسن بن محمد بن محمد مرتين بن أحمد بن

---

1) **سلوة الانفاس** 3 : 135 وعفا الله عن المؤلف وعمن ينقل عنه ، ما كان أغناهما عن ترجمة هاؤلاء الحمقى والمجانين الذين لم يفيدوا ديناً ولا دنيا

كنون بن أحمد بن الامام أدريس الازهر نفعنا الله به ، الدرقاوي الزروالي، أخذ أولا عن والده ، ثم بعده عن تلميذه الصالح ، المربي الناصح ، العالم العامل سيدي أحمد بن دحمان اليالصوتي ، من عقب العارف بالله تعالى سيدي عبد الوارث اليالصوتي ، المتوفى في ربيع الاول عام 1266 ستة وستين ومئتين وألف ، دفين زاويته من بني زروال ، قرب مجوط ، وبه تربى وتهذب .

كان المترجم أمياً ناسكا عابدا ، منسلخاً عن الدعوى بالكلية ، صوفياً ورعاً ، زاهدا لا يتظاهر بمشيخة ، متواضعا حسن الاخلاق ، ومن المتواتر عنه أنه لما أراد دخول مراكش عام خمسة وثمانين ومئتين وألف وخرج لملاقاته الفقراء دخل من باب آخر على حمار وحده فراراً من الشهرة ، في غاية الورع والزهد ، والتقلل من الدنيا ، فاق بذلك والده ، وأخذ عنه عالم من الخلق ، وانتفع به الكثير ، ومن مشاهير المنتمين اليه ، السيد علي بن أحمد المساري الكنوني الشريف دفين شراكة قرب سيدي العباد ، والفقيه السيد محمد ابن دحمان السلَوي ، ومولاي الحاج المغارى دفين المدينة المنورة ، وممن أخذ عنه بمراكش السيد علي بن الفضيل ، والقاضي ابن المدني السرغيني ، والفقيه التادلي ، والناسك السيد أحمد المغازلي المعتمر بسوق الغزل ، وكان يعمل في بناء الزوايا بيده ، وكذلك زاويته ببني زروال .

قال في (الاستقصا) ما نصه : وفي فجر يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى من السنة المذكورة ـ يعني سنة سبع وثمانين ومئتين وألف ـ توفي الولي الصالح الناسك السني محمد الطيب بن الشيخ الاشهر مولاي العربي الدرقاوي ، ودفن بمحل زاويته بآمجوط ، من بلاد بنى زروال ، وكان من خيار عباد الله ، على غاية من التقوى والورع والتواضع مع الناس ، يركب الحمار ، ويلبس الجبة ، ولا يتميز عن أصحابه بشيء مع السكينة والوقار ، وعدم الخوض فيما لا يعني ، والاعراض عن زهرة الدنيا وأهلها ، رحمه الله ونفعنا به.

وما ذكره في وفاته ، قد وقفت عليه بخط ولده الخيّر الناسك مولاي عبد الرحمان غير أنه قال : توفى في ليلة الجمعة ثامن جمادى الاولى عام 1287 ،

والفجر أخص من الليلة بل هو من النهار في عرف الشرع ، ومن الليل في عرف الفلكيين ، لأن النهار عندهم من طلوع الشمس ، وقد رثاه بقصيدة دالية الفقيه الحاج ادريس بن الفقيه الوزير سيدى محمد بن ادريس مطلعها :

سهم المنية للعيون مسـدد والموت للنفس النفيسة مرصد (1)

837) **محمد التاودي بن محمد السقاط** ، بشر به والده في رؤيا رآها قبل أن يولد له بأنه يكون مباركاً ، وأنه هو الوارث له من بعده ، ثم زار مولانا ادريس فأسرّ رجل من الصالحين في أذنه بأن المرأة التي يتزوج في حرم سيدي أحمد الشاوى ، ثم تزوجها ، وولد له منها أولاد ماتوا ، ثم زار الشيخ محمد التاودى ودعا الله عنده أن يرزقه ولدا يعيش له ويقرأ ، فولد له المترجم فسماه باسمه وكناه بكنيته في العشرة الثالثة من القرن الثالث عشر ، وكان يطوف به والده على مقابر الصالحين ، ويحدثه بمناقبهم ، ثم قرأ على جماعة من أهل عصره ، واختلف الى جماعة من الصالحين وتبرك بهم ، ثم توفي والده سنة اثنين وأربعين بعد المئتين والألف ، ودفن خارج باب الفتوح بمطرح الاجلة .

وممن لقيه المترجم الولي العارف سيدي الحاج المختار البقالي المذكور في (الدر النفيس) للعراقي ، والشيخ سيدي عبد القادر العلمى ، ثم تزوج سنة 1246 ، ثم توجه لزيارة سيدي عبد القادر العلمي بمكناسة ، ووقعت له في طريق ذهابه اليه كرامات له ، ثم كاشفه بعد أن لقيه بأمور ، وحدث عنه بأسرار ، واختصّ به ، ثم صار من أصحاب عامل فاس القائد الطيب البياز ، فسافر معه لها في سنة 1258 ، فوصلهم في الطريق كتاب شريف بخط الفقيه الوزير الاديب سيدي محمد بن ادريس متضمناً لبيتين وهما :

قد بشرت بقدومكم ريح الصبـا أهلا بكم يازائرين ومرحبـا
استنشقت أرواحنا أرج اللقـا ياحبذا قرب الزيارة أطربـا

---

1) راجعها في كناش الفقيه سيدى محمد الحسن المراكشي وعددها 30 بيتا (المؤلف)

ثم لما قبض البياز عام 1260 ووقع البحث على أصحابه نجاه الله تعالى من التبعة ، وسلم جانبه بعد الخوف والدهش ، ثم صار كاتبا مع عامل فاس القائد محمد بن الطالب الهنتيفي نحو سبع سنين، ثم حج بيت الله الحرام، وعمل رحلة ، ووعده سيدي قدور العلمي بأنه لا يتصرف فيه أحد ، وصحبه سبعة وعشرين سنة ، وتوجه للجزائر في رفقة الحاج العياشي بنيس ، والقائد عمر الزراري عام 1277 ، وزار سيدي عبد الرحمان الثعالبي ، ودخل مراكش عام 1269 تسعة وستين بعد المئتين والألف وتلاقى بالصالح سيدي محمد الفران بها ، وألف كتابا في مجلد سماه (خرق العوائد ، واستجلاب الفوائد) ذكر فيه أحواله ، وما وقع له مع الأشياخ وغيرهم ، ونقل كثيراً من كلام الصوفية في شروط التصوف ، وما يتعلق به ، وذكر كثيرا من أحوال شيخه سيدي قدور العلمي رضى الله عنه وغيره ، وفرغ من تصنيفه في عشرى صفر الخير عام 1288 ، وقفت عليه بخطه الرائق ، ثم خرج من يد ولده العربي عام 1303 ، ووقع ذكره في (رحلة الفتح المبين ، في وقائع الحج وزيارة الامي الأمين) صلى الله عليه وسلم ، من الذين سردت تآليفهم بالزاوية الكتانية بساباط القرادين بفاس .

838) **محمد بن الحاج محمد ابن المليح الدكالي** ، المستوطن بمراكش ، وقفت على ظهير شريف محمدي مؤرخ 29 جمادى الاولى عام 1288 يخاطب ولده مولاي الحسن بأن حامله المترجم بيده صك باجازات الفقهاء ، وطلب أن يجري مجرى أهل العلم الشريف ، وعليه فاجعل عليه من الحرمة والوقار ما هو معهود لاهل العلم ، ونفذ له من الاحباس الكبرى بها ما يقبضه أمثاله من المشاهرة ، إعانة على تدريس العلم ، ويرجع في تقديرها لاجتهاد القاضيين ، وذلك بشرط الاشتغال والملازمة ، والسلام .

839) **محمد بن المكي المراكشي** ، الرجل الصالح البدر الواضح ، كان صاحب أزجال وتوسلات ، تضرع الى الله بين الظهرين الى غروب الشمس، في إجراء ماء بسقاية فأجيبت دعوته !

توفي رحمه الله في حدود الثمانين ، من القرن الثالث عشر ، ودفن بالمزارة المجاورة لضريح أبي العباس السبتي .

840) محمد القطب الذيابي

من الذيابات فرقة من دكالة كان يسكن بحومة ابن صالح من مراكش، درقاوي الطريقة ، أخذ عن مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي ، وطلب منه أن يكون قطب الذيابات فقال له : أنت قطب دكالة ، فاشتهر بذلك ، وهو صاحب نوادر مستملحات ، يعتريه الجذب في بعض الاوقات ، كان ذاكرا متلون الحال ، يسافر لزيارة مولاي العربي دائما .

توفي في دولة سيدى محمد بن عبد الرحمان .

841) محمد الوزاني القدرة ، كان فقيهاً عاملا ربانيا مكاشفا نورانيا ، ملامتي القدم ، يذكر عنه كرامات ، توفي في العشرة التاسعة من القرن الثالث عشر .

842) محمد بن ابراهيم النظيفي

محمد بن ابراهيم بن الحسن الهشتوكي المراكشي النظيفي ، مختصر العمل الفاسي ، الرباطى ، الفقيه العلامة ، المحصل الدراكة ، المشارك العارف بالفنون القديمة ، المفتي المدرس ، المؤلف البركة ، وشرح الهدية ، وألف في الجدول .

توفي في العشرة المذكورة ، وقفت على تقاريظ شرح الهدية للمترجم الصادرة من سيدي الحسن بن أحمد الصالح ، وسيدي محمد بن أحمد الكنسوسي ، والعلامة سيدي الحاج محمد بن العلامة سيدي أحمد أزنيط ، والفقيه اللوذعي الدراكة معدن العلم والعمل ، السيد محمد بن محمد الصديقي، والعالم سيدي محمد عمر السوسي الجراري ، والفقيه الأفضل السيد علي بن محمد العتابي الصنهاجي ، والفقيه السيد عبد العزيز بن عبد الرحمان المرابط، والفقيه السيد عبد الله بن محمد بن إبراهيم المراكشي ، والفقيه السيد

الحسن بن أحمد التسجدلتي ، والفقيه الطالب السيد أحمد بن عبد الوهاب الغلاوي الحوضي ، والعلامة السيد أحمد بن مبارك المراكشى دارا ومنشئاً ، والفقيه العالم المدرس في الفقه سيدى محمد بن احمد البزيوي .

843) **محمد بوجيدة** الفقيه الصوفي ، كـان مثرياً ثم تزهد وتـورع وتصوف ، وتجرد للعبادة الى أن لقي ربه .

توفي عام 1298 ثمانية وتسعين ومئتين وألف .

844) **محمد الأشخم** الموقت هو الذي سطر الرخامة بجامع المنصور ، كان يسكن بالقنارية بمراكش ، كان مع السلطان سيدي محمد قبل أن يتصل بالسيد عبد الرحمان العلج الآتية ترجمته ، والسيد محمد الأشحم ولده لم يدرك علم والده وانما كان يتظاهر بذلك .

845) **محمد بـن علي الصنهاجي المراكشي** ، الموقت الحيسوبـي المُعدل عارف بعلم الفلك وبأحكام التنجيم وتدريس الكـواكب وأسرارها ، ورسم أعمال نصبة الكواكب ، وكان ساكناً ومعتكفاً بالمسجد بزاوية تاسفت بوادي نفيس عند المرابط الحاج إبراهيم بن عبد الرحمان الزرهوني ، وقرأ عليه ولده عبد الله مؤلف (رحلة الوافد ، في أخبار رحلة الوالد) تناظر مع العلامة السيد محمد المهدي التلمساني في وفق المخمس الخالي .

846) **محمد بن عبد الرحمان بن هشام العلوي** (السلطان سيدي)

محمد بن مولانا عبـد الرحمان أمير المومنيـن الشريف الحسني العلوي ، كان سيدي محمد بن عبد الرحمان بن هشام رحمه الله (مخصوصاً) بعين الرضى من والده منذ نشأ وشب ، وكان متميزاً عن سائر إخوانه بشدة البرور بأبيه ، ومتصفا بالسكينة والوقار والصلاح والتقوى ، وسائر خصال الخير ، واستخلفه أبوه صغيرا ، فجرى على السنن الأقوم ، وحمدت سيرته ، ولما رأى منه السلطان رحمه الله مخائل النجابة والصلاح ، فوض اليه وألقى

برنامج مملكته بيديه ، ولم يدخر عنه شيئاً من أمور الملك ووظائفه ، فاستلحق في أيام أبيه واستركب ، واتخذ العساكر وجند الأجناد ، وقدم وأخر ، وخفض ورفع ، وأعطى ومنع ، حتى كأنه ملك مستقل ، وكانت العادة انه اذا كان السلطان بمراكش كان سيدي محمد هذا بفاس أو بمكناسة ، وبالعكس ، فلما مرض السلطان رحمه الله مرض موته بمكناسة ، كان سيدي محمد بمراكش ، فلم يرعه الا ورود الكتب عليه من أخيه المولى العباس ومن الوزير الصفار أن السلطان قد أشرف ووقع الاياس منه ، فنهض سيدي محمد من مراكش منزعجا وجد السير لعله يدرك حياة أبيه ، فلما كان ببلاد السراغنة على مرحلتين من مراكش أتصل به الخبر بوفاة السلطان رحمه الله ، ثم قدمت عليه بيعة أهل الحضرتين فاس ومكناسة ، وجميع الجيش البخارى ، وسائر أهل الحل والعقد من أعيان القبائل والبربر (1) ، فاسترجع السلطان لمصابه ، وشكر الله اذ أبقى أمر المسلمين في نصابه ، وكتب بالخبر الى مراكش ، وبعث بالبيعة الواردة عليه ، فاجتمع أهل مراكش على طبقاتهم بجامع الكتبيين ، وحضر عامل البلد يومئذ أحمد بن عمر بن أبي ستة ، وقائد الجيش السوسي بالقصبة ابراهيم بن سعيد الجراوي ، وقواد الحوز من الرحامنة وغيرهم ، فقرىء كتاب السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان بالاخبار بموت والده ، واجتماع الناس على بيعته ، فارتفعت الاصوات بالترحم على السلطان الصائر الى عالم الرضى والرحمة ، وبالنصر لهذا الذى اختاره الله لحماية الامة ، وكتب أهل مراكش بيعتهم من إنشاء محمد الكنسوس ، وكذا الجيش السوسى وأهل الحوز ، وقدموا على السلطان سيدي محمد بمكناسة مؤدين الطاعة ، داخلين فيما دخلت فيه الجماعة ، فأكرم وفادتهم ، وأجل مقدمهم ، وأفاض عليهم من الاحسان ما غمرهم ، وكان مما قيل في تهنئته بالملك ، قول محمد الكنسوس :

---

(1) انظر نماذج من بيعات المدن والقبائل للسلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان فى **الوثائق** ج 2 ص 337 وما بعدها

وجوه الأماني حسنها متجدد ... ومنظرها يحكيه خد مورد

قضى الحبُّ في كل القلوب بأنها ... مماليك أرباب الجمال واعبد

وكم من عصيٍّ للهوى متعفف ... يفر من السود العيون ويبعد

تصيَّده ظبيٌ على حين غفلة ... مهفهف مستن الوشاحين أغيد

فاصبح مفقود الفؤاد مخبلا ... وأي فؤاد عاشق ليس يفقد

ولله في أسر الغرام ونهره ... نفوس ضعاف ليلهن مسهد

اذا الليل أضواها تكنفها الهوى ... وليس لها غير الكواكب منجد

وذي ظمأ بين الضلوع يجنه ... الى رشفات للصبابة تبرد

تراءى له من منحنى الجزع برقه ... فظن بان الجزع ثغر منضد

وتذكره تلك البروق مباسما ... عليهن مرفض الجفان معقد

يراقب أسراب النجوم بمقلة ... تقسمها شطرين نسر وفرقد

ويهفو لأيام العقيق فتنثني ... مدامعه مثل العقيق تبدد

وهل يتناهى عهد من سكن اللوى ... اذ العيش غض والحبائب تسعد

وما زالت الأيام تغري بنا النوى ... وتنفى الذي نهواه عنا وتبعد

ولست أبالي للزمان صروفه ... وكهفي أمير المومنين محمد

خليفة رب العالمين بأرضه ... وصارمه الشاكي الشباة المهند

إمام تولى الله تشييد ملكه ... وناهيك ملكاً بالالاه يشيد

وصفوة هذا الخلق من آل هاشم ... وأعلا ذوي التيجان فخرا وأمجد

وأرحبهم في العز باعاً وفي العلا ... وأكثرهم في الفضل حظاً وأزيد

أتته عروس الملك عاشقة له ... وكم عاشق عنها يذاد ويطرد

وألقت على شوق اليه زمامها ... فطاب لها منه الجناب الممهد

فاصبحت الايام تزهو بعدله ... وتنعم في ظل الهناء وتسعد

ففي بابه مأوى المكارم والندى ... وفي بابه الخيرات تولى وتوجد

ودولته للعز والنصر مألف ... وحضرته للأمن واليمن موعد

تذل ملوك العالمين لبأسه ... وتركع مهما أبصرته وتسجد

له راحة في الجود ما الغيث عندها ... وما البحر والدر النفيس المقلد

له أنعم" تأوي الى ظلها المنى ... وتسحب أذيال السماح وترفد
وعزم على الخيرات ليس بسامع ... مقالة مَن في المكرمات يزهد
ورأي ينير الخطب عند اعتكاره ... ويفسخ ما أيدي النوائب تعقد
ووجه اذا ما لاح أيقنتَ أنه ... محيا له وقت السعادة مولد
حيي كثير الابتسام مبارك ... يكبر ربي أن بدا ويوحد
أهز بهذا المدح منه معاطفا ... تجر ذيول الفخر ان هو يحمد
له العسكر الجرار تبرق في الوغا ... صوارم منه والمدافع ترعد
يعد الى الاعداء كل كتيبة ... من الرعد يحدوها الوشيج المسدد
وكل كمي كالغضنفر مغضبا ... وكل صقيل وهو ماض مجرد
يبذ العدا قبل اللقاء مهابة ... فصارمه يفري الطلى وهو مغمد
هو الملك المشهور بالحلم والدها ... وبالعلم، والشهب الذراري تشهد
تشد لادراك الغنى عند بابه ... ركائب أنضاها الدؤوب المشدد
يحدث عنه الوفد عند صدوره ... أحاديث من بحر اذا البحر يزيد
الى مجده آمالنا قد تطاولت ... وليس لها الا حماه المؤيد
فياملكا يحمي الرعيةَ بأسه ... ويحييهم بالبذل والبذل أرغد
يدبر فيهم كل يوم مصالحا ... تعود بما يرضون والعود أحمد
ويشملهم بالعدل والفضل والندا ... ويصلح بالصمصام من هو مفسد
هنيئا لك الملك الجديد فانه ... يدوم بحمد الله وهو مسرمد
هنيئاً لنا نحن العبيد فاننا ... بسؤدد مولانا الامام نسود
ودونك ياخير السلاطين كاعبا ... بديعة حسن للنهى تتودد
تدير كؤوس الراح دون تأثم ... اذا هي اثناء المحافل تنشد
فلا زلت ما بين الملوك مخيرا ... كما اختير ما بين المعادن عسجد

وفي هذه الايام ظهر المولى عبد الرحمان بن سليمان بن محمد ، وقرب من فاس طالباً للملك ، قيل ان بعض أبناء عمه بفاس ومكناسة لما توفي السلطان رحمه الله كاتبوه واستحثوه للقدوم، وواطأهم على ذلك بعض عبيد البخاري ، وبعض البربر الذين بأحواز مكناسة ، ولما قرب من فاس كان الفقيه محمد العربي بن المختار الجامعي يومئذ يلي أمر شراكة بها ، فقام في ذلك

أحسن قيام ، وحمل الناس على الثبات والتمسك بطاعة أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الرحمان فكان ذلك سببا في سكون هذه الفتنة ، وانحسام مادتها ، فرجع المولى عبد الرحمان بن سليمان عوده على بدئه ، وأيس من بلوغ قصده ، وأقام بزاوية العياشي عند البربر الى أن اضمحل أمره ، ولما قدم السلطان سيدي محمد رحمه الله من مراكش إلى مكناسة اجتاز بمدينة سلا ، ونزل برأس الماء في الثالث والعشرين من صفر سنة ست وسبعين ومئتين وألف ، وبعد الزوال دخل في جماعة من حاشيته ، وزار الشيخ عبد الله بن حسون ، والشيخ أحمد بن عاشر رضى الله عنهما ، ودخل البستيون الكبير ، ورأى مدافعه منصوبة على عجلات الحديد ، وكانت تغوص في الأرض اذا جرت من شدة ثقل المدافع ، فاشار بأن يفرش لها بساط من العود الجيد المحكم الصنعة والتركيب ، حتى يتأتى جريانها عليه بلا كلفة فصنعت لها كما أشار رحمه الله .

وقد كنت مدحته بقصيدة لم يبق على ذكري الآن منها إلا بيتان وهما :

حوى العلويون المعاليَ كلَّها ... وما منهم الا ذرى المجد صاعد

ولكن أمير المومنين محمد ... هو البدر في العلياء وهي الفراقد

انتقاض الصلح مع الاصبنيول واستيلاؤه على تطاوين ورجوعه عنها والسبب في ذلك

كان السبب في انتقاض الصلح مع جنس الاصبنيول أن العادة كانت جارية مع أهل سبتة من النصارى وأهل اللانجرة من المسلمين أن يتخذ كل من الفريقين محلا للحراسة على المحدة التي بينهما ، وكان النصارى يتخذون هنالك بيوتا صغارا من اللوح ، والمسلمون يتخذون اخصاصا من البردى ونحوه ، فلما كان آخر دولة السلطان المولى عبد الرحمان رحمه الله بنى نصارى سبتة على المحدة بيتا من حجر وطين ، وجعلوا فيه علامة طاغيتهم المسماة عندهم بالكرونة ، فتقدم اليهم أهل اللانجرة وقالوا لهم لابد أن تهدموا

هذا البيت الذى لم تجر العادة ببنائه وترجعوا الى حالتكم الأولى مـن اتخاذ بيوت الخشب ، فامتنع النصارى من ذلك ، فعمد أهل الأنجرة إلى ذلك البيت فهدموه ، والى تلك الكرونة فنجسوها بالعذرة، وقتلوا منهم أناساً، وضيقوا على أهل سبتة بالغارات حتى كانوا يصلون الى السور ، فرفعوا أهل سبتة أمرهم الى كبيرهم بطنجة ، فكلم كبيرهم نائب السلطان بها وهو يومئذ محمد بن الحاج عبد الله الخطيب التطواني ، وشكا اليه ما نال أهل سبتة من عيث أهل الانجرة ، فدافعه الخطيب فلم يندفع وقال : لا بد من حضور اثني عشر رجلا منهم بطنجة ، وسماهم بأسمائهم ، ولا بد من قتلهم جزاء على فعلهم ، فعظم الأمر على الخطيب ،وربما كلم في ذلك باشدور الانجليز ، فقال له : أحضر هؤلاء المطلوبين على عين الاجناس واذا حضروا وظهر حق الاصبنيول فأنـا ضامن أن لا يصيبهم شيء ، فأعجب الخطيب ذلك وعزم عليه ، فاتصل الخبر بأهل الانجرة ، وأن الخطيب عازم على أن يكتب الى السلطان في شأن اثني عشر رجلا منهم بأعيانهم ، فمشوا الى الشريف سيدي الحاج عبد السلام بن العربي الوزاني ، وقالوا له : ان الخطيب لا ينصح السلطان ولا المسلمين ، وان كل ما قاله النصارى يساعدهم عليه حتى جسرهم علينا ، ونحن جئناك لتُعلم السلطانَ بأمرنا وتسأله ان يمدنا بالقبائل المجاورة لنا ونحن نكفيه هذا الهم ، وفي اثناء هذه المدة توفي السلطان المولى عبد الرحمان رحمه الله ، وولي ابنه سيدي محمد وقدم مكناسة ، واجتمعت كلمة أهل المغرب عليه ، فكتب له الشريف سيدي الحاج عبد السلام بأمر أهل الانجرة ، وقرر لـه مطلبهم فشاور السلطان في ذلك بعض حاشيته ، فمال الى الحرب ، وذلك كان الراجح عند السلطان ، لأنه عظم عليه أن يُمكن العدو من اثني عشر رجلا من المسلمين وفق اقتراحه واختياره يقتلهم بمحضر الملأ من نواب الأجناس ، ورأى رحمه الله ان لا يمكنه من مطلبه حتى يعذر فيه ، فاستخار الله تعالى ، وبعث خديمه الحاج محمد بن الحاج الطاهر الزبدي الرباطي الـى الخطيب بطنجة ، وأمره أن ينظر في القضية ، ويستكشف الحال ، وان لا يجنح الى الصلح الا اذا لم يجد عنه محيصا ، وكثرَ المتنصحون لدى السلطان ، وهوَّنوا

عليه أمر العدو جداً مع أنه ليس من السياسة تهوين أمر العدو وتحقيره ولو كان هيناً حقيرا ، فوصل الزبدي الى طنجة ، واجتمع بالخطيب وفاوضه في القضية ، فوجد الخطيب جانحا الى السلم ، فأبى أن يساعده على ذلك ، وأظهر كتاب السلطان بتفويض النظر اليه في النازلة ، فتأخر الخطيب عنها ، وترك الخوض والكلام فيها ، وآخر الامر أن الزبدى انفصل مع نائب الاصپنيول على الحرب ، وذهب الى حال سبيله ، وأزال الاصپنيول سنجقه من طنجة ، وركب الى بلاده في الحين ، وكتب الزبدى الى السلطان بالخبر ، فكتب السلطان الى الثغور يخبرهم بما عقده مع الاصپنيول من الحرب ، وأمرهم ان يكونوا على حذر وأن يأخذوا أهبتهم للجهاد ، وفتح السلطان بيت المال ، وأبدأ وأعاد في تفريق المال والسلاح والكسي ، وقدم أولاد القائد المامون الزراري الى تطاون في نحو مئة فارس وخمسمئة من رماة العسكر ، فرابطوا خارج تطاون الى جهة سبتة ، ثم برز جيش الاصپنيول من سبتة في نحو عشرين ألفاً من العسكر في غاية الاستعداد وكمال الشوكة ، ونزل على طرف المحدة داخل أرضه ، وكان خروجه يوم السبت أواسط ربيع الاول سنة ست وسبعين ومئتين وألف ، فنهض اليه أهل الانجرة ومن جاورهم من قبائل الجبل ، وتسامع الناس بذلك ، فقدموا من كل جهة حتى اجتمع منهم نحو الخمسة آلاف ، وزحفوا الى العدو وقاتلوه نحو نصف شهر ، وكل يوم يقتل منه ضعف ما يقتل من المسلمين ، لأن حربه كان زحفاً بالصف ، وحربهم كان مطاردة بالكر والفر ، فلابد أن يهلك منه أكثر مما يهلك من المسلمين ، غير أنهم لم يتمكنوا من مخالطته في معسكره ، ولا من هزيمته ، لانه كان يحصن على نفسه باشبارات والمتارزات بخناشي الرمل وغيرها غاية التحصين ، ثم بعث السلطان رحمه الله أخاه الفقيه العلامة المولى العباس في كتيبة من الخيل نحو الخمسمئة فارس ، فنزل بموضع يعرف بعين الدالية قرب طنجة ، ثم بعد أيام زحف الى العدو ، فنزل بمدشر يقال له البيوت باللانجرة ، واستمر القتال بين المسلمين والنصارى على نحو ما سبق نحو العشرة أيام ، ثم انتقل المسلمون الى موضع آخر يعرف بابي كدان خوفاً من كرة العدو ودهمه اياهم ،

فكان ذلك مما جرأ العدو عليهم ، وأظهر الفشل فيهم ، وقاتلوا هنالك نحـو الخمسة عشر يوماً ، ثم ان العدو اجتمع يوما وتحمل بخيله ورجله ، وزحف الى المسلمين فصدمهم بجميع قوته وشوكته ، فصبروا له ، وصدقوه اللقاء ، فردوه على عقبه ، ولما لم يستقم له ذلك جمع نفسه ذات ليلة من غير شعور من المسلمين ، وركب البحر ونزل بمحل يعرف بالفنيدق ، لأنه كان هنالك فندق قديم ، وكان العدو في تنقلاته هـذه لا يفارق الساحل ليحمى ظهـره بمراكبه البحرية ، وكان بين الفنيدق ومحلة المسلمين نحو ساعة ونصف ، فأشار أهل الرأي على المولى العباس بأن يتأخر قليلا لكون العدو قد ضايقه فتأخر المولى العباس بالجيش الى موضع يعـرف بمجاز الحصا ، فازداد طمع العدو في المسلمين ، وظهر له ضعف رأيهم في مكائد الحرب ، وعـدم ثباتهم لدى الطعن والضرب ، وكان قائد عسكر الاصپنيول يسمى أودنيل ، ووزيره المشار عليه يسمى بريم ، ورينتهم (1) يومئذ ايسابيلا الثانية ، ثم عاد المسلمون الى مطاردة العدو ومقاتلته على نحو ما أسلفنا ، فكانوا يذهبون اليه وهو بالفنيدق ، فيقاتلونه من الصباح الى المساء ، فكانوا ينالون منـه وينال منهم ، وفي اثناء هذه المدة وفد جماعة من أهل تطاوين على السلطان رحمه الله بمكناسة ، فأعظموا أمر العدو وتخوفوا معرته في مالهم وأولادهم ، لأنهم كـانوا قد أحسوا بشدة شوكته ، فوعدهم السلطان رحمه الله بأن يمدهم ويحامي عنهم ، ولا يدخر عنهم شيئاً من العدد والعدد حتى يعذر فيهم وفي غيرهـم .

ثم ان العدو ارتحل من الفنيدق بعد نحـو عشرة أيام ، وتقـدم نحـو تطاوين ، وكـان الناس قبل هـذا لا يدرون أين هـو قاصد ، ولمـا ارتحل من الفنيدق عرفوا أنه قاصد تيطاوين ، فنزل بموضع يقال له النيگرو ، فأقام هنالك نحو ثمانية أيام ، والقتال على حاله المتقدم ، غير أن العدو كان في مادة قوية من البر والبحر ، يصل اليه من سبتة وغيرها كل ما يحتاج إليه من طعام وعلف وأرز وشعير وبقسماط وغير ذلك ، حتى أنه كان اذا ارتحل

1) **الرينة** كلمة اسبانية معناها الملكة

ترك من ذلك فضلة كثيرة يتعيش بها ضعفاء أهل تلك الناحية ، وكل ذلك مكيدة مقصودة عنده يظهر بها القوة والرفاهية ، وكان شذاذ المتطوعة من أهل البادية يهجمون على معسكره بالليل ويجلبون منه البغال والثيران ويصبحون بها في تطاوين وغيرها ، وكان ضعفاء العقول من العامة يستحسنون ذلك ، وينشطون له ، ويرون انهم قد صنعوا شيئاً مع أن ذلك لا عبرة به في جنب ما كان يستولي عليه العدو من الأرض ، ويتقدم به في نحر المسلمين ، وهم يتأخرون ، والحاصل ان المسلمين لم يكونوا يقاتلونه على ترتيب مخصوص ، وهيأة منضبطة ، وإنما كانوا يقاتلونه وهم متفرقون أيدي سبأ ، فاذا حان المساء تفرقوا الى محالهم في غير وقت معلوم وعلى غير تعبئة ، فكان قتالهم على هذا الوجه لا يجدي شيئاً ، وكان العدو يقاتل بالصف وعلى ترتيب محكم ، وكانت عنايته بما يستولي عليه من الأرض ، ويرى تقدمه إلى أمام وتأخر المسلمين بين يديه الى خلف هزيمة عليهم .

وقد ذكر ابن خلدون في فصل الحروب قتال أهل المغرب الذي هو المطاردة بالكر والفر وعابه فقال : وصفة الحروب الواقعة بين أهل الخليقة منذ أول وجودهم على نوعين : نوع بالزحف صفوفا ، ونوع بالكر والفر ، اما الذي بالزحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب أجيالهم ، واما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب ، وقتال الزحف أوثق وأشد من قتال الكر والفر ، وذلك لان قتال الزحف ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى القداح أو صفوف الصلاة ، ويمشون بصفوفهم الى العدو قدماً ، فلذلك تكون أثبت عند المصارع ، وأصدق في القتال وأرهب للعدو ، لأنه كالحائط الممتد والقصر المشيد ، لا يطمع في ازالته ، و في التنزيل : « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » ، انتهى .

وما زال العدو هكذا ينتقل شيئاً فشيئاً حتى وصل الى واد يعرف بوادي اسمير ، وكان يتحرى في تنقلاته يوم السبت معتمدا في ذلك حكما نجوميا على ما قيل ، فلما احتل بآسمير صادف ريحا شرقية هاج من أجلها البحر حتى لم تقدر مراكبه أن تحاذيه قرب الساحل ، فانقطعت عنه مادة البحر ،

وطلع ماء البحر في وادي النكيرو مـن خلفه فأفعمه ، وقطع عنه المادة مـن سبتة كما طلع أيضاً في وادي أسمير من أمامه فحبسه عن العبور ، وصار العدو متوسطاً بين الواديين والبحر عن يساره ، وانقطعت عنه المواد حتى حكى بعض عسكره بعد ذلك اليوم أن الكليطة وهي خبزة صغيرة تشبه البقسماط ، كانت أول النهار تباع ببسيطة وفي آخـره بيعت بريال ، ولا وجود لها ، وأيقنـوا بالهلاك لو وجدوا من ينتهز الفرصة فيهم ، ولكن أين اليد الباطشة ؟ وبقوا على تلك الحال يومين أو ثلاثة ، ثم سكن البحر ، وانفش الواديان ، وجاءه المدد ، ولما رأى المسلمون أن العدو وصل الى ذلك المحل تقهقروا ونزلوا بمدشر القلالين بينه وبين تطاويـن نحو ساعة ، ثم ان العدو عبر الوادي مـن آخر الليل وأصبح بموضع يقال له المضيق ، وكان متطوعة الاعراب في هذه المدة على قسمين : الحازمون وأهـل الغيرة منهم يقولون لولا أنه بيـن الجبال ومتحصن بالمتارزات لفعلنا وفعلنا ، والآخرون يقول أحدهم : ما لي وللتقدم إلى هذه الشرشمة (1) وانما أهل تطاوين يقاتلون عن تطوانهم ، وأما أنا فحتى يصل اليَّ لخيمتي في عبدة أو دكالة أو كلاما هذا معناه ، كأنه يعتقد انه لا تجب عليه نصرة المسلمين ، نعم الذين قاتلوا قتالا شديدا وأحسنوا للدفاع وقامـوا بالنصرة بنية خالصة ، وهمة صادقة ، هم طائفة من شبان أهل فاس ، وطائفة من أهل زرهون ، والبعض من آيت يمور ، وخصوصا الحسين المعروف بأبي ريالة منهم ، فانه أبدأ وأعاد ، وأتى بما لم يسمع إلا في زمان الصحابة رضي الله عنهم ، حكى من حضر وتواتر عنـه أنه كان معلماً براية صفراء ، وكـان يضمها الى صدره ويسددها نحو العدو ، ثم يحمل على صفهم فيخرقه حتى يأتي من خلفه ويفتك فيهم أشد الفتك ، ثم يعود ويستلب خيل العدو ، ويقودها بأرسانها ويأتي بها حتى يدفعها لمن بازائه ، وكان اذا تقدم نحو العدو يقول لمن حوله : تقدموا فانا درقتكم وأنا سوركم ، تكرر ذلك منه المرة بعد المرة ، ولما أصبح العدو بالمضيق فارق البحر ، وصعد الى تطاوين ، فدخل بيـن جبلين ، وكان في انتهاء ذلك المضيق الذي بين الجبلين من جهة تطاوين ويسمى

1) **الشرشمة** كلمة تطلق فى العامية المغربية على المصيبة والداهية ، ولا اعرف أصلها ، يقال بالعامية : الله يعطيه شريشمة أى مصيبة

فم العليق بعض أخبية أهل فاس وغيرهم ، فصعد العدو نحوهم وبغتهم بالكور والضوبلى ، وهو يقرع طبوله حتى أعجل البعض منهم عن حمل أثقاله ، ولما وصل إلـى هذا الموضع بتطاويـن انزعاج كبير ، واستأنف الناس الجـد والاجتهاد والقتال ، وتذامر جيش المسلمين ، وكان اليوم شديد المطـر ، وقاتلوا قتالا شديدا ، وأبدأ أبو ريالة وأعاد في هذا اليوم ، هلك تحته فرسان، وأرسل له المولى العباس فرسه ، وكان يعتني به وينوه بقدره ، ويبعث الطبل يقرع على خبائه ، واصابته في هذا اليوم جراحة خفيفة ، وهلك من المسلمين والنصارى عدد كثير،قيل هلك من أهل تطاوين فقط نحو الخمسمئة،وكان الظهور في ذلك اليوم للعدو ، ومن الغد ارتحل من فم العليق وعدل يسارا الى المرسى فنزل بها ليتمكن من مدد البحر ، واستولى على برج مرتيل وما والاه كدار مرتيل التي هي الديوانة ، وبمجرد وصوله إليها حصنها باشبارات الرمـل والمدافع وغير ذلك ، واتخذ بها دورا من اللوح ، وحوانيت منه ، وأقام مطمئناً، وصارت المراكب تتردد له في البحر بالأقوات والعدة والعسكر ، وجميع ما يحتاج اليه حتى استراح ثلاثة عشر يوماً ، ولم يكن في هذه المدة قتال ولا أنشبه العدو .

وفي هذه الايام ورد المولى أحمد بن عبد الرحمان فـي جيش بعث به السلطان من مكناسة ، ونزل بموضع يقال له فم الجزيرة بالتصغير ، وكان المولى العباس نازلا بمدشر القلالين بمحل مرتفع يشرف على ما حوله ، ولما استراح العدو وصلحت أحوال جيشه أنشب القتال ، فكان يخرج فيحوم حول المحلتين فيقاتل ويرجع ، فكان بريم دائما يكون في أول المقدمة على فرس أبيض مشهورا عندهم موصوفا بالشجاعة وجودة الرأي ، ثم ان العدو عزم على مصادمة المسلمين والهجوم على تطاوين ، فارتحل يوم السبت الحادي عشر من رجب سنة ست وسبعين ومئتين وألف ، وانكمش واجتمع ، وتقدم للقتال ، وارسل جناحا من الخيل طالعاً مع الوادي الى جهة المدينة ، وجناحا من العسكر الرجالة طالعا مع الغابة الى جهتها أيضا ، وزحف بعسكره شيئاً فشيئاً ، وهو في ذلك يرمى الكور والضوبلى ، والبغال تجر المدافع ، والجناحان ممتدان يكتنفان محلة المولى أحمد ، ولما قربا منها وكادا ينطبقان عليها فرَّ من

كان بها ، وتركوا الاخبية والاثاث بيد العدو ، فاستولى عليها ونزل هنالك بعسكره وحصن عليها، وتقهقر المولى العباس بجيشه حتى نزل خلف تطاوين، وبقيت بينه وبين العدو ، وكان في تقهقره هذا قد دخل المدينة ومر في وسطها واضعاً منديلا على عينيه وهو يبكي أسفاً على الدين وقلة ناصره ، ولما استقر بالمحلة مع العشى خرج اليه أهل تطاوين وشكوا إليه ما نزل بهم من أمر العدو ، واستأذنوه في تحويل أثاثهم وأمتعتهم وحريمهم الى مداشر الجبل حيث يأمنون على أنفسهم قبل حلول معرة العدو بهم ، فأذن لهم وعذرهم ، وكان قبل ذلك منع الناس من نقل أمتعتهم وحريمهم لئلا يفتنوا المسلمين ، ويجروا عليهم الهزيمة ، ولكي يقاتلوا عليها بالقلب والقالب ، فلما كان هذا اليوم وشكوا اليه أمر العدو الذى قد أطل عليهم ، ولم يبق الا أن يثب وثبة أخرى فيصير بها في وسط البلد عذرهم ، وكان العدو حين نزل بفم الجزيرة عشية ذلك اليوم ، قد أرسل أربع كورات على تطاوين فوقعت في وسط المدينة كأنه يعلمهم بأنه قد أشرف عليهم ، ولم يبق دون أخذهم قليل ولا كثير ، ولما سمع الناس كلام المولى العباس انطلقوا مسرعين الى نقل امتعتهم ، وقام الضجيج في المدينة ، واختلط المرعي بالهمل ، وامتدت أيدي الغوغاء إلى النهب ، وخلع الناس جلباب الحياء ، وانهار من كان هنالك من أهل الجبل والاعراب والاوباش ينقبون ويكسرون أبواب الدور والحوانيت ، والداخل للمدينة أكثر من الخارج ، وباتوا ليلتهم كذلك الى الصباح ، ولما طلع النهار وتراءت الوجوه ، انتقلوا من نهب الامتعة الى المقاتلة عليها ، فهلك داخل المدينة نحو العشرين نفسا ، وعظمت الفتنة ، وتخوف مَن بقي بتطاوين عاجزاً عن الفرار ، فاجتمع جماعة منهم على الحاج أحمد بن علي أبعير أصله من طنجة ، وسكن تطاوين ، وتشاوروا فيما نزل بهم ، فأجمع رأيهم على أن يكتبوا كتابا الى كبير محلة العدو أردنيل يطلبون منه أن يقدم عليهم لتحسم مادة الفتنة التي هم فيها ، فكتبوا الكتاب ووجهوه مع جماعة منهم ، فما انفصلوا عن المدينة غير بعيد حتى عثروا على طلائع العدو يطوفون حول المدينة ويحرسون محلتهم ، فتسابقوا اليهم ، وهشوا وبشوا ، وسألوهم ما الذي أقدمكم ؟ فقالوا جئنا بكتاب الى أردنيل فابلغوهم اليه ، فاظهر أيضاً البشر

والفرح ، وقدم اليهم طعاما من الحلوى ، وقال لهم في جملة كلامه : أني أفعل معكم ما لم يفعله الفرنسيس مع أهل الجزائر وتلمسان ، يعني من الاحسان ، وكذب خذله الله ، فان ذلك من حيله التي يستهوي بها الأغمار ، ويفسد بها الدين ، وإلا فأي إحسان فعله الفرنسيس مع أهل الجزائر وتلمسان ؟ ألسنا نرى دينهم قد ذهب ؟ وأن الفساد قد تمّ فيهم وغلب ؟ وان ذراريهم قد نشأوا على الزندقة والكفر الا قليلا ، وعما قريب يلحق التالي بالمقدم ، والله تعالى يحوط ملة الاسلام ، ويكسر بقوته الزنادقة وعبدة الاصنام .

ولما عرضوا على العدو الدخول إلى بلدهم، قال لهم أما اليوم فيوم الأحد، وهو عيد النصارى ، ولا يحل لي التحرك والانتقال ، واما غدا فانتظروني في الساعة العاشرة من النهار ، فرجعوا إلى أهلهم وأصحابهم وأعلموهم بمقالـة العدو، والحال ما حال والتقال مازال، وأبواب الحوانيت تكسر ، والدور تخرب، والقوي يأكل الضعيف ، وباتوا ليلة الاثنين كذلك ، وأصبحوا من الغد كذلك ، ثم ان العدو استعد وأخذ أهبته ، وتقدم إلى تطاوين بعد أن فرق عسكره على جهتين ، فرقة مرت مع أردنيل على الجبانة قاصدة الباب الذي يُفضي إليها ، وفرقة ذهبت مستعلية الى جهة القصبة والبرج ، ولما وصل أردنيل الى الباب وصل الآخرون الى القصبة ، فأما أردنيل فوجد الباب مغلقا ، وكلمه المسلمون من داخل المدينة فأمرهم بالفتح ، فقالوا ان المفاتيح قد ذهبت في الفتنة ، فقال اكسروا الأقفال فكسروها ودخل ودخل معه كبراء عسكره ، فتوجه هو إلى دار المخزن ، فنزل بهـا ، وافترق كبراء العسكر في المدينـة ، بأيديهم ورقات مكتوب فيها أسماء الدور التي ينزلون بها كل واحد بداره مكتوبة في ورقته ، فكان أحدهم يسأل عن دار الرزيني ، وآخر يسأل عن دار اللبادي ، وآخر يسأل عن دار ابن المفتي ، وهكذا بحيث دخلوا على بصيرة بأمر البلد ، ودور كبارها ، فاستقر كل واحد منهم في داره التي عينت له .

وأما الذين ذهبوا نحو القصبة ، فانهم لما وصلوا الى السور أنشبوا فيه سلاليم من ثمن غلاظ برؤوسها مخاطيف معوجة ، وتسلقوا فيها بسرعة ، ولما صاروا في أعلا البرج ، رفعوا سنجقهم في أعلا الصارى ، وأخرجوا عليه

مدفعا ، ولما سمع المشتغلون بالنهب والقتل حسّ المدفع رفعوا رؤوسهم الى البرج ، وبمجرد ما وقع بصرهم على بنديرة العدو تلوح خرجوا على وجوههم فارين كالنعم الشارد ، فالامر لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، واأسفا على الدين وأهله .

ولما استقر العدو بالبلد ، رتب حكامها ، وكف اليد العادية عنها ، وولى على المسلمين الحاج محمد أبعير المذكور آنفاً ، وكان دخوله إلى تطاوين واستيلاؤه عليها ضحوة يوم الاثنين الثالث عشر من رجب سنة ست وسبعين ومئتين وألف ، ورثاها الاديب الشريف السيد المفضل أفيلال بقصيدة يقول فيها :

يادهر قل لي على مه	كسرت جمع السلامه
نصبته للدواهي	ولم تخف من ملامه
خفضت قدر مقام	للرفع كان علامه
ملكته لاعاد	ليست تساوي قلامه
فالدين يبكي بدمع	يحكيه صوب الغمامه
على مساجد أضحت	تباع فيها المدامه
كم من ضريح ولي	تلوح منه الكرامه
علق فيه رهيب	صليبه ولجامه
ومنزل لشريف	وعالم ذي استقامه
صار كنيفا لعلج	ولم يراع أحترامه
وكم وكم من أمور	للدين فيها اهتضامه
تبكي عليها عيون	كآبة وندامه

* * *

تطوان ما كنت الا	بين البلاد حمامه
أو كخطيب تَرَدّى	من بعد لبس العمامه
بل كنت روضا بهيجا	زهرك أبدى أبتسامه

أو كمحيا عـــــــــروس | علاه في الخد شامـــــــه
فقت بهاء وحسنـــــــا | فاسا ومصر وشامـــــــه
رماك بالعين دهـــــــر | ولا كزرقا اليمامـــــــه
ففرق الأهل حتـــــــى | لم يبق الا ارتسامـــــــه
ما كان أحلى زمانـــــــا | وما ألذّ غرامـــــــه
مضى لنا مع بـــــــدور | ذوي نهى وفخامـــــــه
ما بين إنشاد شعـــــــر | وبين إنشا مقامـــــــه
وشملنا في التئـــــــام | والبسط يهوى التئـــــــامه
حن السرور اليـــــــه | شوقاً ورام التثامـــــــه
ساعده السعد حتـــــــى | نال المنى ومرامـــــــه
ياحسنها من ليـــــــال | لو لم تصر كالمنامـــــــه

* * *

تطوان يادار أنـــــــس | وخيس أهل الزعامـــــــه
هل للوصال سبيـــــــل | فالهجر أكمل عامـــــــه
والقلب ذاب اشتياقـــــــا | وحسرة واستهامـــــــه
والوجد أضعف جسمـــــــا | وكاد يبدي عظامـــــــه

* * *

ياأهل تطوان صبـــــــرا | فما لخطب إدامـــــــه
دوام حال محـــــــال | وهل لظل اقامـــــــه ؟
ان غاب نجم سعـــــــود | ولاح نجم شآمـــــــه
فسوف يطلع بـــــــدر | سناه يمحو ظلامـــــــه
فاعتصموا برجـــــــاء | وارعوا بصدق ذمامـــــــه
وحسنوا الظن تنجـــــــوا! | دنيا ويوم القيامـــــــه
وفوضوا الأمـــــــر لله | يكف عنا انتقامـــــــه
ما فاز إلاّ ذكـــــــيّ | قدم خيراً أمامـــــــه
حيث أقامه يرضـــــــى | ولو بقصر كتامـــــــه
ولا يزل ذا انتظـــــــار | في كل وقت ختامـــــــه

يراقب الله سـرا وجهرة باستدامه
يطلب حسن ختـام وحل دار المقامه

ثم إن أودنيل بعد أن رتب الحكام بتطاوين عاد إلى محلته ، وقسم عسكره قسمين ، وأنزله مكتنفا للبلد شرقاً وغرباً ، واختار منه عشرة آلاف فأدخلها المدينة ، وبقي هو خارجاً باحدى المحلتين ، يقال إن جيشه كان يوم دخل تطاوين سبعين ألفاً ، كلها مقاتلة في غاية الاستعداد وكمال الشوكة ، ثم أمر بالنداء في البلد ، أن من أوقد نارا تلزمه العقوبة الشديدة ، حذرا من أن يكون هناك مينا للمسلمين أو ما أشبهها ، فبقي الناس على ذلك نحو أربعة أيام لم يوقدوا فيها نارا ، ونادى أيضا أن مَن فرَّ من أهل البلد ولم يأت إلى متاعه وأصله الى سبعة أيام فلا شيء له بعد ، ولم يقدم شيئاً على نقل البارود والمدفع الذى كان للمسلمين بالمدينة ، فاما المدفع فحمله الى اسپانيا ، واما البارود فجعله بضريح ولي الله تعالى سيدي السعيدي ، وكذا فعل بجميع آلات الجهاد . ثم عمد الى ضريح سيدي عبد الله البقال ، فجعله كنيسة وجعل مسجد الباشا مختزنا للأرز والشعير ، ومسجد القصبة مختزنا للكليط ، ثم سار في المسلمين بالتوقير الاحترام ، ولم يسمهم خسفا ولا كلفهم شغلا ، ولا اقتضى منهم مغرما كان يتألفهم بذلك ، ومن باع منهم شيئاً أضعف له في الثمن واربحه ، وكذا فعل مع أهل المداشر الّذين حول البلد حتى اتخذ الناس سوقاً يعرف بكدية المدفع خارج تطاون ، وشاع خبره في قبائل الجبل ، فانهاروا عليه من كل جانب ، وربحت الناس فيه ، ثم كتب اردنيل كتبا وبعث بها الى قبائل الجبل يعدهم ويمنيهم ان قدموا عليه ، وخالطوه بالبيع والشراء ، ويتوعدهم أن لم يفعلوا ، فقدموا من كل أوب ، وارتفعت الاسعار ، فزادت ضعف ما كانت عليه وأكثر ، واستمرت كذلك فلم ترجع بعد ، ثم أخذ في ترتيب بناء المدينة ، وتبديل شكلها حسبما جرت به عادة النصارى في مدنهم ، فهدم ما لم يوافق نظره ، وفرز الدور من سور البلد ، وكل دار كانت ملتصقة بالسور فصلها عنه ، واستمر على هذا الحال نحو العشرين يوماً ، ثم دار الكلام بينه وبين المولى العباس في الصلح ، وتسامع الناس به ففرح

المسلمون والنصارى معاً ، أما المسلمون فوجه فرحهم ظاهر ، واما النصارى فانهم وان كان لهم الظهور ، فهم لا يدركونه سهلا ، بل مع القتل العظيم والجرح الكثير والمشقة الفادحة ، قال تعالى : « ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون » هذا الى مفارقة بلادهم التى ألفوها ، وعوائدهم التى ربوا عليها لا سيما عامة جيشهم الذين الغلبة في ضمن هلاكهم، فدماؤهم هي ثمنها كما قيل : « بجبهة العَيْرِ يُفدَى حافرُ الفرس » .

وحكي من حضر أن عسكر النصارى لما سمعوا بتناول الصلح حصل لهم من الفرح أضعاف ما حصل للمسلمين ، وصاروا يترددون الّيهم ، ويبحثونهم عما تجدد من الاخبار ، وكلما سمعوا بشيء من أمر الصلح طاروا فرحا ، وذلك لأن قتال النصارى كله على الاكراه ، اذ لا يمكن عسكريا منهم أن يفر من الزحف حال القتال ، لان الخليفة والسيافة من ورائهم يذمرونهم الى الامام ، ومهما رجع أحد منهم الى خلف وترك في الصف فرجة ضربت عنقه في الحين ، فالموت عندهم في الفرار محقق وفي التقدم مظنون ، فيختارون المظنون على المحقق ، اللهم الا اذا اشتدت الحرب وحمى الوطيس ، واختلط الرجال بالرجال ، أمكن الفرار حينئذ لاشتغال الرئيس والمرؤوس كل بنفسه ، وبهذا الضبط لم تتفق لهم هزيمة منذ أن خرجوا من سبتة ، ومن عادة العدو في الحرب : أنه اذا نهض للقتال ، ارتحل بجميع ما في عسكره كأنه مسافر، فترى العسكري منهم اذا تقدم للقتال حاملا معه جميع ما يحتاج اليه من ماء وطعام وبارود ورصاص ، حتى الموسى والمقص والمرآة والصابون وغير ذلك ، قد اتخذ لجميع ذلك أوعية لطافاً وعلقها عليه ، فلا يؤذيه حملها لأنه اقتصر من كلٍّ على قدر الحاجة ، واما الاخبية فيحمل كل ثلاثة رجال خباء ، ولا تلحقهم كلفة في حمله ، لان أخبيتهم في غاية اللطافة والصفافة ، وأعمدتها لطاف صلبة ، فهي مع كفايتها على الوجه الاتم في غاية الخفة ، بحيث اذا لف الخباء بما فيه كان كلا شيء ، ولو أراد أن يحمله واحد لفعل ، لكنه يقسمه ثلاثة أشخاص ، زيادة في الرفق ولئلا يحصل الضجر اذا طال السفر ، واما المدافع فقد اتخذوا لها عجلات أفرغت افراغا ، وركبت عليها على وجه محكم ، واتخذوا

للعجلات بغالا خصية تجرها في غاية الفراهة والارتياض ، ويجعلون فوق تلك العجلات صناديق الاقامة من بارود ورصاص وضوبلى وغير ذلك ، وتجلس الطبجيه على تلك الصناديق ، ويقوم ءاخرون حولهم قد أخذوا أهبتهم للقتال بكل ما يمكن ، ثم تندفع العساكر على هذا الترتيب صفوفا صفوفاً ، وتتقدم شيئاً فشيئاً يخلف بعضها بعضا ، كانها أمواج البحر تبرق الشمس على طئوس رؤوسها ، وتلمع على عددها المصقولة وآلاتها ، وهو في هذه الحالة لا يفتر من رمي الكور والضوبلى والشرشم (I) على كل جهة ، هكذا قتاله أبدا ، واذا أدركه المساء أو وقعت محاجزة أثناء النهار ، وكان قصده الثبات ثبت بمحله ذلك ، ولا يتزحزح عنه بحال ، الا أذا فنى كل عسكره أو جله ، فبمثل هذا الضبط كان له الاستيلاء والظهور ، وأما مقاتلة المسلمين له ، فكانت غير منضبطة ، وانما قاتله من قاتله منهم باختياره ، ومن قبل بنفسه، وان كان هناك ضبط من أمير الجيش فكلا ضبط ، ومتى ظهر له ان يذهب ذهب مع ان الله تعالى يقول : « واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه » ، لكن المقاتل من المسلمين يأتي القتال وليس معه ما يأكل ولا ما يشرب، فبالضرورة اذا جاع أو عطش ذهب يبحث عما يقيم به صلبه ، ثم هم يقاتلون على غير صف ولا تعبئة ، بل يتفرقون في الشعاب ومخارج الاودية وحول الاشجار ، فيقاتلون من ورائها ، وأذا دفعوا في نحو العدو دفعوا زرافات ووحدانا ، ثم اذا أدركهم المساء ، ووقعت المحاجزة ذهب كل الى خبائه الذى تركه وراءه بمسافة بعيدة ، وهم في هذا كله ليس لهم وازع يحملهم على ما يراد منهم ، فالحاصل أن جيش مغربنا أذا حضروا القتال ، وكانوا على ظهور خيولهم فهم في تلك الحال مساوون في الاستبداد لأمير الجيش ، لا يملك من أمرهم شيئاً ، وانما يقاتلون هداية من الله لهم ، وحياء من الامير وقليل ما هم ، وقد جربنا ذلك فصح ففروا عن السلطان المولى سليمان في وقعة ظيان أولا ، وفي وقعة الشراردة ثانيا ، وكان السلطان المولى عبد الرحمان أهيب في نفوسهم منه ،

---

١) **الشرشم** : يظهر انه من المواد الحربية الفتاكة التى تلقى على العدو كالنفط فى الماضى والنابالم فى العصر الحاضر ، وهو جمع مفرده الشرشمة ، ويراد بها فى العامية المغربية الدصيبة والداهية وقد تقدم شرحها

فكانوا يلزمون غرزه ، لكنهم لما بعثهم الى تلمسان فعلوا فعلتهم ، وسلكوا عادتهم ، ولما شهدوا مع الخليفة سيدي محمد بن عبد الرحمان وقعة أيسلى جاءوا بها شنعاء غريبة في القبح ، ولو لا انه قام بنفسه ليلة الحاج عبد القادر ، ومنع الناس من الركوب لربما عادوا الى فعلهم ، وأحسن ما كانت حالهم في هذا الحرب ، فانهم قاوموا العدو وفرقوا صفوفه غير مرة ، لكنهم أتوا من عدم الضبط الذي هو كضبطه ، فعدم ملاقاتهم للعدو في الكيفية القتالية هو الذى أضرَّ بهم وأوجب لعدوهم الظهور عليهم ، اذا الشيء كما علمت : انما يقاوم بمثله ، والشر انما يدفع بضده ، فالتنافى انما يحصل بين الضدين أو المثلين ، وحربنا وحرب الاسپنيول كان من باب الخلافين ، ولا تنافى بين الخلافين ، كما هو مقرر في علم الحكمة ، والتوفيق انما هو بيد الله .

ولنرجع الى الكلام على الصلح المتناول ، فنقول : لما دار الكلام بين المولى العباس رحمه الله ، وبين اردنيل في الصلح اتعدوا للاجتماع في يوم معلوم بمكان سوي بين المحلتين ، فلما كان ذلك اليوم ضرب بالمحل المعين خباء ، وجاء المولى العباس ومعه جماعة من وجوه جيشه ، وفيهم الخطيب التطوانى ، وخرج أردنيل ومعه جماعة من وجوه عسكره وخرج معه مقدم المسلمين بتطاوين الحاج أحمد أبعير ، رجاء أن يكون هو الترجمان بين الاميرين، فيفوز بذكر ذلك الجمع وفخره ، فأخفق رجاؤه ، لأنه لما توافى الجمعان الى الخباء بقي الناس كلهم قائمين على بعد منه ، ولم يدخله الا المولى العباس وأردنيل والخطيب لا رابع لهم فيما قيل ، وأبدى أردنيل من الادب والخضوع للمولى العباس ما جاوز الحد وتفاوضوا ساعة ، ثم انفض المجلس ، وتناقل الناس أن حاصل ما دار بينهما ان أردنيل رغب في الصلح وتأكيد الوصلة بينهم وبين المسلمين على شروط ذكرها ، وان المولى العباس توقف فيها وأحال ذلك على مشورة أخيه السلطان سيدى محمد ، وذهب كل الى سبيله ، وبقي الناس ينتظرون بأي شيء ياتى الجواب من عند السلطان ، وبعد أيام ورد الخبر بان السلطان لم يقبل ذلك الصلح ، فاستمر الناس على حالتهم الاولى من كون محلة العدو بتطاوين، وبعضها خارجها شرقاً وغربا، ومحلة مولاي العباس على بعد من البلد مقدار نصف يوم ، ثم ان المسلمين اجتمعوا ذات

يوم ، وبيتوا محلة العدو النازلة خارج البلد في ليلة معلومة ، فتقدموا اليها ، وذلك في أواخر شعبان سنة ست وسبعين ومئتين وألف ، وهجموا عليها في ليلة مظلمة ، والنصارى غارون وفتكوا فيهم فتكة بكرا باتوا يقاتلونهم الليل كله ، ومن الغد كذلك الى المساء ، وقاتل النصارى ذلك اليوم أيضا ، ولكن الظهور كان للمسلمين ، ولو لا قوة نفوس العدو باستنادهم الى البلد وتحصن كبيرهم بها لكانوا انكسروا كسرة شنيعة ، وكان عدد القتلى من النصارى في هذه الوقعة نحو الخمسمئة ، والجرحى أكثر من ألف ، وأما المسلمون فكان القتل فيهم ضعيفا ، ولما أصبح أردنيل ورأى ما حل بعسكره ساءت أخلاقه ، وقلب لاهل تطاوين ظهر المجن ، وأبدل تلك الشفقة التى كان يعاملهم بهـا بالغلظة ، والبشاشة بالاكفهرار ، وعمد الى مسجد الشيخ علي بركة رحمه الله ، فاتخذه مارستانا للجرحى ، فظلت الجرحى تنقل اليه ، وفرض على أهل تطاوين اللحف والقطائف ، فجمع من ذلك شيئاً كثيراً فرشه بالمسجد المذكور لجرحاه ، وصار عامة عسكر النصارى بتطاوين كلما لقوا أحداً من المسلمين عيروه بالغدر وقبحوه ، ثم ان أردنيل أقام بعد هذه الوقعة نحو عشرة أيام ريثما استجم جيشه ، وأبلت جرحاه وخرج في تمام الشوكة ، وكمال الاستعداد يريد ان يضرب في محلة المسلمين ، فجعل تطوان خلفه وتقدم حتى كان بوادي أبي صفيحة ، فلما شعر به الناس من أهل المداشر ، والمتطوعة تسابقوا اليه من كل جانب ، ووافق ذلك اليوم قدوم عرب الحياينة جاءوا في حرد كبير ، وحنق شديد ، فقويت قلوب الناس بهم ، واشتد أزرهم ، وتقدموا الى العدو فانشبوا معه الحرب بابي صفيحة ، قبل أن يصل الى محلة المسلمين ، وكثروه فأوقعوا وقعة انست ما قبلها ، فقتلوا منه ما خرج عن الحصر ، وأما الجرحى فقل ما شئت ، وكست قتلاه الارض ، ولما أعياه الدفن جعل يجمع الجماعة من الثمانية الى العشرة ويهيل عليهم التراب ، ومع ذلك بقي منه عدد كبير بلا دفن ، حتى انتن موضع المعركة من شدة نتن الجيف ، ونال المسلمون من عدوهم في هذا اليوم ما لم ينالوا قبله مثله ، ولا ما يقاربه ، وكان الذكر فيه لعرب الحياينة ثم للمتطوعة غيرهم ، وأما محلة المولى العباس فكانت بعيدة عن المعركة بمسافة كبيرة ، وقد ذكر منويل خبر هذا اليوم ، فأقر بأنه أهرق منهم دم كثير ، وخسروا فيه عددا كبيراً من نفوس العسكر والخيل .

ولما بلغ المولى العباس أن العدو قد برز من تطوان وأن المسلمين يقاتلونه الآن في أبي صفيحة قلب رأيه ، واستأنف النظر في عاقبة أمره ، ورأى ان المسلمين وان نالوا من العدو في هذه المرة وأبلغوا في نكايته ، لكن الثمرة ضعيفة من جهة ، ان نكايتنا له انما هي في القتل والجرح ، ونكايته في أخذ الأرض والاستيلاء عليها كما قلنا غير ما مرة ، فجنح رحمه الله إلى الصلح ، واختاره على الحرب حتى تدور للمسلمين سعود أن شاء الله .

أخبرني صاحبنا القائد الاجل محمد بن ادريس بن حمان الجرارى حفظه الله قال : لما طالت الحرب بين المسلمين والنصارى على تطوان ، استدعانى السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان رحمه الله ، وأعطاني ستين ألف مثقال أذهب بها الى جيش المسلمين المرابط على تطوان بقصد المؤونة والصائر ، وقال لي مع ذلك : اذا وصلت الى محلة المسلمين فانظر حالهم ، وتبصر في جميع أمورهم ، وما هم عليه في قتال عدوهم ، من الضبط وعدمه ، وهل هم مكفيون في جميع ما تدعو الحاجة اليه أم لا ؟ واستوعب ذلك ، وائتني بالأمر على وجهه ، قال : فذهبت فوصلت الى المحلة يوم الخميس ، وفي صبيحة اليوم الذى يليه كان حرب أبي صفيحه فجاء النذير الى المولى العباس ، وأخبره بأن المسلمين الآن يقاتلون العدو ، قال : فركبت في جماعة من الناس ، وذهبت لانظر حال المسلمين وحال عدوهم ، كما أمرني السلطان رحمه الله ، فوصلت الى مقاتلة المسلمينفاذا هم يرتادون موضعا ينزلون به أثقالهم،ويضربون به أخبيتهم ليتفرغوا لقتال عدوهم ، فاذا هم عزموا على النزول بوادي آكراز فاجهضهم العدو عنه بالرمي بالكور والضوبلى ، وهو متقدم أمام لا يثنيه شيء ، فتأخروا عن ذلك المحل ونزلوا بمحل أمنوا به على أخبيتهم وأثاثهم ، ثم تقدموا اليه ، وقاتلوه قتالا شديدا حتى ردوه على عقبه بالموضع المعروف بآمصال مرتين أو ثلاثا ، وقتلوا منه ما جاوز الحصر ، وفي ذلك اليوم استشهد عامل سفيان ، وبني مالك : عبد السلام بن عبد الكريم بن عودة الحارثي، وبات العدو تلك الليلة بوادى آكراز الذى كان المسلمون أرادوا أن ينزلوا به ، وباتت محلة المسلمين بالفنيدق ، وتفرق جلُّ متطوعتها كل إلى حال سبيله على

عادتهم ، وكان الوقت وقت شتاء وبرد غاية ، قال : فلم يعجبني ذلك ، ومن الغد وهو يوم السبت أصبح العدو مقيما والمسلمون مقيمين كذلك ، وان كان الرأي ان يعاجلوه بوقعة أخرى ، ويلحوا عليه كي يكسروا شوكته ، ويهجموا ما دام متألما ، ولا يتركوه حتى يجم ويستريح ، لكنهم لم يفعلوا ، ودار الكلام في ذلك اليوم في الصلح ، فأذعن كل من الاميرين أمير المسلمين وأمير النصارى، وجنحوا اليه ، لأنهم كانوا معا قد سئِموا الحرب وملوا القتال ، ثم من الغد وهو يوم الاحد تداعوا للاجتماع بعد أن نهض العدو من محله الذي كان نازلا به واجتمع وانكمش ، وأظهر القوة بالتهييء للحرب والتعبئة للقتال ، حتى انه اذا كان صلح فذاك والا فالقتال فعل ذلك مكيدة ، والحاصل أن المولى العباس تقدم في جماعة من وجوه الجيش وتدنى أردنيل في جماعة من أصحابه كذلك ، بعد ان أمر بضرب خباء صغير يجتمعان به ، وتقدم أودنيل على الخباء بكثير لملاقاة المولى العباس واظهار الادب معه ، فتلاقى به وعادا معاً الى الخباء ، وحضر معهم الترجمان ورجلان آخران ، وأبرموا الصلح وأعطى كل خط يده بذلك ، وانفصلوا وذهب كل الى محله ، وكان ذلك آخر حرب بين المسلمين والاسپنيول .

ولما وصل الخبر بانعقاد الصلح الى عسكر النصارى ، فرحوا فرحاً لم يعهد مثله،وجعلوا ينادون: البَّاصْ .. البَّاصْ ...،أي الصلح الصلح،ودخلوا تطوان وهم رافعون بها أصواتهم ، ومهما لقوا مسلماً هشُّوا له ، كأنهم يهنؤونه بالصلح ، وكان الصلح قد انعقد بين المسلمين والاسپنيول على شروط منها : ان يدفــع اليهم السلطان عشرين مليــونا من الريال ويخرجوا مــن تطوان ، وما استولوا عليه من الارض التى بينها وبين سبتة الا شيئاً يسيرا يزاد لهم في المحدة على سبيل التوسعة .

وكان انعقاد هذا الصلح فــي أواخر شعبان سنة ست وسبعين ومئتين وألف ، وتراخى السلطان رحمه الله في دفع هذا المال ، فاستمر العدو مقيما بتطوان حتى يستوفيه ، وبعد سنة من يوم هذا الصلح استوفى عشرة ملايين منه ، وبقيت عشرة وقع الاتفاق فيها على أن يقتضيها العدو من مستفاد مراسي

المغرب ، فأقام أمناءه بها لاقتضاء نصف داخل كل شهر منها ، وهم الآن بهذا الحال ، والله تعالى يكفي المسلمين شرهم وشر كل ذى شر .

وبعد ما وقع هذا الاتفاق أسلم النصارى تطوان الى المسلمين ، وكان خروجهم منها ضحوة يوم الجمعة الثاني من ذي القعدة سنة ثمان وسبعين ومئتين وألف ، بعد أن مكثوا فيها سنتين وثلاثة أشهر ونصفا .

ووقعة تطوان هذه هي التى أزالت حجاب الهيبة عن بلاد المغرب ، واستطال النصارى بها ، وانكسر المسلمون انكساراً لم يعهد لهم مثلــه ، وكثرت الحمايات ، ونشأ عن ذلك ضرر كبير ، نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة .

ولما فرغ السلطان رحمه الله من أمر تطوان جدَّ في جمع العسكر المرتب على الترتيب المعهود اليوم ، وكان هذا السلطان أول من أحدثه من ملوك المغرب ، وكان احداثــه اياه في دولة أبيه رحمه الله بعــد رجوعه من وقعة يسلى مــع الفرنسيس ، ثم جد فيه في هذه الايام فجمع منه ما تيسر جمعه ، ثم رتــب المكوس على الابواب والمبيعات ، وكتب في ذلك كتباً للآفاق .

فمما كتبه لأمناء مرسى الدار البيضاء في ذلك ما نصه :

وبعد ، فانا لما أخذنا في جمع النظام للمصلحة المتعينة الواضحــة البينة ، المقرر أمرها لدى الخاص والعام ، واجتمع منه عدد يسير ، واختبرنا ما صير عليه في شهر واحد ، فاجتمع فيه عدد كثير ، فكيف ان جمعنا منــه عددا معتبرا يحصل به المراد ، ويكون قذى في أعين أهل العناد ، اقتضى الحال ذكر ذلك لكبراء التجار ، لينظروا فيما يستعان به على أمرهم ، اذ لا بد من كفايتهم ، والا انحل نظام جمعهم ، وفي ذلك ما لا يجهله من له أدنى عقل ومحبة في الدين ، فأشاروا بفرض اعانة لا ضرر فيها على الرعية ، وسطروها في ورقة ، وهي كلا شيء بالنسبة لما ارتكبه الملوك في مثل هذا للاستعانة به على المصالح المرعية ، وللضرورة أحكام تخصها كما هو معلوم مقرر ، ومسطر في غير ما ديوان محرر ، ثم اقتضى نظرنا أن نسند الامر في ذلك لأهل العلم ، ليقرروا للناس حكمه تقريرا تنشرح له الصدور ، ويعمل بمقتضاه في الورود

والصدور ، وان كان جلهم يعلم هذا ، اذ من المعلوم أن الرعية لا يستقيم أمرها إلا بجند قوي بالله ، ولا جندَ إلا بمال ، وهو لا يكون إلا من الرعية على وجه لا ضرر فيه ، وقد أخذ الناس هذه مدة بحضرتنا العالية بالله بمكناسة وتازة والعدوتين ومراكش في ذلك ، وسلكوا في ترتيبه أحسن المسالك ، ولا نشك أن بركة ذلك تعود عليهم في أموالهم وأولادهم وأنفسهم .

فبوصول هذا اليكم ، قوموا على ساق الجد في القبض من الناس بالباب على نحو ما في الورقة المشار اليها ، ولا دخل للنصارى في ذلك ، والله أسأل أن يبارك للمسلمين في مالهم ، ويعوضهم خلفاً ءامين ، والسلام .

في الثاني والعشرين من رجب الفرد الحرام عام سبعة وسبعين ومئتين وألف .

وإذ انجرَّ بنا الكلامُ على اتخاذ العسكر وترتيبه ، فلا بد من تتميم الفائدة بذكر كلام نافع :

القول في اتخاذ الجند وترتيبه وبعض آدابه

اعلم انه واجب على الامام حماية بيضة الاسلام ، وحياطة الرعية، وكف اليد العادية عنها والنصح لها ، والنظر فيما يصلحها، ويعود عليها نفعه في الدين والدنيا ، ولا يمكنه ذلك الا بجند قوي وشوكة تامة بحيث تكون يده غالبة على الكافة ، وقاهرة لهم ، فاتخاذ الجند إذاً واجب ، وعليه فيندب له أن يتخذ لهم ديواناً يجمع أسماءهم ، ويحصي عددهم ، ليحصل الضبط ، وينتفي اللبس ، وأول من اتخذ الديوان أمير المومنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أمر عقيل بن أبي طالب ، ومخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم ، وكانوا من كتاب قريش ، فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتدأ من من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بعدها ، الاقرب فالاقرب ، فهكذا ينبغي للامام أن يرتب جنوده في ديوان يحفظها ، ودستور يجمعها ، ثم ينبغي ان يكون عنده أولا ديوان كبير ، هو الام يجمع أسماء العساكر كلها ، الحاضرة والغائبة ، والخاصة والعامة ، ثم يجعل دواوين صغار يشتمل كل واحد منها على طائفة مخصوصة ، مثل عسكر الامام الذي يلازمه حضرا وسفرا ، وعساكر

الثغور والقلاع ، ونحو ذلك ، وتكون هذه الدواوين الصغار بمنزلة الفروع للكبير ، تجدد كلما تجددت الطوائف كما سيأتي ، وكل ديوان منها يشتمل على أرحاء مثلا ، وكل رحى على مئين ، وكل مئة بضباطها وطبيبها وعالمها الذى يعلمها أمر دينها ، وغير ذلك .

قال صاحب (مصباح الساري) ما ملخصه :

كانت الدولة العثمانية في أول أمرها،اذا استخدمت طائفة من الجند بقيت في الخدمة طول عمرها، ولما كان هذا الامر صعبا يعني،وغير مقتض للتسوية بين الرعية في هذا الحق العظيم ،اقتضى نظرهم أن يعملوا القرعة بين أبناء الرعايا عند انتهاء كل خمس سنين،فمن استكمل مدة خدمته،وتبصر بما يلزمه من حرب عدوه، وقدر على المطالبة والمدافعة ، ذهب الى حال سبيله ، لطلب معيشته ، فذو الحرفة يرجع الى حرفته ، والتاجر الى تجارته ، وهكذا ... ويؤتى بطائفة أخرى بدلها ، حتى تصير الرعية كلها جندا قادرا على المطالبة والمدافعة ، متى احتاجت الى ذلك ، ثم من استوفى مدة خدمته بقي معدودا في صنف الرديف سبع سنين أخرى ، ومعنى الرديف أنهم يكونون عدة للدولة متى احتاج اليهم في نازلة عظيمة ، أو حرب عامة مثل ما يكون بين الاجناس ، فاذا انسلخت السبع سنين فهو حر دائما ، وأبدا فلا يضرب عليه بعث ، ولا يكلف بغزو الا ان يشاء ، فجملة مدة الخدمة العسكرية بين أصلية ورديفة اثنتا عشرة سنة ، وشرط المستخدمين في العسكر ان يكونوا في سن العشرين الى خمس وعشرين سنة ، فمن زاد على ذلك أو نقص لا تقبله الدولة لينضبط الامر ، وان اصطلح على أقل من ذلك أو أكثر فلا بأس ، فاذا أريد اعمال القرعة بينهم وذلك عند رأس خمس سنين ، كما قلنا اجتمع كل من هو في ذلك السن من أهل الناحية مثل مراكش وأعمالها ، وفاس وأعمالها ، والعدوتين وأعمالهما ، في يوم معلوم من السنة ، لا يتقدم ولا يتأخر ، فيحضر نائب السلطان ويحضر القاضي والشهود ، وتكتب بطائق على عدد رؤوس الحاضرين ، فلان ابن فلان الفلاني سنه كذا ، فاذا أجتمع لنا من البطائق مئة ونحن غرضنا استخدام خمسين مثلا أخذنا تلك البطائق واحدة واحدة ، حتى نستوفي الخمسين ، ثم نفتحها ،

فمن عثرنا عليه فيها فهو عسكري في تلك المدة ، ومن اخطأته القرعة ذهب الى حال سبيله ، لكنه ان جاوز سن العسكرية الذى هو خمس وعشرون سنة ولم تصبه القرعة ، فهو في صنف الرديف الى سبع سنين كما قلنا ، والذين أصابتهم القرعة وأثبتوا في الديوان ، يرخص لهم في الذهاب الى محالهم عشرين يوما ، لقضاء أوطارهم ثم يحضرون بعدها الى القشلة ، ومن تخلف عن حضور هذا الجمع بدون عذر مقبول يثبت في الديوان بلا قرعة ، ويسقط من أصل العدد المطلوب ، ولا تقبل فيه شفاعة ولا فداء ، ومن ليس له الا ابن واحد من رجل كبير ، أو امرأة أرملة ، أو نحو ذلك ، ولا كافي له سواه ، فانه يسرح له لئلا يضيع ، لكن بعد حضور الجمع واثبات ما أدعاه ، ومن له ولدان وأصابتهما معا القرعة ، فيمسك واحد ويسرح له الآخر ، ومن له أربعة أو خمسة وأصابت القرعة منهم ثلاثة فأكثر أمسك اثنان وسرح الباقي ، ويعفى عن كل من كان مفردا في بيته ، وعن كل أعور وأشل وأعرج وأحدب ، وعن كل مبتلى بداء مزمن ، أو علة معدية ، أو ضعيف الجسم ، نحيف البنية ، لا يقدر على الاعمال الجندية ، وغير سالم المزاج ، وهكذا ... ويعفى عن طلبة العلم لكن بعد حضورهم وامتحانهم ، فمن ظهرت نجابته خلى سبيله ، لأنه قد قام بوظيف هو من هم الوظائف ، ومن كان قليل الفهم ، أو مقسم البال ، أو طائش الفكرة لا ترجى فائدته ، وانما تستر بطلب العلم ، دخل في القرعة ، واذا كان لرجل ولدان ، وأصابت القرعة أحدهما وأراد ابداله بالآخر ، فذلك له اذا توفرت فيه شروط الخدمة ، واذا أراد أن يبدله بغير أخيه من عبد أو أجير ، فلا بد من زيادة قدر معلوم من المال لا يجحف به ، ولا يؤدى الى تعطيل تجارته ، ولا بيع أصله ، ولهذا البدل شروط :

الاول : أن يكون سالما من الآفات المتقدمة .

الثاني : أن لا يكون ممن استوفى مدة الخدمة التى هي خمس سنين، ودخل في صنف الرديف ، اللهم الا اذا لم تكن القرعة أصابته حتى جاوز السن المعلوم ، وصار في صنف الرديف ، فهذا يقبل .

الثالث : ان يكون من أهل تلك الناحية ، فلا يقبل مراكشي عن فاسي مثلا وبالعكس .

الرابع : أن لا يكون من العبيد السود ، اللهم الا إذا كان في الجند صنف منهم فيقبل في صنفه ، ولا بأس اذا كان مملوكا أبيض .

الخامس : أن لا يكون من الذين استعملوا في الجندية ، وأخرجوا منها لعارض خلقي ، أو خلقى مثل آفة بدنية ، أو فعل قبيح من سرقة ونحوها .

السادس : أن لا يكون البدل قد جيء به بعد ثلاثة أشهر ، ثم اذا فرّ البدل فينتظر مجيئه الى شهر ، فان جاء ، والا أخذ به صاحبه الذي جاء به .

ثم اذا انتظم هذا الجمع العسكرى فأول ما يعلمونهم أمر دينهم مما لا بد منه على سبيل الاختصار ، بأن يلقنوا كيفية اللفظ بالشهادتين ، ويبين لهم معناها بوجه اجمالي ، فان جل العوام سيما أهل البادية والقرى النائية لا يفقهون ضروريات دينهم ، ويعلمون كيفية الوضوء ، والصلاة ، ويلزمون بالمحافظة عليها ، حتى أن من لم يحضر منهم وقت النداء لها يعاقب عقاباً شديدا ، والا فلم يحضر عند سماعه الطرنبيطة ، ولا يحضر اذا سمع داعي الله فهذا أول ما يتعلمونه ، لتعود عليهم بركة الدين ، وينجح سعيهم في حماية المسلمين ، فانا لم نرد بهذا الجمع الا حفظ الدين ، فاذا كان الجند مضيعا له ، فكيف يحفظه على غيره ، ويعود على المسلمين نفعه ، ثم بعد هذا يعلمون الامور التي تدل على كمال المروءة ، وعلو الهمة ،و الحياء والحشمة ، والايثار ، وترك الكلام الفحش ، وتوقير الكبير ورحمة الصغير ، ويلقنون ان من أفضل الخصال عند الله وعند العباد الغيرة على الدين والوطن ، ومحبة السلطان ونصحه ، ويقال له مثلا : اذا كان العجمي الزنديق يغضب لدينه الباطل ووطنه ، فكيف لا يغضب العربي المؤمن لدينه ودولته ووطنه ، ولا بد من ترتيب مجلس يومي يسمعون فيه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومغازيه ومغازي الخلفاء الراشدين ، وسلف الامة وأخبار رؤساء العرب ، وحكمائها وشعرائها، ومحاسنهم وسياساتهم، وليتخير لهم من الكتب الموضوعة في

ذلك أنفعها مثل كتاب (الاكفاء) لأبي الربيع الكلاعي ، وكتاب ابن النحاس في الجهاد ، وكتاب (سراج الملوك) ونحوها ، فان ذلك مما يقوى إيمانهم ، ويحرك هممهم ، ويؤكد محبتهم في الدين وأهله ، وينبهون على التحافظ على ثيابهم وأطرافهم من الأوساخ والأوضار التي تدلُّ على دناءة الهمة ونقصان الانسانية ، وعدم النخوة ، ويلزمـون بترك استعمال الدخان ، فانـه مناف لنظافة الدين ، ومذهب للمروءة والمال بلا فائدة ، ثـم اذا رسخت فيهم هذه الآداب في ستة أشهر أو عشرة أو أكثر ، أخذوا في تعلم الثقافة ، وأمور الحرب، ثم من أهم ما يعتنى به في شأنهم أن لا يتخلقوا بأخلاق العجم ، ولا يسلكـوا سبيلهم في اصطلاحاتهم ومحاوراتهم وكلامهم وسلامهم وغير ذلك ، فقد عمت المصيبة في عسكر المسلمين بالتخلق بخلق العجم ، فيريدون تعلم الحرب ليحفظوا الدين ، فيضيعون الدين في نفس ذلك التعلم ، فلا تمضى على أولاد المسلمين سنتان أو ثلاث حتى يصيروا عجما متخلقين بأخلاقهم ، متأدبيـن بآدابهم حتى أنهم تركوا السـلام المشروع في القرآن ، وأبدلوه بوضع اليـد خلف الأذن ، فيجب على معلمهم في حال تعليمه إياهم أن يعدلَ عن الاصطلاح العجمى الى العربي ، ويعبر عن الالفاظ العجمية بالعربية ، وان كان أصل العمل مأخوذا عن العجم ، فليجتهد المعلم الحاذق في تعريبه ، وليس ذلك بعسير على من وفقه الله اليه ، وليس فيه الا ابدال لفظ عجمى بلفظ عربي ، بأن يقول مثلا : أمام ، خلف ، دائرة ، نصف دائرة ، وهكذا ... فاذا مرنوا عليه شهرا أو شهرين كان أسهل شيء عليهم وأحبه إليهم ، لأن تلك هي لغتهم التي فيها نشئوا وعليها ربوا ، فالعمل عجمي ، والكلام الذى ينبهون به على ذلك العمل عربي ، فأي كلفة في هذا ، وبه يندفع عنهم التشبه بالعجم المنهى عنه شرعا ، فان التزيي بزيهم لا يأتي بخير أبدا ، وهو والله من أفسد الاشياء للدين الذى نريد أن نحوطه بهم ، قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : من لم تصلحه السنة فلا أصلحه الله .

ثـم عمود هذا كلـه وصلبـه المقيم لـه وروحه الذي بـه حياته ، هو الكفاية في المطعم والملبس ، وليختار لهم من الأغذية أطيبهـا وأنفعها للبدن ، وليجعل لهم كسوتان ، كسوة الشتاء ، وكسوة الصيف ، وليتخير لهم من المساكن والمنازل أطيبها وأصحها هواء وأبعدها عن محل

الوخم ، وليلزمهم بالاعتناء بتنظيف مساكنهم وتبريدها ، وتطييبها حتى لا ينشأ عنها داء ، واذا تراخوا في مثل ذلك عوقبوا عليه ، لانه دال على دناءة الهمة ، ودنيء الهمة لا يأتي منه شيء ، وليرتب لهم الأطباء العارفون ، حتى إذا أصاب أحدا منهم مرض عالجه الطبيب في الحال ، فان هذا الجند هم سور الاسلام وسياج الدين ، فبحفظه يحفظ الدين ، وبسلامته يسلم ، فاذا اتخذ الجند على هذه الكيفية التى ذكرنا سهل على الناس الدخول في الجندية ، وتنافسوا فيها، ومن كان عنده من الرعية درهم طابت نفسه بان يقتسمه معهم ، ويكون الجند حينئذ في مرتبة هي أشرف من مرتبة الرعية بكثير ، لان الجند يحفظهم ، والرعية تكسب وتبذل لهم ، ثم اذا ظهر من آحاد الجند نجابة أو شجاعة أو نصيحة في الخدمة السلطانية رفع قدره ، ونوه باسمه ليغتبط هو بمنزلته ، ويزداد في خدمته ، ويغبطه غيره، وينافسه في خصاله التي أكسبتْه تلك المنزلة، وليقس ما لم يقل ، والله الهادي الى التوفيق بمنه .

ولنرجع الى التاريخ فنقول : وفي سنة سبع وسبعين ومئتين وألف وذلك في يوم الثلاثاء الثانى عشر من ذى القعدة منها توفي والدنا الفقيه المرابط الاخير خالد بن حماد بن محمد الكبير الناصري بقبيلة سفيان ، ودفن بتربة الشيخ أبي سلهام رضى الله عنه ، وكان رحمه الله من الورع والتحرى في أكل الحلال على جانب عظيم ، بحيث فاق أكثر أهل زمانه في ذلك ، وكان دينا وقورا ، كثير الاوراد ، ذا سمت وجد ، وله المام بالفقه والسيرة النبوية ، مرجو البركة عند العامة ، رحمنا الله واياه والمسلمين (1) .

إيقاع السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان رحمه الله بعرب الرحامنة

لما كان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان رحمه الله ببلاد الغرب مشتغلا بأمر الاسپنيول وحربه على تطاوين ثار عرب الرحامنة بالحوز، وعمدوا

1) كل ما تقدم منقول بالحرف من **الاستقصا** ، وقد حذف المؤلف من الطبعة الفاسية الفصل المتعلق بثورة الجيلانى الروكى ومقتله وجعل منه ترجمة خاصة عنونها بالجيلالى الروكى السفيانى اثبتها فى حرف الجيم وطبعت فى الجزء الثالث ص 103 ع 376 ثم استأنف ينقل ما بعدها من **الاستقصا** أيضاً

إلى سوق الخميس بمراكش فأغاروا عليه وأنتهبوه وسلبوا المارة وأربـاب الجنات ، وضايقوا أهل مراكش ، حتى منعوهم من الارتفاق حول المدينة ، فانقطعت السبل ، وارتفعت الاسعار ، وقطع الرحامنة ما حول الاسوار من الأشجار واحتطبوها ، وحصدوا الزروع في الفدن واغتصبوها ، واشتد الحصار، وتخاذلت الأنصار ، ودام الحال إلى أن فرغ السلطان رحمه الله مـن حرب الاسپنيول وفتنة الروكي فوجه وجهته إلى مراكش ، فلما قرب منها تحزبت الرحامنـة ، وأجمعوا على حربـه ، فانحازوا إلى ناحيـة الرميلة والودايـة وزاوية ابن ساسي ليحولوا بينه وبين الدخول لمراكش ، فهجم عليهم وأوقع بهم وقعة سيقوا بها بعد ساعة الى مراكش ، مقرنين في الحبال ، حتى ضاقت بهم وقعة سيقوا بها بعد ساعة إلى مراكش مقرنين فـي الحبال حتى ضاقت عفا عنهم بعد أن انتزع منهم بلاد آيت سعادة ، وغواطم ، والوداية ، وهـي من أخصب البلاد وأزكاها .

وكتب السلطان في هذه الوقعة لاخيه المولى الرشيد بكتاب مختوم عليه بالخاتم الكبير بين الافتتاح والخطاب ، وبداخل الخاتم : محمد بن عبد الرحمان غفر الله له ، وبدائرته :

ومن تكن برسول الله نصرتـــه ان تلقه الاسد في آجامها تجـــم

وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب ، وبأركان الخاتم : الله محمد ، أبو بكر ، عمر ، عثمان ، علي .

ونص الافتتاح :

الحمد لله الذي تدارك الامة باللطف الكفيل بتمهيد أقطارها ، وتيسير أوطارها ، وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحبه الذين نصروا الديـن بالصفاح والأسنة ، وأوضحوا أحكام السنة .

أخانا الاعز الأرضى مولاي الرشيد

أصلحك الله وأعانك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد ، فانه لما تواترت الانباء المحققة بعد التباسها ، وتـواردت الأخبار التي يُغني نصها عن قياسها ، بما ارتكبه ظالمو أنفسهم الرحامنة ، من أنواع الفساد التى أذاعوها ، وأظهروها وأشاعوها ، وقد كانت في صدورهم كامنة ، صرفنا الوجهة اليهم ، وطوينا المراحل من أجلهم ، ولما حللنا ببلادهم ، أرسلنا عليهم سيل العرم من العساكر المنصورة ، والجيوش الموفورة ، فما كان غير بعيد ، حتى أتوا برؤوس منهم كثيرة محمولة على أسنة الـرماح ، وأُسارى من مقاتلتهم مجردين من الثياب والسلاح ، ومن نجا منهم رجع مجردا الا من خيبة سعيه ، وما سقي الا بكأس بغيه ، واستولت العساكر والاجناد على جميع ما كان عند أهل الفساد ، ومن المعلوم أن من سل سيف البغي يعود الى نحره ، ومَن ركب متن الشقاق يغرق في بحره ، وأن الفتنة نار تحرق مَن أوقدها ، والمخالفة صفقة تعود بالخسارة على مَن عقدها ، ولما أردنا معاودتهم لقطع دابرهم ، وتشتيت ما بقي من رماد أثرهم ، تعلقوا بالمرابطين من ذوي الوجاهات ، وأكثروا من الذبائح على المحال وتوجيه العارات ، وقاموا بواجب السمع والطاعة ، في كل ما أمرنا به جهدَ الاستطاعة ، فأبقينا عليهم ، وإن عادت العقرب عدنا بحول الله لها وكانت النعل لها حاضرة !

فالحمد لله الذي خيَّب آمالهم، وأبطل أعمالهم، وخذل أنصارهم، وأركد إعصارهم ، لما أعمى أبصارهم ، وردهم ناكصين على الاعقاب ، بعد سلب الاموال وقطع الرقاب ، ذلك بأنهم شاقُّوا الله ورسوله ، ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ، ونعوذ بالله من الآراء المعكوسة ، والحظوظ المنكوسة ، وسوء الفعل الذى يورد المهالك ، والحرمان الذى يجعل البصير كالاعمى في دجنة الليل الحالك .

هذا ويصلكم ما قُطِع من رؤوس قتلاهم لتعلق بباب المدينة ويعتبر بها المعتبرون ، ويتذكر بها المتذكرون ، والله أسأل أن لا يكلنا الى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك ، وأن يكون لنا وللمسلين بما كـان لاوليائه وأحبائـه وأصفيائه ، وان يوفقنا واياهم لما يحبه ويرضاه ، ويختم للجميع بخيـر ، والسـلام .

في ذي الحجة الحرام عام ثمانية وسبعين ومئتين وألف .

ومن تمامـه : وان علقت يوماً واحـداً ، فادفعها لحملتها ، ولا بـد ليتوجهوا بها الى مكناسة ، صح به .

انتهى الكتاب الشريف .

وفي سنة تسع وسبعين ومئتـين وألف سافر شيخنا الفقيه العلامـة البارع محمد بن عبد العزيز محبوبة السلاوي الى الحجاز لأداء فريضة الحج فوافته منيته بمكة المشرقة بعد الفراغ من الحج والعمرة ، ودفن بالمعلاة ، وكان رحمه الله واعية دراكة نفاعة ، كثير الدرس والتقييد ، والنسخ للكتب المعتبرة ، فصيح العبارة ، حسن النغمة والصوت ، عارفا بالحديث دؤوباً على سرده ، عارفا بالنحو والفقه وعلوم الآلة ، لازمناه وانتفعنا به ، وعادت علينا بركاته ، رحمه الله ونفعنا به ، وكنت رثيته بقصيدة ذهبت في جملة ما ذهب من شعري ، إذ لم يكنْ لي اعتناءٌ بتقييده ، ومطلعها :

ملازمة التذكار تذهب باللـــب وتغرى قديم الوجد بالهائم الصب

هـدة البـارود بمـراكش

وفي سنة ثمانين ومئتين وألف ، وذلك يوم السبت الرابع عشر من شعبان منها ، كانت هدة البارود بمراكش ، وذلك انه كان بجامع الفناء فندق في بعض بيوته منها نحو أربعمئة قنطار من البارود ، وبه أيضا شيء من فحم الريش المتخذ للبارود ، فوقعت فيه نار ، وسرت منه الى البارود ، فنفض وقت الغروب من اليوم المذكور ، والناس كثيرون حول الفندق ، فطار الفندق بما فيه ، وكانت حيطانه عادية ، وطار من كان حوله من الناس ، قيل نحـو الثلاثمئة ، فمنهم من لم يوجد أصلا ، ومنهم من وجد بعضه من يد أو رِجل ونحو ذلك ، وتهدمت كل دار كانت متلاشية بمراكش ، وانخلعت الاقفال من الأبواب ، وصرصرت السقوف والحيطان ، وكان الحادث عظيما .

وفي هذه السنة ورد يهودي من اللوندرة على السلطان من مراكش يطلب منه الحرية ليهود المغرب ، وذلك لانه لما كانت وقعة تطوان ودهم

الناس ما دهمهم من أمر الحمايات ، وأكثر من تعلق بها اليهود لم يقتصروا على ذلك ، ورأموا الحرية تشبها بيهود مصر ونحوها ، فكتبوا الى يهودي من كبار تجارهم باللوندرة اسمه روشبابيل ، وكان هذا اليهودى قارون زمانه ، وكانت له وجاهة كبيرة في دولة الانجليز ، لانها كانت تحتاج اليه فيسلفها الأموال الطائلة ، وله في ذلك أخبار مشهورة ، فكتب يهود المغرب اليه ، أو بعضهم يشكون اليه ما هم فيه من الذلة والصغار ، ويطلبون منه الوساطة لهم عند السلطان رحمه الله في الانعام عليهم بالحرية ، فعين هذا اليهودى صهرا له للوفادة على السلطان رحمه الله في هذا الغرض وفي غيره ، وأصحبه هدايا نفيسة ، وسأل من دولة الانجليز أن يشفعوا له عند السلطان ، ويكتبوا له في قضاء غرضه ففعلوا ، وقدم على السلطان بمراكش وقدم هداياه ، وسأل تنفيذ مطلبه فتجافى السلطان رحمه الله عن رده مخفقا ، وأعطاه ظهيرا ، فتمسك به اليهودي يتضمن صريح الشرع ، وما أوجبه الله لهم من حفظ الذمة ، وعدم الظلم والعسف ، ولم يعطهم فيه حرية كحرية النصارى .

ونص الظهير المذكور ، بالطابع الكبير :

بسم الله الرحمان الرحيم   ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

نأمر من يقف على كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره ، وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره ، من سائر خدامنا وعمالنا ، والقائمين بوظائف أعمالنا ، أن يعاملوا اليهود الذين بسائر ايالتنا بما أوجبه الله تعالى من نصب ميزان الحق والتسوية بينهم وبين غيرهم في الاحكام ، حتى لا يلحق أحدا منهم مثقال ذرة من الظلم ولا يضام ، ولا ينالهم مكروه ولا اهتضام ، وأن لا يتعدَّوْا هم ولا غيرهم على أحد منهم ، لا في أنفسهم ولا في أموالهم ، ولا ان يستعملوا أهل الحرف منهم الا عن طيب أنفسهم ، وعلى شرط توفيتهم بما يستحقونه على عملهم ، لان الظلم ظلمات يوم القيامة ، ونحن لا نوافق عليه لا في حقهم ولا في حق غيرهم ولا نرضاه ، لأن الناس كلهم عندنا في الحق سواء ، ومن ظلم أحدا منهم أو تعدى عليه فانا نعاقبه بحول الله .

وهذا الأمر الذى قررناه ، وأوضحناه وبيناه ، كان مقرراً ، ومعروفاً محررا ، لكن زدنا هذا المسطور تقريرا وتأكيداً ووعيدا ، في حق من يريد ظلمهم وتشديداً ، ليزيدَ اليهودُ أمناً إلى أمنهم ، ومَن يريدُ التعديَ عليهم خوفاً إلى خوفهم .

صدر به أمرنا المعتز بالله في السادس والعشرين من شعبان المبارك عام ثمانين ومئتين وألف .

ولما مكنَهم السلطان من هذا الظهير أخذوا منه نسخا وفرقوها على جميع يهود المغرب ، وظهر منهم تطاول وطيش ، وأرادوا أن يختصوا بالأحكام فيما بينهم ، لا سيما يهود المراسي ، فانهم تحالفوا وتعاهدوا على ذلك ، ثم أبطل الله كيدهم وخيَّب سعيهم ، على أن السلطان رحمه الله لما أحس بطيش اليهود عقب ذلك الظهير بكتاب آخر بين فيه المراد ، وأن ذلك الايصاء انما هو في حق أهل المروءة والمساكين منهم المشتغلين بما يعنيهم ، وأما صعاليكهم المعروفون بالفجور والتطاول على الناس والخوض فيما لا يعني فيعاملون بما يستحقونه من الادب .

واعلم أن هذه الحرية التي أحدثها الافرنج في هذه السنين هي من وضع الزنادقة قطعا ، لأنها تستلزم اسقاط حقوق الله ، وحقوق الوالدين ، وحقوق الانسانية رأسا .

أما اسقاطها لحقوق الله فان الله تعالى أوجب على تارك الصلاة والصيام، وعلى شارب الخمر ، وعلى الزاني طائعاً ، حدوداً معلومة ، والحرية تقتضي اسقاط ذلك كما لا يخفى .

وأما اسقاطها لحقوق الوالدين ، فلأنهم خذلهم الله يقولون : ان الولد الحدث إذا وصل إلى حد البلوغ ، والبنت البكر اذا بلغت العشرين مثلا ، يفعلان بأنفسهما ما شاءا ، ولا كلام للوالدين فضلا عن الاقارب ، فضلا عن الحاكم ، ونحن نعلم أن الاب يسخطه ما يرى من ولده أو بنته من الأمور التي تهتك المروءة ، وتزري بالعرض ، سيما اذا كان من ذوي البيوتات ، فارتكاب ذلك على عينه مع منعه من الكلام فيه موجب للعقوق ، ومسقط لحقه من البرور.

وأما اسقاطها لحقوق الانسانية فان الله تعالى لما خلق الانسان كرّمه وشرفه بالعقل الذي يعقله عن الوقوع في الرذائل ، ويبعثه على الاتصاف بالفضائل ، وبذلك تميز عما عداه من الحيوان، وضابط الحرية عندهم لا يوجب مراعاة هذه الامور ، بل يبيح للانسان أن يتعاطى ما ينفر عنه الطبع ، وتأباه الغريزة الانسانية ، من التظاهر بالفحش والزنا وغير ذلك إن شاء ، لأنه مالك أمر نفسه ، فلا يلزم أن يتقيد بقيد ، ولا فرقَ بينه وبين البهيمة المرسلة الا في شيء واحد ، وهو اعطاء الحق لانسان آخر مثله ، فلا يجوز له أن يظلمه ، وما عدا ذلك فلا سبيل لاحد على الزامه اياه ، وهذا واضح البطلان ، لان الله تعالى حكيم ، وما ميز الانسان بالعقل الا ليحمله هذه التكاليف الشرعية ، من معرفة خالقه وبارئه ، والخضوع له لتكون له بها المنزلة عند الله في العقبى: « انا عرضنا الامانة على السموات والارض ... الآية » .

واعلم ان الحرية الشرعية هي التى ذكرها الله في كتابه ، وبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته ، وحررها الفقهاء رضي الله عنهم في باب الحَجْر من كتبهم ، فراجعْ ذلك وتفهَّمْه ترشدْ ، وبالله التوفيق .

وفي سنة احدى وثمانين ومئتين وألف كمل بناء الدار الفيحاء التى أنشأها السلطان سيدي محمد رحمه الله بأكدال من ظاهر رباط الفتح بجوار ضريح جده سيدي محمد بن عبد الله ، وهي دار كبيرة حسنة البناء ، واسعة المقاعد والفناء ، يقال أنها من أخوات بديع المنصور ، ولما كمل بناؤها أمر السلطان رحمه الله أن يختم فيها فقهاء رباط الفتح صحيح البخارى أولا ، وفقهاء سلا ثانياً ، فدخلناها في جملتهم ، وتقصينا منازلها ومقاعدها ، فرأينا ما ملأ أبصارنا حسنا واتقانا ، وعجيب صنعة .

وفي سنة اثنين وثمانين ومئتين وألف حدثت فتنة بفاس ، وذلك أن الناس كانوا في صلاة الجمعة بمسجد القرويين خامس ربيع الاول ، وكان فيهم التاجر الامجد حبيب بن هاشم بن جلون الفاسي ، فلما سجد مع الناس شدخ بعض اللصوص رأسه بحجر كبير من أحجار التيمم التى تكون بالمسجد ، ثم

انحى عليه بخنجر كان بيده فقطع به صفاق بطنه ، وساوره التاجر المذكور ، وما بالعير من قماص ، ولما وقعت الضجة قطع الناس صلاتهم ، وخرجوا فارين من المسجد ، وتركوا ثيابهم ونعالهم ومصاحفهم وغير ذلك ، فقائل يقول : ان الامام المهدى قد خرج ، وآخر يقول : ان الناس يذبح بعضهم بعضاً في الجامع، واهتزت المدينة ، ثم تراجع الناس بعد حين ، واما اللص فانه خرج شاهرا سلاحه حتى وصل الى باب المسجد ، فكثره الناس ، وقبضوا عليه ، وانتزعوا السلاح من يده وكشفوه ، فاذا به قد ادار حبالا كثيرة من تحت الثياب على بدنه وقاية له ، فقتلوه هنالك ، وبقي التاجر ابن جلون يعالج جراحاته إلى أن مات من آخر الليل ، واتهم أولياؤه ناسا من أعيان فاس بانهم أغروا بقتله ، ولم يثبت ذلـك .

وفي هذه السنة ـ أعني سنـة اثنين وثمانـين ومئتين وألف ـ وجه السلطان رحمه الله قائد جيشه محمد بن عبد الكريم الشرقي ، وعامل سـلا محمد بن سعيد السلوي باشدورين الى دولة فرنسا بباريس ، وكان السبب في ذلك ما أخبرنا به القائد محمد بن سعيد المذكور قال :

«كان سيدنا أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الرحمان رحمه الله قد أصحَبنا كتابا الى طاغية الفرنسيس ، وأمرنا بالكلام معه في شأن هؤلاء النواب الذين يبعثهم الى المغرب، وأن يكون ينتخبهم من بيوت الاعيان، وممن يتصف بالتأني وحسن السيرة والوقوف عند ما حد لهم ، ولما وصلنا الى پاريس شرحنا ذلك للطاغية المذكور كتابة ، ففرح وقابلنا بما لا مزيد عليه من البرور الذي لا نقدر على شرحه ، مع أن اكرامنا والحمد لله لهم يفوق ذلك في الصوائر ، وكنا توجهنا ومعنا خيول وغيرها ، وأقمنا في پاريس شهرا ، وكان مقامنا بدار كثيرة الفرش والأثاث من الفضة والمعدن ، ووكل بنا أمين يُصَيِّرُ علينا حسب نظرنا، وقَوَمَة" يباشرون فرش المنزل وتنظيفه وغير ذلك ، ومعنا أصحابنا وطباخنا ، الا أنهم منعزلون بمحل يخصهم ، وفي كل يوم تستدعينا الدولة للفرجة ليلا ، بمحل يسمى (التياترو) وفيه مواعظ وحكم لمن تبصر ، ومتعة للنفس لمن كان حظه النظر ، وقد أكرمنا الطاغية بمنزله ، وأكرمنا الوزراء وعامل البلد

والاعيان ليلا ، وكل واحد يجمع علينا أعيان الدولة وأهل البلد نساء ورجالا ، وعادتهم عند دخول المنزل أن تحيي الزوجة ومن معها بالسلام أولا ، ثم بعد ذلك تحيي الرجل ، ورأينا من الطاغية ووزيره على الامور البرانية من البرور والبشاشة ما جاوز الحد ، وطلب منا هذا الطاغية أن نبحث له في كتب التاريخ بالمغرب ، هل نعثر على تاريخ بناء رومة ؟ وفي أي وقت بنيت ؟ واسم بانيها ؟ ونبعث به اليه ... » .

انتهى كلام العامل المذكور ، وهو حفظه الله من أمثل الناس وأعدلهم وأتقاهم ، وله المنزلة الكبيرة عند السلطان وعند الناس حرس الله مجادته ، وأدام بمنه عافيته وسلامته .

ونص الكتاب الذي وجههم بـه السلطان رحمه الله مكتوبا فيه اسـم السلطان بداخل الطابع الشريف .

بسم الله الرحمان الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

من عبد الله المتوكل على الله ، المفوض أمره الى الله ، أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بالمغرب الاقصى ، وهو محمد بن عبد الرحمان وفقه الله وأدام الله نصره ، وزين بالخيرات عصره .

الى المحب الذى حل من مراتب الرئاسة أسناها ، وحاز من خصال التقدم أقصاها وأدناها، فأصبحت ألسن الرؤساء لهجة بذكره، مفصحة بتسليم نتائج فكره ، ملك الممالك الفرنساوية السلطان ناپليون الثالث بونپارتي .

أما بعد ، فموجب تحرير هذا المسطور اليكم ، اعلامكم بما تضمنه الفؤاد من خالص المحبة وحفظ الوداد ، وأننا مسرورون بما يتجدد لدينا كل وقت من عقد أسبابها ، وما يظهر كل حين من تشييد أركانها وفتح أبوابها ، فان محبتنا معكم الشخصية زادت على ما كانت عليه في عهد الاسلاف ، وذلك لما جبلتم عليه من صفاء الطويـة وحسن الائتلاف ، فـان القلوب في الوداد تتضاهى ، وما بني على أصل وثيق كان جديرا بأن يعظم ويتناهى .

وبموجب ذلك عينا للسفارة اليكم خالنـا الارضى الانجد القائـد محمد بن عبد الكريم الشرقي وهو أحد باشات جيشنا ، ومن كبراء رجال دولتنا ، مع ما تشرّف به من قرابة الرحم لدينا ، ومعه خديمنا الارضى الامين الحاج محمد بن سعيد قائد سلا ، وهو عندنا أيضا بالمكان المكين ، لما تخلق به من الادب والعقل الرصين ، والغرض من توجيههما تجديد العهد بكـم ، والحرص على موالاة المواصلة معكم ، لما في ذلك من تأكيد أسباب المحبة بين الدولتين ، وتمهيد طريق الخير بين الايالتين ، والظن بشيمتكم مقابلتهم بحسن قبول ، وتبليغهم في وجهتهم غاية المأمول ، جرياً على عادتكم القديمة ، وسلوكاً على طريقتكم القويمة ، وقد حملناهم ما في خاطرنا من أمور السياسة الجالبة لمصالح الجانبين ما يقررونه لديكم ، ويعرضونه عليكم ، ففي إخبارهم كفاية ، وأوصيناهم بحسن الاستماع لما تلقونه اليهم ، والادب في تلقّي ما تعرضونه عليهـم .

كما أننا نتحقق أنكم لحسن معاملتكم ومزيد محبتكم ، توصون نوابكم الذين توجهونهم للخدمة بايالتنا السعيدة بحسن المعاملة، والتقصّي في ترحيب الصدر والمجاملة ، والوقوف عند الشروط ، والعمل بمقتضاها .

والتمام في الثاني والعشرين مـن ربيع الأول سنة اثنتين وثمانـين ومئتين وألف .

واعلم أن هذا الكتاب بديع" في بابه ، غريب في منواله ، قد اشتمل من التوريات والنكات ومقتضيات الأحوال على ما يشهد لمنشئه بالمعرفة والمهارة ، والبصيرة والبصارة ، رحمه الله .

وفي شوال مـن هذه السنة مرض السلطان رحمه الله مـرضا شديدا أشرف منه على الهلاك ، بل أشاع المرجفون أنه قد هلك ، واضطربت أحوال الرعية ، وعاد أعراب البادية الى العيث في الطرقات ، واستلاب الناس بها من المارة وغيرهم ، وحاصر عرب عامر مدينة سلا ، وعاثوا في جناتها ، ومنعوا الداخل اليها والخارج منها ، وغلقت الابواب ، واستمر ذلك الى عيد الاضحى .

ثم ورد الخبر اليقين بابلال السلطان وافاقته من علته ، وكانت علته الـداء المعروف بالخوانق ، بلغ به الى حد اليأس والاشراف ، ثم تدارك الله المسلمين بلطفه ، ومنّ على امامهم بالعافية ، فأعمِلَتْ المفرحات والولائم في جميـع الامصـار .

قال محمد الكنسوس ما ملخصه : « لما أفـاق السلطان رحمه الله مـن علته هذه ، كتب حجاب الحضرة ووزراؤها لابنه الخليفة المنتصر بالله ، المولى الحسن بن محمد يهنئونه بعافية السلطان ، فأمر هذا الخليفة أعزه الله باخراج المدافـع والانفاض حتـى اهتزت الجبال ، ثـم دعا أيده الله الناس الدعـوةَ الجَفَـلا ، فلـم يتخلف ممن كـان بمراكش أحد" مـن العقلاء ، فأمـر أيده الله بتهيئة جنان رضوان ففتحت أبوابه ، وفرشت قصوره وقبابه ، وفجرت أنهاره حتى تفتقت أزهاره ، وحضر وجوه الدولة وأعيانها ، ورؤساء القبائـل وأقيالها ، وكان ذلك بأثر عيد الاضحى قبل انفصال وفود العيد عن الحضرة ، ثم اندفع عليهم من الدار المولوية من سيول موائد الطعام الفاخر ، ما عمّ الأول منهم والآخر ، هذا للعامة المطلقة ، والأوزاع الملفقة ، وأما الخواص والوجوه فلهم الحظ الاوفر من العناية ، والخطاب بصريح الترحيب دون كناية، بالقعود على الفرش الحريرية المذهبة ، والمقاعد العالية المطنبة ، والرش بمياه الازهار ومباخر الطيب ، وكل معنى لطيف ومنظر عجيب ، وقد أحضر كل واحد ما شاء من آلات اللهو والفرح على حسب ما اشتهى واقترح ، فلا تكاد تسمع في تلك المجالس والمغاني ، الا أصوات المثالث والمثاني ، وضروب الالحان والاغاني ، واستمر الناس في ذلك ثلاثة أيام ، والمولى الحسن الخليفة أعزه الله مع اخوته وبني عمه في القبة المحمدية الصويرية المشرفة على مجارى الخيل ، وملاعبها ومطاردها ومتاعبها ، وكل عشية يركب من بالحضرة من الوجوه والاكابر ، على عتاق الخيل والجياد الضوامر ، ويبدي ما عنده من الثقافة والفروسية ، مع اظهار الشارة المخزنية والابهة الملوكية .

ثم بعد هذا شرع كبار الدولة ووجوهها ورؤسائها وقوادها في انتخاب الصنائع والولائم ، كل على حسب ما أداه اليه اختياره واعتناؤه ، ثم تتابـع

الناس في نزهاتهم ، واظهار أبَّهاتهم ، وأنتخاب دواعي الافراح ، ومقتضيات الازدهاء والانشراح ، فما يمر أحد ببستان الا ويجد به جماعة زاهية ، وطائفة منبسطة لاهية ... » .

وفي سنة ثلاث وثمانين ومئتين وألف ، كان بالمغرب جراد سدَّ الافق، وذلك في ربيع الاول الموافق لشهر مارس العجمي ، فأكل النجم والشجر ، ثم عقبه فرخه المعروف بآمردْ ، فأكل كلَّ خضراء على وجه الأرض ، واستلب الاعواد من أوراقها وقشرها من لحائها، وفاض في الامصار حتى دخل على الناس في بيوتهم .

وفي سنة أربع وثمانين ومئتين وألف ، كان الغلاء المفرط بالمغرب الذى لم يتقدم مثله ، بلغ فيه الربيَّعْ وهو ربع ثمن المد بسلا ورباط الفتح ستين أوقية ، وباع الناس أثاثهم وحليهم بالبخس ، وكان الامر شديدا على الضعفــاء .

وفي ذي القعدة 1284 توفي القائد الاجل عبد الله بن عبد الملك بن بيهي الحاحي ، وكان من كبار قواد المغرب ، وأهل البذل والايثار ، والمعروف له في ذلك أخبار مذكورة رحمه الله .

وفي سنة خمس وثمانين ومئتين وألف ، كان الوباء بالمغرب بالقيء والاسهال المفرطين ، على نحو ما وصفناه في السنين الماضية .

وفي زوال يوم الاحد الحادى عشر من جمادى الاولى من السنة المذكورة توفي قاضي سلا الفقيه العلامة الورع محمد العربي بن أحمد بن منصور ، ودفن بالجبانة المتصلة بضريح الشيخ ابن عاشر رضي الله عنه ، وكانت لهذا القاضي سيرة حسنة وعدل في الاحكام وتأني فيها ، مع سمت ومروءة وانقباض رحمه الله . وبقيت سلا بلا قاض أربعين يوما ، حتى وقع اختيار السلطان على شيخنا الفقيه العلامة القاضي سيدي أبي بكر ابن الفقيه العلامة القاضي سيدي محمد عواد رحم الله الجميع .

وفي هذه السنة أمر السلطان رحمه الله بضرب الدرهم الشرعــي ، وحاول ضبط السكة به ، وحمل الناس على أن لا يذكروا في معاملتهم وانكحتهم وسائر عقودهم الا الدرهم الشرعي، وشدد في ذلك وكتب فيه الى ولاة الامصار، يقول في كتابه ما نصه :

وبعد ، فان أمر السكة من الأمــور الواجبة المتعين رد البــال اليها والاهتمام بشأنها ، والنظر فيما يصدر بسببها ، من النفع والضرر للمسلمين وبيت مالهم . وقد كان أسلافنا رحمهــم الله اعتنوا كثيراً بشأنها وبضبــط مصالحها ودفع مفاسدها ، وجعلوها على قدر شرعــي معلوم لضبط أمــرها والتبرك بتلك النسبة ، اذ بذلك يعلم المسلم علم يقين كمال النصاب عنده فتجب عليه فيه الزكاة التي هي من دعائم الاسلام ، أو عدم كماله فلا يكــون مخاطباً فيه بشيء .

ولما رأينا مــا حدث فيها مــن التغيُّر وعــدم الضبط ونشأ عــن ذلك من الضرر للمسلمين وبيت مالهم ما لم يخف على أحد ، اقتضى نظرنا السديد ردها لاصلها الاصيل الذى أسسه أسلافنا الكرام سنة ثمانين ومئــة وألف ، اذ لنا فيهم اسوة حسنة في الاجمال والتفصيل ، فرددنا الدرهم الكبير المسلوك على وزن الدرهم الشرعي والمنهاج المرعي، كما كان على عهد جدنا سيدي الكبير (1) قدسه الله وجدد عليه وابل رحماه ، بحيث تكون عشرة دراهم منه هي المثقال ، كما هو معلوم أن عشرة دراهم من الدراهم التي كانت تروج قبل على عهد أسلافنا رحمهم الله هي المثقال ، وبهذا العدد الذي هو عشرة منه في المثقال تكون جميع المعاملات والمخالطات في البيع والابتياع وغيرهما بين جميع رعيتنا السعيدة في كل البوادى والحواضر ، وبه أمرنا جميع العمال ، ومن هو مكلف بعمل من الاعمال ، واشاعته ليبلغ الشاهد الغائب ، وبه يقبل لجانب بيت المال . وأمرناهم بالعمل بهذا الامر الذى أصدرناه وأبرمناه بحول الله وأمضيناه ، وأن يعاقب كل من عثروا عليه ارتكب خلاف ذلك ، وبأن يسلكوا به أضيق المسالك ، جزاء وفاقاً على مخالفته وتعديه الحد وافتياته .

---

1) يعني السلطان سيدى محمد بن عبد الله

نعم ما سلف من المعاملات بجميع أنواعها فيما تقدم قبل تاريخ هذا الكتاب ، فحكمه حكم ما تقدم في السكة ، فلا يكلف أحد بزيادة ، ومن كان بذمته شيء فيما سلف يؤديه بحساب ما كانت تروج به السكة في الريال والدرهم ، والعمل بهذا الذى أمرنا به هو من الآن لما يستقبل ان شاء الله ، وبهذا يزول الاشكال فيما تقدم بين الناس في المعاملات .

ونسأل الله أن يخلص العمل في سبيله ومرضاته ، ويجازي من فضله وكرمه على قصده وصلاح نيته ، والسلام .

في ثامن شوال عام خمسة وثمانين ومئتين وألف .

وفي يوم الجمعة السادس عشر من شوال المذكور ، توفي البركة الخير المنتسب سيدي الحاج محمد بن العربي الدلائي الرباطي بالدار البيضاء ، ودفن يوم الجمعة بالزاوية المنسوبة اليه بها رحمه الله ، ونفعنا به .

وفي هذه السنة كان سوق دار البلار بپاريس من أرض فرنسا ، وذلك أن الطاغية ناپوليون الثالث لما بلغ من ضخامة الدولة ، ونفوذ الكلمة ما قل اتفاقه لغيره من الاجناس ، حاول أن يتجاوز ذلك الى أن يجلب الى رعيته ودار ملكه كل أمر غريب في العالم ، حتى يجتمع عنده ما افترق لغيره من الاجناس ، فكتب الى ملوك الآفاق يقول : أنه قد عزم على اقامة سوق بپاريس في وقت معلوم ، وطلب منهم أن يبعثوا بتجارهم ليحضروها ، وجلب سلعهم وغرائبهم إليها ، وقصده بذلك عموم النفع ، وتعدي الصنائع والحرف من أمة إلى أخرى ، فأجاب الملوك داعيه بمقتضى العرف الجاري بين الدول ، والعادة المقررة من عهد الملوك الاول ، ولم يبق الا من بعث تجاره ونفائسه وغرائبه من الجليل الى الحقير ، فكان السلطان سيدي محمد رحمه الله قد بعث تاجره الحاج محمد بن العربي القباج الفاسى المعروف بالفرانساوى ، وهذا الرجل من العارفين باللسان الفرنسوى الفرنجي ، البصيرين بعوائد ذلك الجيل ، ولذلك لقب بالفرنساوى ، وبعث معه السلطان رحمه الله كل شيء غريب مما اختص به قطر المغرب من سروج مذهبة ، ومناطق مزخرفة ،

وقطائف منمقة ، وغير ذلك من الاعلا الى الادنى، حتى الزليج الفاسي، والمعلمين الذين يباشرون ترصيعه في محاله ، وحضر هذا السوق الملوك فمن دونهم من كل اقليم حتى السلطان عبد العزيز العثماني رحمه الله ، فكان الحال كما قال أبو الطيب المتنبي :

تجمع فيه كل لسن وأمـــــــة فما تفهم الحداث الا التراجـــــم

وأقامت عمارتها ثلاثة أشهر ، ثم انفضّ الناس الى بلادهم ، ولما بلغ ناپليون الثالث الى هذه الغاية فاجأته وقعة البروس(1)التي كسرت من شوكته، وفلت من غربه ، وقبض عليه باليد ، وحوصرت دار ملكه پاريس مدة طويلة ، فبلغ فيها لحم الحمار أربعة ريالات فرنك(2) لكل رطل على ما قيل . ولم تغب عنهم محنة ، ووقع الصلح على شروط ، منها ألف مليون من الريال تدفعها دولـــة فرنسا لدولة البروس .

وفــي عشية يــوم الخميس 14 شعبان 1286 ، توفــي الوزير محمد الطيب بن اليماني أبو عشرين ، وسبب وفاته أنه كان به داء الحصر ، فدخل الميضأة التي بمشور أبي الخصيصات مــن دار السلطان بحضرة مراكش ، فيقال أن مثانته تمزقت فمات رحمه الله وحُمل الى داره ، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة بمسجد المواسين ، وحضر جنازته الجم الغفير . ودفن بضريح الشيخ الغزواني من حومة القصور ، وكان رحمه الله ذا جد في الامور ، ونصح للسلطان والمسلمين .

وفي ليلة الخميس 14 ربيع الثاني 1287 ، خسف القمر خسوفاً كليا بعد الغروب الى نصف الليل .

وفي فجــر يوم الجمعــة 8 جمادى الاولى 1287 ، توفي الولي الصالــح الناسك السني محمد الطيب ابن الشيخ الاشهر مولاى العربي الدرقاوى ،

---

1) يريد الحرب الفرنسية الالمانية التى وقعت سنة 1870 وانتهت بانتصار ألمانيا وعودة الجمهورية الى فرنسا

2) ريال الفرنك يساوى خمسة فرنكات فرنسية

ودفن بمحل زاويته بامجوط من بلاد بني زروال ، وكان من خيار عباد الله على غاية من التقوى والورع والتواضع مع الناس ، يركب الحمار ويلبس الجبة ولا يتميز عن أصحابه بشيء ، مع السكينة والوقار وعدم الخوض فيما لا يعني، والاعراض عن زهرة الدنيا وأهلها ، رحمه الله ونفعنا به .

وفي التاسع والعشرين من رمضان من السنة المذكورة انكسفت الشمس ، وكان ابتداء الكسوف على ما أعطاه التعديل بعد الزوال بنحو نصف ساعة ، وكاد يكون كليا حتى أظلم الجو ، وبقي من الشمس حلقة نورانية يسيرة ، ولم يمكن تحقيق وقت التجلي لتراكم السحاب . وفي هذه الايام ظهرت حمرة في السماء غريبة أرجوانية مع غاية الصحو ، وكان ظهورها يكون فيما بين العشائين معظمها في جهة الشمال ، ودامت كذلك نحو سبعة أيام ، وانقطعت .

وفي ليلة السبت الثامن من شوال من السنة المذكورة أعلاه وذلك في الساعة الثالثة منها ، زلزلت الارض ولم يشعر بها كثير من الناس لكونهم نياما .

وفي سنة تسع وثمانين ومئتين وألف ، غزا السلطان سيدى محمد رحمه الله قبائل تادلة ، فمرّ على السماعلة في منتصف رجب ، ثم منهم لبني زمور ، ثم لأبي الجعد ، ثم توجه لقصبة تادلة ، وعبر القنطرة ونزل على بنى عمير ثم زحف لبنى موسى ، فأوقع بهم لانهم كانوا خارجين على عاملهم الغزواني ابن زيدوح ، فقطع خمسين رأسا منهم وقبض على أربعين مسجونا . وفي اثناء ذلك قدم عليه وفد أهل مراكش ، وكانوا قد ثاروا على عاملهم أحمد بن داوود لكونه كان يسير فيهم سيرة غير حميدة ، فقدموا على السلطان متنصلين مما فرط منهم ، فاعرض السلطان عنهم ولم يسمع منهم كلاما ولا قبل لهم عذرا ، فرجعوا مخفقين ، ثم تقدم السلطان الى مراكش وهو غضبان على أهلها، وكانوا مظلومين فيما قيل ، الا أنه لبس على السلطان في أمرهم ، فلما شارف المدينة خرجوا اليه بالعلماء والقراء وصبيان المكاتب متشفعين ،

ثم يقف لهم الا التفت اليهم ، وكان ابنه وخليفته المولى الحسن حاضرا يومئذ ، فتقدم الى أهل مراكش ورق لهم وقال لهم قولا جميلا ، وكان هذا الحادث في رمضان من السنة المذكورة .

ثم لم يلبث ابن داوود بعد ذلك الا مدة يسيرة حتى توفي وتخلصت قائبة من قوب ، وعفو الله بعد ذلك مرقوب .

وفي سنة تسعين ومئتين وألف ، كانت جائحة النار بكثير من بلاد المغرب أحرقت الزروع والثمار ، واجيحت الجنات ، وتراجع الناس في أثمان ما بيع منها بعد اثبات الموجبات .

وكانت أيام السلطان سيدي محمد رحمه الله في أولها شديدة بسبب ظهور العدو على المسلمين ، وما عقبه من الغلاء والموت ، ثم بعد ذلك اتسع الحال وحصل الامن ، وانخضدت شوكة قبائل العرب بالمغرب ، وأمنت الطرقات من عيثهم ، وازدهت الدنيا ، ورخصت الاسعار رخصا يسيراً ، وكان الناس ممعشين في أيامه ، وغلت الدور والاملاك حتى كانت في بعض السنين لا تسمسر ، ومن يشترى دارا انما يشتريها بالتنقير عنها والطلب من ربها بالثمن الجافي ، واتخذ الناس ذوو اليسار المراكب الفارهة ، والكسي الرفيعة ، والذخائر النفيسة ، وتأنقوا في البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع لا سيما بفاس ورباط الفتح ، ولاحت على الناس سمة الحضارة الاعجمية .

وكان للسلطان سيدي محمد رحمه الله في كل بلد عيون يكتبون له بما يقع من الولاة فمن دونهم ، فكانت الرعية كأنها في كف يده ، وكان أولائك العيون من العوام ، فكانوا يكتبون له بالغث والسمين ، فيسمع ذلك كله ، فينتقي منه الصحيح ويطرح السقيم ، فاستقامت أحوال الرعية بذلك .

وكانت وفاة أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الرحمان رحمه الله في زوال يوم الخميس الثامن عشر من رجب الفرد الحرام سنة تسعين ومئتين وألف بداره بحضرة مراكش في البستان المسمى بالنيل ، ولم يمرض الا يوماً أو بعض يوم ،

قيل أنه شرب دواء مسهلا فكان فيه أجله، والله أعلم . ودفن ليلا بضريح جده المولى علي الشريف قرب ضريح القاضي عياض ، وكتب على رخامة قبره أبيات ليست من جيد الشعر وهي :

أمستعبراً حولي رويدك إنني	ضريح سعيد حل فيه سعيد
هو العلوي الهاشمي محمد	أمام له في الملك سعي حميد
أبوه أبو زيد وقدس ذكره	فقد كان يبدى في العلا ويعيد
ترحم عليه واعتبر بمصابه	فقد كان يُبدي في العلا ويُعيد
ومن رام تاريخ الوفاة فقل له	بشعرك أرّخ ما عليك مزيد

وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان رحمه الله متقياً لله تعالى ، بانياً أمره على الشرع لا يشذ عنه طرفة عين ، حتى أنه لما عزم على بناء داره التى برباط الفتح ، قام جماعة من أهل البلد يطلبون منه النصفة في جناتهم التى هنالك ، فأذعن رحمه الله لأعمال الشرع معهم واستناب وكيلا عنه ، واستنابوا هم وكيلهم أيضاً ، وتحاكموا لدى قاضي سلا الفقيه محمد العربي بن أحمد ابن منصور ، ثم انفصلت القضية عن ضرب من الصلح بأن أعطاهم أثمان جناتهم أو بعضها وذهبوا بسلام .

وكان رحمه الله حازماً في أمره ، عالي الهمة ، رامياً بها الغرض الأقصى، إلا أن الزمان لم يساعده كل المساعدة ، فكانت همته أجل من دهره ، وكان ذا سياسة وسكينة ، وتأنٍ في الأمور وتبصر بالعواقب ، كثير الحياء ، بعيد الغضب ، سريع الرضا ، مشفقاً على الرعية ، متوقفاً في الدماء ، لا يزايل خوفُ الله قلبَه ، رحمه الله ونفعنا به وبأسلافه .

وله آثار بالمغرب منها ما خلده أيام خلافته في حياة والده ، ومنها ما فعله بعد ولايته ، فمن آثاره في أيام أبيه كما قال الكنسوس : إجراء الأنهار وتفجير العيون التي عجز الملوك المتقدمون عنها ، وتكملة غرس أكدال بحضرة مراكش ، وكان في زمن الصيف يناله الجدب من قلة الماء ، لأن بركه التي كان يختزن بها الماء كانت قد تعطلت بامتلائها بالتراب والطين الذي تجلبه

السيول اليها ، وأعظمها البركة الكبرى التى بدار الهناء ، وكان يقال لها البحر الاصغر ، وطولها اثنتا عشرة مئة قدم ، وعرضها تسعمئة قدم حسبما أخبر من قاسها ، وكان تربيعها بمنزلة سور القصبة ، فجاء من بنَى في وسطها قرية بدورها وأزقتها وأسواقها ، فجاء السلطان سيدي محمد رحمه الله أيام خلافته ، فأمر باخراج ما في تلك البرك والصهاريج كلها وتنقيتها من الطيون المتحجرة ، فاجتمع على ذلك عالم من الناس فكنسوها ، وعادت الى حالها الذى بنيت لاجله وهو اختزان الماء لوقت المصيف ، وبذلك كمل المراد من أكدال وصار آمناً من العطش والامحال .

ومن ذلك أيضا احياء عين أبي عكاز خارج باب الطبول من مراكش ، وكانت لها بركة بائدة على الوصف الذى ذكرنا ، فعمد اليها سيدي محمد رحمه الله وفجر لها عينا ثرة وماء غدقاً ، وأجراه الى البركة المذكورة بعد أن أمر بتنقيتها واصلاحها ، فعاد ذلك البسيط الذى حولها مزارع نفاعة تغني الزارعين وتبهج الناظرين ، وبنى رحمه الله حولها قلعة يأوى اليها الاكرة والحراثون بأنعامهم ومواشيهم ، واتخذ هنالك من إناث الخيل المعدة للنتاج عددا كثيرا .

ومن ذلك احياء عين المنارة ، وبركتها العظمى التى تقرب من البحر الاصغر بدار الهناء ، وكانت قد عطلت منذ زمان فقيض الله لها هذا السلطان فجمع الأيدي عليها حتى أخرج ما في جوفها من جبال الطين ، وأصلح ما تشعث من حيطانها ، وأجرى اليها العيون والانهار ، وأمر بغرس ما حولها من الفضاء بأنواع الاشجار ، وضاهى بها جنة أكدال .

ومن ذلك أيضاً إجراء النهر المسمَّى بتاركة ، المستمد من وادي نفيس ، فانه ضاهى به النهر القديم الذى هنالك ، وهذا النهر الجديد أنفع منه وأوسع ، أحيا الله به تلك البسائط التي بين مراكش ووادي نفيس .

ومن ذلك أيضاً اجراء النهر الذى جلبه من تاستاوت الى البسيط الذي بين بلاد زمران والرحامنة والسراغنة وهو المسمى بفيطوط ، فصار

ذلك كله رياضاً مخضرة وبساتين ذات أزهار مفترة ، وبنى فيها رحمه الله قصبة عامرة ، يأوي اليها الوكلاء والفلاحون ، وصارت آهلة عامرة بعد أن كانت بائدة غامرة .

ومن آثاره بعد ولايته أمر المومنين داره الكبرى بأكدال رباط الفتح ، والسور الكبير المحيط ببسيطها ، وجلب الماء اليها بعد أن صير عليه أموالا كثيرة ، وأحيا جامع السنة قربها ، وكان بائدا يعشعش فيه الصدى والبوم ، وأقام فيه الصلوات الخمس ، والخطبة كل جمعة ، وأحيى المسجد الصغير هناك المسمى بمسجد أهل فاس ، واعتنى به وزخرف سقوفه ، وانتهج الطريق من الدار المذكورة الى الوادي أسفل من حسان تسهيلا على المارة وتقريبا عليهم .

ومنها : أنه نقل طائفة من الجيش السوسي الذى بالمنشية وأوطنها حول الدار المذكورة بأكدال ، فاستطابوا المقام هناك وحسنت حالهم ، وانعمرت بهم تلك الناحية ، وهم الآن بهذا الحال .

ومنها بالدار البيضاء المسجد الجامع بالسوق ، وكان الصائر عليه من أحباس المسجد القديم ، وانما السلطان رحمه الله أذن في بنائه باشارة عاملها يومئذ محمد بن ادريس الجراري ، ومنها الحمام القديم الذى بها ، وكان الصائر عليه من بيت المال ، وأصلح رحمه الله أسوار الجديدة وأبراجها ، واعتنى بشأن الثغور ، وبعث من نوابه من يتفقد أحوالها .

ومنها بمراكش دار فابريكة معمل السكر بأكدال منها ، صيّر عليها أمولا طائلة ، وجاءت على عمل متقن وهيأة ضخمة ، الا أنها اليوم معطلة لقلة المادة ، ومنها دار فابريكة تزديج البارود بالمحل المعروف بالسجينة من مراكش أيضا .

ومن ذلك برج الفنار الذى على ساحل البحر بأشقّار قرب طنجة ، يسرج فيه ضوء كثير يظهر للسيارة في البحر ليلا من مسافة بعيدة ، وصيّر عليه مالا له بال ، وكانت المراكب تنشب بذلك الساحل كثيراً ، إذ لم يكن

لها علامة تهتدى بها في البحر ، ولما اتخذ السلطان رحمه الله هذا الفنار أمنت من تلك الآفات .

وله رحمه الله آثار كثيرة يطول ذكرها ، جعلها الله في ميزان حسناته، ورفع بها في عليين درجاته (1) .

ومن مآثره : اصلاح أسوار الجديدة وأبراجها ، وبناء ضريح الشيخ سيدي أحمد الشاوي بفاس والزيادة فيه ، فجعله مسجدا جامعا تقام فيه الجمعة ، وزيادته في سمك قبر مولانا ادريس الاكبر بزاوية زرهون الى غير ذلك . وكان رحمه الله ذا حلم ووقار ، وتأن واستبصار بعيد الغضب ، سريع الرضا ، مغضيا عما يمكن فيه الاغضاء ، وقد طبعت بعض ظهائره الشريفة بنصها في المكاتب المغربية ، فراجعها هناك .

وكان السلطان سيدي محمد كتب لخديوي مصر إسماعيل باشا في شأن مطالب ، فأجابه بمكاتب أثبتت في كتاب الآثار الفكرية المطبوع سنة 1315 ، وراجع ص 54 — 56 في شأن تعليم صنعة المطابع وصنعة التبرديج، والجواب في شوال عام 1283 هـ .

وقال في (الحسام المشرفي) عند ذكر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ما نصه :

أما أشياخه في القراءات في بداية أمره، فالفقيه الصالح الخير، وكوكب الدر النير ، الذي فلك الكرامات عليه يدور ، الشريف الغطريف سيدي قدور ، الصوصي من كورة سجلماسة ، وعليه دخل المكتب، ثم الاستاذ البركة، الموفق في السكون والحركة ، من خدمه الزمان والشوق في الله هزه ، أبو العبادات السيد حمزة ، من تافيلالت أيضاً ، ثم الخير الذى يعترف له بالفضل الجاحد ، الفقيه سيدي محمد بن عبد الواحد ، الفاسي ، الذي كانت له معرفة

1) ما تقدم من بداية الترجمة كله منقول من **الاستقصا** 9 : 80 وما بعدها ، طبع الدار البيضاء

بفن القراءات ، ثم الفقيه السيد العربي الوديي فقيه خير ، وله باطن نير ، ثم الفقيه الوجيه ، إمام الكرامات النبيه ، مصباح أهل زمانه ، ومفتاح قفل المشكلات بين أقرانه ، العلامة الأواه ، الخائف من مولاه ، أستاذ الدراية والرواية ، الحامل لألوية العلوم التي أدرك فيها الغاية ، مَن ألف لأجله الفتح والتيسير ، وحرز الأماني ، طلعة السر سيدي الطيب ابن اليماني ، وهو والله من أئمة الدين الذين لهم فيه الرسوخ ، وممن يشار إليهم بكمال المعرفة ويدعون بالشيوخ ، ومن عزّ سيدنا المؤيد على والده المرحوم ورضاه عليه ، عينه له شيخاً وأفرده به ، أخذ عنه قراءات القرءان على وجهها ، ومن أجل ذلك تمسك سيدنا بحسن العهد ، وجعله وزيراً منذ ولاه والده أمرَ الخلافة إلى أن ظفره الله بالملك فأقره عليها ، وهذا شأن سيدنا ، فكل من تقدمت له معه صحبة ولاه الولايات ، ورقاه أعلا المراتب والدرجات ، حسناً منه بالعهد ، وفي صحيح البخارى باب حسن العهد من الايمان ، وفي ذلك من كرم طباعه المؤذن بكرم طباع أسلافه ، ما يعلمه العام والخاص ، وفي مثل هذا يقول القائل :

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا   من كان يألفهم في الموطن الخشن

وأشياخه في العلميات والادبيات الدينية ، الفقيه النبيه ، سيدي التهامي البوري ، فاسي الدار والقرار ، ثم العلامة الارضى ، الخير الأحظى ، الدراكة الفهامة ، سيدي محمد بن الطاهر الفيلالي ، ثم العلامة المدرس قاضي مكناسة الزيتون ونواحيها السيد بستير الرباطي ، ثم الفقيه النبيه ، الذي يعزُ له النظير والشبيه ، عربي اللسان في عدم اللحن وأسرار الفصاحة ، وأفيد من تصدى للتعليم بنباهة ونصاحة ، السيد محمد اذا بالحسن ، ثم الفقيه سيدي العباس ابن كيران الفاسي ، ثم سيبويه وقته ، السيد أبو بكر ابن العلامة سيدي الطيب ابن كيران الفاسي .

وأشياخه في التوقيت والحساب وعلم الهيأة والتعديل يحفظ له في بعضها والله أعلم الفقيه السيد علي بن عبد الواحد ، وربما أخذ شيئاً في التوقيت عن الحاج محمد الحبابي .

وأما قراءة الحديث في الاشهر الثلاثـة : رجب وشعبان ورمضـان وأشياخه فيه العالم العامل ، صدر الدين الكامل ، الدراكة العلامة ، الحافظ الفهامة ، ذو الأدب الصوفي ، والخير العُرفي ، سيدي المدني الغرفي ، ثم العلامة الفقيه المدرس الكامل المفتي بالديار المراكشية ونواحيها سيـدي عبد القادر الدباغ .

ومـن الذين يسردون الحديـث مولاي أحمد بـن ادريس الشبيهي الزرهوني ، والشريف سيدي الحبيب الصوصي من الذين يحضرون مجلسه ، وكذا الفقيه العلامة ، إمام الأيمة ، سيدي بنعبد الله المجاوي من الذين حضروا لمجلسه الشريف مرة واحدة ، والفقيه سيدي الهادي أخ القاضي العلامة السيد السعيد المراكشي .

ومن أشياخه في الحديث أيضاً العلامة سيدي محمد بن الحاج حمدون الفاسي ، والذين يحضرون مجلسه الشريف وقت الحديث الفقيه سيدي عبد الله الدمّنى ، والفقيه الاديب السيد أحمـد الوداني ، والسيد محمد الامـين الصحراوى ، والفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله الغزاوي .

وبعد استقلاله بالامارة ، فسح مجلسَه في هذه الاشهر الثلاثة للفقيه العلامة الوجيه أبي الاحسان والمودة ، سيدي المهدي ابن سودة المري ، وليس عليه المعتمد في حل ما أشكل ، بل سيدنا أيده الله ممن بلغ الغاية في معرفة الحديث والتدريس ، ومن الذين يسردون الحديث صنوه السيد محمد ابن سودة، والسيد عبد القادر العراقي،وديار هؤلاء الفقهاء ديار علم وعمل،وكان يحضر معهم الشريف الغطريف مولاي العربي بن الصديق ، ومن الذين يحضرون مجلسه أيضاً زمان الخلافة ، السيد محمد ابن جلون المراكشي سراداً ، وبعده ولده ، وهذه عادة مولانا نصره الله ، حسن العهد كما ذكرنا أولا، فمَن مات من أصحابه لا يفوت أولاده أهل الفلاح والصلاح ، حتى يظهر من أولادهم ما ينفي رتـب آبائهم جعله في الغير ، ولسيدنا البارع في علم الحديث الذي لا يدرك ، وله معرفة كبيرة في صحيح الحديث وسند رجاله ومناسبة الترجمة مع المتن ، حاصلى متن الحديث وسنده عن ظهر قلب منه ، حسبما رويناه عن أيمة الحديث الذين

يحضرون مجلسه الكريم ، وقالوا إنه أهتم بشرح يجعله على الجامع الصحيح ، ليكون جامعا لتعداد الاحاديث المكررة والرواة ، فمنعه من ذلك اشتغاله بكلف الرعية التي كلفه الله بها ، حقق الله رجاءه ، وله بحث وفهم دقيق ، يغــوص رضي الله عنه على درر المعاني ، وكل سنة يبدأ صحيح البخاري في رجب ويختمه في 27 رمضان الأبرك ما لم تشغله الاعذار عن ختمه ، فيتبرك منه ولو بجملة ، نفعه الله به آمين .

وحيث قلنا السند مطلوب في كل شيء ، فسنده في الامارة معلوم ، فقد أخذها عن والده بالعهد ، ولم تكن بالوصية الشرعية من النبي صلى الله عليه وسلم صراحة ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال مروا أبا بكر فلْيصلِّ بالناس ، ففهموا منه أنه إنما قدمه في الدين ليقدم في الدنيا ، فلا يقال إنه تسوَّر عليها ، أو من ظهرت شوكته وجبت طاعته ، فأخذها بالعهد مقرر في فروع المالكية وسائر المذاهب ، وبالعهد كان يأخذها ملوك السلف ، فلا حاجة إلى نقل النص الصريح فيها للطول المؤدي للملل .

كما أخذ سند الرماية عن أناس من حمير بزاوية البركة سيدي بوسونة، وكل ذلك ابتداء لا دواماً ، فقد تلاقى مع غيرهم مشهورين بالرماية .

كما أخذ سنَدَ التادلي دفين باب الساكمة من فاس العليا بمصلى العيد ، وهذا هو عمدته في البداية ، والا فله أشياخ غيره ، وسنده في رماية المكحلة محفوظ حسبما قدمنا آنفاً ، وأما سنده في المدفع فلم نحفظ له شيخا ، غير أنه فيه شديد الساعد ، وما نصب غرضاً فأخطأه به أصلا .

ودولته المحمدية لها جيوش وعساكر ، وقواد وأمراء ودائرة تدور بين يده كل يوم ، وبطانة ووزراء ، وكتاب أشغال ، وأمناء صائر ، ونظماء ، وأهل خدمة عامة وخاصة ، فجيوشه الملازمون لخدمته حضرا وسفرا خمسة قبائل بل ستة : بخاري ، شراكة ، الجامعيون ، شراردة ، الوداية ، سوس المنشية ، وجيوش الثغور الريفية ، وكلهم أهل خيل .

وعساكره الرجلية ، ليس لهم قبيلة مخصوصة ، بل هم من سائر القبائل ، وذكرت الجيوش وأهل الخدمة العامة حتى سائر القبائل قاسيا ، فقوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار » الآية ، وتشريعا للامة اذ لو شاء الله ذكر محمد وحده لذكره .

فالجيش البخاري سكناه حضرة مكناس ، وقواد الحضرة السلطانية وبطانة السر وأعيان الدائرة منه ، وهم على مراتب .

فالذين عليهم المدار ، وأهل الخدمة الباطنية في صُفَّة الدار ، الوزير الاكبر ، الكبريت الأحمر ، روض البهار والنسرين ، الفقيه سيدي الطيب أبو عشرين ، صموت وقور ، تنصت لقوله بيزان الدولة والصقور ، وبوجوده في دار المخزن تعظم الهيبة ، وربما يجد الناس تنفسا بخروجه منها وساعة الغيبة ، فاذا جاء سكن الكبير وسكت الصغير ، وفي ترجمته السابقة ، ما يغنى عن هذه النتفة في أوصافه اللاحقة .

ومنهم نقيب الأبرار ، وترجمان الأخيار ، وسفير الملوك الأحبار ، أبو البشرى الفقيه سيدي محمد الصفار ، فهو أمين الدعاوي ، وأمير الشكاوي ، وبأكثر من هذا وصفته ، وبمدح بلدته سابقا ترجمته ، ثم ترجم للقائد الطيب الوديني قائد فاس ، والباشا على مكناس مَحمد بن القائد وخليفته القائد حمو ، وترجم بمكناسة الزيتون لنقيب شرفائها العلويين مولاي أحمد بن علي بن زيدان .





فهرس

الجزء السادس من (الاعلام)

تابع حرف الميم

النـمـرة		الصحيفـة

النمرة | الصحيفة

النـمـرة الصحيفـة



